

المعهد الوطني العالمي لأصول الدين  
الجزائر

١٣  
٥١٤٣

٤٤٦  
٥٠٠  
٩٦٥

# محمد بن يوسف أطفيش

ومنهجته في تفسير التيسير

رسالة مقدمة لئيل شهادة للماجستير في العلوم الإسلامية

إشراف

الدكتور: المعاشي التيجاني

إعداد

محمد علي علواني

1411 هـ / 1990-1991

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# المقدمة

المحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . الآية 1 / الكهف  
والصلاة والسلام على نبيه الأمين الذي كان خير مطبق لتعاليمه ، وخير مبلغ لتشريعاته ،  
وعلى آله وأصحابه الذين اقتدوا بأثره في الاستنارة بهديسه ، حتى أصبحوا به سادة  
العالم ، وأئمة الهدى .

ولكن ما إن انصرف المسلمون ، وأعرضوا عن الالتزام بتعاليم كتاب الله حتى أصبح  
دأب الجهل والتخلف ، والأخلاق السيئة تنتشر بينهم ، فحطلوا منه كتاباً يتلى تلاوة لا تتجاوز  
حد جبرهسم ، ومصدر معارف يحشون بها أدمختهم ، فامتلات مكنياتهم بكتب التفاسير التي  
أخطأت مصطلحات مقاصد القرآن ، وحادت عن المنهجية الفعالة القادرة على تحقيق هذه  
المقاصد في واقع الانسان ، والافتكيف بفسر ضعف آوارها في انفراد المسلم والمجتهد  
الاسلامي ؟

ومذا ما دعاني الى هذه الدراسة التي أعتمدها من تلقا للتفكير في وضع منهجية  
فعالة ، وناجحة ، وعلى الأقل ، نفذت نظر الباحثين الى بعض نقاط الضعف والقوة فسي  
التفاسير السابقة ، وقد يتساءل القارئ لم وقع اختياري في هذه الحالة العلمية  
تفسير يمثل مدرسة اسلامية معينة ، وينتمي الى منهجية التفسير بالرأي السلفية؟  
وسرعان ما يزول هذا التساؤل ، اذا عرف القارئ أسباب اختياري لهذا التفسير  
بالذات ، وتتبدل فيما يلي :-

(1) النتيجة التي حثتها المفسر في تكوين نخبة من المفكرين والمصلحين ، وأثره في  
النهضة الاصلاحية .

(2) دراسة المنهجية السابقة لمعرفة مساوئها ومحاسنها ، والاستفادة منها ، والتفسير المختار  
وان كان يمثل مدرسة التفسير بالرأي انسلفية فيرأنا نجد فيه بعض بصائر  
المدرسة الاصلاحية ومدرسة التفسير بالمأثور .

(3) عرضه لأهم آراء المدارس الاسلامية في أمهات المسائل .

(4) اختارت تفسيره " التيسير " بالذات لاعتباره :-

أ . التفسير الأخير الذي بلغ فيه المفسر درجة النضج العلمي فقد يكون بذلك عصارة  
فكره وتجربته .

ب. لم يتصور أي باحث لدراسته بطريقة مثقلة وذلك حتى نهاية بحثي .

جاء ألفسه من أبيل التدرين، وهذا الخبر يسمع لي بالأطالع على منهجية تدرين هذه المادة في عصره للوصول الى وضع منهجية حديثة لتدرين هذه المادة .  
لما لهذا الموضوع من علاقة باختصاصي في ميدان المصطلح .

5) قلثة دراسات تقارير الا باضية ، رغم أهميتها جعلتها لا تحتل مكانتها في مكاتبات الحثو الاسلامية ، ولا يقبل عليها الدارسون ، وبما أنني ابن بيثة المفسر ، كنت و طالب علم التفسير عند أحد تلاميذه ، أرى أن ذلك عامل مساعد لي على هذه الدراسة .  
وهذه الأسباب هي التي دعنتني الى اختيار عنوان البحث على النحو التالي :  
" أمحمد بن يوسف أفريقيته ومنهجيته في تفسيره التيسير " للتحرض أو لا لدراسة جوادب من شخصيته المفسر ، ثم تناول منهجيته في تفسيره بالبحث ، والتي أعني بها الطريقة التي سلكها لتدرين هذه المادة وتوضيحها ، ولم أركز كثيرا كغيري من الباحثين في هذه الموضوعات على ناحية المضمون ، بل حاولت الجمع بينه وبين الشكل أي طريقة تقديم المادة ، واخترت بذلك كلمة " المنهجية " على " المذهب " .  
ولعل تصميم البحث يعطي صورة أكثر وضوحا تشبثت ما ذهبت اليه .

فقبل التحرض لتصميم الموضوع ، رأيت من المفيد أن أقدم أمام القارئ صورة ولو موجزة عن نشأة المذهب الا باضي ، ولمحة عن أسسه في التفكير ، وعن تفسيره ومفاهيمه واتجاهاتهم ، حتى أبني بحثي على قاعدة واضحة ، وأوضح القارئ في جو الموضوع مستغنيا عن موضوع علوم القرآن التي آعتاد الباحثون في هذه الدراسات التعميد بها باعتبارها قد لاكتها أقلام كثيرة ، وهذا يتنافى مع رغبتي في محاولة تقديم الجديد في المضمون والمنهجية بقدر المستطاع ، والابتعاد عن الاجترار .

ثم سلطت بعض الأضواء على عصر المفسر في جوانبه الثلاثة : السياسية والاجتماعية والفكرية ، لأنه لا يحقل تقديم دراسة موضوع أو شخصية مجردة عن بيئتها ومحيطها ، والألا تدون الأحكام مبنية على قواعد سليمة ، ورأيت من الضروري تحليل شخصية المفسر مكثيا في ذلك بدراسة شبه سيكولوجية واجتماعية مفرضا عن بعض الجزئيات التي لا تخدم الهدف من الدراسة ، مع تخصيص فصل كامل لبراز آثار هذه الشخصية ، وجهادها .

واثر هذه الدراسة الشخصية المفسر ارتأيت التحريف بتأسيره الثلاثة ، والدوافع  
لتأليفها ، فاقسدا مقارنة بسيطة بينهما ، مبينا فيهما المميزات الخاصة والمشاركة بينهما ،  
متوصلا الى بيان أسباب عدم انتشارها .

وقبل الدخول في صميم الموضوع ، رأيت أن المنهجية السليمة تقتضي مني تقديم  
عنوان موجز لآراء الباحثين في تأسيره والمصادر المختصة لتأليفها .

وبعد هذا التصور الشامل للمدرسة الإسلامية التي ينتمي اليها المفسر ، والبيئة  
التي عاش فيها ، وعوامل تكوين شخصيته ، ومساهماته ، وبعض مواصفات تأسيره ،  
وجمات نزار الدارسين لها ، والمصادر المتعددة ، شرعت في الباب الثالث في  
دراسة طريقته في التفسير مقتضرا على كتابه " التيسير " من حيث أسلوب تناول هذه  
المسألة ، والمصادر التي استعان بها في الشرح والتوضيح ، مع ضرب أمثلة عن كيفية  
استغلال هذه المصادر ، ثم انتقلت الى استعراض مواقفه من بعض المسائل  
والمدارس الإسلامية والتفسيرية .

ولابد من ملاحظة تأسيره ، عقدت مقارنة بسيطة بينه وبين تفسير تأثريه واتبع  
نفس المنهجية ، وتفسير أقدم منه ولكن مؤلفه جزائري ، وتفسير يمثل وجهة نظر  
عصره ، وفي الختام استخلصت بعض النتائج ، ولخصت بعض القضايا التي استنتجتها في  
معرض بحثي .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة المتراخمة المنهج الاستقرائي ، باستقراء النصوص  
ومحاولة استنتاج المعلومات منها ، مستعملا أحيانا أسلوب التحليل والمقارنة  
والنقد حسبما يقتضيه الموضوع ، وان كنت أم استثنى عن المنهج التاريخي في  
عسوز بعض الآراء ، مع نقدها اذا لزم الأمر ذلك ومقارنتها بخيرها للوصول الى  
حكمي ، وهذا تبدو صعوبة الدراسة ، لاسيما لمن يسعى الى تحقيق عمل جاد ،  
ويلتزم قدر المستطاع بالموضوعية ، وينشد اكتشاف جوانب جديدة ، ومن أجل هذا المهدف  
الأخير تحاشيت الاكثار من عرض آراء الغير مراقبا سها ، وبل الاطلاع على بعض الدراسات  
الشبيهة خوفا من التأثر ، وهو الذي فرج علي انتماج منهج الاستقراء ، واعتماد  
النص من مستخدما فكري قصد الوصول الى نتائج دقيقة تلقي أضواء على أهداف  
.../...

بحثي هو قد أصل بذلك الى نتائج تتفق مع فيري أو تختلف معه .

والعائق الدّائي هو قلة المصادر والمراجع المعينة على ذلك ، بالأضافة الى جودة

الموضوع الذي لم يطرّقه باحث من قبل بهذه الطريقة ، ولم تتقدم دراسات مفصلة فيه باستثناء بعض الدراسات التي أشرنا اليها في البحث أو تلك التي قدّما زميلي في القاهرة ، لكنهما جاءت بعد انتهائي من البحث ، مع العلم بأنني قد سبقته في اختيار الموضوع والشروع في تحريره فكان من غريب الضد أن وقع اختيارنا على موضوع واحد دون اتفاق مسبق ، وكان أول

اتصالي به بعد أن وضعت تصميم موضوعي وشرعت في جمع المادة ، وقد استفسرته - يومئذ - عن التفسير الذي اختاراه ففهمت من اجابته أن اختياره وقع على " هيمان الزاد " وفي هذه الحالة استمرت في دراسة تفسير " التيسير " مبيّناً له أسباب اختياري له ، ولكن قد فوجئت عند سماعي لمناقشة رسالته أنه درس كتاب " التيسير " وكنت - حينئذ - قد ألهيت بحثي الذي كلفني وقتاً طويلاً ، وجهوداً مضنية وأموالاً طائلة .

وهذه الصعوبات وغيرها كادت تنال من عزيمتي لولا تشجيع فضيلة أستاذي المشرق وتوجيهاته القويمة ببحث الثقة في نفسي ، فقد كان ذلك لي بمثابة الشحنة التي زادتني اصراراً على اتمام بحثي ، بالأضافة الى انتذار أستاذتي واخواني لهذه الدراسة بقارغ الصبر ، وما قدّمه لي بعضهم من يد مساعدة .

فرغم صعوبة الحصول على المراجع والمصادر ، فإن المنهج المختار تطّلب مني في الحقيقة الاقتصار على موء لفات المفسر والتوكيز عليها ، أما ما عداها من مراجع فكانت مساعدة لي على اتمام ما أجده ناقصاً ، أو في بلورة بعض الأفكار ، أو في الاستدلال بما جاء فيها لأدبأت رأي ومسيمة لي على التحقيق الاخير .

فهذه باختصار الدوافع التي حفزتني الى كتابة هذا البحث ، والخوض في موضوع شيق وصعب ، دون أن ألسى رفيتي الاكيدة في خدمة كتاب الله ومساهمتي المتواضعة في محاولة وضع منهجية تساعد على نشر تشريحاته وتعليقاته لتصبح ضوابط تنظم حياة الانسان وتنقذه من ضلالته .

وأرجو أن أكسون ببغثي هذا ، قد وضعت احدث النيات ، في صرح المجتصح  
الاسلامي المستقبلي ، وتمتين أواصره بالثريب بين مدارسه ، فان كنت قد أصبت  
فذلك من فضل الله علي وتوفيقه ، وان كنت قد أخطأت فذلك مني ومن الشيطان الذي  
استهيد بالله منه .

أمل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، ويتقبله مني  
ويبسط خطاي ويوفقني لما فيه خير هذه الأمة انه سميع قريب وبالاجابة جدير  
والحمد لله رب العالمين .

والله الموفق



## مختصرات و ملاحظات

### مختصرات:

ن م	نفس المرجح
م ن	المصدر نفسه
(س) في بعض المواضع	صلى الله عليه وسلم
حرف ط // //	الطبعة (في فهرس المراجع والمصادر رأوا الهوامش)

### ملاحظات:

- التاريخ الموجود بين قوسين أمام علم من الأعلام هو تاريخ الوفاة.
- اعتدت في ترقيم آلايات الكريمة مصنف قراءة ورث عن نافع وفي كتابتها الرسم العثماني.
- تفاديا للنزاع وانتقال الهوامش خرجت الأحاديث في فهرسها وعرفت بعد الشخصيات في فهرس الأعلام.
- العبارة أو الكلمة المكسوة بين قوسين في فهرس الأحاديث بالنسبة الشريفية وفي عمود مصدره هي العبارة أو الكلمة الواردة في نفس الحديث بالمرجع المذكور في نفس العمود مقابلة لما ورد في الحديث الذي ساقه المؤلف.
- أرقام المكسوب قبل اسم السورة أو بعده هو رقم الآية.

# التهيد

الإباضية والتفسير عندهم

ان الحديث عن نشأة المذهب الإباضي يسوقنا الى الحديث عن الخوارج ، هذا التيار الذي ظهر نتيجة ظروف عاشتها الامة الاسلامية في بداية تجربتها بالخلافة . وان ذهب الباحثون بمذاهب مختلفة في تحديد مفهوم الخوارج ، فما نتج عن ذلك اختلاف في زمن ظهور هذا التيار ، وبداية تكوينه ، ووضوح ملامحه غير أننا نستطيع من الآراء المختلفة استخلاص اتجاهين رئيسيين . (1)

1) الاتجاه السياسي :

هذا الاتجاه يرى أن التيار الخارجي حركة خرجت على الإمام الحق الذي بايعته الأمة، أو انكرت عليه حكما من أحكامه ، غير أن في هذا الاتجاه من يحرص هذه الحركة في الخروج على علي بن ابي طالب ، وبذلك يرى ان بداية هذا التيار كان في وقعه الجمل (2) ، وعند البحث في وقعة التحكيم (3) هو تزعم هذه الفكرة الشيعة ، اما الفئة الثانية فتذهب الى أبعد من ذلك فترون ان كل حركة تنكسر على الإمام أو تخرج عليه ، تعتبر حركة خارجية .

ولذلك ترون أن أول بذرة لهذه الحركة ظهرت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبالضبط في قضية ابن التديسة (4) ومن جملة من يرى هذا الرأي عمار طالبي (5) ، وينسبه الى أهل السنة والجماعة ولا سيما الأشاعرة (6) ، والمعتزلة (7) .

- 
- (1) أبو عمار آراء الخوارج الكلامية 1 / من 15 — 45 دراسة مستفيضة حول الموضوع لعمار طالبي .
  - (2) ن . م . ص 27 . 28 .
  - (3) ن . م . ص 44 .
  - (4) أنظر القضية بالتفصيل في ن . م . من ص 35 — 46 .
  - (5) م . ن .
  - (6) ن . م . ص 23 .
  - (7) ن . م . ص 26 .

و هناك فئدة ثانية ترى أن الخارجية حركة قامت ضد أئمة الجور ، والمنحرفين عن مبادئ الكتاب والسنة ، ويكون الخروج في مفهومها ، حركة تقوم بثورة لتصحيح مسار الخلافة واعدتها الى عمدتها الا اول ، ويمكن استخلاص هذا المفهوم من جواب عبد الله بن ابي نوح لعبد الملك بن مروان ، عند برأته من ابن الزرق (1) وجماعته قائلا : " . . لقد كانوا على الاسلام فيما ظهروا لنا حين خرجوا ، ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد اسلامهم " (2) ثم يقول متحدثا عن امام الضلالة : " فهو الذي يحكم بخير ما انزل الله " الى ان يقول : " فذلك كفر كما سعى الله ونهى عن طاعتهم و امر بجهادهم " (3) .  
الاتجاه الديني :

يستخلص مفهومه للخروج من الكتاب والسنة ، فالرأي الا اول يعطي لمفهوم الخروج المعنى الوارد في القرآن الكريم (4) ويرى أنه مرادف للجهاد في سبيل الله والجماعة التي تخرج في سبيل الله يطلق عليها اسم الخوارج ، ويمثل هذا الرأي بعض علماء الا باضية على وجه الخصوص ، ولهذا الرأي ارتباط وثيق برأي الفئة الثالثة في الاتجاه السياسي السابق الذكر ، غير ان هؤلاء يعطون لمفهوم الخروج معنى دينيا أساسه القرآن الكريم ، ويرى بعض هؤلاء أن هذا المفهوم تغير بالحرف الجماعة المنشقة عن المحكمة (5) وذلك حين أصبحت كلمة الخوارج تطلق على الفئة المنشقة فانقلب بذلك من المدح الى الذم . (6)

- 1) هو نافع بن الازرق امام فرقة الازارقة من الخوارج .
- 2) أبو الربيع سليمان الباروني — مختصر تاريخ الياضية ص 25 .
- 3) ن . م . ص 26 قوله كما سعى الله اشارة الى قوله تعالى " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " الآية 46 من سورة المائدة وكذلك " هم الظالمون (47) انهم " وهم الفاسقون (48) " ن . م . ص .
- 4) مثال ذلك قوله تعالى : " ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة " 46 التوبة .
- 5) فرقة رفضت التحكيم في وقعة صفين أنظر التفصيل في فجر الاسلام ص 256 ، 257 .
- 6) محمد بن يوسف أظفيش رسالة ( ان لم تعرف الياضية ) ص 25 ، 26 عوامش بقلم عبد الله بن حميد السالمي .

أما الرأي الثاني استمد مفهومه من السنة النبوية ، يرى أن الخوارج مرادف في معناه (مطلوب) الإطلاحي للكلمة المروق من الدين ، وكل حركة في نظره تنحرف عن الدين وتخرج عن الأمة تعتبر حركة خارجية ، وقريب من هذا الرأي من يحكم على الخوارج بانهم أصحاب بدع وهي ومن جملة من ينتهي الى هذا الرأي جمهور الا باغضية ، واغلب السلف والصحابة والتابعين ومن تمسك بظاهر الحديث (1) .

ولذلك تنكر الا باغضية اطلاق اسم الخوارج على المحكمة ، وترى ان ذلك ظلم وتعسف رمت به السلطة الحاكمة - آنذاك - الى التشجيع بحركتهم وتشويه سمعتهم باعتبارها تمثل حركة المعارضة للنظام الحكم (2) .

ستخلص مما سبق ان مفهوم الخوارج تبعاً للرأي الاول في الاتجاه السياسي ينطبق على الا باغضية بدون منازع وعلى من رفض التخديم وانفصل عن علي ، وهل وقف الا باغضيون منذ عهد عثمان مع الحركات المناوئة للحكم وهذا ما يفهم من جواب ابن ابي نضر ، لان صحته نسبه اليه ، غير ان حشر الا باغضية مع الخوارج بالمفهوم الثاني في الاتجاه السياسي والديني يعتبر من التناقضات الواضحة لان الا باغضية نفسها تنكر اشد انكار الخروج على الامام الحق (3) واكبر دليل على ذلك ما جاء في جواب ابن ابي نضر بعد تعريفه بامام الحسن فقال : " وهو لا اولياء له من الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم . " (4)

- 
- (1) آراء الخوارج - 1 / 19 ، 22 ، 30 أبو اسحاق (النقد الليل) ص 20 ، 22 ، 23 ن . ك مسألة الاذان (مجلة المنهاج) العدد 3 ، 4 / 29 . أبو يعقوب (الدليل والبرهان) 2 / 32 .
  - (2) مجلة المنهاج / 29 علي يحيى معمر (الا باغضية بين الفرق) ص / 353 ، 354 نقلاً عن ابي اسحاق سالم بن حمود (اهد المنهاج في تمييز الا باغضية) ص 18 محمد علي دبور (تاريخ المغرب الكبير) 3 / 170 .
  - (3) مسألة الاذان (مجلة المنهاج) / 29 ن . ع .
  - (4) مختصر تاريخ الا باغضية ص 26 .

كما انهم يتبرأون من الحركة التي انفصلت عن المحكمة وذهبت الى تاويل آيات الله لتجد

لنفسها مبررا لا اعتداء على غيرهم من المسلمين ، وقد اطلقوا على هو " لا " الخوارج أو العارفين (1) من هنا يتبين لنا أن الا باغية حركة نشأت كخيرها من الحركات والمذاهب الاسلامية بصفة عامة في خضم تحولات المجتمع الاسلامي ، والاضطرابات التي تركت - مع الأسف الشديد - تأثيرات سلبية على بنية المجتمع الاسلامي ، ولا أخال باحثا نزيها وموضوعيا في حكمه ينكر أن هذه الاضطرابات كانت من العوا مل الا اساسية العود دية الى ظهور المدارس الفقهية المختلفة ، التي عاشتها من قريب او من بعيد تأثرا وتأثيرا ، ومن نتائج ذلك الجفوة والعداوة التي كانت ولا تزال بعض آثارها بين مختلف المذاهب الاسلامية .

ومن الا دلة التي تثبت ما ذهبت اليه اختلافات المذاهب في امر الخلافة ، وقواتها

او ضعفها بحسب عاقبة معتقداتها بمبادئ " الخلافات المتداولة على العالم الاسلامي (2) .

ومن هذا المفهوم ينشأ لنا ان المذهب الا باغي تبلورت معتقداته ، وتميزت عن

غيرها لما انقسمت حركة المحكمة القائمة على أساس مبادئ واضحة في الخلافة الاسلامية الى متطرفين ومعتدلين .

فالاجاه المعتدل من هذه الحركة تمثله الا باغية غير أن جذور هذه الحركة تكون ممتدة الى

عهد عثمان بن عفان ولا أقول الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يرى أصحاب

الرأي الثاني في الاجاه السياسي (3) لا نلنا نجد في مصادر الا باغية ما يدل على

تأييدهم ورضاهم بموقف ذي الخويصر تجاه رسول الله (ص) (4) .

---

(1) اهدى المناهج في تمييز الا باغية / 19 ، مسألة الاذان (مجلة المنهاج) ن.ع / 28 .

(2) فجر الاسلام ص 252 .

(3) ارجع الى ص 1 .

(4) آراء الخوارج - 1 / من ص 36 - 43 .

بينما نجد دليلاً واضحاً في جواب ابن أبي عمير يُعكس في رأيه الصريح تجاه الأحداث التي عاشتها خلافة عثمان (1)، واستنكاره لا تحراف الخلافة عن المبادئ التي سسار عليها الشيخان (أبو بكر وعمر) من قبله (2).

نستخلص مما سبق أن المذاهب الأباذية تبلورت أراؤها ومبادئه في الخلافة وعلاقتها مع غيره من المذاهب الأخرى من خلال رؤيته ومواقفه تجاه الأحداث التي عاشتها الأمة الإسلامية، فهو بذلك مذهب سياسي له وجهة نظره تجاه نظام الحكم، وهذا لا يمنع أن يعد مذهباً فقهياً كبيراً من المذاهب الفقهية الأخرى على أساس أنه من الصعب — في تلك المرحلة التاريخية — الفصل بين السياسة والدين ثم أن وجهة نظره في الحكم استمدتها من الكتاب والسنة.

ولم تكن الأحداث العامل الوحيد الذي ساهم في نشأة هذا المذهب وميزته عن غيره، بل أن الاجتهاد الذي كان منسجاً أئتمته الأسلاف، لا سيما أمامه جابر بن زيد وتلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وغيرهم كان عاملاً أساسياً آخر في تحديد مبادئه، ومما نتج عن ذلك اختلافات جوهرية — أحياناً — بين علماء المذهب أنفسهم.

ولعل هذا ما دفع علي يحيى معمر إلى القول: " أن المذهب الأباذي في نشأته كغيره من المذاهب الإسلامية، أمام من أئمة المسلمين يتكون أتباعه من تلاميذه، وبالنسبة إلى الأباذية فإمامهم جابر بن زيد أخذ عنه تلاميذه كعبد الله بن أباض وأبي عبيدة بن أبي كريمة " (3).

(1) الصحابي الجليل، الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين.

(2) مختصر تاريخ الأباذية من ص 18 — 27.

(3) الأباذية بين الفرق الإسلامية / 353، 354.

والنقطة الثانية التي ترون ضرورة الإشارة إليها هي أي كل مذهب فقهي من المذاهب الإسلامية المعروفة ، نجد له وجهة نظره الخاصة تجاه الأحداث التي عاشتها الأمة الإسلامية العود ديرة آحيانا إلى الخلوي حكمه على مخالفه ، مما ترون من الضروري النظر في كل ما كتب ، وانتماج طريقة المحدثين في انتقاء الأخبار الصحيحة من الموضوعية واعادة صياغة تاريخ الفرق الإسلامية باعتماد مصادرها في النقد ، وقد تظن بعض الباحثين المعاصرين إلى هذه الظاهرة من هو لا \* مثلا ، ابو اسحاق الذي يقول في مقال له بمجلة المنماج : " وما يدرينا ان ما نراه منسوباً إلى كثير من الفرق الإسلامية من تهليل الدعاية الفاجرة المحرمة ما لم نقتل على نصوصها في كتبهم وانما يحكيها الخصم عنهم وازداد يقيننا في هذاهما آراءهم لا القوم من الا باطل ، التي يعزونها لأصحابها " (1)

ويروى عمار طالبي : " أن الامويين والشيعة غلوا في التنقيص من شان الخوارج ، وفي الوقعة بهم ، وفي اتهامهم ان الباطل ، وان بالحق ، ولم يتورعوا في وضع الأحاديث في ذم الخوارج " . (2)

إذا بلغ الحد إلى درجة وضع الأحاديث لا يقاع بالخصم ، وتشويه سمعته فان افتراء الاقاويل ، واخبار من باب المباح في نظر هو لا \* والمذهب الا باغي لم ينسج من ذلك باعتباره في نظر اصحاب المقالات ، ومهبطهم العود رخين فرقة من فرق الخوارج فع ان اصحابه يرون ان هناك اختلافا جوهريا بينهم وبين من سموهم خوارج . (3) ففضيحة انكار التحكيم لم تكن القاسم المشترك بينهما فحسب ، بل مورائي بعض التابعين الكبار مثل الحسن الرضوي . (4)

(1) مسألة الاذان ، مجلة المنماج العدد 3 ، 1/4 ، 3 .

(2) آراء الخوارج 1/38 .

(3) مسألة الاذان - مجلة المنماج ن . ع / 29 .

(4) آراء الخوارج 1/21 .



فلسنا بذلك نريد نفي الخارجية عن الا بائنية او اثباتها لان ذلك يحتاج الى دراسة مستقلة في ضوء ما ذكرناه سابقا ، وانما نريد ان نلفت النظر الى اخطاء في منهجية الابحاث التي تعالج مثل هذه الموضوعات ، وندعو الى دراسة موضوعية علمية تنوحي اثبات الحقائق التاريخية والى وضع حد للخلافات الناتجة معظمها عن المبالغات في الاخبار والا تمامات المتبادلة والتي كانت ولا تزال تدهش المجتمع الاسلامي ، وتنفخ عظامه ، وتزعزع كيانه كلما حاول ان يسترجع وحدته العقائدية .  
وفيما تقدم نكون قد حاولنا ان نحدد تحديدا نسبيا اسباب نشأة المذهب الا باضي وسنحاول فيما يلي التعرف الى التفكير الا باضي .  
التفكير الا باضي :

بحكم نشأة المذهب الا باضي في بيئة يخلب عليها طابع الرأي في التفكير وهي بيئة العراق التي تتمازج بهذه الخاصية ، وبحكم تصديه للدفاع عن مبادئه ، اضافة الى معتقداته التي تعتمد تاويل بعض الآيات ، فاننا يمكننا اعتباره مذهباً يعتمد الرأي والعقل في التفكير ، حتى يستطيع مناظرة المدارس الفقهية التي تخالفه الرأي كمدسة المعتزلة ، والخوارج ، والشيعة ، وغيرها ، ويحاول ان يلقحها بصحة معتقداته ، وهذا ما دعا عمار ظالبي الذي يعتبر الا باضية فرقة من فرق الخوارج الى قوله : " وأن ما ذكرناه من النصوص الكثيرة ولنا غيرها ، لكفيل ببيان مدى الغلوف في الحكم على الخوارج بأنهم بنسبة لا أنظار لهم ولا فكر وإمقالات منظومة ، وانهم أمل شانر ، وأصحاب نبر . " (1)  
واسلوب الجدل الذي اتخذه مدمجا للرد واثبات صحة مبادئه يفرض عليه تفكيراً معيناً يعتمد العقل لدحض حجج مخالفيه واثبات صحة أدلته ، كما يتطلب من المناظر دراسة خاصة والاحاطة بمسائل الخلاف ، ولعل هذا ما يبرز شغف العلماء والطبقة المثقفة بتعلم أساليب الجدل والمناظرات واتقانها والتزود بعلم الكلام ، وهذا ما يفسر ظاهرة اهتمام الا باعيين بالفقه وعلوم الشريعة بصفة عامة للمحافظة على كيانهم أمام تيارات دينية وثقافية مختلفة . (2)

(1) ن . م . ص 107 .

(2) ابراهيم بحار ص 333 ، 334 ، 341 .

(الدولة الردية)

ولا يعني هذا أن المذهب الإباضي يطغى عليه الطابع العقلي كالمعتزلة ، فقد كان ولا يزال لا يعمل النصوص التي يعتبرها أدلة قاطعة بالطلاق من إيمانه بان الكتاب والسنة مصدران أساسيان في التشريع ، وأن الخصم لا يسلم بصحة الرأي إلا إذا استمد منهما أدلته ، وقد أكد عمار طالبي هذا الاتجاه عند الإباضية في حديثه عن مصدر ثقافة ابن أبي عمير قائلا : " ومن ثم فإن مذهبه ، هذا مبني على هذه التعاليم التي أخذها عندهما ونقلها عنهما أصحابه من بعده . (1)

وجواب ابن أبي عمير بما لا مجال فيه للشك تمسك هو ، لا بالقرآن الكريم واعتباره مصدر تشريع واقتناع فاستشهد لأثبت صحة آرائه بأيات عديدة حتى قال فيه البرادي : " وكتاب عبدالله بن أبي عمير كتب به إلى عبدالملك بن مروان جوابا عن كتابه إليه يشتمل على النقض والرد وتبيين الاعتقادات والاحتجاج بآيات القرآن . " (2) ثم يدعو عبد الملك بن مروان إلى سوق أدلة من القرآن إن أراد الرد على جوابه ويقول في ذلك : " . . . قم اكتب إلي إن استطعت بجواب كتابي انزع عليه بيعة من كتاب الله اصدق به قولك " . (3)

ويؤكد صاحب الدليل والبرهان أسبقية الشرع على العقل ، واعتقاد هذا الأخير على الأول في حديثه عن اجتماع الرأي قائلا : " وأما العقل فلا حظ له في جواز الاذن إلا بعد ما ورد به الشرع " . (4)

ستخلص مما تقدم من النصوص أن المذهب الإباضي يعتمد في تفكيره النصوص واستخدام الرأي للتحقق في فهمها ، وهو بذلك يريد التوفيق بين مدرستين مختلفتين ، مدرسة الرأي بالعراق ومدرسة الأثر بالحجاز ، وهو كذا هذا الحكم عمر وخليفة الناصبي في قوله : " قال المذهب الإباضي بالنظر إلى تأسيسه ونشأته من أقدم المذاهب الثمينة الإسلامية الإسلامية وهو نتاج مدرسة العراق والبصرة خصوصا ، على أنه وإن أثر بمدرسة العراق فاستخدم علماءه الرأي والقياس أيضا على تردد من بعضهم خصوصا جابر بن زيد ، وأبا عبيدة ، إلا أن تأسيسه على يدي جابر بن زيد وهو محدث صاحب آثار جعل منهجه يطبع نفسه المذهب أو يخلب عليه ، ويحد من تأثير مدرسة الرأي التي عظم خطرهما في العراق . (5)

(1) آراء الخوارج 197/1 .

(2) ن . م . 283/2 .

(3) مختصر تاريخ الإباضية ص 27 .

(4) الدليل والبرهان 59/2 .

(5) ابن خلفون - أجوبته - مقدمة بقلم عمر وخليفة الناصبي ص 10 .

ويشاطره محمد الشيخ بلحاج في رايه عند حديثه عن منهج المجتهدين الا باضييين  
موضحا ذلك في قوله : " ان الفقهاء المجتهدين الا باضييين نحووا منحى وسطا بين مدرسة  
أهل الأثر والحديث بالحجاز وما جاورها ، وبين مدرسة الرأي وأهل العقل بالعراق " (1)  
اذا كان هذا هو منهج الاباغية في الاجتهاد والجدل فما هو منهجهم في تفسير القرآن  
الكريم ؟

### التفسير بالرأي عند الا باضية:

راينا فيما سبق ان الا باضية اباحوا اجتهاد الرأي في الفقه كخير مم من اغلب المذاهب  
الاسلامية بشروط تتوفر في المجتهد وكذلك لا يختلفون مع غيرهم في اباحة تفسير القرآن بالرأي  
فوجد صاحب الدليل والبرهان يقرر ذلك صراحة في معرض حديثه عن اجتهاد الرأي قائلا:  
مذاهبهم في التفسير تفسير القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا كالا ول سائق  
لهم كلما ذهبوا اليه على الشرط المتقدم (2)

وصاحب كتاب قناطر الخيرات يذهب الى أبعد من ذلك ، فيرى ان التفسير بالرأي أمر  
لا يمكن الاستغناء عنه مع سيق الأسباب الداعية الى ذلك ، والا دلة المجاهدة لاستخدام  
هذه المنهجية في التفسير غير : " من زعم ان لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير  
فمومضيب في الاخبار عن حد نفسه ، ولكنه مخطئ في رد كافة الخلق الى درجته ، بل الاخبار  
والآثار تدل على أن معنى القرآن متسعا (3) لارباب الفهم ، " (4) ٤٢٠٣٤٠  
وبعد عرضه لادلة من الآثار والاخبار يضيف قائلا: " فكل هذا يدل على أن فهم  
القرآن مجالا متسعا ، وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك ، " وأثر ذلك يسوق  
وجوه اباحة التفسير بالرأي متوصلا - في الأخير - الى هذا الحكم العام . " وجاز لكل  
عالم ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وعقله " (5) غير انه يبين - أثر ذلك - وجوه الدعي  
من تفسير القرآن بالرأي ، مع وضع بعض الشروط لمن يسلك هذه المنهجية في التفسير ، ومن  
جملتها الاطلاع على التفاسير لا سيما فيما يتعلق بخريب القرآن مع ضرب أمثلة لذلك . (6)

(1) محمد الشيخ بلحاج [الاجتهاد في المذاهب الا باضية] ص 29 .

(2) الدليل والبرهان 3471 .

(3) الصحيح ، متسع ، او " أن لمعنى القرآن متسعا "

(4) اسماعيل الجبيلي ، قناطر الخيرات (3/385 .

(5) ن . م . 385 ، 386 .

(6) ن . م . 386 - 390 .

فإذا كان المصنف لم يضع الشروط المشار إليها إلا في باب الثبات وجه النهي عن التفسير بالرأي ، فإن ابن الشيخ يضع شروطا من الصعب توفرها في عالم لا سيما في عصر يؤمن بالتخصص نتيجة اتساع العلوم والفنون ، ومن هذه الشروط مثلا : الإلمام قدر الإمكان بتاريخ الإسلام والتجرب في العلوم والآداب ، الإطلاع والتفتيح على العلوم الكونية المعاصرة دراسة العلوم النفسية والتربوية . (1)

فهذه الشروط لا تتوفر إلا في عالم يملك قدرة عقلية وإطلاعا واسعا بلا ضائفة إلى غيرها من الشروط الحادية التي ذكرها ، جعلنا نتعرض في القضية طالما شغلت الباحثين ووجدت تفاسير باغية في قضي الإتهام باعتبارهم خوارج في نظر هؤلاء ، وهذه القضية هي بدعة التأويل التي تكاد لها عمار طائفي باسماب يفتننا عن بحثها من جديد ، فهو يزعم في أول بحثه لهذه البدعة التي يراها إنما أصل كل البدع " أن الخوارج هم أول من فتح باب التأويل في تاريخ الشرق الإسلامية ، وفي تاريخ هذه الأمة " (2).

وفي الأخير يثبت هذا الوهم في قوله : " . . . وإنما هم أصحاب تأويل ، بل أنهم من أوائل من فتح باب التفسير للمسلمين ، علي مصراعيه " (3) وفي معرض حديثه عن هذه البدعة يسوق رأيا يقرر فيه صاحبها " بأن الخوارج قائلون بالتحسين والتقييد الحثليين " (4) دون أن يثبت هذا الرأي أو يفنده .

ثمذا رأى الباحثين المعاصرين في هذه القضية ، أما رأي الأباغية أنفسهم فنجد في رد أبي إسحاق على مذهب الأباغية بالمتبعة لا سيما في نفي الرواية غيرقول : " وتأويل المتشابهات بما يليق بكمال الله وجلاله ، ولا يخرج عن المعاني الحربية البلاغية التي هي إحدى دلائل الإعجاز في القرآن ، فإن خلف أصحاب المذاهب الأربعة وكثيرا من سلفهم والمعتزلة ، والزيديين وسائر معتدلة الشيعة ، وأصحاب البلاغية على الإطلاق والمتكلمين على وجوب التأويل وهو الذي يدعوا إليه مساق الآية ، وهو القرينة التي نصبت الله بالدلالة على المعنى الدجزي كما ورد في بعضهما بما هو صريح المعنى " (5).

(1) ابن الشيخ (القرآن تفسيره ومفسروه عند الأباغية) عن 41 - 49 .

(2) إراء الخوارج - 103 / 1 .

(3) ن . م . ، 114 / .

(4) ن . م . ، 112 / . انظر العاصم ، رقم 64 .

(5) مسألة الأذان - مجلة المنهاج العدد 3 ، 26 / 4 .

أما فيما يخص قضية التحسين والتقييح بقول علي يحي ممر عند تعرضه لأصول الأباضية في العقيدة: "الحسن ما حسنه الشرع والتقيح ما قبح الشرع" (1) .  
من الآراء السابقة لا حظتنا قضاواً واضحابين متهمين بمحاول تبرئة نفسه من التهمة و يحتمل أن يكون هذا الاختلافات من سببين، أولهما اختلاف الآراء في المدلول الاصطلاحي لتأويل القرآن (2) ، وثانيهما في نسبة الأباضية إلى الخوارج .

وإذا تمعنا في آراء علماء الأباضية اتضح لنا نفهم للقول بالتحسين والتقيح العقليين و عدم انكارهم للتأويل الصحيح للقرآن الكريم الذي هو " صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتضيه به " (3) . أو هو كما حدده ابن رشد في قوله : " هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يدخل في ذلك بحادثة لسان الصريفي التجوز من تسمية الشيء بتسميته أو سببه الخ . . " (4) .

فالتعريف الأول هو تعريف المتأخرين من علماء الشريعة هو التعريف الثاني هو تعريف علماء البلاغة العربية ، ولحل مفهوم أبي اسحاق للتأويل أقرب إلى تعريف ابن رشد له .

ومن هنا نش تقيد مفسري الأباضية بالنصوص وارتباطهم الوثيق بما ، و اشتراط عدم تجاوز مباحثها سواء في اجتهاد الرأي أو في التأويل ، وسنحاول دراسة هذه القضية عند تعرضنا لصلب موضوع بحثنا .

فيكفي أن نشير إلى جواز الأباضية تأويل القرآن ، ولكن بالمفهوم الذي اتفق عليه الجمهور ولحل نسبة الأباضية إلى الخوارج - سواء صح ذلك أو لم يصح - هي التي جعلت الباحثين يحكمون عليهم حكمهم على الخوارج دون أن يبينوا الفوارق أو الاختلافات التي تميز كل طائفة ثم أننا نستبعد أن يخرج مفسرو الأباضية عن التأويل الصحيح إلى التأويل الفاسد ، إلا إذا كان الخطأ صادراً عن التفسير ، للسبب الذي ذكرناه آنفاً ، ولكونهم شد يد التمسك بالكتاب والسنة ، ولا يمانهم بخطورة القول على الله ، حتى يبلغ بصاحب الدليل والبرهان إلى الانكار على من يجعل القرآن دليلاً على غيره صحيح و يعتبر ذلك - في نظره - من تفسير القرآن وفق النهي و الميل (5) و هذا التحرج يجعلنا نتساءل عن مدى مساهمة الأباضية في حركة تفسير القرآن الكريم ؟

1) الأباضية دراسة مركزية في أصولهم و تاريخهم ص 60 .

2) أنظر هذا الاختلاف في التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي 17/1 و 18 مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان من ص 277 - 280 .

3) ن . م . الأول 1/13 و الثاني ص 279 .

4) ابن رشد فصل المقال ص 34 .

5) الدليل والبرهان 3/336 ، 387 .

أسباب قلة التفسير عند الأباضية :

كاد يتفق الباحثون على ضآلة التفسير عند الأباضية بالمقارنة الى تفاسير المدارس الأمامية الأخرى ، ويل يرون أن عدد تفاسيرهم التي بين أيدينا لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة ونحن نضيف الى ذلك أن هذا العدد الضئيل من التفاسير التي وصلتنا غير متداولة ، ولم تجسد بيدا أمينة لتحقيقها ، واخراجها الى الوجود ليستفيد منها القراء والباحثون ، فلا تحظى بالاطلاع عليها وتصفحها الا طبقة من الباحثين والقراء مع صعوبة قراءة معظمها لرداءة التلخيص أو قدم النسخ ، وهذا يدعونا الى التساؤل عن أسباب ذلك ؟

لعل أول سبب من أسباب قلة تصدي الأباضية لتفسير القرآن لا سيما اوائلهم هو خوفهم من الثقل على الله ، والوقوع في الخطأ ، وقد عايننا بذلك - محمد حسين الذهبي بتحريمهم للكذب واعتباره جريمة تكفر صاحبه ويقول في ذلك : " . . يرون أن الكذب جريمة من أكبر الجرائم وبه - عند جمهورهم - يخرج الانسان من عداد المؤمنين ، فلعل هذا دعاهم الى عدم الخوض في تفسير القرآن ، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه " (1) .

والتحرج من القول في كتاب الله رأي يعرض الصحابة والسلف ، مثل أبي بكر الصديق (2) ، ولم تكن الأباضية ولا الخوارج أول من وقف هذا الموقف من التفسير ، ثم ان نصوص الأباضية سالتني استشهدنا ببعضها - تدل على إباحة تفسير القرآن بالرأي ، الذي يعتبر من أخطأ منهجية في التفسير ، وأقرهما الى الوقوع في الخطأ ، ومن هنا نخلص الى القول بأن اذا كان هذا السبب من أسباب قلة إنتاج التفسير عند الأباضية فلا يعتبر في نظرنا سببا رئيسيا .

والسبب الثاني الذي نستخلصه من الأحداث التاريخية وهو اختلاف تفاسير الأباضية أو ضياعها (3) مما دعا شريفي بلحاج الى القول : " أن التفسير الأباضي في القرون العاشية أمسا ضليل لا يكاد يمثل شيئا محققا وأما مفقود لم يصلنا الا أخباره أو عناوين كتبه . وبهذا لا يمكننا أن نتحدث عن وجود تفسير حقيقي قديم يحطينا الصورة المشرفة التي نتصورها لا إنتاج الأباضية الرائع في ميادين العلوم الأخرى " (4) .

ويترد ذلك علي يحي معمر بالملاحقات السياسية للأباضية ومطاردتهم ومضايقتهم بشقي الأتاليب والصوم ، واحراق الكتب و المكتبات بالأضافة الى التعصب المذهبي الذي دفع بعض الفقهاء الى تحريك أجهزة السلطة ضد آثار مخالفيهم (5)

(1) التفسير والمفسرون 217/2 ، 218 .

(2) القرآن تفسيره ومفسروه ص 16 - 18 .

(3) التفسير ومناهجه عند الأباضية محاضرة من 2 / محمد علي دبور ، تاريخ المغرب الكبير 144/3 .

(4) ن . م . الأ أول / 10 .

(5) الأباضية ، دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم من 36 ، 37 .

لكنه اثر ذلك يعترف بجمل الا باضوية انفسهم لكثير من كتبهم نتيجة الحوامل التالية :-

- (1) حرص مالكي المخطوطات و خوفهم من ضياعها .
- (2) ظروف الانتقال من مكان الى آخر هربوا بالنفس .
- (3) التعصب المذهبي الاخلاقي .
- (4) عدم وجود منظمة تتكفل بنشر هذا التراث. (1)

نرى ان هذه العوامل قد تصدق على العلوم الشرعية الاخرى ، التي تعرضت الى التلف

لا سيما عند احراق مكتبة المعصومية بتيهـمـت (2) لان كتب السير والطبقات التي وصلتنا والمؤلفات التي تحدثت عن آثار الرستميين والاباضيين بصفة عامسة ، لم تذكر من كتب التفسير إلا ما هو معروف لدينا ، والتي سنتعرض لها فيما بعد - غير ان شمادة ابي زكريا التالية تدل على ان التفسير حظي كغيره من العلوم الاخرى بالتأليف وذلك عدد ذكره للعلوم التي اشتملت عليها بيت الرستميين في قوله : " . . . وكان بيت الرستميين بيت العلوم في فنونه من الاصول والفقه والتفسير وعلم اختلاف الناس وعلم النحو والاعراب والفصاحة وعلم النجوم " (3) .

و اذا اخذنا بعين الاعتبار اهمية ترتيب العلوم التي ذكرها نجد ان التفسير يحتل المرتبة الثالثة بعد الاصول والفقه ، غقد رأينا فيما سبق سبب اهتمام الاباضية بمهذبين العلمين و سنجد هذا السبب نفسه ينطبق على ما افوه في التفسير عند تعرضنا لمصححيتهم فيه ، غير ان السلاح القوي الذي يصمد امام المدارس المناغسة ، هو علم الاصول والفقه لان فيهما تظهر آراء المذهب ومعتقداته ووجوه الاختلاف .

الى ان النص الذي استشهد به ابو اسحاق للدلالة على غزارة التأليف في جيل نفوسه أحد معاقل الاباضية والذي نقله عن ابي خلدون لم يشرف فيه هذا الأخير الى التفسير ، فاكفى بالتنويه بهم في فقه الدين وتمييز عقائده وفروعه واجادة التأليف والترتيب (4) .

من هنا نستبعد وجود انتاج اباض في التفسير غزير تعرض للتلف والاحراق ، لان التفاسير التي ضاعت بالفعل مثل تفسير عبد الرحمن بن رستم ، و ابي يعقوب لم تشمل ذكرهما كتب السير والطبقات ، ثم ان مؤرخي الاباضية قد يها و حديثنا لم يتحدثوا عن تفسير يذكر تعرض للضياع باستثناء ما هو معروف لدينا ، ولكن - مع ذلك - تبقى متفائلين ، لعل الابحاث ستكشف لنا يوما تفاسير اخرى ومفسرين اباضيين .

(1) ص 400

(2) أبو زكريا (سير الامامة) ص 66

(3) ص 400 ص 113 .

(4) أبو زكريا الجناوني (التجريب بكتاب الوضع وموهبه) بقلم ابي اسحاق ص 59 .

ولعل السبب الذي جعل الأباغيين عاجزين عن التصدي للتفسير هو طبيعته تتمس البدوية واحتفاظهم بخصائصها ، وبعدهم عن مركز الحضارة (1) لا سيما أسلافهم لأن التفسير يتطلب من صاحبه مستوى فكري معين راقية واصعة ، وثقلية البدوي تتسم بالبساطة والفترة والعجز عن فهم الارتباط بين العلة والمعلول ، ولا تنظر إلى الأشياء نظرة شمولية. (2) على الرغم من أن القرآن نزل بلغة العرب إلا أن فهمه يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق ورتقي التفكير في القرآن وعمقه . (3)

غير أن هذا السبب لا ينطبق على جميع الأباغيين في مختلف أزهتهم وامتنعهم فقد اعتنق هذا المذهب آجناس مختلفة ، وعرف حضارة راقية ، ونشأ في مراكز حضارية كالهمرة كما امتاز بتفكير سام سمح له بمطالعة مختلف المدارس الإسلامية مما يمكن لنا أن نحكم على عدم أهمية هذا السبب الذي لا يصلح تعميمه على جميع الأباغيين . والسبب الرابع الذي يمكن أخذه بحين الاعتبار هو اشتغال الأباغيين منذ نشأتهم بالحروب من جهة ، وفي فترات معينة ، والدفاع عن كيانهم من جهة أخرى بواجبة نحوهم ومع مناظرتهم مما لم يسمح لهم ذلك بالبحث والتصنيف إلا فيما يساعدهم على مواجهة الخصم والمحافظة على كيانهم مثل اهتمامهم بالفقه ، والأصول ، وعلم الكلام . تحدثنا كتب التاريخ والسير والمقالات عن الحياة المضطربة التي عاشها الأباغيون في فترات تاريخية معينة ، بالإضافة إلى الملاحظات التي تحرضوا لها مما لم يعرفوا فترات تذكر من الاستقرار التي تسمح لهم بالتأليف في مختلف الفنون لا سيما في التفسير وحتى في عصورهم الذهبية ، لم يعرفوا استقراراً حقيقياً ، فقد تجددوا للتصدي إلى خصومهم ، وكتب السير تذكر لنا المناظرات التي كانت قائمة بينهم . وقد بلغت أحياناً درجة راقية الدماء بين الطرفين (4)

(1) التفسير والمفسرون 2/ 217 .

(2) فجر الإسلام ص 39 — 43 .

(3) ن.م. ص 196 .

(4) سير الأئمة ص 71 ، 72 .



و نستخلص مما تقدم أنه لا يمكن حصر أسباب قلّة انتاج الاباضية في التفسير في سبب واحد فقد كانت هناك أسباب مختلفة منها ما ذكرناها ، ومنها ما يمكن أن تكون خافية عننا إلا أن ما وصل اليها من تفاسيرهم وما شؤ مشهور منه ولكنه ضاع ، يمثل نسبة معتبرة بمقارنتها بتفاسير غيرهم مع الأخذ بعين الاعتبار عدد معتققيه .

ثم أن الاباضية اذا لم يعرفوا تفسيرها منظما في نطاق واسع ، فقد كان القران شغلهم الشاغل تلاوة ودراسة واحتجاجا به في اقناع خصمهم واثبات صحة آرائهم ، ثم لا تتصور أنهم عاشوا بمعزل عن ثقافات غيرهم ، ولم يضربوا كما يتصور — ربما البعض — جدارا حديديا يمنعون به تسرب آراء المدارس الأخرى وانتعاجها ، بل لا نبالغ حين نقول : بأن الاباضيين ساءروا حركة التفسير منذ نشأتها الى يومنا هذا ، وتأثروا بها وأثروا فيها والدليل على ذلك نبوغ مفسرين اباضيين في عصور مختلفة ، فمن هو لا ؟ المفسرين ؟ وهذا ما سنتناوله بالبحث في الفقرة التالية : —

### مفسرو الاباضية :

رغم قلّة انتاج التفسير عند الاباضية وفقدان معظمه إلا أننا نعتزف بحسب معتهم في حركة التفسير منذ نشأتها الى عصرنا هذا ، ويمكن تقسيم هؤلاء المفسرين الى طيقتين أساسيتين : طبقة القدماء ، وطبقة المعاصرين .

سنحاول تسليط بعض الأضواء على كل مفسر مركزين على الجوانب التي لها علاقة بتكوين شخصيته ، ومحاولين دراسة بعض آراء الباحثين المتعلقة بتفاسيرهم ، مكتفين بما تتوفر لدينا من النصوص لأن الدراسة كمنه تحتاج الى التنقيب عن المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة ، ويتطلب من الباحث جهدا ووقتا كما انما صالحة بأن تكون موضوعا مستقلا ، ربما سنفرغ اليه مستقبلا بحول الله .

### طبقة القدماء :

1) جابر بن زيد : رائد هذه الطبقة التابعي المشهور واحد كبار تلاميذة ابن عباس واما هذا المذهب ابو الشعثاء جابر بن زيد الفراءدي الذي منّفه الدرجيني في الطبقة الثانية ( 50 هـ ، 100 هـ ) ، اختلف في عام ولادته ، والقول الراجح انه ولد في سنة 21 هـ أو 22 هـ يعني هذا انه عاش في القرن الاول الهجري والذي عرف اهتماما كبيرا بدراسة القران الكريم ، والسنة النبوية باعتبارهما مصدرين التشريع لا سيما القران الذي يمثل الوثيقة الايديولوجية الاساسية للدين الجديد ، غير أن هذه الدراسة لم تتميز بعد عن باقي العلوم الشرعية الا خـسـرـو ولعل هذا هو السبب الذي دعا شريفي الى القول : لا يمكن ان يعدد من المفسرين

الأ تجوزاً" (1)

والسبب الثاني هو إهمال بعض كتب طبقات المفسرين ذكره في عداد المفسرين بالأضافة إلى ندرة الرواية عنه لا سيما في ميدان التفسير . كل هذه الأسباب وإن لم يشر إليها شريفي في محاضراته أدت إلى تجاهل هذا المفسر التابعي .  
غير أن بعض أدلة أخرى تؤيد كد — على الأقل — أهلية هذا التابعي في ميدان التفسير إن لم نقل مساهمته ، ومن بينهما .

أ . شهادة أستاذه عبدالله بن عباس الذي يقول فيه : " لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لا وسعهم علما عما في كتاب الله " (2) بالإضافة إلى شهادة ابن حبان إذ يعتبره من أعلم الناس بكتاب الله . (3)

ب . مدته جماعة من الباحثين من بين المفسرين ، ومن هؤلاء ابن تيمية الذي اعتبره من مدرسة ابن عباس المشتهرة بعلمها بالتفسير (4) ويصفه صاحب معجم المفسرين بقوله : " تابعي ثقة ، فقيه مشهور ، مفسر من الأئمة " (5) وينقل عن صاحب تاريخ التراث العربي قوله : " لم تناقش مصادر ترجمته قضية آثاره ، ولكنها تتفق على وصفه بأنه عالم عظيم بوقد يكون ممن ألفوا في التفسير . " (6) ويعتبره سليمان داود من كبار أئمة التابعين في التفسير . (7)

ج . نقل عنه كبار المفسرين مثل ابن جرير الطبري ، وأبي حيان ، وهارون عنه من أحاديث في أسباب نزول بعض الآيات وشروحها . (8)

د . تأليفه لديوان اشتمر به حسب روايات كتب الطبقات والتاريخ والتسير ، وإن نابع ، وقد (9) والأدلة التي تثبت تعلقه في كتاب الله ، وتلقيه العلم من ابن عباس ، أكبره في الصحابة تجعلنا لا نشك في احتواء ديوانه على جزء من التفسير على الأقل لا سيما في العهد الذي ألفه فيه والذي لم تعرف فيه العلوم الشرعية التفسيرية والتفسيرية بالعموم الذي عرف فيما بعد .

(1) التفسير و مناقجه — ص 56

(2) عادل نويش (معجم المفسرين) 1/23 (النقد الجليل للحتم الجليل) ابن 13 إبراهيم بيوض و إبراهيم بن سعد الحبيبي (أجوبة و فتاوى ابن 42 حوامش رقم 1) (من كتاب الله) عونى عما في (كتاب الله) .

(3) معجم المفسرين 125/2 .

(4) التفسير والمفسرون 101/1 .

(5) معجم المفسرين 1/123 .

(6) م . ث .

(7) سليمان داود (مجموعات الدولة الدستورية في نشر الحضارة الإسلامية) ص 94 مجلة الآمال العددان 49، 50 .

(8) الربيع بن حبيب (الجامع الصحيح) 3/30 — 38 .

(9) سير الأئمة المقدمة بقلم اسماعيل الحربي ص 4/4 بالإضافة دراسة مركزية ص 5 .

ولعل فقدان ديوانه هو الذي جعل بعض الدارسين يخشون الطرف عن هذا المفسر ويحملون ذكره في عداد المفسرين التابعين ، غير أن الأدلة التي سبقنا تناولها على الأقل تعترف بأهمية هذا التابعي في التفسير وتضلحه فيه :

والقضية الثانية المطروحة حول هذه الشخصية هي انتماءه المذهبي ، فقد ذكر ابن حجر نقلاً عن داود بن أبي هند عن عزة قوله : " دخلت على جابر بن زيد فقلت أن هؤلاء القوم ينتحلونك يعني الأباضية ، قال : أبرأ إلى الله من ذلك " (1)

ففي الواقع أن جابر بن زيد لم يتظاهر بانتمائه المذهبي ، فحوك كثيره من بعض التابعين الأعلام ، يحزو بعض الباحثين ذلك إلى مكانته العلمية ، والشوف من بطش الأمويين والقضاء عليه يعتبر خسارة للدعوة الأباضية (2) بينما يرى محمد علي دبور أن نسبة المذهب إلى عبد الله بن أباش عوض جابر بن زيد مكيدة من الحكام - في حد تعبيره - لئلا يكثر اتباع هذا المذهب نظراً لشهرة الرجل (3) ويحني هذا أنه لم يخف آراءه ، بل كان ينشرها بين تلاميذه علانية ، مما جعل الحجاج ينفه إلى عمان مسقط رأسه . (4)

وإذا قارنا هذه الآراء بالرأي الأول الذي ينفي نسبة جابر إلى الأباضية نجد التوفيق بينهما صحيحاً ، لا سيما وأن صحت هذه الآراء ، فجد من جهة - إعلان جابر براءته من الأباضية ، ومن جهة أخرى ادعاء الأباضية نسبة هذا الرجل إليهم ، لكننا لو نتصفح كتاب الجامع الصحيح للربيع بن حبيب الذي يعتبر أعلى مصدر في الحديث بالنسبة للأباضية ، نلاحظ أن معظم الأحاديث رواها الربيع عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد ، ولا سيما الأحاديث التي تساق شواهد لإثبات رأي من آرائهم (5) ، أضف إلى ذلك أن أعلام هذا المذهب تلقوا تعليمهم على جابر بن زيد ومن الطبيعي أن يتأثروا بآرائه وتحاليمه وعلى رأس هؤلاء أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي تقلد الإمامة بعد أستاذه (6) . ويرى بعض الدارسين أن البراءة أن صدرت عنه يكون القصد منها التقية لا غير ، محافظة على مكانته العلمية ، وثقة أهل الحديث فيه (7) ونحن نس وان صحت البراءة فإن المذهب الأباضي يرتكز أساسه على آراء جابر ، ويتجلى ذلك في مؤلفات الأباضية ، لا سيما فيما رواها عنه من أحاديث وما استشهدوا به من أقواله ، فاعتبروه أماماً لمذهبهم ، فمن هذه الزاوية - على الأقل - يمكن اعتبار آراء جابر ممثلين لمبادئ المذهب الأباضي وتفسيره أحد تفاسيرهم .

(1) ابن حجر تمهيد التمهيد 2 / 38 . (2) بحاز الدولة الرسمية ص 75 .

(3) تاريخ المغرب الكبير 3 / 138 . (4) ن . م . ص 147 ، 149 ، 149 .

(5) مسنده (الجامع الصحيح) أنظر 3 / من ص 2 - 37 .

(6) تاريخ المغرب الكبير 3 / 144 ، 145 - 150 .

(7) الدولة الرسمية ص 74 أنظر الموامش رقم 06 .

أختلف الباحثون في انتماء المذهبي، فمنهم من نسبته إلى الخوارج ومنهم من  
يعتبر أنه يؤول بالقدر، كما بين بعضهم أنه صفي وتلقاه مجموعته بالأباضية، ودليلهم في ذلك  
أشاد أشعار الخوارج بالحد يثعنهم وعن أخبارهم، ومفاخرهم في تقديرهم وإعجابهم  
ومدحه للنظام. (1)

غير أن شرفي ساق أدلة تنفي انتماءه إلى الإباضية يمكن حصرها فيما يلي:

1. رغم شهرته الواسعة لم يذكره مؤرخو الإباضية، ولا كتاب السيرة والطبقات.
2. خلوكاتبه (مجاز القرآن) من ذكر علم من الأعلام الإباضية سواء الذين سبقوه أو عاصروه.
3. تنويهه بالشاعر قطري بن الفجاءة زعيم من زعماء الأزارقة، ويضيف إلى ذلك سلوكه  
الشاذ الذي يتنافى مع طبيعتها الإباضية وأخلاقيتها آنذاك. (2)

كما يحاول محمد فؤاد سزكين تحليل الحاق نسبته إلى الفرق المذكورة آنفاً،  
ونسبته آباءه إلى اليهودية، بذكره معاصريه له بنتيجة سلوكه الشاذ نحوهم، ويؤسس  
أن كتابه (مجاز القرآن) يخلو من أي دليل يثبت هذه الميول. (3)

غير أن الباحثين يجمعون على تضلعه في علوم عصره حتى قال الجاحظ فيه:  
"لم يكن في الأرض خارجي، ولا جماعي، أعلم بجميع العلوم من أبي عبدة" (4) كما يرون  
أنه ساهم مساهمة فعالة في إثراء المكتبة العربية بمؤلفات نفيسة تتدل على باع  
الطويل في مختلف العلوم لا سيما في القرآن والتاريخ، والآنساب واللغة، ومن هذه  
المؤلفات التي تعالج موضوع القرآن مجاز القرآن، أعراب القرآن، وهماي القرآن، غريب  
القرآن، بحار القرآن.

يستخلص مما تقدم أن أبو عبدة لم يتعرض في كتبه لا سيما المجاز إلى آراء الإباضية، لذلك  
لا يمكن اعتباره مفسراً أيضاً، لأن دراستنا لا تتناول إلا من تعرض في تفاسيره إلى  
آراء الإباضية، أو أجمع الباحثون على انتماءه لهذا المذهب.

فإننا نشك في أباضية أبي عبدة، للأدلة المذكورة سابقاً، وشاهد محمد فؤاد سزكين رأيه  
في تعامل معاصريه عليه، كما أن أشادته بالخوارج - وإن صح ذلك - وذكرهم بأعجاب لا  
يكفي دليلاً قاطعاً لتحديد هوية شخصية مالا سيما شخصية أبي عبدة المعروفة بالتحديات  
لقيم معاصريه، وبخروجه عن المؤلف لديهم.

(1) أبو عبدة مجاز القرآن مقدمة بقلم محمد فؤاد سزكين 1/109.

(2) التفسير والمفسرون محاضرة من 54.

(3) مجاز القرآن مقدمة بقلم محمد فؤاد سزكين 1/11.

(4) ن. م. 1/12.

من جملة العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية هذا المفسر :-

- (1) نشأته في بيئة عربية اسلامية رغم أنه من أصل فارسي ، فكان مولده بالعراق ونشأته بالقيروان ، ومواصلة تعليمه بالبصرة ، فمذهبه الحواضر كانت قواعد لنشر الفكر العربي الإسلامي بالشرق والمغرب. (1)
- (2) ثقافته التي تلقاها في القيروان ثم بالبصرة في العراق احدى أشهر مدارس اللغة والشريعة.
- (3) تعرفه الى الفكر الأباطيني بما تحمله بأحد دعائه الاوائل في المغرب الأ وهو سلمة بن سعد وتأثيره به ، كما لا يستبعد أن يكون قد اطلع على آراء الخوارج في موطن نشأته والتي كان عكرمة يدعو اليها (2) ، إلا أن لدراسة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الأمام الثاني للأباطينية أثرا كبيرا في اتجاه المفسر ، وتكوينه حتى أجاز له أن يفتي بما سمع منه وما لم يسمعه (3) ، فأصبح أحد دعائه الكبار الذين عول عليهم في تأسيس دولة تدين بهذا المذهب وتطبق في حكمها المبادئ التي استمات من أجلها .
- (4) تقلده للمناصب المختلفة فقد عينه أبو الخطاب المعافري - أحد أقرانه في الدراسة بالبصرة - تاملا على القيروان بعد ممارسته للقضاء ، ثم اختير أول امام للدولة الرستمية العاشدة (4) ، و تتفق كتب السيرة والتاريخ على قدرته الفارقة وحكته في تسيير أمور هذه الأمامة وتنظيمها (5) مما دعا بصاحب معجم المفسرين الى وصفه بقوله : " كان من كفاة الأباطينية وزاهدا ومتواضعا ، على جادب عظيم من العلم والحصيل والعدل " (6)
- (5) شخصيته التي تجمع بين جمال خلقه وخلقه ، ولعل هذا الجمال اكتسبه من طريق الورادة لانطلاقه الى الأسرة المالكية في الفرس (7) ، ولتكوينه أثر كبير في أخلاقه ، وتحديد ملامح شخصيته الإسلامية ، وقد اكتسبته الحروب وتقلبه في المناصب الشجاعة والحزم (8) ، ولا ننسى تأثير العقيدة الأباطينية في سيرته والتي ترى أن الايمان اقرار وقول وصل .

(1) سيرة الأئمة ص 35 ، 36 الدولة الرستمية ص 95 .

(2) سيرة الأئمة ص 36 ، (مجموعات الدولة الرستمية) ص 82 محاضرة .

(3) تاريخ المغرب الكبير 332/3 .

(4) معجم المفسرين 365/1 ، مختصر تاريخ الأباطينية ص 83 - 87 تاريخ المغرب الكبير 312/3 .

(5) سيرة الأئمة ص 54 ، مختصر تاريخ الأباطينية ص 37 ، المغرب الكبير 310/8 - 313

الأباطينية في الجزائر 131/1 .

(6) معجم المفسرين 365/1 .

(7) سيرة الأئمة ص 35 ، 36 أخبار عبد الرحمن بن رستم بن بهرام .

(8) تاريخ المغرب الكبير 313/3 - 315 .

تستلج مما تقدم أن هناك عوامل لعبت دورها في تكوين شخصية المفسر، وجعلته يدعو إلى مبادئ<sup>6</sup> بالاباضية بحماس ويحسد ما في دولة خلدت ذكراها عبر العصور، فجمع بين الأمام المحنك السياسي والعالم المجتهد الذي ألم بعلوم الشريعة حتى عدّه محمد طيّ دبور من " كبار العلماء في عصره "، ومن الأئمة في الدين وفي العلوم الشرعية وفي اللغة العربية وأسلوبه في رسائله ومواظبه، يدل على فصاحته وطوكعبه في الحربية، وكانت له البراعة القوية والدراسة الواسعة بعلم الفلك والديجوم. " (1)

يبقى الآن السؤال المطروح هو هل كان متضلعا في التفسير، وما هي الأدلة التي تثبت انتماؤه إلى زمرة المفسرين؟

لا نجد سوى نقى واحد يثبت مساهمة عبدالرحمن بن رستم في التفسير، وهو الذي أوركته كتب الطبقات والتسير مع اختلاف بسيط بينهما، وقد ذكر البرادي هذا النص في تقييده لمؤلفات الاباضية قائلا: " وذكر عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد العاصمي اللواتي أنه لقي سليمان بن مدار الدفوسي، وقد قدم من قلعة حماد فأخبره أنه ترك في سوق القلعة كتابا في تفسير القرآن من تأليف الأمام عبدالرحمن الخ... " وذكر أرياد هذا النص قوله: " وكتاب الأمام عبدالرحمن في تفسير القرآن يذكرونه ولم ير " (2).

فقد شد أبو محمد الرجال إلى القلعة لاقتناء الكتاب، ولكنه أخبر بأنه يبيع بولا أصل في الحصول عليه (3)، وذكر طي يحي مخر نقلًا عن الباروتّي قوله متحدثا عن مفسرنا: " كان رحمه الله مشهورا بالعلم محدودا في فحول العلماء الراسخين، له تفسير جليل القدر، تكلم عليه المؤمنون ولا وجود له الآن، وله ديوان خطب نفيسة، يذكر أن له رسائل متعددة وجوابات كثيرة مفيدة في فنون العلم، بعضها موجود وبعضها مفقود. " (4)

فلا شك أن الباروتّي يقصد من المؤمن رخين كتاب الطبقات والتسير، فمن هنا نرى أن النص الوحيد المشار إليه<sup>7</sup> هو المحتمد الوحيد في أدبنا تفسير لعبد الرحمن بن رستم، والذي تناقلته كتب التسير والطبقات وبعدها كتب التاريخ والدراسات، فلا يحق أن ذلك كاف لأدبنا هذا التفسير والتأكد من وجوده فلا بد - إذن - من الاستناد إلى معطيات أخرى ومنها مصادر ثقافية التي أشرنا إليها آنفا والدالة على قدرتها وكفاءتها في تأهيل خريجها للتصدي لتفسير القرآن، كما لا يستبعد أن يكون قد تلقى مادة التفسير في مساجد القيروان والبصرة في حلقات من اشتمر بهذا العلم، ولا سيما وأن المغرب قد عرف أئمة التفسير الذي هو عكرمة مولى بن عباس لا نكنا لا نتصور أن شخصية لعبد الرحمن بن رستم عاشت منغلقة

(1) تاريخ المغرب الكبير 3/ 312.

(2) آراء الخوارج (الموجز الملحق للبرادي) 2/ 289.

(3) ن.م. 2/ 289، طبقات المشايخ 2/ 471، الدولة الرستمية ص 300، 301.

(4) الاباضية في الجزائر 1/ 63، الأزهار الرباضية 2/ 98.

على دفتها وفي اطار هذبهما ، ولم تتصل بأعلام ذلك العصر في المشرق والمغرب والشيء الذي يؤكد الاتصال بين المدارس الفقهية ، المفاخرات التي تجري بينهما ولا سيما ما كان منها بين الأباضية وغيرهما .

فيرادنا لا يمكن أن نجزم — في هذه المرحلة المبكرة — بأنه فسر القرآن آية آية من أوله الى آخره على النحو المعروف في كتب التفسير .

كما أن اهتمام الرعتميين بالتفسير ، يجعلنا نحصل قيا م أول امسام لهم بتأليف كتاب فيه ، خاصة وأنه يتمتع بقدرة علمية ، وقد سبق أن أشرنا الى أن هذا العلم يحتل مرتبة مرموقة في الدولة الرستمية حتى عد من العلوم التي تقع فيما المناخرات بين الفرق (1) باعتبار القرآن المصدر الأول للتشريع ، وتساوق منه الأدلة لاقتناع الخصم .

لكل هذه الاعتبارات يمكن احتمال وجود هذا التفسير ، واعداد صاحبه من بين المفسرين على أن يبقى الأمر احتمالا ، ما لم نوافر على أدلة أخرى تؤيد ذلك .

أبو الحواري محمد بن الحواري :

ظهر في القرن الثالث المجري ، الممان في عمان هما أبو العو در العلي بن خميس الخروصي وتلميذه أبو الحواري محمد بن الحواري ، كل واحد منهما حسب المصادر الأباضية نال شهرة واسعة في الميدان العلمي وتخرجت على يده نخبة من العلماء الفطاحل ، وترك تأليف تشهد بهاء الطويل في المعرفة (2) ، وقد صنف سالم بن حمود الأول في الطبقة الثانية والثاني في الطبقة الثالثة (3) ، وذلك يكون أبو العو در طائر حملة العلم عن أبي عبدة الى المشرق مثل محمد بن محبوب الذي وصفه عبدالرحمن بكلي في قوله : " كلف من كسوف العلم واحد مجتمدي الأمة " (4) .

فليس من المستبعد أن يكون العالمان قد استفادا من ازدهار العلم في عصرهم بعمان كما تأثرا بالظروف السياسية السائدة آنذاك بحيث كان أبو العو در أحد أعضاء مجلس الشورى الذي بايعه الامام المهدي بن ملك الخروصي (مدة امامته 237 — 272) وأرخ تلك الحقبة في كتابه (الأحداث والصفات) أما الثاني فقد تعرض لملاحقات القرامطة وحكموا عليه بالاعدام وإن لم ينفذ . (5)

- (1) أنظر ص 13 من هذا البحث .
- (2) قوا عد الاسلام 1/ 358، 359 أنظر المواشي .
- (3) أهدى المناهج ص 40، 41 .
- (4) قوا عد الاسلام 1/ 51 أنظر الهامش .
- (5) ر . م . ن .

فقد نسب البرادي كتاب تفسير الخمسة آية في الحلال والحرام الى أبي المؤثر (1) ، أما بقية الدارسين فقد نسبوه الى أبي الحواري (2) باستثناء شريفي الذي يحتفل أن يكون أصل الكتاب للأستاذ رواء تلميذه مستدلاً بقوله : " . . . فنحن نجد في كثير من الأحيان يقول : (أبو الحواري) قال أبو الحواري " كأن ما قبل ذلك لغيره " (3) .

فإذا كنا نجعل السند الذي اعتمده البرادي في نسبة الكتاب الى أبي المؤثر ، فإنه من جهة أخرى يعتبر أقدم مصدر من الواجب أخذه بحين الاعتناء في التحقيق ، ونجد في المقابل النسخة التي احتفظت بها المكتبة تنسب التفسير الى أبي الحواري (4) ، فكيف نستطيع التوفيق بين الرأيين ؟ .

قبل الاجابة عن هذا السؤال ، يجدر بنا أن نعترف في البداية ، بحجزنا في الوقت الراهن من اصدار حكم قاطع مبني على أساس ظني ، لأن ذلك يحتاج الى دراسة معمقة ، وبحث طويل فنكتفي - في هذه العجالة - بسرد بعض الاحتمالات التي يمكن أن نستنتجها من خلال النصوص المتوفرة لدينا .

(1) احتمال شريفي بأن الكتاب من تأليف أبي المؤثر ، فلم يقم أبو الحواري إلا بروايته وزيادة بعض الإضافات التي نسبها اليه بقوله : " قال أبو الحواري وان كان هذا الدليل غير كاف لأدوات ذلك لأن هذه الطريقة تهدوم معروفة لدى المؤثرين القدماء ، وربما للفصل بين كلامهم وكلام غيرهم بعد الاستشهاد به ، لأنهم كانوا يحملون العائقات المستحيلة حديثاً في التأليف أو لبيان أهمية رأي أو فكرة ينفرد بها المؤثر لف ، أو قد تكون هذه طريقة السامع في التدوين .

(2) قد يكون الكتاب لأبي المؤثر ، غير أن ورود أقوال أبي الحواري فيه أدت الى نسبته اليه ولعل ما يؤيد هذا الاحتمال ما جاء في مقدمة الكتاب : " هذا الكتاب فيه تفسير لخمس آية في كتاب الله تبارك وتعالى في الحلال والحرام . . . وفيما رد الفقيه العالم العلامة أبي الحواري رحمه الله ورضي عنه " (5) .

(1) آراء الخوارج (موجز ملحق للبرادي) 286/2 .

(2) قواعد الاسلام 359/1 الموامش .

(3) التفسير ومناهجه ، محاضرة ص 06 .

(4) نسخة مصورة في مكتبة الشيخ أطفيش باني يسقن تحت رقم 2 ج/ و نسخة أخرى بمكتبة جامعة

الجزائر تحت رقم : 101868 - 101878 .

(5) ن . م . مقدم الكتاب بقلم الناشر سالم بن حمد ص 1 .



(3) ربما ألف أبو المؤيد كتاباً بهذا العنوان ، ثم تأثر به تلميذه خالف كتاباً مشابهاً مع تغيير عنوانه ، لأن النسخة المنسوبة إلى أبي الحواري تحمل العنوان التالي : " الدراية و كسر الحلاية في منتهى الخاية و بلوغ الكفاية في تفسير خمسمائة آية " (1) .  
 لكن شرفي يحتمل أن هذا العنوان من وضع بعض الفقهاء أو التصاخ الذين ولحوا بالمسج في عناوين الكتب . (2)

ومما كادت الاحتمالات فان النسخ التي بين أيدينا تنسب الكتاب إلى أبي الحواري ، والمؤلف معروف بهذا الكتاب وغير أن قول البرادي يجعلنا نعترف على الأقل بفضل أبي المؤيد وربما ما في تأليف كتاب شبيه به أو في الاشتراك في تأليفه ، أو على التأثير في تلميذه ، مما ترك في المؤيد لف بفتح عين الكلمة بصماته .

### هود بن محكم المواربي :

في النصف الثاني من القرن الثالث المجري نبغ في المغرب مفسر ، بقي أثره خالداً إلى يومنا هذا يتداول في تفسيره للقرآن الكريم فان ثبت صحة نسبته إليه فيعتبر من أوائل التفسيرين بين أيدي المسلمين (3) وان سبقه عبد الرحمن بن رستم لكن تفسيره ضاح ، وأملنا أن تكون قد احتفظت به إحدى المكتبات .

نشأ مفسرنا ، وترعى في بيت علم وقضاء ، وقد تولى أبوه تعليمه وتربيته بما يتمتع به من درجة علمية عالية ومكانة مرموقة في عهد الأمام أفلح بن عبد الوهاب ، وقد أسندت إليه وظيفة القضاء رغم امتناعه ، وعدم اقتناع الأمام بأهليته نظراً لنشأته البدوية فقد كان - مع ذلك - في مستوى هذه المسؤولية . (4) .

ولما شب المفسر ألف عدة كتب أشتهر منها تفسيره على طريقة السلف (5) ، فهذا الكتاب توجد منه نسخ محفوظة (6) وقد نازح حول نسبته إليه خلاف ، فجميع النسخ تجمع على نسبة التفسير إلى صاحبه ، لكن الدراسة التي يقوم بها حالياً الأستاذ شرفي لتحقيق

- (1) - م . ن .
- (2) التفسير ومناهجه ، محاضرة من 06 .
- (3) عبد الرحمن الثعالبي (الجواهر الحسان) مقدمة بقلم عمار طالبي 1 / ص . (الوضع) التحريف بكتاب الوضع بقلم أبي اسحاق من 10 و 11 .
- (4) معجم المفسرين 2 / 713 ، الأباضية في الجزائر 1 / من 133 - 138 ترجمة محكم المواربي ، الأزهار الرياضية 2 / من 206 - 209 .
- (5) الأباضية في الجزائر 1 / 138 .
- (6) التفسير والمفسرون 2 / 216 ، التفسير ومناهجه ، محاضرة من 8 الموامش .

هذا الكتاب وطبيعته بينت له أن أصل الكتاب " لمؤلف مشرقى الأصل سبقه فجاه هو واختصر الكتاب ولم يصف فيه إلا شيئا قليلا لا يكاد يذكر " (1) وهذا المؤلف هو يحيى سلام بن أبي دعلبة أبو زكريا البصري (2) ، وهذا الرأي في انتظار أدبائه أو فيه لا يزال يدور التساؤل وتيجل الدارسين في موقف حرج (3) ، وقد حاولت أن أتعرف إلى الأدلة التي أهدما شريفي لكن هذا الأخير رفض الأدلة بها إلا بعد اتمام التحقيق و صدور الكتاب.

و نجد الباروني في كتابه " الأزهار الرياضية " ينسب إلى والد المفسر محكم الموابي تفسيرا لعلم التفسير المنسوب إلى ابنه و يفهم ذلك من قوله : " صاحب التفسير المشهور " عند معرض حديثه من اجماع أهل الشون على اختياره لتوليه وظيفة القضاء في عهد الأمام أفلح (4) .

وكلمة (المشهور) تدل على أن المقصود هو التفسير المعروف وليس غيره ، وقد تكون نسبة إلى الوالد عوض الابن من باب الخطأ لا غير ، لأن كتب السير والطبقات لم تعد محكم الموابي من المفسرين ، ولم تذكر له تفسيرا أو على الأقل خاض في هذا العلم .  
 أما الخلاف المدار حول نسبة الكتاب إلى هود بن محكم الموابي ، لا نجد له تفسيرا إلا في احتمال أمرين : (1) أما اختصار لكتاب يحيى بن سلام مع اضافات قليلة .  
 (2) أما نقله حرفيا مع توضيح رأي الأباضية فيها اختلفوا فيه مع غيرهم ، ففي كلتا الحالتين نرى أن صحة نسبة الكتاب إلى هود بن محكم الموابي ثابتة للأدلة التالية :-  
 (1) إذا استثنينا أعلام التفسير ورواده نجد المفسرين ينقلون عن غيرهم ، (5) ولا يضيفون إلا بعض الملاحظات ، لا تغدو أن تكون تعليقات أو استنتاجات أو تصويبات و رسم ذلك لم يذكر أحد نسبتها إلى أصحابها .  
 (2) حسب صاحب معجم المفسرين فان مخطوط يحيى بن سلام في التفسيرية بأكملها ، وروي عن الجزري أنه عاش فترة من الزمن في تونس ، يدرس عنه الداس تفسيره ، ويقال فيه : " ليس لأحد من المتقدمين مثله " (6) لكن كتب السير والطبقات لم نرى عن احتمال هود بن محكم به أو بأحد تلاميذه ، أو على الأقل بتداول كتابه في الأمامة الرسمية .

- (1) التفسير ومناهجه ص 08 .
- (2) الدولة الرسمية أنظر الهوامش رقم 16 ص 302 .
- (3) القرآن تفسيره ومفسروه ص 36 ، (الدولة الرسمية) ص 303 .
- (4) الأزهار الرياضية 2 / 211 .
- (5) القرآن تفسيره ومفسروه ص 29 .
- (6) معجم المفسرين 2 / 730 ، 731 .

(3) قام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زئيم (324 هـ - 399 هـ) باختصار تفسير يحيى ابن سلام لكن - ولم ذلك - فقد نسب إليه ، وصد من المفسرين . (1)

كما اقتبس في فخر الدين الرازي تفسيره ، لا سيما الجانب البياني والاعجاز اللفظي للفظ من رائد المفسرين بالدراية جار الله الزمخشري ، ولم يضاف إلا آراء :

(4) تفسير هود بن محكم الحواري يعرض وجهة نظر الأباضية في بعض المسائل التي اختلفوا فيها مع غيره (2) ، فمن هذه الزاوية على الأقل - تمكن نسبتها إلى صاحبه واحتماره تفسيراً يمثل آراء الأباضية ، و طريقة تفسيرهم لبعض الآيات المتعلقة خاصة بالمعقيدة .

(5) لقد ذكرت كتب الطبقات والتسير ثلاثين رجلاً على امتلاك هذا التفسير (3) ووردت في قضيتهما نسبة الكتاب إلى المفسر وأعطت لنا صورة واضحة عن قيمة الكتاب وتداوله بين الناس .

فمهما يكن من أمر فإن تفسيره الذي يحصل طابعاً خاصاً على الأقل وبمستوى نظر مذهبه ، يعطينا صورة عن ثقافة صاحبه واهتمامه بالتفسير ، فلم يبق على الباحث إلا تحقيق هذا الكتاب ، والتعرف إلى مدى تأثير المفسر بخيره ، وما اقتبس منه من وإلى الجوانب التي تمثل آراءه وشخصيته .

(1) ن . م . ص 558 .

(2) الدولة الرستمية ص 303 .

(3) أنظر الحادثة بالتفصيل في كتاب (طبقات المشايخ) 2 / 345 .

محمد بن ياسين :

لم تذكر مصادر الأباضية ولا غيرها تفسير لهذه الشخصية ، غير أن ما جعلنا ندرجه ضمن قائمة المفسرين ، ونعده ممن أدلى دلوه في هذا الميدان ومن المتفحصين فيه العوامل التالية :-

- (1) ما تناقلته كتب السيرة والطبقات من أخبار طمام جبل نفوسة له (1) ليقوم مقام مائة عالم في التفسير ، لمناظرة المحترلة ، في عهد الإمام عبدالوهاب بن عبيد الرحمن ، لما استنجد بالجبل ، وتصور لنا هذه الحادثة دماثة أخلاقه وزمده وتواضعه وحفظه لكتاب الله ومكانته العلمية المرموقة ، إذ عرف عليه أحد أقرانه المختصين في علم الكلام أن يتقدم للمناظرة فأجابته بقوله : " تتقدم أنت ولست بأعلم مني " (2) .
- (2) اعترافه بمقدرته في التفسير ، فقد روى الدرجيني في طبقات تخصصه في هذا العلم ، وتطوعه لمناظرة المحترلة فيه (3) وما يدل على ذلك أيضا قوله للأمام : " أما أنايا أمير المؤمنين فقد كفيك فنون التفسير ان شاء الله " . (4)
- (3) تلقيه العلم على معظم حملة العلم الى المغرب مثل عاصم السدياتي وغيره ، ولا يخفى علينا أن هؤلاء تلقوا تعليمهم في معاهد البصرة احدى مدارس التفسير لا سيما على أبي عبيدة الامام الثاني للأباضية (5) والمفسر نفسه يحترف ، حسبما ذكره أبو زكريا بأنه أخذ التفسير من الثقات وذلك في قوله : " أما أنا فقد أخذت تفسير القرآن كله من الثقات ، وطمته عنهم إلا حرفا واحدا أو حرفين فان اضطرت أجد مخرجا " (6) .
- ومما كانت درجة سحة هذه الروايات الا ان ما يفهم منها نبوغ هذا العالم في علم التفسير ، ومما يبره ذلك ازدهار علوم الشريعة في جبل نفوسة في عهده ، ولا يتصور أن يدخلوا هذا العلم الذي تناول المصدر الأساسي للتشريع من طمام وناخبين فيه ، واذا كانت المصادر الأباضية لم تذكر له تفسيرا ، فقد يكون مسيره كمصير كثير من مصادر الأباضية أو كان يقوم بالتفسير دراسة لا تأليفا .

(1) جبل يقع في شمال ولاية طرابلس الغرب بالجماهيرية العربية الليبية من بين سكان مدنه الأباضيون .

(2) الأزداد الرياضية 2 / 118 — 123 .

(3) طبقات المشايخ 58/2 .

(4) سير الأئمة 69 .

(5) الأباضية في الجزائر 1 / 136 — 138 .

(6) سير الأئمة من 57 ، طبقات المشايخ 58/2 .

أبو يعقوب بن إبراهيم ميساد السدراتي الورجلاي (500، 570هـ/1106، 1175م).

كانت ثقافة هذا المفسر الحميقة والمتدوغة انعكاساً واضحاً لتكوينه ورحلاته ، وقد ظهرت على وجه الخصوص في كتابه (الدليل والبرهان) ، وقد شبهه علي يحي محمر نقلاً عن أبي اليقظان بدائرة معارف إسلامية مخمرة (1) وقد يكون تفسيره صورة لهذه الثقافة ، ذكره البرادي من تأليف الأباضية ، كما ذكر بأنه اطلع على جزء منه ووصفه بقوله : " لم أر سفراً أضخم منه . . . ولم أر أبلغ منه في اعراب ، ولا في لغة ، ولا في تعريف ، ولا في فقه ، ولا في اختلاف في قواعد الدين ، ولا في غير ذلك من علوم القرآن . " (2) وقد يكون البرادي صادقاً في وصفه هذا ويبرهنا بالأخبار التالية :-

- 1) قيام المفسر برحلات لطلب العلم يكون بلا شك قد اتصل فيها بحلما عصره ، وتلقى تعليمه في مدارس متعددة نذكرهما (قرطبة) وأهم الحواضر العلمية في المشرق ، ثم في ورجلان على كبار علماءها مثل أبي صار الكافي .
- 2) قيامه برحلات دراسية منها رحلته إلى أواسط أفريقيا حتى كاد يصل إلى خط الاستواء ، وقد ذكر هذه الرحلة في كتابه (الدليل والبرهان) قائلاً : " . . . وصلت أنا بنفسي إلى قريب من خط الاستواء ، وليس بيني وبينه إلا مسيرة شهر . . . " ويذكر فيه بعض عادات سكان المنطقة (3) .
- 3) شهادة معاصريه - لا سيما - من الأندلسيين فتقريبهم إياه بالجاذب وليس من قبيل المصادفة ، بل لخزارة علمه ، ولحدة ذكائه ، وهذا في حداثة سنه .
- 4) تأليفه المتداولة في الوقت الحاضر تشهد بسعة ثقافته ، وتنوعها ، وطريقة تفكيره المتعمدة أسلوب الإقناع ومن أهمها (الدليل والبرهان) الذي يجمع فيه مختلف الفنون والعلوم المعروفة وقتئذ مثل : " الحكمة الفلسفة ، الإلهيات ، علم الكلام ، المنطق ، الهندسة ، الفلك (4) مستحيماً في الشرح وسوق الحجج بالآيات القرآنية والآحاديث النبوية الشريفة والآثار .

(1) الأباضية في الجزائر 1/231 .

(2) آراء الخوارج ( أنظر ملحق البرادي ) 2/293 .

(3) الدليل والبرهان 3/216 .

(4) الأباضية في الجزائر 1/ من 229 - 233 ، معجم المفسرين 2/308 ، 809 .

(5) شهادة البرادي نفسه ، واعجابه بتفسيره ، ووصفه لبعض محتوياته فتبدو من شهادته قيمة هذا التفسير الذي يحكي عن مكانة المفسر العلمية وتخلعه في مختلف العلوم إلا أنه يرى أن هذا النوع من التفسير ضاع ، ويعزو ذلك إلى ضعف اهتمام أهل المذهب — آنذاك — بالبحث ويقول في ذلك : " ومن ضعف بحث أهل هذا المذهب والتناقل عنه حتى أُلِّدس وذُهِب ولم توجد منه نسخة واحدة " فيرآه يذكر — قبل ذلك — بأنه سافر في بعض بلاد أرمينيا في تفسير الثالثة وسورة البقرة وآل عمران (1) وقوله الأول يدل على تأسفه لفقدان النسخة الكاملة لهذا التفسير ، ويذكر علي يحيى محمر بأن خزائن ألمانيا تحتفظ بجزء من هذا التفسير ، كما ذكر شريفي نقلاً عن المستشرق شاخت " أنه عندما زار مدن الوادي (وادي ميزاب) لقتني مكاتبا سنة 1953 أخبره بعض السكان أنهم سمعوا أثناء الحرب العالمية الثانية حديثا من اذاعة روما ، ذكر فيه صاحبه هذا الكتاب ، وقال أنه موجود ببعض مكاتبات ألمانيا . " (2) ويرى أن من ذلك الوقت وبعض الشباب يقومون بمساع للتحاور عليه لكن دون جدوى (3) ، ويذكر سليمان داود أن حسن حسيني عبد الوهاب أطلع عليه في المكتبة الوطنية لمدينة ليبريج بألمانيا الديمقراطية . (4)

ومن خلال هذه الشهادات والنصوص يتبين لنا أن بعض أجزاء التفسير يحتمل وجودها محفوظة في بعض مكاتبات أوروبا وحتى في المكتبات الخاصة الممجورة ، التي لم تبتد أيادي أمينة لتفتن أخبارها ، أو منعت بعض هذه الأيدي من الوصول إليها خشية اتلاف محتوياتها .  
أما الشيء المؤكد أن أبا يعقوب يعدل في عمره دائرة معارف وأهم بلغ درجة من المعرفة تخول له التصدي للتفسير ، فلا يستبعد أن يكون قد ترك لنا تلميذا قيما يعدل ثقافة صاحبه واتجاهه ، وأسلوبه في التفكير .

(1) آراء الخوارج (أنظر ملحق البرادي) 293/2 .

(2) التفسير ومناهجه ، محاضرة من 09 أنظر المواضع رقم 08 .

(3) ص . م . د .

(4) سليمان داود ، التفسير ومشاهير المفسرين ، محاضرة من 14 .

ملاحظة : رواية عن أبي اليقظان يذكر علي يحيى محمر بأن حسن حسيني عبد الوهاب أطلع على كتاب في التاريخ يسمى فتوح المغرب ، أنظر الحادثة بالتفصيل في كتاب الأبادية في الجزائر 1/281 .

كثيره

وقد مرّ التفسير الأباضي بثورة الركود والانحطاط ، فمض أن غفقت نور العلم وانتشر ظلام الجهل ، لم تذكر لنا كتب السير والتراجم مفسراً نبغ في أوساط الأباضية وكل موهبة وجود بها الزمان الآ وتكفر إلى التدريس واصلاح المجتمع عن طريق الوعد والارشاد وتأليف كتب في الشريعة ، الى أن استنقلت الأمة الاسلامية من سباتها ، على دوي مدافع الاستعمار الأوربي وعلى أخبار الاختراعات المتطالية والمدومة التي عرفها العالم المتحضر ، فتصدى الفكر الاسلامي لمجابهة التيارات التي حاولت أن تتدكّل عليه عينا ، ونتيجة لاحتكاك هذا الفكر بهذه التيارات ، ظهر طماء جندوا كل طاقاتهم لا يحياء العلوم الاسلامية مما المتفسير ، قصد مل الفراغ الذي عرفته المجتمعات ، وتخيير من حجية التفسير التي أصبحت عاجزة عن جعل القرآن يتجسم في سلوك الأفراد والمجتمعات ، ويظهرها ضد التشيخ والاحلال والأجذاب نحو التيارات المنحرفة .

محمد بن يوسف أظفيسش ( 1236 - 1322 هـ ) ( 1821 - 1914 م ) .

أول مفسر محاصر عرفه المذهب الأباضي هو محمد بن يوسف أظفيسش ، الذي هو موضوع بحثنا ، هذه الشخصية الفذة التي عرفها القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تتميز بذكاء حاد وذاكرة ثاقبة ، مما استطاع أن يبلغ درجة الاجتهاد عن طريق التثقيف الذاتي ، هذه الثقافة التي انعكست بوضوح على تفاسيره ، فجاءت تحمل مختلف مميزات تفاسير سابقيه وستعرض اليها بالتحليل في صلب موضوع بحثنا .

وقد حاول تفسير القرآن ثلاث مرات غير أن أحد تفاسيره الذي هو (داعي العمل) لم يكمله ، فقد تعرضت الى انتقادات لاذمة - أحيانا - مما اضطره الى التراجع عن مشاريعه ، وتحيّزه الى مذهبه ، وتحامله على المذاهب الأخرى الخ . . . (1) كما نبال اعجاب بعض الباحثين ، لا سيما في الجانب اللغوي والبلاغي والفهمي . (2)

وستعرض الى هذه الجوانب والى غيرها بالتفصيل في فصول هذا البحث ومن الملاحظ أن تفاسيره ، غير متداولة بشكل واسع للأسباب التي سننبيها رغم أهميتها .

(1) لتفسير والمفسرون 2 / ص 321 - ص 336 ، التفسير ومناهجه ، محاضرة من 13 .  
 (2) التفسير ومناشير المفسرين ، محاضرة من 20 ، التفسير ومناهجه ، محاضرة من 12 ، 13 القرآن تفسيره ومفسروه ص 39 - 41 ، مجلة المدح العدد 3 ، 4 ، موضوع (داعي العمل) ص 46 ، 47 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سندتني بهذا التحريف الموجز لهذه الشخصية وتفاصيلها ، على أن نتناولها بالبحث في الفصول اللاحقة .

ابراهيم بن عمر بيوض : ( 1318 ، 1401 هـ ) ( 1899 ، 1931 م ) .

عاش هذا المفسر المخضرم فترة من الاستعمار ، وما عرفته من الأحداث والحركات الإصلاحية والثورية وفترة من الاستقلال ، وما عرفته من التحولات في جميع الميادين ، وفي الفترتين معا حاول مفسرنا توظيف القرآن في اصلاح الفرد والمجتمع ما فتدا\* برواد الحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي ، باعتبار أن القرآن الكريم المصدر التشريعي الاساسي للمسلمين وكتاب هداية ، واذا تصفحنا حياة المفسر نجد عدة عوامل ساهمت في تكوين شخصيته ، وتوجيهها هذه الوجهة الاصلاحية التي تبرز بوضوح في منهجية تفسيره ، ومن هذه العوامل :

(1) اتصافه بحدة الذكاء ، ودقة الملاحظة وقوة الذاكرة بحيث حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا في سن مبكرة ، كما حفظ الكثير من المتون في عدة علوم وقد تصدر حلقات التدريس في معاهد شيوخه وهو في سن السادس عشر ، وقبل هذا السن بحام أصبح يشارك أساتذته في تدريس مداورات بعض القضايا الاجتماعية . (1)

(2) أثر أساتذته في تربيته ، وكانوا ممن عرفوا بمسيرة الأحداث ، ومنحها الحركة الاصلاحية فقد أحسنوا توجيهه واعداده لمواصلة مسيرتهم ، وتلقى منهم كل العناية والتشجيع . (2)

(3) شغفه بالعلم والمطالعة ، الى درجة أن قال فيه شريفي أحد تلاميذه : " لم أر عالما شغف بالمطالعة ومسيرة الأحداث من الكتب التي تنشر أو أحاديث من الاذاعة في مختلف العلوم والفنون كشغف أستاذنا . " (3)

ولعل هذا هو السبب الذي جعله يبلغ درجة الاجتهاد ، اذا علمنا أنه لم يتلق العلم الا في مسقط رأسه (4) شأنه شأن محمد بن يوسف أظفيس .

(1) التفسير ومناهجه ، محاضرة ص 16 ، اعلام الاصلاح بالجزائر 2 / من ص 125 - 153 .

(2) اعلام الاصلاح في الجزائر 2 / من ص 77 - 191 .

(3) التفسير ومناهجه ، محاضرة ص 15 .

(4) ن . م . ص 14 .



وبذلك يمكن أن نقول بأنه اعتمد على نفسه ، وهذا لا يعني انكار جهود أساتذته ،

ومعهم أحد تلاميذه محمد بن يوسف ، أفاضل الحاج عسرين يحي .

(4) مصادر ثقافية متنوعة ، والمتمثلة في العلوم التي تلقاها على مشايخه من العلوم الشرعية

المختلفة والمنطق وقواعد اللغة والبلاغة والشعر العربي ، والمصدر الثاني الكتب التي

كان شغوفا بمطالمتها ، لا سيما التي تتعالج قضايا الإصلاح ونضال رجاله من استبداد

الاستعمار الخ . . . والمصدر الثالث هي المجازات العربية والبرامج الإذاعية .

والمصدر الرابع وهو لا يقل أهمية عن سابقه وهو لقاءه بالمشقة في من طفولته وزملائه

الطلبة الذين تلقوا دراستهم في تونس (1) .

(5) نشاطه في أحضان الحركة الإصلاحية ، ومشاركته فيها كطالب ثم كاستاذ وأخيراً كأحمد

ومساهمها وخوضه لعمار كماً في التيار المحافظ والمستحضر وقد تضمن للمؤامرات

والامتقالات (2) .

ومذه بصفة عامة هي العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية المفكر ، وحددت

اتجاهه الديني الإصلاحية ، ولذلك نرى أنه اكتفى بتدريس التفسير في المسجد ، وفضي

المناصب ولم يقدم بالتأليف ، لأن مهمة المصلح الاجتماعي هي التي تشغله عليه أن يختار

الطريقة التي تساعد على تبليغ رسالته ، لجميع الطبقات الاجتماعية والمستويات المعنوية ،

فاسلوب مخاطبة هذه الفئات المعنوية والتأثير فيها أجدى وأفصح من التأليف الذي لا تستفيد

منه إلا الطبقات المتقدمة ، ويتطلب بذل الجهد .

كما أن هذه العوامل سيطرت الإغراء على منهجية هذا المفكر ، الذي ترك آثاراً حسنة في

مجتمعه ، وكانت جموداً التربوية محيرة ولا شك أن لمنهجيته في التفسير والتوجيه دوراً

لا يستهان به في تحقيق ذلك .

أحمد بن محمد الخليفي ؛

آخر من ينصتني - حالياً - للتفسير من علماء الأندلسية بسلاطنة عمان أحمد بن محمد

الخليفي ، فحسب الجزء الأول من تفسيره ( جواهر التفسير ، أنوار من الهيان التنزيل ) ، (3)

1- الإعلام بالإصلاح بالحزب 2/ من 148 - من 162 .

(2) ن . م . 2 / ص 177 - من 183 .

(3) أحمد بن محمد الخليفي - جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل ج 1 .

من الحديث في هذه الشخصية بالتفصيل لم يحن وقته ولا يزال يخطو خطواته الأولى في تأليف تفسيره .

وبعد تسليط بعض الأضواء على الأباضية في مختلف العصور ، يجدر بنا الآن — أن نتعرض لمناهجهم اعتمادا على ما وصلنا من تفاسيرهم ، وفي ضوء ما عرفنا عنهم ، وعن اتجاههم وثقافتهم بصفة خاصة .

### مناهج التفسير عند الأباضية :

عرف علم التفسير مدرستين أساسيتين ، مدرسة التفسير بالمأثور ، ومدرسة التفسير بالرأي والدراية ، ولا يمكن أن نتصور مدرسة <sup>ثالثة</sup> ، لأن الانتماء إلى إحدى المدرستين لا يعني الاستغناء تماما عن منهجية المدرسة الأخرى ، بل من باب التخليب فتدل .

وإذا علمنا أن سبب نشأة التفسير عند الفرق الإسلامية ، يعود إلى ظهور هذه الفرق ومحاولة كل واحدة منها ، اثبات صحة معتقداتها والدفاع عن كيانها (1) وكذا فرقة تحاول أن تطبع التفسير بطابعها الخاص ، كما أن هذا التفسير عرف صراعا كبيرا مواز للصراع القائم بين الفرق المختلفة حيث أصبحت كل واحدة تحاول اثبات وجودها ، والهيمنة على مطابقتها أفكارها للقرآن والسنة ، فإن من الطبيعي في هذا الجو الفكري أن ينتهج التفسير عند الأباضية منهجية مدرسة التفسير بالرأي ، وهذا لا يعني — كما يفهم — أن هؤلاء كانوا يخضعون لنصوص القرآن لمعتقداتهم ، ويتخذونها وسيلة لنصرة مذهبهم ، وإنما الحكم يشمل جميع المذاهب بدون استثناء ، لأن أنصار كل مذهب يرون أن مبادئهم مستنبطة من الكتاب والسنة ، وإنما أحق أن تتبع ، باستثناء الفرق المعروفة بالتطرف عن أصول الأصول — . ولهذا ليس من الموضوعية ولا من النزاهة أن نتهم هذا التفسير دون الآخر ، إلا إذا أثبتنا — فعلا — زيفه عن الحق والحرافه عن مبادئ الإسلام (2) ولا يحق لباحث نزيه أن يتصرع إلى الحكم لهذا التفسير أو المذهب أو طيها ، أو يحجب كل من يريد أن يستشهد بالقرآن والسنة لأثبات صحة آرائه ، يفسر القرآن حسب هواه ومذهبه ، على أن لا يجعل هذه الآراء هي الأصل ما دام كل مفسر يعتقد اعتقادا جازما أن المذهب الذي اعتنقه مطابقا للكتاب والسنة .

(1) القرآن ، تفسيره ومفسروه ص 26 ، 27 .

(2) التفسير والمفسرون 1 / ص 363 — ص 367 (حكم هذا الموه لف على بعض التفسير دون الأخرى لا يعني على أساس علمي مساهما بذلك في توسيع رقعة الخلاف عوض التقريب بين المذاهب .)

ولماذا لا تنظر الى هذه الخلافات من باب اجتهاد الرأي في فهم النصوص الدينية وتفسيرها ،  
بهذه الدخلة <sup>فقط</sup> يمكننا القضاء على الاتهامات المتبادلة بين المذاهب الاسلامية ، التي أن  
أن اطلاق مدارس اسلامية طيها أحسن وأصح ، لأن كلمة المذاهب أخذت بعدا يدل على  
التعصب والجمود .

وما ذكرناه يعدّ من أكبر العوامل التي جعلت حركة التفسير بالرأي تزدهر ومن  
هذه العوامل - أيضا - تطور الحياة ، ومسايرة القرآن للأحداث وصلاحته لكل زمان ومكان .  
وإذا تصفحنا كتب التفسير الأباضية ، لا نلاحظ انتقالا واضحا بينهما وبين غيرها  
في المناهج المتبعة في التفسير لذلك يمكن تشبيه منهجية جابر بن زيد في التفسير بمنهجية  
التأليف السائدة في عصره ، فقد رأى ابن الشيخ أنها قد تكون على نمط طريقة الأمام  
مالك في تأليف موداه وهي الجمع : " بين الآيات القرآنية وتفسيرها والحديث النبوي و  
مسألة فقهية مروية عن مشايخه ، أو رأي اجتهادي تُفرد به " (1) . ملاحظا ذلك بعدم تمييز  
العلوم الشرعية وانفصال بعضها عن بعض ، وتقليد الموهّقين بعضهم بعضا في كل عصر (2)  
بينما نجد شرفي يحترف بصعوبة ، وتحديد منهجيته لعدم بلوغ التأليف في عمده درجة  
تسمح بذلك (3) ، لكن بإمكاننا تصور الطريقة التي ارتمجما من خلال ما روي عنه من أحاديث  
في موضوع القرآن الكريم .

لؤل ما يلاحظه أنه كان يرجع في تفسيره الى الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، عن طريق  
صحابي كإبن عباس أو أحد التابعين مثل سعيد بن جبهر ، كما يرجع الى آراء الصحابة أو التابعين .  
ولا يستبعد أن يكون قد اعتمد في تفسيره ، القرآن ، وأدل الكتاب والشعر والاستعمال  
اللخوي عند الحرب أسوة بأستاذه ابن عباس ، وعلى ثرار تلميذه الربيع بن حبيب (4) الذي  
يكون قد تأثر به ، وهذه المصادر تمثل مصادر التفسير في عصر التابعين (5) وهو عصر مفسرنا .  
ومن ذلك يمكن اعتباره من المفسرين بالمأثور ، ومن يستحق في شرح آية بأحد المصادر  
المذكورة آنفا . أو بأسباب النزول التي ترد في أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على  
أن الانتصوّراته فسر القرآن كله ، شأن المفسرين الذين ظهروا بعده ، وإنما كان يمزج  
بين الحديث . والتفسير والفقه وقد بيدي رأيه في قضية ، على ثرار معاصريه من

(1) القرآن تفسيره ومفسروه ص 34 .

(2) ن . م . ص 34 ، 35 .

(3) التفسير ومناهجه ، محاضرة ص 2 ، 3 .

(4) أنظر أمثلة عن ذلك في كتاب الجامع الصحيح ، الربيع بن حبيب / 3 ، ص 14 ، 36 مجلد واحد .

(5) ن . م . ص 29 / التفسير والمفسرون 1 / ص 70 ، 71 .

التابعين واقتداءه بأستاذه ابن عباس، أما بقية المفسرين فقد اتجهوا طريقة التفسير بالوأي، فبرأنا نلاحظ في تفاسيرهم اختلافاً في الغرض والموضوع، ويبدو ذلك في تصنيفهم على النحو التالي: (1) التفسير الفقهي، (2) التفسير الحقاقي، (3) التفسير التحليلي، (4) التفسير الاصلاحي الاجتماعي.

1) التفسير الفقهي: يمثل هذا اللون أبو الحواري في تفسيره الخمسة آية في الحلال والحرام، تظلم بوضوح في موضوعاته التي لا تخطف على موهبات الكتاب الفقهية، ولا تخرج عن فقه العبادات والحاملات لكل موضوع يسرد فيه الآيات المتعلقة به مع الاستشهاد - أحيانا - بأحاديث نبوية شريفة، وأقوال الصحابة أو بعض التابعين لا سيما إمام المذهب جابر بن زيد أو الربيع بن حبيب مع التعرض إلى رأي الأباية في المسائل الخلافية. فهو أن المفسر - حبيب رأي شريفي - لا يتعمق في تبيانه للأحكام، ولا يحلما ولا يتعرض لحكما، وأسرارها، أو يحاول استنباط أحكام جديدة. (1)

كما كان يعنون كل فقرة بكلمة (تفسير) مع ذكر الموضوع بعدها، وذكر اسم السورة والآية أو الآيات التي يقبها منها. فمن الملاحظ أن منهجيته مناسبة لبساطة الكتاب وقد يكون عرض المفسر منه جمع الآيات التي لها علاقة بكل موضوع مع دعما به واحد آخر - أحيانا - لا ذات صحة ما ذهب إليه أو لزيادة الايضاح، فهو يحترق من هذا القبيل نواة هذا النوع من التفسير الذي تبلور على يد أبي بكر الرازي المعروف بالجصاص وغيره من المفسرين (2) مع الملاحظة أن في القرن الثامن المجري ألف حسين أحمد النجدي كتاباً سماه (شرح الخمسة آية) (3).

2) التفسير الحقاقي: وهو النوع الذي يركز على الخلافات المذهبية في الحقاقد بصفة خاصة وقد يكون أبو يعقوب الوري جلاي من مؤلف المفسرين، إذا أخذنا بحين الاعتبار طبيعة ثقافته ونوع مؤلفاته كالدليل والبرهان مثلاً بالإضافة إلى وصف الجراي لمنهجيته فسي التفسير إذ يقول: "فإذا ذكر آية بقول: قوله تعالى إلى آخر الآية فأول ما يذكر أعراب

(1) التفسير ومناهجه، محاضرة ص 07.

(2) ن.م. ص 08.

(3) التفسير والمفسرون 3 / ص 101 - ص 103.

فاذا ذكر آية يقول : قوله تعالى الى آخر الآية ، فأول ما يذكر إعراب الآية ويستقصى جميع تصاريف الفعل من الكلمة ، ثم الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسوق الرواية من كتاب الربيع بن حبيب المعروف بالمسند ثم يسرد فيه المسند ، أبو عبدة من جابر ويذكر الحديث ولقد استقصى الخلاف الذي في الأمام في قوله : " إني جاعك للناس اماما " البقرة ( 124 ) فذكر مقالة الرافضة والخالفة ، وذكر مقالات التكاثر وغيرهم من جميع الفرق " (1) ويذكر في نسخة أخرى ما يلي : " . . . ولم أر أبلغ منه في إعراب ولا في لغة ولا تصريف ولا في فقه ، ولا في اختلاف قواعد الدين مثل قوله تعالى : " واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتممت " البقرة ( 124 ) الآية في الإمامة ، ولا في ذلك من علوم القرآن " (2) .

ولا شك أن ضرب البرادي مثالاً لتعرض المفسر الى الخلافات في الإمامة لدليل على قيمة المفسر في هذا الجانب ، وتركيزه عليه ، مما استرعى انتباهه .  
ومن هنا نستطيع أن نقول بأن أبا يعقوب سلك في مؤلفه طريقة تفسير القرآن من أوله الى آخره ، آية ، آية ، وذلك بشهادة البرادي ، إذ ذكر في نفس المرجع بأنه عثر على سفر في تفسير الفاتحة وسورة البقرة وآل عمران (3) ، وأنه يبدأ بإعراب الآية وشرحها لخويامح التعرض الى الجانب الصرفي ، ثم يسوق الشواهد من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، معتمداً في ذلك - مسند الربيع بن حبيب قبل تناوله الجانب الفقهي ومعالجة خلافات المدارس الاسلامية ، محللاً الآراء جميع الفرق المعروفة آنذاك ، دون أن يدخل الخلافات القائمة بين علماء الأباضية ودون أن يحرض عن علوم القرآن .  
ومن المفسرين الذين يمكن ادراجهم في هذا النوع من التفسير ، عبد الرحمن بن رستم ومحمد بن يانس ، ومحمد بن يوسف أظفيش في تفسيره ( هميان الزاد ) .  
أما عبد الرحمن بن رستم ومحمد بن يانس ، فقد ظمرا في فترة انتعشت فيه المناظرات بين المدارس القومية ، وكثر فيما انجدل بحيث أن الأخير أختير لمناظرة الواصلية ، فمن الطبيعي أن تتأثر منسجيتهما بطريقة التفكير السائد في عصرهما .  
وأما محمد بن يوسف أظفيش فستعرض إليه في صميم بحثنا .

(1) الموجز 293/2 ملحق للبرادي ، أدغار الموامش رقم 03 .

(2) ن . م . ( نفس السكان )

(3) ن . م . 292 .

### (3) التفسير التحليلي :

إذا كنت قد سمحت لنفسي أن أطلق هذه التسمية على بعض التفسيرين ، لأن أصحابها لا يتعمقون في مسائل الخلافة ولا في المسائل الفقهية و بصفة عامة لا يهتمون بجانب دون الآخر وكأني بهم يحدفون من تفاسيرهم تعليم القارئ \* و إغادة طلبه للاطلاع هذا العلم فيولون للشرح والتوضيح مبنى ومعنى الأهمية فيسلكون طريقة شبيهة بتأليف الكتب المدرسية . فمن التفسير التي تتصف بهذه الخصائص تفسير هود بن محكم المواربي فجدده يستعمل تفسير سورة بذكر اسمها ونوعها مدنية أو مكية ، وأحيانا عدد آياتها ، وقد يترجم إلى أسباب النزول ، مكتفيا للتوضيح بإبراز المضمرة أو المقدر أو بذكر المرادف مثل تفسير قوله تعالى :  
 " ( فأوجس في نفسه خيفة موسى ) ( قل لا تخف إني كنت الأعمى ) ( أي الظاهر ) " (1) . ولا يخوض في الأعراب والبلاغة ، ويذكر - أحيانا - السند مثل شرحه لقوله تعالى : " ثم أنشأناه خلقا آخر ( قال بعضهم الشعر ، وقول الحسن : الروح هو قال بعضهم ذكرا أو أنثى ، وقول الكلبي : الروح هو في بطن أمه ) " (2) . نلاحظ أنه ينقل أقوال السابقين بذكر السند أحيانا ، وإعماله أحيانا أخرى ، وكثيرا ما يشير إلى المصادر المعتمدة كالأحاديث النبوية أو اسم الصحابي مثل ابن عباس أو التابعين أو غيرهم ، وإذا كان يختصر في تفسيره للآيات ، فجدده يستفيض القول في الأحكام ، متعرضا إلى المسائل الفقهية ، ومرجحا آراء ابن عباس وأئمة المذهب مثل تفسيره لقوله تعالى : " الزانية والزاني ألخ " فيرجح القول القائل بقبول شهادة الزاني الذي أقيم عليه الحد مستدلا بقوله : " . ويقول ابن عباس في هذا لأخذ عليه يعتمد هو قول أبي عبيدة والعامية من فقهاؤنا ، قال أبو عبيدة : " شهادة كل من أقيم عليه الحد جائزة إن تاب وأصلح " (3) . فسراه يستعمل عبارة ( العامة من فقهاؤنا ) ويعني بها جمهور فقهاء المذهب وهو ما يقابل جمهور أصحابنا عند فقهاء الأباضية وأما قوله ( عامة الناس كلهم ) يقصد بها جمهور فقهاء المذاهب الأخرى ، وهو ما يقابل جمهور قوما عند فقهاء الأباضية والفرق بينه وبين النوع السابق هو عدم تحققه عند تحليله لمسائل الخلاف .

ومن التفسير التي سلك صاحبها هذه المنهجية تفسير ( التيسير ) لمحمد بن يوسف أطفيش مع بعض الاختلافات بين المفسرين ، ولعل من التفسير التي اختسار

- 
- (1) هود بن محكم المواربي / تفسيره مخطوط ج3 سورة ( طه ) الآية 67 ، 68 الصحيح الأ على ( أوراقه في مرقمة ) مكتبة الشيخ أطفيش بدي يسفن رقم : ب . 14 .  
 (2) ن م . سورة المؤمنون / 14 .  
 (3) ن م . سورة النور / 02 .

صاحبها هذه المتهجبة | جواهر التفسير و أنوار من بيان التنزيل | لأحمد بن حمد الخليفي الذي شرع في تأليف أجزاءه الأولى ، فمن الصعب تحديد متهجيته بالضبط ما لم ينته منه ، فيكفي اعتباره من التفسير التحليمي ، لأنه يحمل طابعا مدرسيا حسب الجزء الأول منه ، الذي تعرّض فيه إلى تحريف التفسير والتأويل ، وتالج فيه بمنى مواضع في علوم القرآن ، وممد فيه لتفسير سورة الفاتحة تبين مثلا : اختلاف الفقهاء في مسألة قرأتها في صلاة الجماعة ، وقضية البسطة مع ترجيح الرأي الذي يراه صحيحا . (1)

نرجوا لله عز وجل أن يوفقه لأئمة تأليفه الذي تأمل أن يكون من أحسن التفسير متهجبة ، وتحقيقا ، ودقّة .

#### (4) التفسير الاجتماعي الاصلاحى :

إذا اختار محمد حسين الذهبي تسعة هذا النوع ( اللون الأدبي الاجتماعي ) (2) فإتينا نرى أن هذا الاسم ينطبق على بعض التفسير التي يسمونها أصحابها إلى أسلوب أدبي فني رفيع ، وقد لا يملك مفسر آخر هذه الموهبة الفسيحة والجانب المشترك بين هؤلاء المفسرين الذين يعدّون الحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي ، وهو توجيه تفسيرهم إلى اصلاح الطبقات الاجتماعية ، ومحاربة الآفات أو الامراض ، ومواجهة التيارات المدمامة . ومن بين هؤلاء المفسرين الذين لعبوا أدوارا رئيسية في الحركة الاصلاحية ، ابراهيم بن عرببوس ، وقد حاول أن يجسّم معاني القرآن في سلوكات الافراد والبنية الاجتماعية ، ولذلك اختار أسلوبين في التفسير :-

(1) أسلوب تفسيره في المناسبات .

(2) أسلوب تدريس القرآن في المسجد .

ويهدف من وراء ذلك استهازك فرصة للتبليغ ، وانقاذ المجتمع بفئاته المخطفة من براثن التخلف والجهل والاحلال .

كان أسلوبه الأول موجها بالدرجة الأولى إلى التلاميذ الطلبة ، ولكن مع ذلك — لم يغفل طبقة العوام محاولا به تحقيق فرضين أساسيين : فرض تعليمي ، وآخر توجييمي ، فنجده يربط السور ببعضها والآيات بما قبلها لتبيان وحدة الخرض والموضوع .

(1) جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل ج 1 .

(2) التفسير والمفسرون 213/3 .

والقداسق التي يمتاز بها القرآن مستحينا في الشرح بأسباب النزول إن وجدت ، و تذييل الصحوبات اللغوية ، وأحيانا باللغة العامية ، كما يرجع في كثير من الحالات إلى تفسير القرآن بالقرآن ، والاستشهاد بالأحاديث والأشعار ، والحكم ، والأمثال ، والمتون الفقهية . وللتأثير في المصتمعين ، يربط المعاني بواقعهم وبالأحداث الجارية ، محللا طبائع النفوس البشرية كلها ، وجد لذلك سبيلا .

كما أنه لا يثقل عن الجوانب البيانية ، وإبراز أعجاز القرآن في أسلوبه و مواكبه للتطور العلمي والحضاري ، فنجده عند تعرضه للقصة القرآنية - يستغني عن التفاصيل التي كانت معظمها من نتاج الأسرائيليات ، محاولا جمع النصوص القرآنية التي تتكون منها أحداث هذه القصص ووقائعها ، مركزا على جوانب الأذكار والاعتبار ، مهتما بالمسائل الفقهية التي تنظم الأسرة والمجتمع ، وتعالج موضوعات المعاملات . (1)

أما أسلوبه في المناسبات ، فنجده يتوخى فيه البساطة ، ويحالج قضايا الساعة ، كموالمة أعداء الحركة الإصلاحية والمستحمرين (2) مستغلا ذلك لتجديد الأمة حول الحركة (المنتملة) وتوضيح أهدافها المتمثلة في محاربة الجمود والبدع والخرافات والجهل وبناء صرح المجتمع الإسلامي على أسس سليمة ولتحقيق هذه الغايات يختار التفسيرية أو بعض آيات لها صلة بالموضوع ، ثم يشرع في شرحها منتمجا نفس الطريقة السابقة ، مع عدم التعمق في المباحث اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية ، وكل جانب لا يخدم الغرض من الدرس مركزا على القضية التي يحالها .

ومن خلال ما تقدم نرى أن مفسرنا كان يهتم بالجانب الاجتماعي الإصلاحي ، ويهدف من دروسه إلى تحقيق المبادئ التي تبنتها الحركة الإصلاحية ، فلذلك لا نرى أن ابن الشيخ صالح حين شبه تفسيره بتفسير المنار من حيث المنحى الاجتماعي والحكمي ، والسياسي والاقتصادي و " بظلال القرآن " من حيث روحه وأثره في إصلاح الفرد بتعميق الحقيقة في نفسه وطبع مدارم الأخلاق في سلوكه فردا وجماعة . (3)

(1) التفسير ومناهجه ، محاضرة ص 15 - ص 17 القرآن تفسيره ومفسروه ص 41 - 44 .

(2) ن . م . محاضرة ص 16 .

(3) القرآن تفسيره ومفسروه ص 44 .



هذه بصفة موجزة مناهج التفسير عند الإباضية، نلاحظ أنها لا تختلف عن مناهج تفسير المدارس الإسلامية الأخرى إلا من حيث أنها تمثّل وجهة نظر الإباضية في تفسير بعض الآيات.

وهذه الاختلافات لا تعدو أن تكون وجهات نظر لعلماء بلغوا درجة الاجتهاد. فهي تمثّل مع بقية آراء المدارس الإسلامية الأخرى دروة علمية يحق للمسلمين أن يحتجوا بها عوض أن يتخذوها أسباباً ومبررات للتفرقة والتعصب، فمن نعم الإسلام أن أتاح لمعتقيه حرية التفكير والاجتهاد في حدود قواعد مضبوطة، وأصول ثابتة لا محيد عنها.

# الباب الأول

عصر الفسيفساء، حياته، آثاره

## الفصل الأول :

مصره

### الحياة السياسية :

عاش المفكر في فترة شيخوخة الخلافة العثمانية في العالم الاسلامي بحيث أصبح نفوذها يضعف وتكالب عليها الحركة الصليبية ، مما ولدت بحث مجدها من جديد والقضاء على الحضارة الاسلامية التي بسطت سلطتها حقبة من الزمن على جزء كبير من الكرة الارضية حتى أصبحت تهددها في مدها عموما ساعدها على تحقيق أحلامها ، حال العالم الاسلامي التي أخذت تتدهور بانسلاخ المسلمين عن مبادئ دينهم سواء في أنظمة الحكم أو معاملة الرعية ، أو في اخلاق الأفراد والمجتمع ، فطش الظلم ، وانتشرت البدع والخرافات ، وانساق المسلمون وراء ملذات الحضارة ، ودبت أمراض التفرد والعصبية في صفوفهم (1) ، فوجد الاستعمار الغربي الأثر ممددة لغزو هذا العالم الذي حمل رسالة الحضارة الانسانية منذ أن بزفت شمس الاسلام في الجزيرة العربية ، فأخذت الدول الأوروبية تتنافس هذا العالم ، وكل واحد تطلق يد الأخرى في جزء منه .

ولم ينقضي القرن التاسع عشر حتى أصبح معظم مناطق هذا العالم تحت وطأة الاستعمار الصليبي ، وقد ظهرت هذه النزعة بوضوح في حركة التبشير التي رافقت الحملات الاستعمارية لا سيما الاستعمار الفرنسي الذي نصب نفسه مقابلا للنزعة الصليبية ، ولا يور أن الحبيب الجحاني مبالغ في اعتبار الكنيسة دغمة أسامية من دعاوهم السياسة الاستعمارية (2) وقد لعبت هذه الحركة دورا خلابيا في التمهيد للاحتلال ، ثم في محاولة سلب الشعب العربي المسلم من قيمه الثقافية الوطنية ، ولا يخفى على أحد الدور الذي لعبه رجال الكنيسة ، وعلى رأسهم الكرديبال لا فيجيري ، مستغلين كل فرصة هوائية ومستخدمين جميع الوسائل تحت مظلة التعاون والرحمة ، وتقديم الخدمات للشركة المسيحية في الأوساط الشعبية بالمغرب العربي (3) ، باعتباره إحدى القلاع الرئيسية التي وقفت في وجه الصليبية ولعانة الامتراء تهجي في البحر الأبيض المتوسط .

وقد عمد المستعمر إلى هذه السياسة للقضاء نهائيا على روح المقاومة في الشعب

(1) أعلام الإصلاح في الجزائر 1 / 16 .

(2) د / الحبيب الجحاني ( حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في ق 19 ) ص 4 (2) مجلة الأمانة .

(3) ن . م . من ص 24 - 32 .

وقد أدرك - بما اكتسبه من تجرّبه عبر التاريخ - أن الاسلام هو العنصر الأساسي الذي يحرك الشعب لمقاومته وأحد العناصر الأساسية التي تميز شخصيه هذا الشعب من شخصيه المستعمر ولذلك رأى أنه لا يحكم القضية عليه الا اذا جرّده من أهم مقوماته ، فجدّد رجال الكتيبة وقدم لهم كل الحنون للقيام بحمليه غسل الأدمغة ، وتمهيد الأرضيه لتحقيق أغراضه الاستعماريه (2).

والسلاح الثاني الذي استعمله المستعمرون ، هو جلب الممّرين من أنحاء أوروبا وتشجيعهم على الاستيطان ، وقد وفروا لهم كل أسباب الاستقرار والعمل ، وان أدّى الأمر الى الاستيلاء على ممتلكات الأهالي متدرّجين - أحيانا - بحجج واهيه ، ومستغلين كل فرصه سانحه بما فيها حجز ممتلكات الثوّار والمتمهين .

كما حاولوا أن يطبعوا الحياء بطابعهم الخاص ، فأصدروا قوانين تفرض على الشعب المقهور سلوكات مصنيه مخالفه لمقوماته وعاداته ، فانتصجوا في تطبيقها - أحيانا - سياسه القهر وأحيانا أخرى سياسه الترغيب .

كما استخدموا وسائل أخرى من أهمها : فتح المدارس الفرنسيه واجبار الأطفال على الالتحاق بها ، وفرنسه الاداره وقوانينها ، فأصبحت الفرنسيه لفته التعليم والخبز ، وشيدوا كنائس ومدارس ، يشرف عليها رجال الكتيبة ، واستولوا على المساجد والقضاء وجاربوا كل ما يعرقل سياستهم الادماجيّه (2) .

وفي خضم هذه الاجراءات التحصيفيه ظهرت المقاومه في أشكال مختلفه بدأت في بدايه الأمر مقاومه مسلحه ، وحاولت صد القزوا الاستعماري بكل ما توفرت لديها من قوه ، غير أنها سرعان ما اصطدمت بقسوه أكثر عددا وعدّه وتنظيما ، ووجدت نفسها تصارع عدوين : الغزاة من جهة ، والمتأصّر التي دبت في نفسها أمراض التخلف غير أن هذا الصراع المرير قد فتح بالمقاومه الى تغيير أسلوبها ، فخرجت الى طريقه اصلاح المجتمع المرير أولا ، واعداده للمقاومه المسلحه التي أظمرت التجربه عدم نجاتها ، وعجزها عن تجديد الأمم فتكت بها أمراض عصر الانحطاط وهذا الأسلوب الجديد تمثّل في الحركه السلفيه التي ظهرت بوادرها للوجود في الفتره السابقه للاحتلال ، لكنها تبلورت في عمقه . فقد أتخذت في بدايه الأمر شكل الاصلاح الديني والرجوع بالاسلام .

(1) ن . م . ص . 26 ، 27 مجله الاصله / محمد البهي الفكر الاسلامي الحديث ص 21 .

(2) نهضة الجزائر الحديثه / 1 / من ص 21 - 27 .

الى عمده الأول ، ثم تطوّرت فأتممت بالنواحي الدينية والاجتماعية ، وبعد أن حاولت  
 طي يد بعض قاداتها مثل جمال الدين الأفخاني أن تتّجه اتجاها سياسيا أيضا . (1)  
 فاستمرت هذه المقاومة تشتدّ أحيانا وتتخذ أشكالا مختلفة وتضعف أحيانا أخرى ،  
 كما أدت الى ظهور نهضة فكرية سياسية بعد أن واجهت تيارين أساسيين ، تيار الغزو  
 الأجنبي وتيار الجمود والهدع الداخلي ، فخرجت في الأخير ملتصقة .  
 ووسط مُتسّرنا جزء من هذا العالم الاسلامي ، فذلك قد عرف هو — أيضا — عذا الصّراع  
 قبل الاحتلال وبعده ، بحيث يرى محمد علي ديبوز أن وادي ميزاب في جنوب الجزائر  
 استفاق من بومه قبل الشمال ، لقد ابتدأت فيه النّهضة منذ أوائل القرن الثاني عشر  
 الهجري ، (2) أي منذ تلك الفترة ورجال الإصلاح يصارعون تيار التخلف والجمود ، ولعلّ  
 آثار هذه الحركة تجلّت في وعي هذه المنطقة حين فكّر أهلها في عقد معاهدة الحماية  
 في 29 أبريل 1853 م مع الاستعمار الفرنسي ، لما تبين لهم فشل المقاومة المسلّحة  
 في الشمال ، والتي شاركوا فيها بحما من حسب المصادر التاريخية (3) ، ومن الأسباب  
 التي دفعتهم الى هذه المعاهدة اقتراب أكثر شهابهم في مدن الشمال ، وانتشار التخلف  
 والتعصب القبلي والذهبي في الصحراء ، ورأوا أن يأخذوا بقا عدة أخفّ الضّرين وهي  
 عقد معاهدة الحماية مع المستعمر الذي وصل الى مشارف منطقتهم والذي لا يحترم في  
 غزوه أدنى المبادئ الانسانية والأخلاقية ومن جملة ما تنمّن عليه هذه المعاهدة احترام  
 نظمهم الاجتماعية والمحافظة على كياناتهم الحربي الاسلامي ، ولكن صرفا ما وجد  
 المستعمر — كعادته — مبررا لقرض حكمه العسكري على المنطقة ، وذلك سنة 1882 م  
 بدعوى أن ميوزاب أصبح ملجأ الشّوارب وقاعدة امدادهم بالذخيرة العسكرية . (4)  
 ومما تجدر الإشارة اليه ، هو أن الوحدة الاسلامية هي المحصر السائد آنذاك ، ولم  
 تنتشر بعد فكرة الوحدة الوطنية ، بمفهومها الحديث وحتى الوحدة الاسلامية لم تكن مبنية  
 على أساس التضامن والشّعور بوحدة المصير المشترك ، ووحدة المبادئ ، لأنّ العالم الاسلامي  
 لا زال متأثرا بالصراعات المذهبية والجنسية التي توفها في القرون الماضية وتجلّت هذه الوحدة  
 الاسلامية في علاقتها بالحكم العثماني ، أما علاقتها بسلطنة عسان وزنجبار و بأباضي ليبيا  
 وجربة فكانت أساسها الانتساب المذهبي على أن هذه العلاقة أخذت بحسبها

(1) نجلاء عزالدين (العالم العربي) من ص 94 — 125 .

(2) نهضة الجزائر الحديثة 36/1 .

(3) أحمد توفيق المدني (كتاب الجزائر) ص 44 / محمد الله (الحركة الوطنية الجزائرية) 2/216 ، 324 .

(4) محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ص 39 ، عبد الرحمن الجيلالي (تاريخ الجزائر العام) 3/386 .

(4) نهضة الجزائر الحديثة 1/246 — 248 .

جديدا فأصبحت تتجه الى تكوين نواة للوحدة الاسلامية الشاملة ، وتقارب المذاهب وهذا ما ستراه من خلال اتصالات المفسر بمختلف الجهات في العالم الاسلامي (1) وهذه الرؤيا الجديدة ظهرت نتيجة للتكامل التليفي على العالم الاسلامي بدون تفريقين هذا وذاك وشعور الطبقة الواعية والمثقفة بضرورة التضامن ، وبهذا التعصب المذهبي الممقوت ، وهذا لا يعني التغلص الكامل من شوائب عبور الاضطراب ، لأن هذا الأمر لم يتم بعد الى حد الآن ، فمازلنا نعيش بحسن الظواهر الموهبة التي تجسد تلك الذمات المختلفة التي لا علاقة لها بالدين أصلا .

وهذه بصفة تامة الحالة السياسية التي عرفها محمد المفسر بين غزو استعماري واسع ، وحشي أحيانا هو بين بؤار يقظة عربية اسلامية تجلت في مقاومات عسكرية وحركات اصلاحية وأمام هذا الصراع يجدر بنا نتساءل عن الحالة الاجتماعية السائدة آنذاك .

2 . الحالة الاجتماعية :

ولحل الحياة السياسية تعدس بوضوح الحالة الاجتماعية في العالم الاسلامي ، هذه الحالة التي بلغت حدّها القصوى من التدهور والاضطراب في الاخلاق والقيم ولم يشهد هذا العالم مثلما من قبل ، وكان من نتيجة غزو أوروبا له ، فوجد له لقمة سائخة ، وما غزوا الاستعمار للجزائر ووقوف بعض القبائل بجانبه تمد له يد المساعدة ضد المقاومات لا سيما مقاومة الأمير عبد القادر (2) الا احدى هذه الصور لما آل اليه هذا المجتمع وقتئذ ، وتعبيرا صادقا عن التفكك الاجتماعي والرجوع الى عهد النظام القبلي ، وسيادة التعصب العرقي والمذهبي ، وما ردود مفسرنا على الحملات ضد المذهب الباطني الأدل دليل على هذا التنافر بين المذاهب الاسلامية والذي وصل الى حد اتهام بعضها بعضا بالكفر وأباحت سفك الدماء (3) ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أدى كل ذلك الى انتشار الفتنة بلحل أحسن من وصف منطقة ميزاب في هذا العهد يحي بكوش في قوله :

" فقد كانت الفتنة كثيرة في المنطقة ، وانتشر الفقر واشتدت الحروب الطائفية واستحكمت العنصرية " (4) .

ومن أسباب هذا التعصب والتفكك الاجتماعي الجمل الذي تغشى في الأوساط الشعبية ، هذا الجمل تجلى في انتشار البدع والخرفات ويصور الأستاذ سعد الله حالة هذا المجتمع بدقة .

- (1) أنظر أمثلة لذلك في بحثنا هذا ص 74 .
- (2) كتاب الجزائر ص 56 .
- (3) محمد بن يوسف أطفيش (ان لم تعرف الباطنية يا عقبي كتاب لزهاق الباطل بالحلم الماطل) .
- (4) يحي بكوش ، كتاب شرح النيل دائر معارف في الشريعة لاسلامية ص 2 أنظر بعض الصور المأسوية لهذه العنصرية في كتاب المجتمع الاسلامي . د / أحمد شلبي من ص 192 — 196 المذاهب نعمة انقلبت نقمة .

في حديثه عن أعلام القرن الحادي عشر إذ يقول: "فقد عاش خلال القرن الحادي عشر عشر والثاني عشر الميلادي في الوقت الذي اشتدت فيه القطيعة بين العالم الإسلامي الجامد والعالم الأوروبي المتحرك، وازدهر فيه التصوف المزعوم والدروشة والامية والتخلف العقلي في المجتمعات الإسلامية، وكثر فيه أدياء العلم من الفئة التي كانت تسمى نفسها حامية الشريعة، ومصائب الظلام وهي فئة الفقهاء أو المتفقهين، واستولى فيه على مقاليد السلطة حكام جهلة، وطغى عن حاجات المجتمعات الإسلامية التي يحكمونها وأحاشيسها وعشش أدياءها الفكر الخرافي حتى كساد المجتمع كله يصبح زاوية صوفية". ويمضي الكاتب يصف الأمراض الاجتماعية المنتشرة كالإيمان بالخيبيات والروحانيات، واستغلال سداجنة الأوساط الشعبية لإبتزاز أموالها، ونصرة التلمذة والمستعدين. (1) هذه صورة صادقة للمجتمع الإسلامي الذي أصبح مطمح الاستعمار الأوروبي ولعل هذه سنة الله في خلقه، فالشعوب كالأفراد تمر بمراحل القوة ثم تتحدر نحو الضعف ولذلك لم يجد الاستعمار صعوبة كبيرة في الاستيلاء عليه، وتحقيق مطامحه فيه، وليبقى دائما سيد الموقف، راجح يشجع الآفات الاجتماعية التي وردها المجتمع الإسلامي عن عمد الأخطاطو يضرب كل حركة إصلاحية تحاول مختارئة هذه الآفات.

فلعل أول آفة أخذ يخذيهما وينميها في هذا المجتمع المريض هي التفرد والعصبية ويذكر محمد البهي أن تجنيد بعض الشريين الآريين المسيحيين لأبراز الخلافات العرقية وسائل الاستعمار في أضعاف المسلمين في اسلامهم (2) ولعل البدايات التي كانت قوات الاحتلال توجهها إلى الشعب الجزائري وطبقاته تدل على زرع العصبية، إذ ورد في أحدها مثلا العبارة التالية: "نحن الفرنسيين أصدقاءكم سنذهب إلى مدينة الجزائر لنطرد منها الأتراك الذين طفوا عليكم واضطهدوكم الخ... (3) وبلا حظ هذا البدايات يدور إلى إدارة الحزازات والضغائن بين الأتراك الجزائريين والدولة العثمانية قصد القضاء على كل تحالف ممكن قيامه بينهما، وهذه هي سياسة المستعمر قديما وحديثا، يسعى في البداية إلى فطم عرى التضامن

(1) د / أبو القاسم سعد الله شيخ الإسلام عبد الكريم فكون جريدة الشعب العدد 6969 السنة 24 ص / 11 .

(2) الفكر الإسلامي الحديث ص 21 .

(3) عبد الحميد زوزو، لصوص وثائق ص 30 (دأ) موجه من طرفة الجيش الفرنسي إلى الدرافلة أولاد الأتراك العرب القاطنين بإيالة الجزائر .

بين الدول الإسلامية ثم يتفرغ الى اثاره الفتن الداخلية ، ويدل على ذلك ما كان بين احزاب المقاومة والقبايل التي لم تكف بالوقوف ضدها بل راحت تؤيد الحدو والخاني وتقف بجانبه ، بفضل سياسته (فرق تسد) ، والحالة الاجتماعية المتردية التي أصبح يعيشها المجتمع الجزائري المسلم آنذاك (1) . وقد كان المستعمر في كل بقعة من العالم الإسلامي يحاول استغلال كل فرصة لاجياء النزاعات الدينية ، والتصبيبة الجنسية ، ومن ذلك ما ذكره الحبيب الجناحي في أن دورة المقراني كانت رد فعل ضد سياسة التنصير ، والسياسة الرامية الى بث الشقاق بين العرب والبربر (2) .

وللبجاح في سياسته هذه عمد الى سد أبواب التعلم أمام الجزائريين

لا سيما التعليم العربي الإسلامي ، فحاول تعويضه ببلغته التي تعتبر وسيلة لبث أفكاره ، واتجاهاته في أوساط الأمم المستعمرة ، لكن دون أن يسمح لها باكتساب ثقافة تساعد على الارتقاء في سلم الحضارة والتقدم ، فترك الاغلبية الساحقة تتخبط في الجهل والامية ، فأصبحت فريسة الخرافات والبدع ، مشجعا كل الهيئات التي كانت في السابق حاميه الإسلام والعربية على نشر هذه الضلالات والافكار التكاليفية والقدرية ، فعمد تنويم هذه الطبقة التي تعتبر القاعدة الى رخصة لجميع الانتفاضات والثورات ومن هذه الميئات رجال الدين وبعض الزوايا التي كانت في السابق معاقل اللغة العربية والإسلام (3) .

لئن استطاع الاستعمار أن ينشئ طبقة جديدة لتقرير سلطته وتثبيت ولايته وحمايته شخصيته (4) ، ولكنه عجز وفشل فشلا ذريعا في القضاء على شحنة الإسلام والعربية ، وتحقيق أغراضه الدينية ، كتجنيس هذه الأمة وتنهيرها ومحو مقوماتها ، رغم محاولاته العديدة ، منها انشاء طبقة بورجوازية أوربية على انقاض الطبقة الجزائرية ، تتمتع بجميع الحقوق ، وتشرع بمقدار الاستعمار تقصد تعظيم محنويات الشعب العربي المسلم ، فاستعمل لتحقيق ذلك كل الوسائل منها تفقيس الطبقة

1 للاطلاع على أمثلة لتجنيس أرفع الى اسماعيل العربي المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر الفصل الحادي عشر ( سقوط الزمالة ) .

2 حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية الأمال: العدد 18 ص 32 .

3 أعلام الاملا ح في الجزائر 1 / من ص 18 - ص 21 .

4 الفكر الاسلامي الحديث ص 21 .



الشعبية و تجويعها بحجز أراضيها بأسباب وبدونها ، و غلق أبواب الرزق أمامها ، فتركها تمصاع ضحك العيش و فريسة مجاعة 1868 م ، التي اعتبرها فرصة سانحة لتحقيق مأربه (1) .

و نتيجة للظالم الاستعماري ، لجأت بعض العائلات بأسرها الى الهجرة الداخلية أو الخارجية ، هروبا من المعاملات التعسفية و طلبا للعمل .  
و لم يكن ميزاب بيت المفسر أحسن حالا من المناطق الأخرى ، فقد مر بفترة مظلمة ساعد الاستعمار على امتدادها و وقف ضد كل محاولة اصلاح ، و لعن أحسن وصف لحالة هذا المجتمع يجبر عنهما أحد الباحثين في قوله : " ولد الأمام القطب و نشأ في بيئة كاد ينطفئ فيها نور الهداية الألهية ، فلم يبق فيها الا بصيص من نور خافت لبعض آيات قرآنية ترتل أو أحاديث تردد تقليدا . " ثم يمضي في وصفه لهذا المجتمع بطغيان الجهل و الجاهلية ، و سيادة عادات و تقاليد خرافية و استقرائية نسبية ، لا تولي للقيم الروحية العلمانية الدينية أي تقدير و لا اعتبار . " الى درجة أن أصبح إفشاء السلام بدعة و ضلالة ، و توريث المرأة خطيئة ، و تزويج طالب العلم القاه بالبيت الى التملكة ، لا يتأصر الحالم على شيء من الحق ، اذا خالف أهواءهم ، بل تعلق عليه معارضة و مطاردة و اخراج ، و كثيرا ما كان يلقي مصرعه قتلا أو اغتالا . " (2)

هذه حال الطبقة الساحقة من المجتمع الإسلامي بصفة عامة و الجزائري بصفة خاصة في عهد مفسرنا ، و لئن تقبر عن الحالة المزرية التي بلغها هذا المجتمع نتيجة عصر الانحطاط ، و مساعي الاستعمار ، لكن سنرى بأنها - أيضا - فترة مخاض بالنسبة للنهضة الفكرية التي سننتعرض إليها فيما يلي :-

**3) الحال الفكرية .**

تميزت الحالة الفكرية في عصر الانحطاط بالجمود و الركود و نتيجة لتدهور الأوضاع السياسية و الحالتين الاقتصادية و الاجتماعية ، و قد ساهم الاستعمار في اخساد جذريهما .

و ما هو معروف أن حياة المسلمين الفكرية متربطة ارتباطا وثيقا بالدين

(1) حركة التبشير ، الأمانة العدد 18 ص 22 .

(2) الشيخ بلعاج ، محاضرة ص 03 مخطوطة .

الإسلامي، فلو عدنا إلى العصور الذهبية لهذه الأمة لوجدنا أن العامل الديني لعب دوراً كبيراً ورئيسياً في إقامة صرح حضارتهم واثراء الحياة الفكرية في مجالات مختلفة نتيجة لحرية التفكير السائدة آنذاك، ولما أصيب تفكير المسلمين بالمقم، ومال إلى التحوجر، واكتفى بإقتفاء الآثار مجتري السابقين دون محاولة إثرائه ومواصلة السير به قدما نحو التجديد والتقدم أخذت الحياة الفكرية تسير نحو الإحباط والتسفل، فإذا كانت شهادات المؤرخين تؤيد انتشار مراكز التعليم المختلفة عبر أرجاء العالم الإسلامي، ومنها الجزائر فإن هذه المراكز لم يتعد دورها تعليم طلبتها العربية، وبعض العلوم التي هي أقرب إلى التراث منها إلى العلوم التي تروض العقول على التفكير والابتداع وتساير التقدم الحضاري الذي أخذت الإنسانية تصرفه، وقد ساهمت في ذلك مناهج التدريس المتبعة في هذه المراكز، والتي تعتمد الشرح والحفظ، وتقديس كل ما هو قديم، فأخذ الفكر الإسلامي واللغة العربية التي هي وعاءه يفصلان شيئاً فشيئاً عن حياة المسلمين وواقعهم، فأصبح الدين الذي كان روح هذا المجتمع يتخلى عن دوره القيادي ومسايرة تطور الحياة، فوجد الناس صوفاً لفهم تراث سابقهم فكيف بأثرائه، وعزفوا عن الإفتراق من مناهل الثقافة، فأبشر الجهل، وأحصرت الثقافة في نخبة قليلة وفي ميادين محدودة لا تفي بحاجته المجتمع، فاعتلى منبر القيادة الثقافية عناصر ساعدوا على نشر البدع والضلالات، بوعي أو بغير وعي، ومما زاد اللطين بثه الظروف الاقتصادية المصعبة التي مر بها العالم الإسلامي نتيجة أنظمة الحكم المهرثة، مما اضطر كثير من طلب العلم إلى مفارقة مقاعد الدراسة والاتحاق بميادين العمل لمساعدته أسرهم على سد الرق. (1)

ولهل أحسن من وصف الحياة الفكرية في هذه الحقبة من التاريخ التي سبقت الاحتلال الفرنسي للجزائر أبو القاسم سعد الله والذي يرى أن العلوم الشرعية تميزت بالتقليد والتكرار والحفظ قلها نجد فقيها اجتهدوا واستقل برأيه بل كان التقليد الأعشى ديدان معظمهم ويرون أن: "من شذ عن هذه القاعدة عزل أو اتهم بالتكفير والزندقة" كما يحزوا جمود الإنتاج الفكري إلى المميزات السابقة التي تكاد تنطبق على جميع العلوم والفنون، إلى أن بلغ الأمر بالرحالة الأجانب إلى اتهام علماء الجزائر بممارسة

(1) نهضة الجزائر الحديثة 1/249، 250 د / سعد الله محاضرة في تاريخ الجزائر

السحر والشعوذة؛ لا سيكفا في الميدان الطبي. (1) ولا يعني هذا أن العالم الاسلامي كله استسلم للذوم العميق بل نجد شخصيات دينية تولت حمل مشعل الاصلاح وحاولت احياء الفكر العربي الاسلامي، وتجديده فقادته حركات اصلاحيه مثل حركة الوهابية، والسوسية وغيرها، وقد تركت في المجتمعات الاسلامية بصمات واضحة ومهدت للحركات الفكرية والسياسية التي عرفها عصر النهضة وبيّن بجلاء عز الدين أنسر هو "أول ثقافتهم الدينية في قوله"، "قدم الدين أول الحوافز لبعث المجتمع، فلقد قامت جميع محاولات الاصلاح التي تمت قبل القرن التاسع عشر على أيدي نفر من رجال الدين، وكان المصلحون الدينيون أشد أدرا بين جميع القوى والتيارات العاملة للاصلاح". (2) و إذا حاولت شخصيات مقنونة في الجزائر بعث مجد الأمة، هو اصلاح المجتمع فإن أثرها لم يتجاوز ميدان التأليف، وأبداء بعض الآراء الاصلاحية، ولحل الظروف المحيطة بهم، هي التي جعلتهم يسلكون منهجية مناسبة لها في الاصلاح والتمثولة في اعداد الجيل عن طريق التعليم وتزويده بمواهب تحمل أفكارا جديدة وثقافية سلفية منقحة، وتبسيط العلوم.

"فلأخذ" كما اذ لك عبد العزيز الثميني (3) باعتبار حركة مفسرنا امتداد لحركة هذا المصلح هو قد ذكر أبو القاسم سعد الله عاملين أساسيين توجهها حياة هذا المصلح ووجهه "جديده" هو يمثل أحدهما في "مآراه في مجتمعه من الفساد والعصبية وانتشار بعض البدع الضارة، فحز كل هذا في نفسه وعزم على تغييره بجميع الوسائل" (4)، وتصدي هذا المصلح للعودة الى الاصلاح جلب له الأذى مما اضطر في الأخير الى عزل الناس والتفرغ للتأليف، بعد أن مارس التدريس هو قد ترك مواهب لغات قيمة وأشهرها (كتاب الليل) الذي أصبح عمدة المذهب الأباضي في المغرب العربي (5).

فمذا نموذج للحركة الاصلاحية التي سبقت عهد الاحتلال، ولم تتصل ببعيد ولا قريب بالنهضة الأوروبية، فقد كان مصدرها المجتمع والبيئة المحيطة بها، التي كانت السبب الرئيسي في الدعوة على الأوضاع المزريه بمحاولة تغييرها، وكانت تمثل حركة دينية خالصة واستمدفتاحيا للعلوم الدين، ونشرها في الأوساط الشعبية عن طريق تجنيّد الطلبة واعداد المؤلفات والوعظ والارشاد، فوجد المؤلف في مقدمة كتابه النيل

(1) د / سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 2/ 09، 10، 11، 41.

(2) بجلاء عز الدين العالم العربي ص 95.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي 2/ 72، تاريخ الجزائر العام 3/ ص 580، 581.

(4) د / سعد الله ن. م. 79/2.

(5) تاريخ الجزائر العام 3/ 581، 580.

يصف حالة العلم في عهده قائلاً: " ومن أن العلم قد أدبرت أيامه ، وانطمست  
اعلامه ، وسدت مصادره ، ومنعت موارده " ثم يصور ما كان يعانيه في قوله " مع ما  
أد ابد و أتجرع من الزمان غصصاً " الى أن يقول مبيناً الغرض من تأليفه للكتاب : " رجاء  
من الله سبحانه وتعالى أن يرفع به كل من قرأه ، أو حصله أو سعى فيه شي منه كل  
وقت من بعد عصره " وعلق الشارح محمد بن يوسف أطفيش على الصبارة الأخرى محتملاً  
في تفسيرها وجددين أحدهما هو : " إشارة الى أن أهل العصر لا ينقادون له ، لأن  
أهل كل عصر لا ينقدون لعالمهم " . (1)

فهذه شهادت المؤلف على ما كان عليه العلم في زمانه ، وعلى ما كان يتحمل  
أهله من أذى في سبيل نشره ، كما توضح لنا الغرض من اهتمام هذه الكوكبة الأولى  
على التأليف والتصنيف ، والتي تأمل أن تترك للخلف ما يبيير طريقه . . . لكن لم تتبلور  
هذه الحركة السلفية الأولى حتى استولى الاستعمار الغربي على العالم الإسلامي ، لا سيما  
الجزائر فحاول أن يخمد هذه الشعلة المضيفة ، ويخلفها في مهدها قبل أن تستفحل  
و تضيء طريق الأمة الضالة ، وتمهد يها الى سبيل الخلاص ، فاستغل كل الوسائل المتاحة  
لاخماد كل بصيص من نور يظهر هنا أو هناك ، وقضى على كل مركز أقيم لنشر المعرفة  
أو للمحافظة على مقومات هذه الأمة ، بل حول بعضها الى مراكز مساعدة على التفتتيل  
مستغلاً نفس السلاح الذي كان من المفروض أن يوجه ضده ، ولم يكتف بذلك بل جند  
كل ما لديه من الوسائل والخبرات لتضييره ، وتجريده من دينه و لغته ، فشجع على  
تكوين طبقة مضللة ، تشرف على قيادة هذه الأمة ، انطلاقاً من أهم مراكزها الحضارية  
كالمساجد و الزوايا ، وكرد فعل لهذا التيار الهدام الذي وقف وراء المستعمر  
قصد تشويه الدين و اللغة و تقاليد هذه الأمة ، واطهارها في صورة منفردة ، بروز تيار  
اصلاحي ديني اجتماعي الذي تمثل في الحركة السلفية الجديدة التي تزعمها في  
العالم الإسلامي جمال الدين الأفغاني ، و حمل مشعلها - بعده - الشيخ محمد  
عبده ، وفي الجزائر ظهرت حركة موازية لها ، ومن وادها مفسرنا محمد بن يوسف  
أطفيش (2) و ان لم تبلغ درجة التأديرات التي بلختها الحركة بالمشرق فهي عبارة عن  
حركة تجديد لا تختلف كثيراً عن سابقتها إذ واصلت عملية بحث التراث الإسلامي ،  
و محاولة تجديده و القيام بتكوين نخبة تتولى فيها بعد نشر آرائها ، ومن مميزاتهما ،

(1) عبد العزيز الثميني كتاب النيل وشفاء العليل 1/ من ص 19 - 24 شرحه محمد بن يوسف

(2) أطفيش .  
أسسور الجنددي الفكر و الثقافة المعاصرة ص 28 .

محاولة مواهجة التيار المعاكس المتمثل في حركة المحافظين و المقلدين الذين ووتوا ثقافة عصر الإتحاط بمحاسنها و مساوئها ، و غدي أقدارها المستعمر و لم ينج هذا الأخير رغم شراسته ، و مراقبة تحركاتهم من الحملات التي وجهوها ضده ، و سنشير الى بعضها عند تعرضنا الى مواقف مفسرنا .

و بموازاة هذه الحركة المتشعبة بالثقافة العربية الإسلامية بواسطة علماء على بعض مظاهر النهضة الأوروبية، برزت نخبة جديدة مزدوجة الثقافة ، تكوّنتم من مدرسي الثانويات المزدوجة اللغات (فرنكو مئزلمان) و حرجيها ، و أخذ دور النخبة القديمة يتقلص شيئاً فشيئاً (2) في القرن التاسع عشر، و أن ظهرت الحركة السلفية في شكل جديد أكثر تنظيماً و استعداداً للمقاومة في القرن العشرين يمدل الاتجاهين السائدتين في القرن الماضي فما يضمن في هذا البحث هو الطابع الفكري الذي يميز تلك المرحلة التي عاش فيها مفسرنا و هي مرحلة انتقالية بين العهد العثماني الذي أخذ نجمه في الأقطار، و العهد الاستعماري الذي يحاول أن يبسط ثقافته في مستعمراته ، فوجد الطابع التقليدي يطغى على الثقافة العربية الإسلامية، يتجلى في أنواع العلوم التي كانت تدرس و طريقة التدريس المنتهجة، و هي طريقة تقليدية أو القائية تعتمد الفهم و الحفظ بهذه المنهجية ساعدت على تعطيل القوى العقلية المبدعة ، و أضفت على هذه العلوم هالة من التقديس بالنظر الى السلف، بنظر الكمال ، و إلى الخلف بنظره النقص ، و ان الأوائل لم يتركوا علماء من العلوم و لا فنا من الفنون إلا قتلوه بحثاً و تصنيفاً ، و لا يمكن للخلف في أية حال من الأحوال وهم دون المستوى أن يتجروا على الإجتهد و الابتكار فهذه الفترة التاريخية امتداد لطور التقليد الذي عرفه عصر الإتحاط و ان كان بعض العلماء المتهورين حاولوا بحث الثقافة العربية الإسلامية ، وهم يمثلون نواة الأولى لحركة الأحياء ، و من أهم الأسباب الداعية الى ذلك ، محاولة المستعمر الصليبي الحقود طمسها و بالأضافة الى الضعف الذي عرفته هذه الثقافة قبل الاحتلال ، مما أدى ذلك الى ظهور البدع و المكررات . و ان حاول المستعمر ، كما دته ، حصر هذه الحركة بالقضاء على المراكز التي كانت مصدر الإشعاع و تحويل بعضها الى قوتها مضادة ، لكن رغم ذلك بقيت بعض هذه المراكز محتفظة على كيانها و قوتها ، ولعبت دورها في تخريج رجال قادوا الحركة ، و ارتقوا بها الى مرحلة التجديد ، بفتح باب الإجتهد على مصراعيه ، ولحل معهد مفسرنا أحسن مثال لهذه

(1) الحركة الوطنية الجزائرية / 2 ص 39 ، و من 64 - 69 .

الحركة هو سيتجلى لنا ذلك من خلال بحثنا لا<sup>١</sup>فأرأى مفسرنا في فصل خاص.  
وهذا التيار أخذ ينتقل بفضل احتكاكه بحضارة الغرب وصراعه معها الى مرحلة  
التجديد التي أشرنا اليها سابقا، غير أنه اصطدم بحقائق، تعدلت في الاستعمار  
أولا، ودوره معروف لدينا وجلي، والجهت المضادة الثانية في حزب الجمود  
والمحافظين، أما التيار الثالثي جئده المستعمر فكان يشكل خطرا على هذه  
الحركة، وقد اعتبره محمد البهي من الوسائل الرئيسية التي استعملها المستعمر  
لأضحاق المسلمين في اسلامهم، وهذا التيار يمثل في نظري في "قيام بعض مفكري  
المسلمين بحركة تقدمية في الاسلام تبغي تقرير سلطة المستعمر وتثبيت ولايته  
على المسلمين من الوجهة الإسلامية" (1)

فهذه الحركة أخذت أشكالا ورموزا مختلفة ففي الجزائر مثلها الداعون الى  
الإندماج، وتقديس الفكر الغربي (2). وان كان هذا التيار لم يشكل بعد كيانا  
خاصا في هذه المرحلة الا أن بوادره أخذت تظهر وتقوم بالدور المنوط بها،  
بتشجيع من المستعمر، الذي يمثل هذا التيار احد نتائج سياسته الثقافية،  
التي كان يرمي بكل وسائله الى تحقيقها. (3)

وهذه الجهات الثلاثة، الاستعمار الصليبي والجمود، والتخريب، واجهتهما  
الحركة السلفية مستعملة كل امكانياتها قصد إثبات وجودها في الميدان، وتحصين  
الأمة من الانحلال والتفكك والتخريب، ومن هذه الامكانيات.

(1) غروس الوعظ والأرشاد في المساجد والنبوادي وكل مناسبة.  
(2) فتح الكتاب والمعاهد لأعداد الرجل المسلم القوي، المحمتر بشخصيته والتمسك  
بدينه، لمواصلة حمل مشعل الاصلاح.

(3) احياء التراث، ومحاولة تبسيطه، وتجديده.

(4) اصدار مجلات معبر عن آرائها، ونشرها في ارجاء العالم الاسلامي.

(5) تشجيع مراسلة العلماء واستفتاءهم في الأمور المستجدة.

(6) تبادل البعثات العلمية.

(7) تقليد المناصب الحساسة لأبواب أمام الاستعمار وعلائمه.

وهذا الصراع ساعد علماء المسلمين على الوقوف في جبهة واحدة، فاذا كانت الظروف

الظرف لم تسمح لهم باللقاءات فإلما لم تمنعهم من إقامة اتصالات تكن طريق

(1) الفكر الاسلامي الحديث ص 21.  
(2) الفكر والثقافة المعاصرة ص 148، 149.  
(3) ن ٢٠ ص 133 من 184.

المراسلات وزيارة بعض العلماء واللقاء في مواسم الحج هو التنويه ببعضهم في مؤلفاتهم وحقائقهم الدراسية.

وفي هذا الجو السياسي والاجتماعي والفكري، رأى مفسرنا نور الحياة، وترعرع فيه هو ناضل بما أوتي من موهبة ومصروفات وجرأة ستتعرف في الفصل التالي إلى العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته، وأهملتها لتحمل رسالتها في مجتمع عرف هجمات شرسة، وبلغ درجة قصوى من الإحطاط.

## الفصل الثاني :

حياته : في غضون سنة 1236 هـ الموافق لسنة 1820 م رأى محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش التور في هذه الحياة يوماً أن بلغ الرابعة من عمره حتى فارق أبوه الحياة وتركه يتيماً ، بين أحضان أمه ، فتحملت هذه الأختيرة في سبيل قوت عينيها ، كل أنواع أتعاب الحياة و شمرت عن ساعد يها ، لتوفير الأمن الغذائي له ووقايتة من قساوة الطبيعة والحياة ، وهذا شأن الأمهات اللواتي تتعدن أزواجهن في ذلك العصر فتجدن في مناسجهن خير عون لمقاومة نوايب الدهر . وقبل خروج الولد للوجود كان أمية والديه ، وكأنا يريان فيه البديل في تحقيق غايتهما المتمثلة في الرقي الى درجة العلماء الصاملين (1) ملكن المحيط الذي نشأ وترعرع فيه الابن مليء بالمراقيل ، والموائق ، مما يتطلب لمن يريد أن يتصدر هذه الأمة ، امتلاك استعدادات خاصة هو مؤهلات واسعة مناسبة مع تعقيد الأوضاع والظروف الصعبة ، وعظمة المهمة ، ولحل السؤال المتبادر الى أذهاننا هو : ما هي العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية المفسر لتستطيع بلوغ درجه النبوغ في هذا المحيط المحقد ؟ وفيما يلي سنحاول التعرف الى هذه العوامل ، وأترك واحد منها في رسم ملامح شخصيته التي تركت آدارا واضحة ، وإيجابية في الأمة .

عناصل نبوغه :

أ. عوامل : بينا .

ينحدر المفسر من سلالة مشهورة بالعلم ، والذكاء ، فقد كان جده محمد ابن عبد العزيز علامة عصره و مرجع الفتوى ، كما نبغ علماء كثر يرون في عائلته فاجتمعت في الولد أسباب النبوغ الوراثية من الفرعين المشتهرين بالعلماء والمصلحين . ويقول المفسر معتزاً بنفسه ومفتخراً به :

محمد بن يوسف عيسى	*	نجل كرام ساد وكيسى
فجدنا هو الولي ابن الولي	*	ابن الولي ابن الولي الممتلى
إذا أرادوا فصل ما لم يرد	*	عدوهم قالوا له ابرق وأرعد

(1) نبضة الجزائر الحديثة / من ص 291 — 296 محمد بن يوسف أطفيش الذهاب

الخالص ، ترجمة المؤلف بقلم أبي اسحاق ص : أ .

(2) الذهاب الخالص ترجمة المؤلف بقلم أبي اسحاق ص / ب .



قد صَّير الله الخدود منهم \* نعالنا حين أبياعنهم... الخ (2)  
فاذا كان للعامل الوراثي تأثير كبير في شخصية الإنسان باتفاق معظم علماء النفس، ويترك هذا العامل بصمات واضحة في النواحي المختلفة: الجسمية، والمقلية، والوجدانية، فانبأ نجد لهذا العامل اثرا بارزا في شخصية مفسرنا، فقد كان له ذكاء، ثاقب، وذاكرة ممتازة ساعده على حفظ القرآن وهو ابن الثامنة من عمره، ونظم كتاب المنبى لابن هشام في خمسة آلاف بيت وعمره لا يتجاوز السادسة عشر، ولما بلغ العشرين من عمره ارتقى إلى أكبر عالم في وادي ميزاب.

كما أن لبنيته القوية التي وهبها الله له دورا في تحمل متاعب الدراسة، والتدريس فقد كان يتمتع بجملة جيدة، وبصر حاد حافظ عليه إلى أواخر أيام حياته، وهذا الكمال الجسمي والعقلي ساهم في تكوين شخصيته القوية الواقفة من نفسها، والخالية من مركبات النقص التي تقف في الغالب عائقا أمام التمر الطموح إلى شق طريقه نحو العلى.

وقد يكون للعامل الوراثي - أيضا - نصيب في مزاجه الشخصي، إذ عرف بدماؤه أخلاقه والاعتزاز بنفسه، وسنور أدر ذلك واضحا في مواقفه ومواقفه الجريئة فغير أن هذا العامل ينمو ويتهدب إذا تعهدده عامل آخر، هو أكثر تأديرا في شخصيته الإنسان وهو عامل التربية بنوعيهما المقصود وغير المقصود.

#### ب. عامل التربية:

وسط المفسر العائلي والاجتماعي عاملان لا يستهان بهما في تربية شخصيته فقد غمره والداه بالحنان والعطف، رغم وفاته والده المبكرة، غير أنه تلقى رعاية كبيرة من والدته باعتبارها أمل حياتها، وثمرته علاقتها الزوجية، ومما زاد من حبها له ما ظهر له في ابنها من علامات النبوغ المبكرة.

كما أن لمواقف والده الأصلحية، أثرا في اتجاهه، إذ كان في نظر محمد علي دبور: "من أنصار النهضة الحديثة الكبار، وحماتها الشجعان، نازل أتباع الفساد وأنصار الجهل والبدع من بني يسقن حتى ضاقوا به ذرعا هو أرقوه بالأيدي".

(1) الذهب الخالص ترجمة المؤلف بقلم أبي اسحاق ص/ب.

وتأمروا على قتله ، فما جرأني غداية فأقام فيما مدنا " (1)  
فلا شك أن لهذه المواقف أثرا في شخصية المفسر رغم صغر سنه ، ويزداد  
هذا الأثر كلما ذكر بما ، وعند بلوغ درجة الوعي والنضج ، فإنها بما يحيطه الذي  
لا زال يشكو الآفات الاجتماعية المختلفة التي عرفناها في الفصل الأول من هذا  
الباب ، فيأخذ - حينئذ - إزاءها موقفا واضحا ، ويسعى إلى تغييره ، مواصلة  
لمسيرته والده في القضاء على التخلف والإحراف الديني ، ثم أن الإنسان كائن اجتماعي  
اجتماعي يتفقا عمل مع محيطه ، فإذا كان هذا التفاعل هو محاولة تغيير هذا المحيط  
والوقوف في التيار المضاد له ، فلا بد من التعرض إلى الصعوبات ، والمجابهة ، وقد  
يصمد أمامها انمر فيخرج منتصرا ومكتسبا تجارب تزيد لشخصيته قوة وثباتا  
وهذا ما وقع بالفعل لمفسرنا ، وهذا هو الصك الذي مر عليه الرجال العظام  
في المراحل التاريخية ، وقد يصاب المرء إذا لم يقو على الصراع بالصدمة  
الحنيفة فينهار .

وهناك عامل تربوي آخر ساهم في بلوره شخصيه المفسر ، وتعديد ملامحه  
وهو تعليمه وثقافته ، فقد أدخل الكتاب في سن الخامسة لحفظ القرآن الكريم  
وتعلم القراءة والكتابة ، ولم يبلغ الثامنة من عمره حتى حفظ القرآن الكريم و  
استظهره ، وهذا النبوغ المبكر دفعه إلى الاستزادة من العلوم العربية الشرعية ،  
ولفت أنظار أساتذته فأحاطوه بالرعاية والحنانية ، وهو لا إلا أساتذة هم تلاميذ  
الشيخ عبد العزيز القمني صاحب كتاب النيل ، إلا أن ثقة التلميذ المقرط به نفسه  
نتيجة العوامل بسيكولوجية ، جعلته سريع الاستيعاب فلجأ إلى الاعتماد على نفسه  
في الاستزادة من طلب العلم ، فانكب على المطالعة ، لأن أساتذته لم يشقوا عليه  
لاؤقاتهم الضيقة ولقله بضاعتهم الحلية .

ولما رجح أخوه إبراهيم بن يوسف أظفيس من عمان ومصر حيث أتم دراسته  
العلمية ، اقطع للتدريس ، ووهب نفسه لنشر العلم في وطنه ، فوجد فيه المفسر فرائد  
المنشودة ، فتلقى على يده مختلف العلوم المحروقة في ذلك العصر كالتفسير  
والحديث والفقهاء وأصول التشريع ، وعلم الكلام وقواعد اللف والبلاغة ،  
والعروض والمنطق ، والحساب والفلك ، كما درس عليه سير الرسول صلى الله عليه  
وسلم والخلفاء الراشدين ، ولحل هذه الدراسة تحتبر إحدى قنوات اتصال

بمقابلة الشرق العربي، وإحدى النوافذ التي أُطلِّق منها على هذه الثقافة وربما على أوضاع المسلمين هناك، باعتبار أن الاستاذ في الغالب يتعرّض في دروسه إلى تجاربه في الدراسة وإلى أحوال بعض أساتذته الذين تأثروا بهم ودرس عليهم . وكانت لهذه الدراسة الشرعية اللغوية أثرها البين في شخصية المؤلف الثقافية واتجاهه ونظراته إلى محيطه، غير أن عمق هذه المفسر لم تجد في هذا المصدر ما يروي عطشها من المعرفة، ولم يسعد ما الحظ للانتقال إلى حاضرات العلم الإسلامي، فاستجد بمصدر آخر الذي هو الكتاب، هذا التمديق الذي لم يفارقه تاييلة حياته، وكانت الصداقة بينهما حميمة، تجاوزت كل التصورات فشغف بمطالعة كل كتاب يقع بين يديه وبن لم يكف بذلك فأخذ يستطلع الكتب والمخطوطات التي تزخر بها مكتبات المنطقة وسان وكل مكتبة يبدو إليها سبيلاً. (1)

وقد نلاحظ بوضوح في مؤلفاته العمامية الواسعة، وأثرها في طريقة التأليف ومنهجية البحث، وحتى في نظراته إلى بعض القضايا حتى ليخال للعالم أن الكتب كانت المصدر الأساسي والوحيد لدراسته .

وفعلا كانت الكتب أهم مصدر ثقافي له، فقد وجد - مثلاً - في مكتبة أخيه وأستاذه الشيخ الحاج إبراهيم بخيته وتكون بها نفسه، هذه المكتبة التي تضم كتباً نفيسة جلبها من الشرق العربي بعد عودته منه . (2) كما استفاد من مكتبة أستاذه الشيخ الحاج محمد أنيسار المحاضر للمفسر، وأحد تلاميذه الشيخ عبد الحزيب (1130هـ = 1232م) هذه المكتبة الزاخرة بنفائس الكتب التي أهديت إليه من عمان (3) وغيرها من المكتبات التي تحتوي على مؤلفات قديمة ومعاصرة من تأليف أساتذته أو مشائخهم . وقد ترك صاحب النبل مؤلفات قيمة كانت مرجعه . (4)

ومما تقدّم يتضح لنا أن المفسر من بين العلماء الذين بلغوا هذه المرتبة العلمية المرموقة بفضل التثقيف، وقد ساعده على ذلك عاملان أساسيان :

- (1) همزة الجزائر الحديثة 1 / من ص 298 - 306 / التفسير ومناهجه عند علماء الأباضية .  
محاضرة من 15 / الشيخ بلحاج ، محاضرة من 4 / عبد الرحمن باكلي ، محاضرة من 02 ،  
معجم أعلام الجزائر من 19 ، 20 / لنفس المؤلف ، معجم المفسرين 2 / 658 .
- (2) همزة الجزائر الحديثة 1 / 285 .
- (3) ن . م . / ص 284 .
- (4) ن . م . / 272 - 277 .

عامل ذاتي يتمثل في قواه العقلية وكما مال ببيته الجسدي ، وعامل خارجي ، وهو توفر المكتبات التي كانت من نتائج الحركة العلمية التي مهدت لنهضته وكان أبو زكريا يحيى بن صالح الأفضلي ( 1120 هـ ، 1223 م ) رائداً لها . (1)

وكما أن هذه الحركة هيأت له الجوامع الملائم ، والمساعد على طلب العلم على الرغم من انتشار مظاهر الجهل والتخلف في وسطه ، مما أصبح مغزوماً بالمطالمة وشغوفاً بما إلى درجة أن أضحت همه الوحيد ، واستولت على معظم أوقاته . ومن العوامل التربوية التي تتأثر في الأئمان ، ولكن الدراسات لا تولي لها أهمية عند تعرضها لحياة كاتب أو مؤلف ، رغم اعترافنا بأدوره في توجيه شخصي ما إلى وجهة معينة أو على الأقل ترك بعض الأثر في سلوكاته ومن هنا ينكر أساتذته وأعجابه بهم ، باعتبارهم ممن يتولون تربيته ، وتوجيهه ؟ فمهما حاولت البرامج الدراسية ، والمناهج المقررة توجيه التربية إلى أهداف محددة ومرسومة ، فإن الأستاذ أو المربي بصفة عامة من جملة العوامل المؤثرة في تربية الأئمان ، فجدده يتخذ أساتذته قدوة ومثالاً ، لا سيما إذا تحلوا بشخصية قوية ومؤثرة ولها وزنها في المجتمع ، ومعظم أساتذتنا مفسرينا إن لم نقل كلهم يمتازون بهذه الصفات ، ولذلك لا نستبعد تأثيرهم في تلميذهم سواء في تصرفاته أو في مواقفه وآرائه ، ولعل هذا العامل هو الذي جعل مفسرينا يواجه الهجمات والصحوبات في سبيل إصلاح المجتمع إيماناً منه بأنه يواصل مسيرة أساتذته ومتأسياً بهم ، ولعله - أيضاً - من العوامل التي ساهمت في اكتساب شخصيته القوة والجرأة ، والورع ، وبعض الصفات التي خولته لأن يتصدر قيادتنا الأئمان . كما أننا نجد أثر تربية أساتذته في تفتح مفسرينا على العالم الإسلامي ، وتخطيه حدود الوطن الضيق ، والروية المحدودة إلى الدعوة إلى توحيد صفوف المسلمين والوقوف مع الحركات الإصلاحية والمقاومات المسلحة ضد المستعمرين . وكان لسفره وتنقلاته بفرض تأديته تربية الحج أو لاقاء دروس الوعظ والأرشاد أثر بليغ في تكوينه ، والتصريف بشخصيته ، فقد اتصل بعلماء العالم الإسلامي وتناذر مع بعضهم وتعرف بهم (2) كما ألقى دروساً في الحرم الشريف ،

(1) ن.م. أنظر ترجمته في ص 254 .

(2) صدقي محاضرة ص 14 تاريخ الجزائر العام 451/4 .

و جلب بعض الكتب منها ، كتب الحديث التي ساعدته على تأليف كتابه ( وفاة الضماني )  
و ( جامع الشمل ) في الحديث باعتراف منه . ( 1 )

وقد لبي دعوه أحد علماء عصره الشيخ محمد بن أبي القاسم ( 1239 هـ ، 1315 هـ )  
فزار معهدَه التماهل و ألقى درسا في مسجد زاويته . ( 2 ) وكانت له رحلات الى  
بريان و القساره و بوجلان منتظمة لارشاد الأمة ، ( 3 ) فمذه الرحلات زادت معرفته  
بالتطبيقات الأجنبية ، وساعدته على الاتصال بمختلف تادات المنطقه .

ولعل العامل الذي أكسبه القسوة ، وأهله للقيادة هو تصديه للجهد  
و الإستهمار بروح طوره ها الايمان و الوقتة بالنفس ، فمذا العامل هو الامتحان الذي  
يجتازه كل شخص يريد أن يقتحم العقبات للوصول الى مركز القيادة و شهادة  
أثبتت أهليته مفسرنا و زكته .

هذه هي عوامل نبوغه ، التي صمرت شخصيته و أعطت لها ملامحها المميزة  
و في الفقره التاليه تتضح لنا هذه الشخصية من خلال مواقفها و جهادها  
ضد التخلف و الإستهمار .

- 
- 1 محمد بن يوسف أطنيش التيسير / 800،799 .
  - 2 نهضة الجزائر العدد 71 / 1 أنظر ترجمته الشيخ محمد بن أبي القاسم في  
نفس المرجع من ص 56 — 31 .
  - 3 ن . م . من ص 340 — 349 .

أول جبهة ناضل فيها المفسر برواجه فيما خصاً عبداً ، لقي منه الأذى واستنفذ جهوداً ووقته ، هي جبهة التخلف والجمود ، المتمثلة في طبقة المحافظين التي نصبت نفسها محامية الدين والدافعة عن التقاليد الموروثة غير القابلة للتغيير والتعديل ، وكل من حاول أن يتصدى لتحديها أو إبطال ما يتنافى معها مع الشريعة الإسلامية السمحاء ، يقف هذا التيار ضده ، يحاربه بكل ما لديه من الوسائل .

وقد وصف مفسرنا هذا التيار بالفلو والعباد هو تقديس القديم وإن تعارض مع الكتاب والسنة فقد كانت معه معارك طاحنة ، هجولات تجسمها مؤلفاته التي تصور لنا بصدق معتقدات هؤلاء وتصرفاتهم ، ومواقفه الشجاعة والجريئة ضد هم ، فمثل في كتابه ( القنوان الدانية ) يقول عن هؤلاء الذين أصروا على الأسرار بسجدة التلاوة : " إنما أدى بهم الفلوقى اعتقاد الأسرار والتمسك به إلى أن قالوا : نحملها بالقرآن والسنة ، وإما بما في الديوان ، قالوا أو اعتقدوا أن الديوان في هذه المسألة مضاد للقرآن والسنة ، وإنما يجب العمل بما بالديوان وإنما بالقرآن والسنة . " (1) -

و يمضي في نفس الكتاب يتحدث عن تصورهم لدور العالم في المجتمع ، فهم يريدون منه : " أن يعبد ربه بكتمان علمه ما لم يحتج إليه الناس هذا لفظهم ، يتوهمون أنه لا يلزم العالم أن يأمرهم وينهاهم حتى يطلبوه ، وإنما ما لم يطلبوه لا يلزمه الأمر والنهي . " (2)

ولصد كل دعوة للتغيير والتصحيح ، يستعمل هؤلاء كل الوسائل بما في ذلك إثارة الفتن ، ثم يمزون ذلك إلى الحركة الإصلاحية ويقول المؤلف في ذلك مبيناً سلطتهم على المجتمع : " تذكرت أنهم يقدرون لو جهرنا بما لقامت الفتنة وليس كذلك لأن القائلين ذلك هم أفراد متقدمون على العامة ومثيرون للفتن ، موقدون لما لكرامتهم الجمهور بما ( أي سجدة التلاوة ) فلو تركوا إدارة الفتنة لم تكن الفتنة ، لأن العامة وسائر الطلبة متقادون . . " (3) .

1) محمد بن يوسف أطفيش ، القنوان الدانية ، ص 48 .

2) ن . م . ص 66 .

3) ن . م . ص 25 ، 36 .

ولا يتورع هؤلاء عن تهديد معارضيهم باللجوء إلى المستعمر لعقابه، وزجره بالسجن و دفع غرامة مالية، ويفهم ذلك من قوله: "أد أهم الخلو إلى أن قالوا من جهر بأية من آيات السجود مكانه للنصارى يحسونه، وأخذنا منه دراهم معدودة عقوبة له" (1).

تتضح لنا من النصوص السابقة طبيعة من سماهم المومل ف بأهل البدعية، فهم شديد التمسك بكل قديم ولو خالف القرآن والسنة، ويرون آراء من سبقوهم بنظرة التقديس، فلا يحاولون فهمها فهما صحيحا، ولا يتجربون على نقدها لتبيان الخطأ من الصواب، وهذا الاعتقاد لا زال معشما في عقول بعض علماء المسلمين فضلا عن عامةهم، فكل ما جاء به أمام من أئمة مذهب ما غير قابل للمناقشة والنقد، وإعادة النظر، فهم يرفضون كل فكر تحرري، يدعو إلى عرض أفكار السلف الاجتهادية على الكتاب والسنة ومصادر التشريع المختلفة، لنبد كل ما يتعارض مع مبادئ الإسلام، وتحقيق وحدة المسلمين على أساس الأصول الثابتة والصحيحة، وهذه الطائفة تنتم التيار الاصلاحى بإثارة الفتن وتثريق كلمة المسلمين وتشتيت صفوفهم مع أن الحقيقة والواقع - هم الذين يحركون العامة الجهلة، لا إثارة الفتن، قصد مواجهة التيار الاصلاحى، ومجاوبته، وقد يلجأون إلى استعمال وسائل خبيثة لقمع هذا التيار كاستماتهم بأعداء الإسلام والمسلمين، إيماننا منهم بالمثل القائل "أن الغاية تبرر الوسيلة".

إزاء تصرفات هؤلاء نجد المفسر في مدا فحه ورسائله، يشتكي من وطأتهم، ومعاناته، فغراه في هذا المدبح مثلا يقول :-  
والمرء في الدنيا يعيش عذابه \* لحياته في الجاهلين وحسد  
ويفضل العيش في البرية مع الذئاب المأوية على معاشرته هؤلاء ويقول في ذلك :-  
ولا أن يعيش المرء في برية \* سرحا تها يمضي من العصر الصدي  
أولى له من أن يعيش معاشرًا \* لكلا ب أبناء الزمان الأوسد  
لكن المفسر تهمون أمامه كل المصائب ما لم تكن في الدين .  
هانت مصائب من أصيب سون التي \* في الدين أو موت النبي محمد (2).

(1) ن . م . ص 74 .  
(2) محمد بن يوسف أدائيش كتاب مجمع القوائد ص 27 .

وفي رسالة الى علماء عمان خاصة، نقراً شكواويه من قومه كالجواب الذي وجهه  
الى الشيخ عبدالله بن حميد السالمي رداً على طلبه في استنساخ بعض الكتب فيقول  
فيها: " الا أن النسخ هنا بأجرة عالية . . . والناس لا يعينونني في ذلك ولا يمدونني  
في ايقاف الكتب" ويقول في نفس الجواب مبرراً سبب نسيانه الاجابة عن بعض  
الفتاوي: " لكثرة الأشغال والأعمال" (1) وفي رسالة أخرى يشتكى من عدم  
مساعدة قومه له قائلا: " لا يفي في قوم لا يقومون بي " (2) .

فهذه الرسائل وأمثالها تحمل الينا صوراً صادقة عن معاناة المفسر في مجتمع  
يسود فيه الجهل والتخلف، والتعصب للقديم، ومحاربه كل تجديد، ولا يعبأ  
اهتمام للعلم والحماس وقد أدى بهم الأمر الى نفيه من مدينته فأقام في مدينته  
بنورة، كما تعرض لمؤامرة قتل دبرها له هو "الجاهل" (3)  
ولكن المفسر - رغم ذلك - لم يستسلم، ولم يلبس في مواقفه الشجاعة التي تعبر  
عنها مؤلفاته، وتصور لنا صراعه مع أهل البدعة على حد تعبيره، مجتداً الشباب  
بتوعيتهم ودعوتهم الى نشر أفكاره الاصلحية، فنجد مثلاً - لمواقفه المتصلبة  
التي لا تصرف هوادة في الأمر بالمصروف والنمى عن المنكر في اجابته رداً على  
قولهم: " لو طوعناك في الجهر (سجدة التلاوة) لطلبنا بأشياء أخرى نريتها عن  
أشياء أخرى " فيرد عليهم المفسر قائلاً: " ان المطاوعة منكم في الحق لا تسقط عن  
الأمر والنهي لكم والواجب علي أن أمركم بالخير وأنهاكم عن الشر قصد الخير  
لكم ولي و أمر نفسي وأنا ما قبلكم هو لست أعاملكم بترفع ولا بتحقيق بل أداء  
للاوجب عليكم أن تفرحوا بي وتقبلوا مني " وقد رد عليهم حين لا موه على ارسال  
الشباب للجهر بأى سجدة التلاوة مع السماح له بالجهر بما : أفلم لا يقبلون الحق  
من الشبان وان كان باطلا فلم يقبلونه مني " .

ما يفهم من هذه الردود أن المفسر أولاً كان يترفع عن هذه الطبقة الشاذة  
في نظره رغم انكاره لذلك وعلى الأقل هذا ما كان يعتقد الطرف الآخر، وثانياً  
كان يحث الشباب على مجابته هو "لا"، وفرض أفكاره في الواقع، ولا يخفي المفسر  
كرهه لهؤلاء، فيصرح لهم بذلك مبيناً السبب: " أما بغضتكم لوجه الله عز وجل

(1) محمد بن يوسف، أطفيش (كشف الكرب) 1/06 .

(2) ج. م. 1/11 .

(3) مضمرة الجزائر الحديث 1/332 - 337 .



لتعد يكم حدود الله بترك فروض واثبات بدع."

وفي الأخير يعلن القطيعة بيري أن الاختلاف واضح بين الجماعة المؤمنة له وبين الطبقة الجاهلة التي تدارس العامة لتحقيق مأرب خسيئة بالاستيلاء على مناصب المسجد الذي كان ولا يزال يملك السلطنة والنفوذ على المواطنين في وسط المفسر، والتصرف في أمواله ويقول في ذلك: "وكيف اجتمع أنا وأصحابي اجتماعاً صحيحاً مع العامة والوفاء والجملاء. وهم غصبوا المسجد وماله على أمته." (1) ويستوحي المفسر مواقفه هذه من إيمانه بدور العالم في المجتمع ومسؤوليته في إصلاحه، ويقول رداً على أولئك الذين يرون أن مسؤولية العالم تقتصر على الإجابة على طلبات الناس فقط. وليس كذلك فإنهم إذا أخطأوا أحق فقد احتاجوا إلى العالم ولو لم يطلبوه، ولو لم يعلموا أنهم أخطأوا ولزمه الأمر والنهي، ولو لم يعلموا بخطئهم ولو لم يطلبوه." (2)

والمفسر يرى أن مسؤولية الفرد المسلم في المجتمع تتطلب منه الإدماج فيه والسعي إلى إصلاحه، وأن تعرض إلى الأذى ونفهم ذلك من قوله مجيباً من سأله عن تفضيل المخالطة أو العزلة: "وما سألتما عنه إلا اشتغال بأمر المسلمين علماً أنه أولى من الإفراد لكن مع حمل الأذى من الناس ومعالجته." كما يرى أن الإخلاص في العمل مساعد على تحمل الصعاب وعلى اجتياز العقبات ويمضي قائلاً: "وإذا قوي إخلاصكما سهل عليكما الأذى فتجدان راحة في قلوبكما تصلان معها إلى التعلم والتعليم." ولا يعذر من يتخوف من الوقوع في المعاصي في مجتمع انتشرت فيه بيري أن عليه: "مخالطة الناس ونفهم أولى من الاعتزال، وأن خفت في ذلك معصية فجاهد نفسك بالمعصية." غير أنه يرى أن من عجز عن اتقاء المعاصي، لضعف شخصيته وعدم استطاعته الصمود فعليه بالإعتزال، ويتضح رأيه هذا من قوله: "فإن لم تكن طاقة على مخالطتهم إلا بالمعصية فهذا عجز فاعتزل" (3). وإيمانه بوجوب إصلاح المجتمع، جعله يسلك طريقتين في إصلاحه فتارة يرشده

(1) القنوان الدانية ص 70، 71.

(2) ن 40 ص 66 (بخطهم).

(3) كشف الكرب 1 / 106، 107.

ويوجهه و اذا اقتضى الأمر بعودت الضرورة الى مجابهة العناصر الفاسدة لا يحجم عن ذلك، بل نجده ينتقد بشدة بعض فتاوى العلماء<sup>336</sup> و يبين ضعفها ، وينكر عليهم سكوتهم عن كثير من البدع التي تقع أمامهم ، ومجاراتهم للعامة . " (1)

ولغرض القضاء على هذه البدع ، وايجاد حلول شرعية للمتجدات يدعو المفسر الى الاستفادة من أحد أهم مصادر التشريع الذي هو الاجتهاد ، يرد على من يدعي غلق باب هذا المصدر قائلا : " فان باب الاجتهاد والترجيح مستمران بشرطهما وهو صحة عقله واستكمال الآلات ذلك . " (2) باعتبار أن الاجتهاد وسيلة من أهم وسائل القضاء على الجمود والتخلف الذي عرفه العالم الإسلامي نتيجة التقليد الأعمى ، كما جابه هذه الوضعية المزريّة بحملات التوعية في دروسه (3) ومؤلفاته بقصد محو صور الفساد من المجتمع ، والعودة به الى منابتها الأصيلة والى عموده الأولى التي عرف فيها الأزد هار و الرقي في ضوء التعاليم الإسلامية .

غير أن المفسر اعترضته عقبة في سبيل اصلاح المجتمع ولولا ما لحقق خطوات عملاقة هو هذه العقبة تمثلت في الاستعمار الذي كان يقف وراء كل بدعة ، وخرافة ، مشجعا التيار المحافظ على الاستمرار في قيادته ، ونشر أفكاره الرجعية ، لكن المستعمر لم يسلم أيضا من هجمات المفسر وتحدياته ، وهذا الموقف تجاهه نابع من عمق ايمانه وقسوة عقيدته كيف ذلك ؟ وهذا ما سنراه في الفقرة التالية .

موقفه من الاستعمار وعملائه :

تفاعل المفسر مع الأحداث التي جرت في عصره ، تفاعل المسلم الواعي ، والمؤمن بالمصير المشترك بين المسلمين ، هو تتبع بكل جوارحه المعارك الطاحنة ضد الحملات الاستعمارية على بلدان العالم الإسلامي ، وكان " كثير الدعاء بالنصر للأمة الإسلامية على من يناوئها ، شديد الرغبة من وجود الجماعة الإسلامية ، ويرى من الواجب أن يكون الإسلام في عز وأمله في منحة يورس أن كل ما يلم بشعب إسلامي

(1) نمط الجزائر الحديثة 336/1 .  
 (2) ان لم تصرف الا بأذنية سي عقي ص 128 .  
 (3) نمط الجزائر الحديثة 346/1 .

كائنا من كان من الأرهاق ، فهو نكبة أصابت الأمة لما في ذلك الشعب من التوحيد  
والإلتساب الى الدين الاسلامي الجامعة العامة . " (1)

فهذه شهادة أحد تلاميذه بن استاذة لموقفه الواضح والعدائي للمشركين  
وتعاطفه مع المسلمين في أي بقعة من العالم ، فهذا الموقف ناتج عن وعيه المبكر  
لاغراض المستعمر الدنيئة وعن كرمه الشديد لأعداء الاسلام ، واذ بصور هذه  
الاعراض في قوله ردا على من يزعم ويعتقد أنه جاء لنشر المدنية : " ومن كذلك  
قولك أنهم جاؤوا للتمدن والتأديب بل جاؤوا لأخذ الأموال والتملك ولزمتك على  
ذلك أن علماء المسلمين وعامتهم منا ومنكم عارون عن الأذب يشبهون السودان  
الممران حتى جاء المشركون يؤدبونهم ويعلمونهم وذلك خطأ . " (2)  
تجد مفسراً لا يثق في المشركين ، ولا يحسن الظن فيهم وقد تفتن لمكائدهم  
ومشهم للمسلمين ، وسحبهم وراء مصالحهم ، فقد هجا من ظن فيهم الخير بقوله : " هذا  
رجل مخذول ظن الخير في المشركين ، وأمر الناس أن يظنوا فيهم بعنف من لا يظنه  
فيهم " الى أن يقول : " وأما مشاهدتنا السوء في صنائعهم هكذا اجمالاً بقطع النظر  
من أنهم قصدوا بذلك السوء الخشام قصداً ومصالحهم فقط ، فلا يحصى عدد هم الا  
الله . " (1)

ومن هذه النظرة الواعية الى المستعمر ، واليقظة المبكرة ، ومن ايمانه العميق  
بعداوة المشركين ، يواجه مفسراً هذا العدو والندود بمختلف الأشكال والأساليب  
المواتية له ، فنلاحظ في " تأليفه كثير التفرغ والاستطراد للحط من تلك قيمة  
المشركين والكفار والدعوة لهم بالخبيثة والخذلان وسوء المصير ، ويقوم بذلك  
أدباء التدريس " (4) .

كما يهاجمهم عن طريق المراسلة ، كلما سنحت له الفرصة بذلك ، مستغلاً الحوادث  
كحادثة قتل أحد وزراء الحكومة الفرنسية ، فوجه الى أحد حكاتها رسالة شديدة  
اللمحة وما قال فيها : " لقد تمادى بدم قتل المسلمين وتجرائم عليهم فكان الله  
يراقبكم وأصبح وزراءكم يقتلون في الطرقات كالكلاب . "

(1) الذهب الخالص ، ترجمنا المؤلف بقلم أبي اسحاق ص / ج .

(2) ان لم تصرف ، الأباضيه يا عقيبي ص 111 ، 112 .

(3) ن . م . ص . 99 .

(4) حلي بكبير ، مفاضرة ص 03 .

وقد حاول المستعمر استدراجه وترضيته بتلبية كل طلباته اذا رضى به ، لكن عقيدة المفسر كانت اقوى و اشد صلابة ، فتظهر في رده على هذه المحاولات بقوله :

" لا اطلب سوى رحيلكم من هنا " (1)

ولما تبين للمفسر أن أوضاع المسلمين لا تسمح بإعلان الجهاد ، وأن الصنف لا يجدي هو " لا " وهم في مركز القوة ، محاول أن يستعمل أساليب أخرى ، فلما توالت دمارها ، لكن دون جدوى ، ومن هذه الأساليب قوله ناصحا المستعمر : " اذا عدلتم فسيديم ملككم و اذا اعدتم سبيل الظلم فسيؤول ملككم الى الزوال كما زال غيره " اجابة عن سؤال وجهه إليه حاكم استعماري لمحررة رأيه في الاستعمار . (2)

وقد تناول عن مطالبه الشخصية مقابل مطالب تعود بالفائدة على المواطنين ، وذلك حين نجح في حل لغز عرضة عليه السلطة الاستعمارية بعد عجز الجميع عن حلّه و تمثّلح هذه المطالب فيما يلي :

" الرفق بأهل التوحيد بأن يسقط خراجهم أو ينقص منه ، وأن يلزم مهم الحكم بالعدل ولا يمددوهم على الجور و أن لا يفسدوا أكنحتهم " . (3)

وفي رسالته الموجهة الى السلطان عبد الحميد يظهر اهتمامه بقضايا العالم الاسلامي و تخوفه من استيلاء الاستعمار عليه ، لا سيما على البقاع المقدسة ، فيدعو فيها الى " ابطال طريق الجرارات و مركب النار ، وترك تهيدده و يقول متوسلا : " الله الله في ذلك فان تهيد الطريق لمركب الجرارات و مركب النار تسهيل لدخول الملك الملحد اقليم المدينة بل حريم المدينة و مسجده ، الله ، الله في ذلك ، ولا سيما أن ذلك اما يتصور بأيدي المنكوبين الملحدين لا نهم أعرف بسياسة الطرق ، " ثم يمضي مبينا خطر هذا العمل و قبحة في حق الاسلام و أي شريقي لم تفعله فسي تلك البقاع أو ب ضما فأى حظلك يبقى في الاسلام و أي شريقي لم تفعله فسي الاسلام ، " ثم يبين أن المشروع لو يعرض عليهم لا تجزوه بأموالهم و لما تأخروا عن التحجيل في تنفيذه ممددا أياه بأد تقام الله منه أن أقدم على هذا الفعل . (4)

1 ان م . م . ص 07 ، نمرة الجزائر الحديثة 1/330 ، 331 .

2 حني بكير ، محاضراته ص 07 .

3 محمد بن يوسف أطفيش ، رسالته الشافية ص 132 - 134 .

4 محمد بن يوسف أطفيش رسالته مخطوطة في مكتبة بني يسقن بخطيد المؤلف توجد عندي نسخة منها .

والمفسر لا يواجه الاستعمار فحسب بل يصوب سهامه - أيضا - نحو مذابحه، الذين افتروا بمكائده هو حاولوا تزيينه للناس وفي رده مزاعم هؤلاء الصملا ينتهز الفرصة لزالمة القناع عن وجه الاستعمار هو ابراز نواياه السيئة فيقول مثلا نفسي مستهل رسالته التي ردّ فيها على المتعبي: "أما بعد فهذه نصيحة لمن مال قلبه ولسانه وجوارحه الى قوم (وهم الا جانب حكام الجوائر) و صار يمدحهم ويحببهم الى الناس ويصد الناس عن اجتناب جاسمهم ويدعوهم الى الحكم بطهارتهم على الاطلاق" (1)

فمما كان تحاول المفسر على خضمه ، فاننا نلاحظ كرمه الشديد للمشركين، ودعوة الناس الى اجتنابهم ومقاطعتهم ، والابتعاد عن تقليد الوظائف في حكمهم الا عند ما تقتضي الضرورة ذلك ، كما باحته لتلاميذه تقليد مناصب القضاء خوفا ممن تعيين من ليس أهلا لها فيهما . (2)

وفي رسالته ( حكم الدخان والسحوط) كشف المفسر عن مساعي المستعمر الخبيثة في سبيل اضعاف المسلمين ، والقضاء عليهم ، بتبيان غرض الانجليز من نشر هذه الآفة في البلاد الاسلامية اذ يقول : " و ذكر بعض من خالط الانجليز أنهم ما جلبوه لبلاد الاسلام الا بعد اجماع اطباهم على منعهم من ملازمتهم . . فمنعهم من مداومتهم وأمروهم ببيعهم للمسلمين لأضرارهم وأن قلت الانكليز لازموا استعماله ولم يذكروا فيه علة ، ولا ضرا قلت يحتمل كتمهم ذلك توصلا لتعزير أهل التوحيد بسلب أموالهم وتضييع صلواتهم و اتلاف أبدانهم وأرواحهم" . (3) ولم تخف على المفسر مكائدهم في اثاره الفتن و تفريق صفوف المسلمين حيث يذكر في رسالته ( ان لم تعرف الا باضية يا عقبي) حادثة وقعت في ورجلان دبرها مشرك لأشغال فتيلة الفتنة بين المسلمين . (4)

كما تصدى للرد على الحملات التبشيرية التي جددتها الحركة الصليبية للتشكيك في الاسلام ومصادره ، فقد ردّ في رسالة سماها ( قذ المين على أهل الفج )

---

(1) رسالة ، ان لم تعرف الا باضية يا عقبي ص 08 .  
 (2) ن . م . ص 113 ، نمضة الجزائر الحديثة 378/1 .  
 (3) محمد بن يوسف أطفيش ، رسالة في حكم الدخان والسحوط ، ص 44 ، 45 .  
 (4) ( ان لم تعرف الا باضية يا عقبي ) ص 130 .

على الأتجليزي المنكر للقرآن و الطاعن فيه ، مبينا في مستهلما بخضه و حقه  
 للمسلمين ، ودرره التخريبي في تشكيك سكان تونس في ذلك : " فكان ذلك الأتجليزي  
 يشكك الناس في تونس بولا أعلم أنه يومٌ ذر فيهم تشكيكه . " (1)  
 و مفسرنا لم ينج من وسائل الترهيب و الترهيب التي يسلطها - عادة - المستعمر  
 على خصمه ، فقد ذكرت الروايات بأن السلطات الاستعمارية اعتقلته محين عارض بشدة  
 دخول الفرنسيين لؤادي ميزاب و تحداهم بقولته المشهورة التي سبق ذكرها . (2)  
 كما أهدوا له وساما تقديرا لمكانته العلمية ، ولكن المفسر لم يحبا به هولم يقيم  
 له وزنا مثلما هو الشأن للوسامين اللذين أهداها له سلطان عمان و الدولة  
 العثمانية . (3) و قد حذرت السلطة الاستعمارية حين بحث رسالة استنكار شديدة  
 اللمجة إلى الوالي العام بالجزائر لما عزم هذا الأخير على هدم الجامع الكبير  
 بالاصطن (4) .

والمفسر ينظر إلى المشركين نظرة احتقار ، و يخاطبهم مخاطبة الواثق بنفسه  
 و الممتز بشخصيته و عقيدته ، و يتضح ذلك من جوابه لمؤثر المستشرقين و رفضه  
 لدعوته قائلا لهم : " خبروني هل من بينكم ابن عباس ، و جابر بن زيد و أضرابهما  
 أولا ، فاني لا أجالس ولا أساجل سواهم " (5) .  
 و قد بلغ المفسر درجة الوعي ، و تتبعه للأحداث و الصراعات التي عاشها المالم  
 في عصره ، أن تنبأ - حسب روايات تلاميذه - في أواخر أيام حياته بوقوع هول عظيم  
 و هذا المول قد يكون الحرب العالمية الأولى التي اندلعت بعد وفاته بقليل .  
 و مما روي عنه كان " يقول بتأثير شديد جدا ، كاد ينقلب العالم و يحدث مول  
 عظيم ، يكرر ذلك و يقول : أنه على الأبواب و كأنه غدا . " (6) .  
 فمذه مواقف المفسر و نضاله ضد الجبهتين : جبهة الجمود و جبهة الاستعمار  
 فقد رأينا بأنه صارع التخلف و الركود ، كما أعلنها حريا شعوا على الاستعمار و عملائه

- 
- (1) محمد بن يوسف أطفيش نسخة من رسالته بخطوطه بقلم أحد تلاميذه ص 90 مكتبة بني يسقن  
 توجد عندي نسخة منها .  
 (2) انظر صفحة رقم 65 من هذا البحث .  
 (3) هذه الأوسمة الثلاثة احتفظت بها مكتبة بني يسقن مفضة الجزائر الحد يد ، 329 / 1 .  
 (4) ن . م . 330 / 1 .  
 (5) عبد الرحمن باكلي محاضرة ص 03 .  
 (6) الذهب الخالص ترجمة المؤلف بقلم أبي اسحاق ص / د .

مستعملا كل الوسائل المتاحة ، رغم صعوبة المهمة نتيجة لما آل اليه المجتمع  
الإسلامي ، فقد استطاع حمل لواء الإصلاح ، والاستماتة في سبيل مبادئه بقوة  
الحجة والبيان ، فلولا ه الاستطاع الاستعمار بمعونته أنصار البدع والجمود  
القضاء على الحركة الإصلاحية ، ولا تمتد عصر الجمالته والإحطاط عقودا  
زمنية أخرى على الأقل في مسقط رأس المفسرة .  
ومن بين الوسائل التي أعدها المفسر لخوض غمار المعركة ، وتهيئة الجيل  
للدخول فيها بقوة ، جهوده الكبيرة في التعليم والتأليف والتوجيه ،  
وسنرى في الفصل التالي آثاره في هذه المجالات الثلاثة .

## 1. آثاره في ميدان التعليم :

تخرجت علي يد المفسر نخبة من الطلبة، واصلت مسيرته الأصلحية في مختلف الميادين، وابتعث في الجزائر وقي بعض الدول العربية، فمهم من تقلد مناصب القضاء عملاً بنصيحة أستاذه خوفاً من تعيين المستعمر فيهما عملاً به، ونذكر من بين هؤلاء القضاة: بباكر بن الحاج مسعود بخرداية، الحاج يحيى بن صالح باعارة بملكية، الحاج بكير بن الحاج قاسم بقسنطينة وغيرهم ممن فطنت مناصب هذه التوظيفات في جميع مدن ميزاب وبعضها في الشمال الجزائري، وقد ترك معظم هؤلاء آثاراً حسنة، وكانوا في مستوى المهمة المنوطة بهم.

ومن تلاميذه من تفرغ إلى التعليم والتوجيه مساهماً في تربية الأجيال الصاعدة، وحاملاً لهما مشعل الإصلاح والطمح، نذكر من بين هؤلاء: الشيخ إبراهيم بن بكير حفسار، والشيخ يوسف بن بكير، اللذين توليا التدريس في المعهد الجابري ببني يسقن، وتخرج على يديهما أساتذة وما زال بعضهم يشغل إلى حد الآن مناصب مختلفة، كما تصديا للأفتاء والتوجيه في المساجد بمن أساتذته الشيخ إبراهيم بيوض أحد دعائم الحركة الأصلحية الشيخ الحاج عمر بن يحيى الذي تلقى دراسته في العلوم الابتدائية على أحد تلاميذه المفسر الذي هو الشيخ بباكر بن الحاج مسعود، ثم زاول دراسته الثانوية والثالثة في معهد المفسر. (1)

ومن أبرز تلاميذه الذين خاضوا معركة الصحافة، أحد رواد الصحافة الجزائرية إبراهيم أبو اليقظان، ومن الصحف التي أصدرتها، وادي ميزاب، المغرب، النور، البستان، البراس، الأمانة، الفرقان، ومن أدلى بدلوه في هذا الميدان أبو اسحاق إبراهيم أطفيش صاحب مجلة المنهاج التي أصدرها في القاهرة.

وهذه المجالات المذكورة كانت مساهماً حاداً على الاستثمار وعماله والتخلف والإحراق الديني، كما اشتركت في حركة التأليف، ومن مؤلفات أول المطبوعة

(1) نهضة الجزائر الحديثة / 1 من ص. 377 - 331.



والمداولة : سليمان باشا الباروني في أطوار حياته ، ديوان أبي اليقظان ، سلم  
الاستقامة ، فتح نوافذ القرآن ولديه - أيضا - مؤلفات مخطوطة لما تعرف بالنور .

(1)

ومن أبرز مؤلفات الثاني ، الدعاية الى سبيل المؤمن ، تحقيق تفسير القرطبي  
والذهب الخالص لمحمد بن يوسف أطفيش وشامل الأصل والفرع لنفس المؤلف  
وغيرها من المخطوطات التي لم تظهر للوجود . (2)

تأثرا بمواقف الأستاذ تجاه الاستعمار بخاض بعض تلاميذه المحركة ضده  
بالكلمة والجهاد وشاركوا في الحركات الوطنية ، وكانوا من روادها هو أكبر مثال  
على ذلك ، سليمان الباروني المناضل الليبي ضد الأستعمار الإيطالي ، والشيخ صالح  
بن يحيى المضد الأيمن لزعيم الحزب الدستوري التونسي القديم الشيخ عبد العزيز  
الدحالي . (3) ومن المساهمين في هذا الحزب أبو اسحاق ابراهيم أطفيش ، و ابراهيم  
أبو اليقظان ، وقد تعرض الأول للنفي ، وتلقى بعضهم أنواعا من التعذيب والأذى ،  
فقد كانوا شوكة في جسم الأستعمار ، وأعلاما مضيئة في الحركة الاصلاحية بالجزائر  
وبعض الأقطار العربية .

فهذه عينة من تلاميذه ، اخترناها من كل مجال ساهموا فيه ، لأن تتبع  
أعمال جميع تلامذة يحتاج الى دراسة مستقلة ، فالغرض من عرض هذه العينة هو  
بيان آثار هذا المفسر في تكوين جماعة من المثقفين والذين شاركوا في تمارك  
هذه الأمم ضد التخلف والأستعمار والجهل .

وقد نلاحظ من هذه العينة ، أن ثقافة المفسر أثرت في اتجاهها ، هي  
ثقافة شرعية أدبية ، لكن الطابع الشرعي هو الغالب عليها ، لذلك نجد أكثر تلاميذه ،  
قد تقلدوا مناصب دينية كالقضاة والتعليم ، والتوجيه والنوع ، فهذه الثقافة  
ظمرت - أيضا - آثارها في سلوكهم ومؤلفاتهم ، فوجد معظمها يطغى عليها  
الطابع الديني ، ولا تغلو مؤلفاتهم الأدبية من أثر هذه الثقافة ، وحتى مجلاتهم

(1) أنوار الجندي ( الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ) من ص 212 - 216 .

(2) أنظر ترجمته في أبي رأس عبد الله بن محمد الكاظمي ، أبو اسحاق ابراهيم أطفيش معجم  
أعلام الجزائر ص 19 .

(3) نهضة الجزائر الحديثة 1 / ص 280 .

التزمت بخدمة الجانب الديني أكثر من غيره ، وحين نستعرض المواد التي كانت تتضمنها برامج معهدة ، نلاحظ بوضوح طغيان الطابع الشرعي عليها ، فهذه البرامج تشتمل على المواد التالية : العلوم الشرعية من تفسير وحديث وتوحيد وفقه وأصوله ، والعلوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة ، والعروض وكان الأدب مدعماً لهذه المواد لاغير ، كما أن بعض العلوم الأخرى لا أهمية لها في البرامج تدريس كوسائل مساعدة لترسيخ المواد الشرعية ، وتوضيحها فقد خصص المفسر دروساً في المنطق والحساب لبعض تلاميذه (1) ، فكان من المنتظر أن يتخرج من هذا المعهد طلبة لا يختلفون كثيراً عن مثقفي العصور السابقة باعتبار برامجهم الدراسية ، والكتب التي كانت المعتمدة في التدريس ، فقد كان تفسير البيضاوي ، والزمنشيري مرجعين أساسيين في مادة التفسير في معظم الأحيان ، وفي الفقه كتاب الوضوح لأبي زكرياء ، والإيضاح لعامر الشماخي ، والنيل لصبد العزيز الثميني ، وفي التوحيد عقيدة اسماعيل الجبطلالي ، وكتاب الموجز لأبي عمار الكافي ، وفي علم الكلام كتاب معالم الكين لصبد العزيز الثميني ، وفي النحو يرجع المفسر إلى المؤلفات المتداولة في ذلك العصر (مثل الآجرومية والألفية وشرح ابن عقيل ، والمغني الخ . . .) وكذا البلاغة والعروض .

غير أن المفسر لا يتشيد بهذه المؤلفات ، فقد وضع كتاباً مناسبة لمستوى تلاميذه كما قام بتبسيط بعضها لتلائم الحصر ، ومن الكتب التي ألفها لهذا الغرض كتاب (التيسير) في التفسير ، وشرح النيل وشرح الوضع ، ونظم أرجوزة في علم العروض . (2)

ورغم جدته هذه المؤلفات ، فإنها لم تخرج عن المؤلف في الكتب المصروفة طريقة مضموتاً ، وربما تختلف عنها في ناحية البساطة والسهولة فقط . لكن الجوانب التي يمكن أن يكون لها تأثير في تلاميذه هي شخصية الأستاذ وطريقته في التدريس ، ومعاملته لهم . ومن خلال بعض مفاهمه في ميدان العلم والتربية والتعليم يمكن لنا القاء بعض الأضواء على الجوانب المذكورة سابقاً .

(1) ن . م . 1 / من ص 366 - ص 373 .

(2) ن . م . 1 / من ص 371 - ص 373 .

نجد المفسر يَصور لنا الصفات التي ينبغي للعالم أن يتحلى بها بصفتها معلم الناس ومرشدهم فيما يلي :- " على العالم أن يكون أعمل وأصبر وأعلى وأحمل للأذى هو أخضع وأبعد عن الكبر هو أحسن خلقا ، وأشكر لأن نعم الله عليه أكثر بذلك العالم ولأنه يقتدى به " (1)

استعماله لصيغ المبالغة دال على حرصه الشديد ، وإدراكه العميق لأهمية سلوك العالم ، الذي يعتبر في نظر غيره قدوة ، وبذلك يدعو المعلم إلى التخلي بالخصيصة المدالية التي تؤثر تأثيرا ايجابيا في التلاميذ ، فهذا التأثير نجده قد لعب دورا كبيرا في تصرفات تلاميذه لمفسر ، ومواقفهم تجاه القضايا المحاصرة لهم ، فهم شديد الكره للمستعمر وكثير التعاطف مع قضايا العالم الاسلامي واهل الحركات الاصلاحية اقتداءً بأستاذهم الذي تربطه بزعمائها علاقات وطيدة ، فقد اعترف مثلا بحلاقة بأحد رؤاد هذه الحركة في الشرقة الذي هو محمد عبده . في رده على العقبي الذي ما زال يؤمن بتنافر المدارس الاسلامية الفقهية ، والعداوة التي كانت قائمة بينهما وبين علمائها فيقول : " فتمم مؤلف هذا الكتاب محمد بن يوسف أطفيش الذي جاء العلامة الشيخ محمد عبده من مصر في شأنه الى تونس ، وأشار على أهل جامع الزيتونة أن يسألوه في المسائل الشرعية " ويرجعوا اليه في المشكلات ، فقال " انا نسأله من مصر وانتم أقرب اليه منا ، فقالوا نعم " . (2)

وهذا التقارب بين علماء مختلف المذاهب الاسلامية ظاهرة جديدة تخصصت عن الفكر الاصلاحى ، والوعي الدينى ، عاش المفسر هذا التقارب ، ودعا اليه ، فقد اعترف - مثلا - في نفس الكتاب بلقائه مع الشيخ ابراهيم حقي ، العالم التركي المؤلف على حد تعبيره و ابراهيم الرياحي التونسي الفقيه ، وكانت له مراسلات متصلة مع الخلافة العثمانية ، و سلطان زنجبار وعمان وغيرهم . (3)

فهذه العلاقات الواسعة ، وتفتحها على الأحداث ، ومحايشته لها هو شخصيته الحية تركت آثارا واضحة في بعض تلاميذه ، ولم يجدوا صعوبة في التكيف مع

(1) محمد بن يوسف أطفيش (شامل الأصل و الفرع) 06/1 .

(2) (ان لم تصرف الا بأذنيه يا عقبي) ص 13 .

(3) ن . م . ص . 17 ، 18 ، 31 ، 34 .

الحركات الأصلية في الجزائر وخارجها ومع الأحزاب السياسية، والانتفاضات الوطنية، فإذا كنا قد سمحنا لأنفسنا بتصنيف تلاميذه إلى قضاة وموجهين وأساتذة وصحفتين وسياسيين، ومصالحين، فإن ذلك من باب اشتراك واحد منهم بجانب معين، والا فإنا نجد قد ساهموا في عدة ميادين فمثلا سليمان الباروني الذي كان شاعرا ومؤلفا، ومناظرا، ولا يستبعد أن يكون قد مارس مهنة التعليم والتوجيه، وأن لم يشتهر بذلك، ويقال نفس الشيء عن أبي اليقظان إبراهيم وغيرهما. أما معاملته لتلاميذه فتبرز من خلال هذا المثال الذي ضربه لتبيان طريقة معاملته العالم للجاهل وذلك في قوله: "ويجب أن يكون مخاطبة الجاهل والعاصي معلمة للطبيب المريض، فإن الجهل طبع الأتسان والعلم حادث، فمن خاطب جاهلا مخاطبة تنفره لخلطه فيها أو لعدم علمه بكيف الأمر والنهي والتعليم فأصر بسببه أو زاد شرا أو بعدا عن التعليم كان شريكا للجاهل في ذلك، ولزمته التوبة أو إعادة خطاب صالح جبرا لما فعل". ويضي مشبها ذلك بمهنة الطب: "كما أن الطبيب إذا قصر في طبعه أو كان غير محكم للطب يضمن ما حدث به". (1)

يلاحظ من قوله: "أو لعدم علمه بكيف الأمر والنهي والتعليم" أنه يدعو إلى اختيار طريقة ملائمة وناجعة للتدريس، والتوجيه، وقد كان بهذا المفهوم يبذل كل جهوده لأقسام تلاميذه، وتوافقنا الأمر إعادة شرح الدرس وهذا ما يفهم من قول محمد علي دبوز رواية عن تلاميذه: "يشرح لهم الدرس حتى يفهموه وكان يعتني بضعفائهم فيسألهم، وإذا وجدهم لم يفهموا يعيد لهم الدرس مرارا بأساليب مختلفة حتى يفهموا". (2)

ويتضح من هذه الشهادات أن المفسر كان يراعي في تدريسه الفروق الفردية مطبقا في معاملته لتلاميذه مبدأ العدالة، باعتناقه بالضعاف، وعدم اهماله للمتفوقين والذين يظهرون ميلا إلى فن معين، فيخصص لهم حصصا يدرسون فيها ذلك الفن فقد كان على سبيل المثال: يدرس الأشموني في النحو والصرف لبعض تلاميذه الراغبين فيه أو لسليمان الباروني دروس خاصة به، كما كان تلميذه يحيى بن صالح باعصارة قاضي مليكة يدرس عليه كتابا في الأحكام لا يشاركه فيه غيره. (3)

(1) شامل الأصل والفرع 5/1 .  
 (2) بعضه الجزائر الحديثة 1 / ص 361 .  
 (3) ن.م. ص 372 374 .

فإذا كانت طريقة التدريس في معهده لا تختلف عن الطريقة السائدة في ذلك العصر فهي طريقة القائمت محضة تعتمد على الشرح والتوضيح، فإن شغف الأستاذ بالتعليم والمطالعة جعل تلاميذه يقتدون به، كما أن الجو الثقافي الذي ساعد أجداده المفسر في أوساط تلاميذه بتكليفهم باستنتاج الكتب، ونسخها، وجلبها وحركة التأليف الواسعة التي كان فيما قطب الرحي ساهمت في ترغيب تلاميذه في المطالعة ودفعهم إلى الاعتراف من مآهل العلم. (1)

ومن الأنشطة التي اكتسبت تلاميذه الثقة بالنفس، والخبرة، اصطحابهم في رحلاته إلى القنطرة وبران وورجلان (2). هذه الرحلات فكانت من الأطلاع على عادات الناس من أمثال شخصيتهم بما كانوا يتلقونه من عناية كبيرة وحفاوة بأشعة من مستقبلهم، بالإضافة إلى ما يمكن احتتماله من تعرض الأستاد في دروسه إلى مواقفه، واتصالاته وإلى الأوضاع التي يعيشها العالم الإسلامي، بحيث كان يدعو أدياء بعض دروسه على النصارى والمشركيين بالخزي وإلى المسلمين بالنصر في جمادهم. (3)

فجميع هذه العوامل ساهمت في تخريج نخبة من مثقفين وأصلوا - بالفلسفة - مسيرة أستاذهم الأصلاحية، وكانوا عناصر إيجابية في المجتمع، عاملين بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما كانوا حرياً على الاستثمار وعملائه والجهل والإحراف الديني، ومشاعل مضيئة في مسيرة هذه الأمة.

لكن من المعروف عن المفسر أنه لم يترك مهمة إصلاح المجتمع إلى تلاميذه وانتظرهم حتى يشبوا ليتولوا هذه المهمة، فقد شمر عن ساعديه، وجند نفسه للقيام بدور الوجه والمرشد في مجتمع أخذت الأمراض تفتك به متحدية كل الصواب، ومتحملاً جميع المشاق، مخلصاً عمله لله عز وجل.

وفيما يلي صور واضحة عن دوره في هذا المجال الحيوي.

(1) ن.م. 305/1، 306، 360، 361.

(2) ن.م. 342/1، 343، 344.

(3) ن.م. 332/1، 353، 354.

ايانا من المفسر بدور العالم في اصلاح المجتمع، واعتقاداً منه بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قام بإرشاد الطبقات الاجتماعية المختلفة، وتوجيهها الوجهة السليمة، وتوعيتها بمكائد المستعمر ومكره بوسائله لخلق الفكر الإسلامي ومحو اللفظ القريبية من الوجود، وكان فخوراً بتلقيه مجدد القرن ويفهم ذلك من قوله: " فقد عرفهم الشيخ عبد الله بن يحيى إذ جعلني المجدد، وسأل الله تصديق قوله وبارك له إذ قال في قصيدته له صدقها الله ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأرجو أن أكون مجدد أول القرن الذي نحن فيه " (1) والحق يقال أن المفسر قد قضى على كثير من الآفات التي يشكو منها المجتمع منها البدع التي لها صلة بالعقيدة والعادات اعتقاداً من ممارستها بأنها من الدين، ومن هذه البدع تقديس الأموات، والتوسل إليهم، واعتقاد البركة فيهم، فقد حصر طبقة كبيرة من المجتمع من هذا الشرك، وقضى على ظاهرة التمسول والزهد في الدنيا، ولعل هذه الظاهرة ناتجة عن المصائب أو الكوارث التي توالى على المجتمع الإسلامي، وقد ساعد على تشرها التيار المحافظ الذي تولى قيادته الأمية.

كما حمل حملات شعواء على بعض البدع التي اعتبرت من الدين بمرور الوقت وانتشار الجمل، فقد تمكن - مثلاً - من أحياء بعض السنن، كإفشاء تحية الإسلام والجمهر بسجدة التلاوة والتحرر من التقليد الأعمى لفتاوى السلف دون إمعان النظر فيها، وتعرضها على الكتاب والسنة، ودعا إلى التعامل في الميدان الاجتماعي والاقتصادي بمقتضى الأحكام الشرعية.

ومن الجوانب التي أولى لها أهمية خاصة، محاربة العصبية الجاهلية التي انتشرت في المجتمع الإسلامي بشكل قذير ومازلنا نعيش في عصرنا هذا بعض آدارها.

(1) (ان لم تعرف الأباضية يا عقي ص 18 .

و ألف بين المشائر المتناحرة ، وبين القرى المتقاتلة ، وسعى الى التقريب بين المذاهب ، ومحاربة التصيب التذمبي الممقوت ، داعياً الى اعتبار الدرر وحيد شحاراً جامعاً للأمة الإسلامية . (1)

وفي ميدان تربية الأطفال ، حاول القضاء على أساليب الزجر والصف ، والمعاملة القاسية ودعا الى تهذيب الطفل بالقُدونة الحسنة ، والمحطف عليه ، وأول كلام استعمل به حديثه عن حق الولد قوله : " وحق الولد روي (رحم الله والدا لم يحمله على شاق يعصّي بتركه ) " و ساق في نفس الفصل ما روي من جزاء عند الله لمن يدخل السرور في قلب طفل مهتماً بالأشئ . (2)

كما تعرض الى بعض الفتاوى فانتقد ما و بين ضعفها ، ويكون بذلك قد حرر الفكر من التقليد الأعمى والتسليم بكل فتوى صدرت من عالم ولو لم يكن أهلاً لذلك ، وأراعى في فتواه ظروفًا خاصة ، فقد كان في معظم دروسه يدعو الى نبذ الجهل والجمالة ، مبيناً أهمية العلم وضرورة تعلمه .

فلم يهمل أهم عنصر في المجتمع إلا وهو المرأة ، فقد اعتنى بها ، وسأهم في تربيتها واعدادها لتنشئة الأجيال الصاعدة في أسرة يتم فيها التعامل بين أفرادها على أساس الشريعة الإسلامية السمحاء .

فإذا كان المفسر لم يتوصل الى تحقيق جميع آماله وأماهيه في اصلاح المجتمع ، والسمو به الى درجة النضج ، فإنه على الأقل - قد هيا التربية لمن جاء بعده وواصل مسيرته الاصلاحية تحضيراً لمرحلة الاثبات من الاستمرار الصليبي .

وقد استخدم عدداً وسائل وطرق للقيام بهذا الدور ، من أبرزها الدروس التي كان يواظب على القاها في المساجد ودور العشاير وفي كل فرصة أتاحت له ، فقد كان مسجد بنورة في فترة نفيه ثم مسجد بني يسقن ومسجد مدن ميزاب ، وبعض مساجد مدن الشمال في طريقه الي البقاع المقدسة ، منابر يخاطب منها الجماهير ، ويرشدها الى الطريق السوي يويث فيها الوعي الديني والقومي ، مستشهداً بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وسيرة الرسول

(1) نهضة الجزائر الحديثة 1 / من ص 333 - ص 339 .

الذهب الخالص ترجمة للمؤلف بقلم أبي اسحاق من ص/ب الى ص / ز .

(2) الذهب الخالص ص 293 ، 294 .

صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح ، مؤثرا فيما بشخصيته الاجتماعية القوية  
وصوته الهادي ، وغزارة علمه ، بالأضافة الى اخلاصه في وعظه وارشادته .  
ومن الملاحظ أنه رغم اقبال الناس على دروسه التي كان يلقها في مسجد  
مسقط رأسه أو معهدة فلم يتنوا في تلبية دعوات المدن الأخرى ، فقد كان  
يقوم برحلات منتظمة الى بريان ، والقرارة ، وزار مدينة بوجلان وبعض مدن  
الشمال .

ومن مساعيه الدالة على ايمانه بتقارب المسلمين ، وتحطيم الجدار الفاصل  
بين المدارس الإسلامية المختلفة وعلماها ، زيارته لمعهد المامل تلبية لدعوة  
صديقه الشيخ محمد بن أبي القاسم (1) ، وارسال تلاميذه لتلقي العلوم في معهد  
الشيخ عبد القادر الجاوي (2) والقاوه دروسا في الحرم النبوي الشريف ،  
واتصالاته بعلمائه ، وعلماء جامع الزيتونة في تونس ، ومختلف الأقطار  
الإسلامية وتبادل الآراء معهم في المسائل الحلمية ، والتعليمية والأصلاحية . (3)  
وقد تمت هذه الاتصالات مباشرة وعن طريق المراسلات ، فكثير من رسائله  
التي احتفظت بها المكتبات أو جمعت في كتابه (كشف الكرب) بجزئيه تبرز مكانة  
المفسر في العالم الإسلامي حتى أصبح مرجعا للفتوى كما أننا نقرأ في  
بعض مؤلفاته اعترافات بعض هؤلاء العلماء وأعجابهم به وبغزارة علمه  
وقد جاء في احد رسائله ( ان لم تحرف الأباية ) ما نصه : " فقد عرفتم علماء  
الحرم أذروا تفسيرى ، وعلوا أنى أباضى واستحسنوه " (4) .

ومما يبرهن على غيرته على توحيد المسلمين ، واهتمامه بشؤونهم ومراسلاته  
الواسعة الى كبريات المدن الإسلامية آنذاك كمصر وقسنطينة والحجاز  
ودول المغرب العربي و عمان ، وزنجبار ، وبذلك يكون قد خطا خطوة عملاقة  
في سبيل التمهيد لتحقيق الوحدة الشاملة يوما بعد ذلك مشاركة تلاميذه  
في الحركات السياسية في العالم الإسلامي بدون مراعاة الانتماء المذهبي أو

(1) أنظر ترجمته في نهضة الجزائر الحديثة 1 / من ص 56 - 31 .

(2) أنظر ترجمته في ن . م . 1 / من ص 82 - 104 .

(3) ن . م . 1 / من ص 336 - 353 .

(4) ان لم تصرف الأباية يا عقبي ص 17 وفي نفس الصفحة أمثلة أخرى ، أرجع أيضا الى كتابه كشف  
الكرب بجزئيه ورسالته ( في حكم الدخان والسعوط ) تجد فيما نماذج حية .



الجهوي أو الحرقي ، فكل حركة دعت الى تحرير بلد اسلامي أو ضمّ شمل المسلمين الآ  
ووقفوا بجانبها ، وتحاطفوا محمداً ، ويل شاركوا عملياً فيها وفي سليمان الباروني وأبي  
اسحاق ابراهيم أطفيش ، وأبي اليقظان وصالح بن يحيى وغيرهم أمثلة حية . (1)  
لكن رغم كل ذلك فإن حركته الاصلاحية لم تتعدّ فكرة الرجوع الى الطريقة السلفية ، ولم  
يطبع النواحي التربوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بسّمات الحصر ، نتيجة عدم  
احتكاكه بالحضارة الأوروبية كما كان الشأن بالنسبة للحركات الاصلاحية التي ظهرت في  
المشرق أو في المغرب فيما بعد ، ثم نجد أنّ المفسر هاشم في فترة احتداد الصراع بين  
هذه الحضارة والحضارة الإسلامية فواجهتها بالرفض لكل ما جاءت به . (2)  
ولحل انتشار الجمل وقلّة الموهبات واهتمام المفسر بنشر العلم ، ايماناً منه بأهمية  
اعداد الأجيال القادمة ، جعلته يتفرغ الى التأليف ، ويركّز على هذا الجانب أكثر من  
غيره ، وفيما يلي سنحاول تسليطاً بعض الأضواء على جموده في ميدان التأليف مبرزين آثاره  
فيه .

### 3. آثاره في ميدان التأليف:

لحلّ من الدواعي التي جعلت المفسر يهتم بالتأليف ، ويفرغ فيه جهده منذ صغره  
إلى أن دنا أجله وهو إدراكه لأهمية الكتاب كوسيلة تثقيفية خالدة ومتنقلة ، واحساسه  
بالدقصر الذي يشكو منه هذا الميدان لا سيما المكتبة الاباضية في عصره بالأضافة  
الى ضعف المستوي الثقافي وصحوبة الموهبات التي تركها السلف ، أضف الى ذلك قلّة  
التصنيف في علوم من علوم ، لضياح كثير من الكتاب الموهبة فيه ، أو لعدم اهتمام السلف به ،  
وما دفعه الى ذلك - أيضاً - غيرته على الدين والحريية ، وهذا ما يفسّر تركيزه على  
العلوم الشرعية التي استحوذت على جزء كبير من موهبته ووقته .

وإذا تصفحنا بعض كتبه للمساغراض ، وبراعته على التأليف ، مثل قوله في مقدّمة  
كتاب (شرح النيسابور) : " هذا ثاني في تفسير عن النيسابور ، يشتمل على

- 
- (1) لمن يريد الاطلاع على أعماله هو "الجماد هم الرجوع الى دهرق الجزائر والحديث 2 / 30 .  
في اعلام الاصلاح في الجزائر 3 / 141 - 27 / أبو اليقظان / سليمان الباروني باشا / أبو  
رأس عبدالله بن محمد الكامل ، كتابه : أبو اسحاق ابراهيم أطفيش .
  - (2) في كتابه (إنّ تصرف الاباضية يا عبي) إشارات واضحة تدلّ على هذا الترفن .

ما أبهم كالسيل: " الى أن يقول: " واما ألفته لينتفع به الناس ويشغلوا به في العبادة" (1)

ويقول في رسالته ردا على من ظن أن كثرة الأسئلة تزعجه: " ولا تظنا أن الأشتغال بأجابتكما يثقل علي لا والله ولو كثر السؤال منكما لمزيد المحبة متى لكما ولقصد أحياء العلم " (2).

ويحدد فيما يلي رغبته في شركته وتداولها: " والله أي راغب في شركتي نفعا لكم ، وانتصارا على مخالفكم هو طلبا لثواب الله جل وعلا " (3).

وباعتبار المؤلف، أحد أعلام المذهب الأباضي في عصره أن لم يكن امامه الأول ، فمن الطبيعي يتولى في بعض رسائله الرد على خصوم هذا المذهب ، ايمانا منه بأنه أولى بالرد ، أو تلبية لطلب بعض علماء هذا المذهب مثل رده على الصفرية والازارقة وقد جاء في مقدمة هذا الرد . " سألني اخواني من أهل عمان وفقههم اللة الأشياخ الكرام العلماء أن أكتب لهم رسالتي في الرد على الصفرية والازارقة ، ومن هنا نحوهم لاستطالتم على المسلمين بالقتل والأسر والسبي والخمس فسأعتهم قصدا للثواب وموافقة لآخوان الدين والعلماء . (4) .

كما وردت عليه طلبات لشرح بعض المؤلفات القديمة كشرحه (الدعائم) لابن النظر الحماني تذكيرا لما فيه من صحوبة ، فيقوم المؤلف بتلبية هذه الطلبات ابتغاء وجه الله . ويفهم ذلك من مقدمة شرح الدعائم وما جاء فيها: " وبعد فان بعض النفوسيين ممن له حفظ واسع تفهم ذاقب ، طلب مني أن أفسر له الدعائم تفسيراً مختصراً جداً مقتصرًا على حل البيت هو أذكر بعد التفسير حاصلا وزيادة فاجبته لوجه الله عز وجل . " (5)

---

(1) محمد بن يوسف أطفيش شرح النيل 1 / ص 05 .  
(2) رساله مخطوطة من 08 توجد منها نسخة في مكتبي الخاصة .  
(3) كشف الكسرب 10 / 1 .  
(4) محمد بن يوسف أطفيش ( الرد على الصفرية والازارقة ) ص 02 .  
(5) محمد بن يوسف أطفيش شرح الدعائم 1 / 02 .

ومما يلاحظ في ردوده عبارات : اما تدل على تواضعه ، واحترام سائليه أو على صعوبة المهمة ، واختياره للقيام بها لا بُراز مقدرة العلمينة ، ومكانته بين أقرانه ، وتوجيه الإحتمال الأول أولى لما تلاحظه في ردوده على الرسائل التي ترد اليه من علماء عصره في مختلف المواضيع من عبارات التقدير والاحترام لهم . (1) كما يلاحظ الباحث في العلوم والفنون التي تناولها بالشرح أو البحث أو التحليل والنقد تركيزه على العلوم الشرعية ، واهتمامه بالفقه الأباضي ، كأنه يريد بذلك بحث فكر هذا المذهب من جديد باحثاً تراوده وتجديده ، وبيان مكانته بين المدارس الفقهية الإسلامية الأخرى ، وان لم يحمل بقية العلوم السائدة في عصره ، فقد ألف في التفسير والحديث والتوحيد والفقه وأصول الفقه والتشريع والبلاغة والحساب والتجويد والطب والتاريخ والنحو والمروض والفلاحة والفلك والتميزات والمنطق ، وترك تراوداً شعرياً في المدائح والوعظ وانتقاد البدع والدعاية إلى العلم ، ويمكن تصنيف مؤلفاته إلى ثلاثة أنواع .

- (1) مؤلفات من انشائه ، تبرز فيما شخصيته بوضوح .
  - (2) شروح لمؤلفات قديمة أو ترتيب لها ، وتمهيد لتلخيص بحصره ، وقد يخلق على بعض المفاهيم الواردة فيما أو يزيد فيما بعض الإضافات .
  - (3) شروح لمؤلفات بخرس تبسيطها فقط . (2)
- وتشتمل هذه المؤلفات على مجموعة من الرسائل تحتوي على الفتاوى وردود خاصة دافعا عن الإسلام أو مذهبه .
- وإذا تصفحنا هذه المؤلفات نجد - غالباً - ما يقتصر في صخره على الجمع وحشوها بأكثر عدد من المعلومات يستقيها من أمهات الكتب أو يطيب في الشرح دون التحقيق والتعليق والمفسر نفسه يصرح بذلك في إحدى رسائله الموجهة إلى عمان قائلا : " وفي عمان شرح لأمية ابن مالك وحاشيتا القطر والشذور ،

---

(1) أنظر نماذج منها في (كشف الكرب) بجزئيه أو في رسائله المخطوطة أو نسخها في مكتبته ببني يسقن .

(2) نهضة الجزل في الحديث 1 / من ص 313 - ص 320 بتصرف .

وحاشية شرح الأجرومية لأبي القاسم كلمن تأليف في حال ابتدائي في التعليم  
 رغبتني فيمن أكتار المسائل لا تحقيقها وأنا حينئذ مبتدئ" (1) .  
 ولحل ما يفهم من هذا النص - أيضا - تركيزه في هذه الفترة على التأليف  
 المدرسي، والشرح وفي بعض هذه الشروح يقتصر على التوضيح، ملتزما بالأمانة  
 العلمية، محترما آراء المؤلف وان تعارضت مع آرائه الخاصة وهذا ما يفهم من قوله  
 في مقدمة كتابه (تفقيه الغامر): "والذي أقصد في هذا الكتاب وأريد، نقل  
 ما وجدت لا أنقص ولا أزيد ولو استحق مني زيادة أو نقصا من حيث كونه معني أو  
 عبارة أو نصا على أن النسخ مختلفة، والمعاني غير مؤلفة". وفي آخر الكتاب يومد  
 هذا الالتزام ويبرهن أنه يضطر - أحيانا - لتصحيح بعض العبارات التي يمقتها  
 ذوقه: "قد سم... ما وعدته من ترتيب لفظ الشيخ العلامة عمنا موسى بن  
 العلامة الشيخ عامر بما وجدته في النسخ من العبارات الركيكة والعبارات الفاسدة  
 بدون تغيير لما يستحق التغيير، وبدون نقص لما يستحق النقص إلا ما لم يكن له وجه  
 صحيح رأسا، فربما لم أتمالك نفسي عن أصلاحه لنفوس طبيعتي عن العبارات  
 الركيكة بل الفاسدة" (2)

لكن نجده في مؤلفات أخرى يهتم بالتحقيق وتصحيح ما يبدو له خطأ،  
 وترجيح رأي أو نقصه، وروح <sup>بنزاهة</sup> علمية أساسا العقيدة الراسخة، ورائدها حب  
 خدمة العلم وتخليص مؤلفات قديمة من الشوائب ويتضح رأيهم في ذلك من  
 مقدمة كتابه (الذهب الخالص) يقول فيهما: "ومهما رأيت مخالفاً فعن عمود  
 أئتما" إلى أن يقول: "وكثيرا ما أصحح غير ما صحح في الأثر" (3).  
 وهذه منهجية في معظم المؤلفات التي وضعها عندما بلغ درجة الاجتهاد،  
 وهذا لا يعني لم يتهمجما مطلقا في صخرسنة، فمؤلفه (شرح النيل) الذي  
 ذاع صيته، واعتبره بعض الباحثين موسوعة في الشريعة الإسلامية (4)، يقول  
 عنه في مقدمته: "داني تفسير على النيل، يتسلسل عنه ما أبصم كالسيل، بخلاف  
 الأول فإنه طويل الذيل، ولم يتم وكلاهما في صخر السن" (5)

(1) كشف الكرب 1 / ص 119، 120 .  
 (2) محمد بن يوسف أطفيش تفقيسه الغامر فترتيب ابن عامر ص 03، ص 449 .  
 (3) نهضة الجزائر الحديثة 1 / ص 316، 317 .  
 (4) شرح الديسل 05 / 1 .

ومن جملة من توه بهذا الكتاب ، واضع تقديم الطبعة الثانية منه وما جاء فيه :  
" وكتاب (شرح النيل) من أجل كتب الفقه الإسلامي ، وهو من أممات كتب المذهب  
الاباضي المنتشر في شمال أفريقيا وغيرها من البلاد الإسلامية في عصرنا الحاضر"  
إلى أن يقول مشيدا بالمؤلف: " أما الشرح فأحاط من أجل علماء المذهب الاباضي  
أفاض الله عليه العلم والتفقيه في الدين وسلامة التعبير ، حتى إذا الشرح من السهل  
المتع ، يسهل على كل ظامى ، وروده والحب منه حتى يرتوي " (1) .

ويقول عنه أحد تلاميذه وابن أخيه وناشر بعض مؤلفاته : " ناهيك بشرحه على  
(النيل) فإنه من أولى الكتب الفقهية الإسلامية وأجمعها وأكملها تبييرا يقف مطالعه  
على مذاهب المجتهدين المشهورين وأئمة علوم الشريعة منذ عهد الصحابة " (2) .

وهذا الكتاب يحثه الباحثون من أبرز مؤلفاته المفسر ، وقد أشادوا به ، وإن  
كانت عباراتهم كما لاحظنا في التصيين السابقين دالة على المبالغة ، والمدح ويتجلى ذلك  
خاصة من صيغ المبالغة ، وهذا يتنافى مع النظرة النقدية الفاحصة لهذا التقدير أشبهه  
بعبارات الأسمار منها بحبارات التقدير الموضوعي المبني على الأدلة والحجج ، ومما يكن  
من أمر فإن هذا المؤلف يعد مرجعا أساسيا للمذهب الاباضي لا سيما في المغرب ، التزم  
فيه صاحبه طريقة قلما نجدها في مؤلفات أخرى ، فهي أقرب إلى الفقه المقارن لشمولية آراء  
المذاهب الإسلامية المختلفة في الموضوعات التي تناولها بالبحث والدراسة ، وهي طريقة  
المؤلف في أممات كتبه الفقهية منها مثلا : " شامل الأصل والفرع ، والذهب الخالص  
وغيرها " .

وقد ساعدت هذه الطريقة على بروز شخصية المفسر من خلال عرضه للآراء المختلفة  
وترجيح أصحابها في نظره وإن تعارضت - أحيانا - مع آراء علماء الأباضية محتمدا  
أدلة عقلية وعقلية فلنستمع إليه وهو يناقش قضية (جواز القياس) واختلاف

(1) (شرح النيل) تقديم الطبعة الثانية بقلم علي منصور 1/05، 06 .

(2) (الذهب الخالص) ترجمة المؤلف بقلم أبي اسحاق ص ه .

في القياس فقيلاً جائز موقيل لا موقيل جائز في التوحيد ، وقيل في الأحكام ،  
 والصحيح الأول وأنه حجة لقوله تعالى : ( وَأَقْرَبُوا ) (1) ، أي قيسوا الشيء " و يمضي  
 يسرد الأدلة ، محملاً الأدلة المعارضة على محمل مقبول قائلاً : " منعاً للمقياس  
 مطلقاً ، بل منعاً لقياس من يقاس مع ورود الأحاديث جاهلاً بما " (2)  
 وفي نفس الكتاب يستعرض المراحل التي مرّ بها في الاجتهاد قائلاً : " وقد  
 كنت اجتهد بالقياس على أصل أمامي ، ولا أكاد أصيب الا قولاً يوافق ما قلت والحمد  
 لله ثم انتقلت عن هذه الدرجة الى ما فوقها والحمد لله . (3)  
 ولعل الدرجة التي أشتهر اليها هي تجاوز أقوال المذهب هو التدرج منه الى  
 الاجتهاد المطلق ، لأننا فلاحظ في بعض مؤلفاته مخالفته ، لبعض جمهور علماء ،  
 الإباضية منها مد لا تعريفه للمنافق فيقول : " . . . والمنافق عندي من أظهر التوحيد  
 وأخفى الشرك ، وعليه أحمل ما ورد في القرآن ومن عمل كبيرة دون الشرك ، وقصره  
 أصحابنا على الثاني وقومنا على الأول " (4) .  
 والمؤلف ، سرّاً ، يسوق جميع آراء المدارس الإسلامية في مسائل الخلاف بأدلتها  
 المختلفة ثم يرجح الرأي الصحيح في اعتقاده وفي الخاتبة ما يكون هو رأي علماء  
 الإباضية ، على أنه لا يتعصب لهذا الرأي تعصب الأعمى بدون تبيان سبب ،  
 موافقته أو مخالفته — وهذا دليل على نزاهته ، ودعوته — عملياً — الى تحري  
 الحقيقة وهي خطوة محمودة في عهد ساد فيه التعصب ، وخطوة أولى نحو  
 الدعوة الى الرجوع الى مصادر التشريع الإسلامي الأساسية والتقارب بين المدارس  
 الإسلامية وهذه النظرة نلمسها بوضوح في مؤلفاته وقد تعبّر عنها في احد  
 رسائله الموجهة الى علماء عمان مجيباً عن بعض أسئلتهم : " ومن العجيب أن  
 تكون المسألة تحقاً فتترك لأنما جاءت من مخالف ، هذا فلو وأذكروا قوله تعالى في  
 غير أهل القبلة : " ولا يجر منكم شأن قوم " (5) . " (6) ويقول في موضع آخر :  
 " والحق يقبل ممن جاء به موافقاً أو مخالفاً وأعوذ أنا وأنتسم من تحريم الحلال " (7)

- (01) الحشر/02  
 (02) شامل الأصل والفرع 10/1 أنظر في المرجع القضية بالتفصيل -  
 (03) ن م . 13/1 .  
 (04) ن م . 26/1 يقصد بقوله أصحابنا علماء المذهب الإباضي وقومنا علماء المذاهب الأخرى .  
 لا سيما الأشعرية : (05) المأدب . 08  
 (06) كشف الكرب 95/1 .  
 (07) ن م . 96/1 .

ويبدو من إجابته أنه يريد على من آتبه على الرجوع إلى كتب المذاهب الأخرى ، وتأييد بعض آرائها ، فلذلك راح يبين صحة رأيه ، محتجا بمن سبقه من علماء الأياضية الأعلام ، ويقول : " إذا كانت المسألة راجحة من مذهبهم ولو لم تذكر في مذقبتنا هي حق ، فذكرها بلا نسبة إليهم أولى إذ ترأب بذكرهم ، وليست باطلة وفي القرآن ( الحق أحق أن يتبع ) (1) . وما بعد الحق الا الضلال (2) هو الحق يقبل من كل من جاء به ولو مشركا " (3) .

فإذا كان المؤلف يرى أن نسبة المسألة إلى علماء المذاهب الأخرى تجعلها مريبة ، لأنه على يقين بأن الأفكار وقتئذ - ما زال التصيب المذهبي عالقابها ، فترفض كل مسألة جاءت من مدرسة من المدارس الإسلامية الأخرى ، وهذا هو الفكر السائد في العالم الإسلامي لأن المفسر مقتنع باستفادة هذه المدارس من بعضها ، ويظن ذلك من خلال هذا الرد العنيف : " ومن أين لك ترتيب مسائلهم كلما وهل لك أن تحرم أموالهم لعلها من ربا أو غصب أو سرقة أو غير ذلك مقتضى قولك أن تحرم ذلك كله وتحريمه باطل ، وخلاف الأجماع فإياك وقد علمت أن الخلو حرام . " (4) فإذا تصفحنا مؤلفاته نلاحظ التزام المفسر بهذه القاعدة في أمهات كتبه ، غير أنه من جهة أخرى يصرح بعدم استحسانه الأخذ بأقوال علماء المدارس الفقهية المخالفة للمدرسة الأياضية وهذا يفهم من قوله : " ولا يحسن الأخذ بقول مخالفي ولو ثقة فالما إلا أن ظمراه حق ، ولا يهمل فيهما خالفوا مما لا يجوز فيه الاختلاف ، ولا يصدق ثقة منهم فيما نسبته إلينا أو إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة أو إلى التابعين كما ينسبون إلى جابر بن زيد وعدوه في الثقات لم تصرف صحته ، وإن عرفت أو عنده حديث عندنا جاز الأخذ به ولا يجوز الأخذ بأحاديثهم إلا أحاديث الترقيب والترهيب " ويشترط فيما أن لا تخالف القرآن ولا ما صح من الأحاديث عند الأياضية ولا تكون متناقضة لأرائهم . (5)

(1) يونس / 35 .

(2) يونس / 32 .

(3) كشف الكرب 1 / 91 .

(4) ن.م . 1 / 91 .

(5) شامل الأصل والفرع 1 / 15 .

إذا قارنا محتوى النص السابق بهذا النص يبدو لنا لأول وهلة تناقض في أفكاره  
 لكننا إذا رجعنا إلى مقدمة المرجع الذي ورد فيه النص الأخير نقرأ فيها ما يلي :  
 "فهذا كتاب وضعته للمبتدئ يشمل أصولاً وفروعاً وليس فضله عن المتوسط  
 والمتناهي ممنوعاً . " (1)

فهذا يعني أن المفسر يجيز الخوض في آراء المدارس الإسلامية الأخرى للعالم  
 المتضلع الذي بلغ درجة الاجتهاد ، والقادر على التحقيق ، لأنه ممن يتكر تقليد مجتهد اجتهاداً  
 آخر ، إلا إذا ضاق الوقت (2) ، بينما النص الثاني الذي أورد فيه شروطاً قاسية -  
 أحياناً - ليسمح بالاستفادة من المدارس الفقهية الأخرى موجه إلى المبتدئين ،  
 وذوي الثقافة المتوسطة ، وتجد في نص آخر يمنع الضعفاء النظر في كتبها محللاً  
 ذلك بقوله : " لا ثمة ما قد تتضمن خطأ ولو في الوعظ إلا أنه قد يسوء فهم الضعيف " (3)  
 ثم أن المفسر من المتحمسين للمدرسة الإباضية التي ينتهي إليها ، وهذا شأن  
 علماء عصره وهذا نراه أمراً طبيعياً إذا نظرنا إلى ثقافته ، وتكوينه وانتمائه ،  
 واقتناعه بصحة آراء هذه المدرسة ، وهذا الاعتقاد يبدو من قوله : " فنقول معشر  
 الإباضية الوهبتية الحق ما نحن عليه والباطل ما عليه خصوصاً لأن الحق عند الله  
 واحد ومذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصدق " (4)  
 غير أن تحمسه لمذهبه ، وتفضيله على سائر المدارس الفقهية الأخرى علم يبلغ  
 به درجة الغلو والتصصب واتهامها بالزيغ والأبداع (5) ، إلا التي أجمعت  
 المدارس الإسلامية على انحرافها عن الأصول والخوارج مثلاً ، وسنضرب مثلاً عند  
 تعرضنا لتفسيره ، ثم أن مثل هذا التمسك بمذهبه وتفضيله على غيره كثيراً ما يكون  
 رد فعل ضد متهمي الإباضية بالانحراف والزيغ ، وقد ورد مثلاً القول السابق في  
 كتابه (الصحة) في بيان الحجّة في التوحيد بلا تقليد) الذي يكون من المحتمل  
 ألفه لأدباً صالحة معتقدات مذهبهم رداً على اتهامات الآخرين .

(1) ن . م . 1 / ص 62 .

(2) ن . م . 1 / 20 .

(3) كشف الكذب 1 / 95 .

(4) ن . م . 1 / 25 .

(5) أنظر مثلاً لهذه الاتهامات في الأوسى روح المعاني 1 / 60 .



وفي هذه الردود يسوق أدلة مختلفة محاولاً اقناع الخصم وتفنيد ادعائه ،  
وابطالها ثم يتعرض الى نقد أسلوبه ولغته ، وقد يسرد في بداية الرد بعض أقوال  
الخصم . (1)

عموماً تمتاز مؤلفاته بغزارة المعلومات ، فصدها يطرق موضوعاً ، يقتله بحثاً  
ودراسة محاولاً الا للامام به هو قد يستطرد - أحياناً - منتقلاً بقرائه في المسائل  
الخلافية بين علماء المذهب الأباضي ، وبين علماء المذاهب الأخرى ،  
مستعرضاً أدق تفصلاً ، مرجحاً ما يراه منها صواباً أو مفنداً ما يراه خطأً ، وهذه  
طريقته التي يبتهجها في معظم مؤلفاته المختلفة ، وقد يجمع في كتاب واحد  
عدة فنون مختلفة مثل الفقه والنحو والتاريخ واللغة الخ . . . لا سيما في  
رسائله وردوده - متأثراً بطريقة التأليف عند القدماء لا سيما الطابع السائد  
في عصره الذي لم يصرف وحدته الموضوع بمعناه الحديث ، ولا فكرة التخصص  
والتصنيف ، فجاءت مؤلفاته صادقة لثقافته الواسعة والمتنوعة ، كما أن طريقته  
في البحث لا تتعدى نقد بعض المعلومات المتعلقة بموضوع معين كبقده لبعض  
الأحاديث الدبوية الشريفة وبيان ضعفها أو صحتها على غرار من سبقه من  
العلماء ، أو نقده لبعض أفكار . أو مسائل وفي النص التالي ما يبرهن على ذلك  
" . . . وكثيراً ما أصبح غير ما صحح الأثر ، والفضل لأبي سنان (2) لأنه  
الذي أسس وكفاني فتفرغت لبعض ما لم يذكره " (3) وقوله لمن سأله عن الأخذ  
من كتب المدارس الفقهية الأخرى : " وقولا له أولم تله ممن لم يصل بينه هو عن  
الأخذ بنفسه من قومنا - هو ليقند بما أخذت له منهم مصفى ولينته عما قلت له منهم  
متكدر فقد كفيته المؤونة ومن الله المعونة وعلمت من هو عدل في شأن العلم  
ونقلت عنه كما نقول نقلت من قبلنا من أصحابنا ممن علموا عدله فليدع لي بالخير  
إذا كانت المسألة راجحة من مذهبهم ولولم تذكر في مذهبنا فهي حق . " (4) .

- 
- (1) أنظر أمثلة في محمد بن يوسف أطفيش أزهاق الباطل بحلم الهاطل ، وفي رسالته ان لم  
تمر الأباضية يا عبي .  
(2) أنظر ترجمته في فهرس الأعلام .  
(3) الذهب الخالص ص 02 .  
(4) كشف الكرب 1/91 .

وما يلاحظ في مؤلفاته قصر المقدمات ، فلا تتجاوز صفحة واحدة على أكثر تقدير ، وهذه ميزته في جميع مؤلفاته التي أتت تحت لنا فرصة الاطلاع عليهما ، يذكر فيهما أحيانا السبب الذي دعاها الى تأليف الكتاب ، وموضوعه وتسرده بعض التوضيحات تتعلق بالرموز أو المصطلحات (1) أو يكتفي بأحد بعض هذه الجوانب دون غيرها ، وأكثر هذه المؤلفات مبنية ويلاحظ فيها التكرار الناتج عن عدم مراجعته لها ، وهذه الملاحظة لا تنطبق على جميع مؤلفاته ، لأن بعض تصريحاته تدل على مراجعته بعضها ، ومقابل النسخ المنقولة بالنسخة الأصلية لا سيما قبل تقديمها للطبع ومن هذه التصريحات مثلا قوله في : " احد اجوبته عن شرح النيل : " مثل أن أرسل اليكم ما قوبل وصحح ولو من وسط أو آخر . " (2)

وما يؤخذ على المؤلف تضمين مؤلفاته مسائل ضعيفة يسوقها من هنا وهناك أحيانا دون تمحيصها ، ويشير أحد تلاميذه المحجبتين به الى ذلك في قوله : " والمؤلف قد يسوق مسائل ضعيفة " لكنه يمضي في حديثه محاولا تحليل ذلك " أما يبين فسادها تصريحاً أو تلويحاً وليبين ما يستأنس به أن كان مما يحتمل ذلك كما جزم به نفسه ، وقد يسوق بعض مسائل واهية القول ليتميز الصواب من الخطأ وبضدها تتميز الأشياء " وقد يترك ذلك الى الإدراك بمحوراته . القرائن " (3) .

وإذا افترضنا أن هذه العطل التي ساقها أبو اسحاق صحيحة ، ومقبولة ، فهي كذلك بالنسبة للعلماء والمحققين ولكن غير صالحة بالنسبة للمتبتدين والقارئ العادي فقد يسلمون بصحة هذه المسائل باعتبار المصنف أورد ما

(1) أنظر مثلا هذه المعلومات في مقدمته كتابه الذهب الخالص 03،02 .

(2) كشف الكسر 07/1 .

(3) شامل الأصل والفرع مقدمته بقلم أبي اسحاق ص / هـ .

دون تبيان وجوه الخطأ والصواب كما يصعب عليهم أن يدركوا هذه الوجوه ،  
ويفرقوا بينهما ، ولذلك لا نجد للمفسر مخرجا وسببا واضحا يصلح أن يكون  
مبيرا مقبولا يعفيه من المسؤولية .

وإذا كنا نشاطر أبا إسحاق في التنويه بمؤلفات أستاذنا وعصمه من  
حيث احتوائها على ثروة علمية عظيمة قل أن توجد في سواها ، وبكثرتها  
بحيث أنها تجاوزت ثلاث مائة مؤلف عند بعض الدارسين ، والمئات عند البعض  
الأخرين ، فأننا نرى من المفيد تحقيقها قبل طبعها ونشرها ، لا سيما  
ما يتعلق بالأحاديث النبوية الشريفة وبعض المفاهيم الواردة في  
مؤلفاته لتصبح - بعد ذلك - مراجع ومصادر مفيدة لجميع المستويات ،  
ليتنفع بها المجتمع .

ومهما يكن من أمر فإن مؤلفات المفسر تعتبر تراثا يستحق الدراسة  
والمراجعة والطبع ليكون في متناول الباحثين ، ولعل مساعي وزارة التراث  
القومي والثقافة بسلطنة عمان من نشر هذا التراث تعتبر خطوة أولى  
في سبيل تحقيق هذه الغاية المنشودة خدمة للمكتبة العربية الإسلامية  
ونرى أن هذه المؤلفات تساهم كثيرا في التقارب بين المدارس الإسلامية  
بما تحمل من أفكار جزئية ، ونزيمية رغم الظروف الصعبة التي نشأ فيها  
المصنف ، وتمتير مراجعها يستفيد منها جميع طلبة العلم باختلاف انتماءاتهم  
واتجاهاتهم وفي البابين التاليين سنحاول القاء بعض الأضواء على نوع  
خاص من هذه المؤلفات والذي أولى له المفسر أهمية كبيرة ، وهذا النوع  
يتمثل في تفاسيره للقرآن الكريم ، الذي يحتل المرتبة الثانية في  
مؤلفاته بعد الفقه .

# الباب الثاني

التعريف بتفاسير

## الباب الثاني

الفصل الأول : التعريف بتفا سيره :

ول ما يلفت انتباه الباحث في حياة أمحمد بن يوسف أطفيش ومولاه اهتمامه بتفسير القرآن الكريم ، فقد اقتضى أمهات تفاسير القرآن ومكتبته خير شاهد على ذلك (1) .

كما كانت مادة التفسير في محوده من المواد الرئيسية التي لها أهمية عظمى ويتولى تدريسها بنفسه ، حتى وإن أسند تدريس بعض المواد إلى تلاميذه ، وتيمدوا بامتصامه بهذا العلم - خاصة - في تفسيره للقرآن الكريم ثلاث مرات في حياته منذ ربحان شبابه ، فإن أول كتاب ألفه في التفسير هو كتابه ( مبيان الزاد إلى دار المصدا ) الذي ألفه في صخر سته بأعترافه (2) . هذا التفسير الذي احتفظت لنا مكتبته بثلاثة أجزاء منه مخطوطاً هي : الجزء الثاني من سورن (الأعراف) إلى سورة (الكهف) ، و الجزء الثالث من سورة (مريم) إلى سورة (الصافات) و الجزء الرابع من سورة (الناس) ، فيضم - اذن - الجزء الأول الربع الأول والفاصلة . وتظهر أن هذه النسخة هي تلك التي بحثها إلى سلطان بزنجبار ، برغش بن سعيد ابن سلطان بن الأمام لطبعها ، ويفهم هذا من كلمة كتبها : المؤلف في آخر الجزء الرابع جاء فيما ما يلي : " . . . يقول المفسر كمل الربع الرابع وقت الظهر من يوم السبت لتسع مضي من شهر رمضان من عام ألف ومائتين وواحد وسبعين بخط العجلة وقلمها ، وهذه مسودة لم أطالهما للتصحيح وسأطالهما ان شاء الله تعالى . . . هذا الكتاب أمانه إلى السلطان برغش بنسخه بالتقاليد ويرده إلى مؤلفه . " (3)

وبالفعل لقد قام بطبعه بنفقته الخاصة في المطبعة السلطانية بزنجبار في أربعة عشر جزءاً ، وأشرف على طبعه يحيى بن خلفان بم أبي ثيمان الخروصي واضح تقديم الكتاب باسم السلطان يبين فيه أسباب طبعه ، ويذكر فيه اسم الناسخ ،

(1) نسخة الجزائر الجديدة 347/1 .

(2) التيسير 02/1 مقدمته .

(3) مبيان الزاد 4/ آخر صفحة غير مرقمة رقم نسخة مكتبة المفسر ببني يسجن أ . ب . 11 .

وتاريخ نسخ كل جزء وفي تقديم كل جزء يلوّه بالمفسر وموّه لقه ويذكر أحوال أسباب  
الداعية الى تأليفه ألا وهو اشتماله على : " عقائد أهل الاستقامة ممتحناً لما على أهل  
الزيغ ، بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة من الكتاب والسنة وإجماع المحققين  
من الأمة . . " (1)

ويستتج من هذا التقديم أن أحد دوافع برغوش بن سعيد لطبع هذا الكتاب  
شعوره بضرورة خدمة المذهب الأباضي باعتباره من المنتمين إليه ، وتقديره لعالم  
ذاع صيته وخدم المذهب إلا أن هذا لا يمنع أن تكون رغبته كما ذكر في تقديم  
الكتاب الذي أشرنا إليه - خدمة العلم رجاءً دوّاب الله وخوف عقابه .  
فقد دام طبعه ابتداءً من سنة 1305 هـ هو هو تاريخ انتهاء طبع الجزء الأول  
الى سنة 1314 هـ هو تاريخ انتهاء طبع الجزء الأخير .

إذا كانت هذه الطبعة تمتاز بخطها الجميل فإيما لا تخلو من أخطاء وهم قيام  
خليفة بن سعيد بتصحيحها حسبما يفهم من هذه العبارة : " صحّح ذلك السيد -  
خليفة بن سعيد " والمشرف على طبعها نفسه يعترف بذلك في تقديم الكتاب إذ يقول :  
" . . وان احتاج الى إصلاح فليصلحه من صار في يده وأجره على الله تعالى . " (2)  
ويؤكّد ذلك في آخر كل جزء بهذه العبارة : " . . ليحلم الناظر في هذا  
الكتاب أنه لا بدّ به من غلط لعدم وجود المصحّحين من أصل نسخته التي هي بخط  
المغربي فلينظر الناظر وليستدّ خالله . . " (3)

وفي العدة الأخيرة قامت وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان بطبع بعض  
أجزائه معتمدة طبع النسخة الكاملة في خمسة عشر جزءاً . (4) دون تحقيقاً .

(1) هميان الزّاد / 7 أنظر الصفحات الأولى .

(2) نفس المكان .

(3) ندم . الصفحة الأخيرة .

(4) محمد كامل / قائمة مطبوعات الوزارة 1986/1987 وزارة التراث القومي والثقافة  
بسلطنة عمان .

أما تفسيره (تيسير التفسير) المشتمل على جزء واحد في مجلد كبير الحجم ينضم بين دفتيه حوالي 938 صفحة، مكتوبة بخط رقيق يكاد لا يقرأ إلا بالعدسة أو المجر (1)، وفي مكتبة المفسر نسختان إحداهما ناقصة في البداية إلى قوله تعالى: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم" سورة البقرة الآية 21.

فقد تمّ طبع الكتاب في مطبعة حجرية بالجزائر الحاصفة بين سنتي 1325 هـ و 1326 هـ، وتكلفت بطبعه هذا تلميذا المفسر الحاج عن بن الحاج إبراهيم بن محمد العطفاوي (.....) والحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى بن سليمان البسجيني (.....) وتشتمل هذه الطبعة على ستة أجزاء تنضمها نسخة مجلدات لأن الجزء الرابع قسم إلى مجلدين لضخامته إذ يحتوي على 1098 صفحة حسب الترقيم الوارد فيه ويذكر صاحبها حقوق الطبع أنه تمّ ذلك للتسهيل على القارئ. (2)

وفي تقديم كل جزء يقومون بالتنويه بالمفسر ويختارون كل مجلد بتاريخ انتهائه وطبعه، والدعاء للمفسر ولهما، والجزء الأول يحتوي على مقدمة مختصرة للمفسر يبين فيها سبب إعادة تفسيره للقرآن الكريم، فرغم انتشاره الواسع بمقارنته بتفسيره الأول إلا أن طباعة بعض أجزاءه رديئة وملينة بالأخطاء حتى قيل أن ذلك أسس المؤلف. (3) فلا تكاد مكتبة من المكتبات الأباذية الحاضرة تخلو من نسخة أو أكثر من هذا التفسير وكذا جلت المكتبات الخاصة القديمة.

فقد اعتمدت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان إعادة طبعه في عشر أجزاء لكن دون تحقيقه، فقامت إلى حدّ الآن بداهج ستة أجزاء منه. (4)

(1) هذه المعلومات خاصة بالنسخة الأولى الكاملة.

(2) التيسير / 4 أنظر الصفحة الأخيرة من المجلد الثاني.

(3) إبراهيم محمد طنّابي، محاضرة / ص 6 توجد لدي نسخة منها.

(4) قائمة المطبوعات الوزارية 1986 / 1987 وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان.

وما يلاحظ في طباعة التفسيرين السابقين ملوهما بالأخطاء وإهمال بعض العبارات أحيانا وخلوهما من الترقيم للآيات، والفهارس المساعدة للقارئ على استعمالهما والميصرة له للاستفادة منهما وتكثيره من الرجوع إلى الآيات عند الضرورة.

أما تفسيره الثالث المسمى (داعي العمل ليوم الأمل) الذي لا يزال مخطوطا وغير تام فلا يوجد منه في مكتبة المفسر ببني بسجن الآ مجلد واحد يضم الأجزاء الأربعة وإن كتب عليه الجزء التاسع والعشرون، وفي آخر كل جزء يذكر المؤلف رقم الجزء الذي أتته، ثم يكتب عبارة الأهداء إلى راشد بن عزيز العماني ومما جاء فيها: "أهداه من أوله أحمد بن الحاج يوسف أطفيش المخيني إلى أخيه في الله الشيخ العالم الثقة راشد بن عزيز يستفيد منه وينشره وإن شاء طبعه كما شئت رده إلي لكونه غير مقابل بخطي، فأرسل إليه بخطي لطبعه في مصر وذلك أنه لم يوجد إلا نسختان، نسخة بخط يده ونسخة نسخت منها ولم تقابل، بما وهي هذه، فلم أرد أن تخلو يدي منها لئلا يضيع." (1)

ويبدو أن كلمة الأهداء هذه مكتوبة بخط يده وذلك من خلال المقارنة بين خطه والخط الذي كتبت بهما فيوجد تشابه كبير بينهما، فبرأ أن تفسيره منسوخ بخط جميل وواضح ولا نلاحظ فيه تشطيطات كثيرة والكتابات على المواضع كما هو شأن مخطوط تفسيره (تيسير بيان التفسير) والمؤلف نفسه يوم كد في إهدائه أن هذه النسخة ليست بخط يده ولم تقابل كما ذكر.

كما يخبر من خلال هذا الأهداء عن رغبته في طبعه بمصر لتحل ذلك لتقدم الطباعة بهما وأمله في أن يخرج في حلة قشيبته خاليا من الأخطاء التي قد يرتكبها الناسخ، ولحل النسخة التي كان يمتلكها إبراهيم بن محمد أطفيش العدوي (أبو اسحاق) (1305 هـ، 1385 هـ) (1388 م، 1965 م) هي المخطوط الذي كتبه المفسر بخطه ويحتوي على مجلدين.

---

(1) داعي العمل / نهاية الجزء 29 صفحات غير مرقمة.



وكل مجلد بهتليل على جزئين ، فالمجلد الأول المشتمل للجزئين التاسع والعشرين والدلائين يبدأ من سورة ( الرحمن ) وينتهي في آخر سورة ( التحريم ) . أما المجلد الثاني فإنه يحتوي على الجزئين الحادي والدلائين والثاني والثلاثين ويبدأ بسورة ( الملك ) منتهياً بسورة ( الناس ) كما يضم بعض الأوراق من تفسير سورة ( مر ) . ( 1 )

وهذه الطريقة في التأليف طرحت أمام الباحثين ، هذه التساؤلات ، هل أتم تأليفه ؟ ولماذا بدأ بسورة المفضل ؟ ولم أعاد تفسير القرآن ، وشرع فيه ثم توقف ؟ .

يرى ابراهيم بن محمد أذافيش ومحمد علي دبور أن المؤلف كان يهوي أن يفسر القرآن باسماء أكثر في تفسيره ( داعي العمل ) ويحمله في اثنين وثلاثين جزءاً لكن أجله أدركه قبل إتمامه ( 2 ) ، بينما يرى ابراهيم محمد طلاي أن المؤلف أتم كتابه هو استند في رأيه هذا إلى قول المؤلف الوارد في مقدمته كتابه ( التيسير ) : " . . . وتكاملوا عن تفسيره داعي العمل ليوم الأمل . . . " ( 3 ) ولحل ما يؤكده رأيه وجود الأجزاء الأخيرة من الكتاب وبعض الأوراق من تفسيره سورة ( مر ) إلا أن هذا لا يمنع أن يتوقف المؤلف عن تأليف كتابه لما لم يجد اقبالا على كتبه باسماء لتأليف كتاب يناسب مستوى ألبته ، ثم يعود لإتمام مؤلفه ، ولحل السبب الذي دعاه إلى البدء بتأليف الأجزاء الأخيرة خلافاً لتفسيره الأول هو ما لمس من نقص في الأجزاء الأخيرة من ( مميان الزاد ) بحيث أو جزئي الشرح بينما نجد في كتابه ( داعي العمل ) أطاباً في التفسير تلك الأجزاء ، ومن طبيعته معظم المفسرين والمؤلفين ضعف النفس في أو آخر أعمالهم .

ومعما يكن من أمر فإن النسخة التي بين أيدينا تحتوي على أربعة أجزاء فقط مطبوعة ولا تدري السبب الذي جعلها تبقى إلى يومنا هذا لم تطبع رغم الجهود التي بذلتها تلميذه ابراهيم بن محمد أذافيش لطبعها حسبما ورد في مجلته ( المنهاج )

( 1 ) التفسير والمفسرون 2 / 316 .

( 2 ) ابراهيم بن محمد أذافيش أبو اسحاق ، مجلة المنهاج المجلد 3 ، 4 / 46 داعي العمل ليوم الأمل ، التفسير والمفسرون 2 / 316 . بعض الأجزاء الجديدة 2 / 315 الطبعة الأولى .

( 3 ) التيسير 1 / 2 المقدمة ،

اذ يقول في معرض عرض الحديث عنه : " . . . فأصبح ما نحن بصدد طبعه تفسيراً مستقلاً للقسم المقبول . " (3)

ولعل العائق الذي حال بينه وبين تحقيق عزمه هو قلّة المشتركين وغلاء الطابع لأنّ في نفس العدد بحث القراء على الأشتراك في طبعه . (4)

و الكتب الثلاثة بحاجة إلى يد أمينه وخبيرته لتحقيقها وإعادة طبعها لتوضع في متناول أيدي القراء والباحثين كغيرها من التفاسير ، وسبب ذلك لو توضحت لها مواضع مختصرة يستغني فيها عن بعض التفاصيل التي ستعرض إلى بعضها في الباب الأخير من هذا البحث .

أسباب تفسيره للقرآن الكريم .

لعلّ أول سبب دعا أمّ محمد بن يوسف أذقيش إلى التصدي للتفسير هو سد الفراغ الذي تشكرو منه المكتبة الأباضية في هذا العلم للأسباب السابقة الذكر في التمهيد (5) بحيث لم يبق من تفاسيرهم المكتوبة إلى عهد المفسرين الكتاب المنسوب إلى هود بن محكم النهاري (القرن 3هـ ، 8م) وهو لفتنا نفسه يحترف بذلك في قوله ردّاً على من ينكر الرجوع إلى تفاسير المذاهب الأخرى : " . . . هل فسر القرآن غيرهم قبل هذا المصنف إلا الشيخ هود رحمه الله ولم يصل تفسيره هو إلا المستشكلين (4) وإن وصلهم فقد لا يجدون مقصد هم فهل يقرأون أو يتعلّمون أو يفسر لهم إلا تفسير البيضاوي والزمخشري ونحوهما " .

وبعد ذلك بيّنه أنه وضع تفسيراً يشفي الناس الأباضي عن التفاسير الأخرى ويقول في ذلك : " ولكم الآن والحمد لله الرحمن الرحيم من تفسير المذهب ما يغنيكم عن شأن الله عن تفسير غيره . " (5)

(3) مجلة المدائح 46/4هـ 3 داعي الحمل ليوم الأمل .

(2) ن 20 - ص 47 .

(3) أرجع إلى ص 12 - 15 من هذا البحث .

(4) يفهم من هذه العبارة أنّ تفسير هود بن محكم لم يكن آنذاك - منذ أوّلها في عمان لأنّ الرسائل موجهة إلى هذا البلد .

(5) كشف الكريب 1/35 .

ويظهر من كلامه في مقدمة تفسيره (هميان الزاد) أنه لم يتصدّ للتفسير إلا بعد أن  
أسس من نفسه القدرة وبلغ درجة الاجتهاد ويقول في ذلك : " ورفعته آياتي  
درجة اجتماعية لم أكن أظنني أصلاً . " (1)

ومما يؤكّد هذا الدافع إلى تأليف هذا التفسير ما قاله المستشرق مسكري  
أثناء تنقله في قرى وادي ميزاب بحثاً عن التراث الأباضي وعدم عدوه على  
كتاب في التفسير يحبر عن وجهة نظر هذا المذهب، فقد أخبره المفسر بأنه ألف كتاباً  
موسعاً في التفسير جمع فيه آراء المشايخ الذين سبقوه، فاذا علمنا أن تاريخ  
هذه الزيارة كان في سنة 1851 م، أتضح لنا أن هذا التفسير المشار إليه هو  
(هميان الزاد) الذي ألفه في الخامس والعشرين من عمره . (2)  
ومن الدوافع التي دفعت إلى تأليف هذا التفسير، حسبما يفهم من كلامه  
أيضاً آراء الأباضية والرد على المخالفين بأدلة عقلية وعقلية ويتضح من قوله :  
" . . ويتضمن انشاء الله (3) الكفاية في الرد على المخالفين فيما زاغوا فيه هو ايضاً  
مذهب الأباضية الوهبية، واعتمادهم ذلك بحجج عقلية ونقلية " (4)  
وبالفعل فإنّ المفسر عند تعرّضه لقضايا الخلاف نجده يحاول البرمجة على صحّة  
آراء الأباضية، واقناع الطرف الآخر شأنه شأن المفسرين الذين طغت على تفاسيرهم  
الجوابب العقائدية والخلافية وهذه النقطة سنعالجها في بابها، وسوق أمثلة  
لذلك، فاتماً تريد من هذه الأشارة أدباً أحد الأسباب الداعية إلى تأليف تفسيره  
الأول (هميان الزاد) ومن الأدلة التي تثبت هذا الدافع عند المفسر ما جاء في تقديم  
الكتاب بقلم المشرف على طبعه : " . . لا سيّما وقد أظهر فيه عقائد أهل  
الإستقامة متحملاً لما على أهل الزيغ بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة الخ . . ."  
(5)

(1) هميان الزاد 1/1 المقدمة.

(2) التفسير ومناهجه عند علماء الأباضية — محاضرة ص / 11 .

(3) هكذا كتب في النسخة المعتمدة والصحيح إن شاء الله .

(4) هميان الزاد — 1/1 المقدمة.

(5) ن . م . 7 / تقديم القطعة السابعة .

فهل وفق المفسر في تحقيق هذا الغرض؟ وهل كان دفاً من مذهب بدافع التحجب؟ هذا ما سنراه في الباب الخاص به، فيكفي أن نعرف أن المؤلف في تفسيره الأول - على وجه الخصوص - حاول أن يثري مكتبة الأبحاث بتفسيره الموسع يحمل وجهة نظر هذه المدرسة، ويوضحها شأنه شأن جميع المفسرين بمختلف تلامسهم واتجاههم لاقتناع كل واحد منهم بصحة مذهبه، ورغم أهمية هذا التفسير من حيث كونه موسوعة جمع فيها المفسر معظم أفكار أشهر المفسرين المتقدمين مثله بدورنا ثقافية المفسر التي لم تبلغ درجة النضج التي تجعله يتحرر في تأليفه التدقيق والانتظام ويبدو أن المفسر نفسه أحسن بذلك، ولهذا حاول إعادة تفسير القرآن مرة أخرى في مخطوطه (داعي الحمل) متحرراً فيه التحقيق، والانتظام، والتقدم وقد شرع في هذا التفسير بالقسم المفصل على غير عادة معظم المفسرين، وربما يعود ذلك كما نلف الذكر إلى ما لمس من نقص في الأجزاء الأخيرة من تفسيره الأول (8 ميان الزاد).

ولعل المؤلف يريد من هذا التفسير تعويض ما فاتته في تفسيره الأول ولا سيما وقد ازداد اطلاعا ومعرفة وتجربة، وقد علمنا أن الأول قد ألفه في صغرسه.

وعللاً فإن الأجزاء التي ألفها تنعكس بوضوح هذه الملاحظة، وهذا الاحتمال. ولكن التفسيرين السابقين رغم أهميتهما، فإنهما لم يجدا إقبالا من قبل القراء وطلبة العلم، وهذا ما صرح به المؤلف ويحزو ذلك إلى الكمل، وضعف العزيمة في مقدمة كتابه (تيسير بيان التفسير) إذ يقول: "أما بعد فإنه لما تقاصرت المصنفين بحميا ن الزاد إلى دار المعاد الذي ألفته في صخر السن وتكا وتكاسلوا عن تسيير (داعي الحمل ليوم الأمل) أنشطت إلى تسيير يختبط ولا يمتل... (1)

فاذا كان المؤلف يحزو سبب إعادة تفسيره للقرآن الكريم إلى ما لاحظناه من عزوف القراء عن المؤلفات الضخمة، فإن بعض تلميذه يرون أنه ألفه ليكون كتاباً مدرسياً باعتباره من كتب التفسير التي تعتمد في التدريس بمعهد ففدكان يقرأه على طالبته في درس التفسير قبل تقديمه للدراسة لمعرفة ما أستشكل

عليهم و يقول في ذلك مؤلف كتاب (أعلام الأصلاح في الجزائر) نقلا عن تلميذ  
المفسر ابراهيم بن عيسى بن اليقطين ( 1306م ، 1393م ) ( 1830م ) ( 1973م ) ،  
و " كان درس التفسير في كتاب التيسير تأليف القطب ( 2 ) يفسر الآيات في دروسه  
تفسيرا موجزا ثم يقرأ القارئ من كتاب (التيسير) ما كتبه القطب في تفسيرها ،  
وكان يستغني بما كتب عن الأسماء الثماني في الدرر وكد أن ما يقرأه القارئ في  
سنيه الأولى في معهد القطب آخر ما ألفه القطب من (التيسير) وإذا لم تبد له  
زيادة ولم يغمض منه شيء على الدالين يدفعه إلى من يكتبه بحبر المطبعة ، فيرسله  
إلى المطبعة . " ( 2 )

فيكون تفسيره هذا - بذلك - تفسيراً مدرسياً ، ألفه لغير تيسير المادة  
على طالبته للاستغناء عن المطاولات ، التي تتطلب الجهد في الفهم ، والوقت في  
دراستها ، ولحل العنوان غير معبر عن هذا الغرض ، إذ سماه صاحب (تيسير  
بيان التفسير) .

#### المقارنة بين تفاسيره :

ليس من السهل إجراء مقارنة دقيقة وعلمية بين تفاسير تشتمل على  
مبادئ ضخمة ، فمثل هذه الدراسة في حد ذاتها موضوعاً مستقلاً ، يجدر بحوثه  
من جوانبه المختلفة ، أما نحاول في هذه المقالة القاء بعض الأضواء على  
أهم مميزات كل تفسير لا سيما من ناحية المضمون ، وللتعريف بما فحسب .  
إن أول ملاحظة تستدعي الإتيان في هذا التمدد هو الفرق بين تفسيره  
الأول ( ميمان الزاد ) الذي جاء عبارة عن كتاب جامع لآراء المفسرين المتقدمين  
دون تمييز ، مما أدى به الأمر إلى الأثر في النقل والاقتراس متأثراً  
بمن سبقه ، ولعل ذلك راجع إلى صغر سنه وقلته تجربته ، وتجنب  
نقد من كانوا مصدر معارفه ، وخوفه من الوقوع في الخلل بانكار الصحيح من  
الحديث أو المعلومات المختلفة ، وكأني به يثق ثقة عمياء في المفسرين الذين

( 1 ) لقب ألقاه علماء عمان على أحمد بن يوسف أديش لمكانته العلمية أنظر

( 2 ) أعلام الأصلاح في الجزائر 2 / 234 .

استقى منهم معارفه .

فإنه في تفسيره (داعي الحمل) أخذ يتحرر من هذه الصقنة، لأن معارفه ازدادت اتساعاً وعمقا، وبلغ درجة الاجتهاد المطلق، فقد اعتمد فيه على فهمه، مع انتقاء وتحقيق بعض ما ينقله من غيره، فلذلك نجد تلميذه، إبراهيم بن محمد أطفيش يشيد به قائلا: "من أجل التفاسير وأغزرها لما فيه من حقائق التفسير ودقائق التنزيل، وليس بتفسير، بسيط بل سلك المفسر فيه منهج التبسيط والتحقيق، لما اختلفت فيه الأمة من معاني الآيات، ووجوه التأويل" (1) ولئن كان هذا الأخير لم يتم تفسيره فتشويشك مع تفسيره الأول في غزارة المادة، تتجلى من خلال ما ثقافته المفسر الواسعة وإطلاعه على جمل التفاسير، وآراء أصحابها، وعمقه في دراسة آراء الأباذية، فمما يبرهان بصدق وجهة نظر هذه المدرسة. وللتأكد مما قلناه نسوق هذا المثال:

"للتعميد لسورة (الرحمن) في كتابه (هميان الزاد) نلاحظ أن المفسر يذكر فيلما وأسماءها ومكيها ومدنيها مع سرد الآراء المتلفة، وعدد آياتها وعروفيها وينهي هذا التعميد بذكر فضل تلاوتها مستشهداً بحديث تبوي . . ." (2)

بينما نجد في كتابه (داعي الحمل) يكتفي بذكر ترتيبيها وعلاقتها بالسورة السابقة والحكمة من ذلك. (3)

"ولتفسير قوله تعالى: "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" الآية 27 من سورة الرحمن اقتصر في (هميان الزاد) على شروح عامة (4)، وفي (داعي الحمل) تفرغ إلى الرد على المفسرين على حدّ تحبيره، وأطلب في سرد مفهوم الأباذية لصفاته تعالى محاولاً الرد على الأشعرية، مع الأتيان بأمثلته عسيرة وتجاير عربية مستعملة لأدبيات صخنة تأويل (الوجه) ولا يخفى عن ذكر المعاني اللغوية لهذه الكلمة ووجوه تصريفها الخ . . ." (5) محتدماً في شروحه هذه على التليل، وانتقد، وعند استحسانه لرأي يقول: (هذا وجه حسن) ولا غرابه في ذلك لأن المفسر مبتغية في كتابه الأول هو إيراد هذا الكتاب تعويضاً لما لاحظته من نقص فيه،

(1) مجلة المنهاج العدد 3، 4، 45/ داعي الحمل ليوم الأمل،

(2) (هميان الزاد) الجزء 14،

(3) (داعي الحمل) الجزء 29 صفحاته غير مرقمة.

(4) (هميان الزاد) 34/14.

(5) (داعي الحمل) الجزء 29 صفحاته غير مرقمة.

وجمله أكثر دقة وتحقيقا .

وأما تفسيره المسمى ( بالتيسير ) فلا حظ أن المفسر لم يخض فيه كثيرا في التفاصيل والجزئيات ، فقد حاول الأمام فيه بالمعلومات الضرورية مع محاولة الإختصار والتزام الموضوع في كثير من الأحيان فإذا قارنا بينه وبين تفسيره الأول ( مميان الزاد ) لا حظا طابا مفرطا في هذا الأخير لا سيما في أجزاءه الأولى .  
منه ، وقد خصص ملاحق حوالى مائة وثمانين وستون صفحة لتفسير سورة ( الفاتحة )  
وأفرغ في تفسيرها كل معلوماته ، وكأني به يريد أن يجعل منه في التفسير ، فقد  
تعرض في تفسير ما إلى أسماؤها ممللا ذلك ، وبينا فضلها والاختلافات في مدتها  
ومدتها متحدثا عن القراءات مسردا الأقوال والأحاديث المتعلقة بهذه السورة  
ثم تعرض إلى الاختلافات في البسطة مشيرا إلى الأقوال الشاذة في عدد آيات الفاتحة  
وذكر عدد حروفها . . . بينما نجدة في كتاب ( التيسير ) يتحرق الإيباز ويستخني عن  
التفاصيل مما ولا الأيسر بالمعلومات المأمنة ، ولا حظ القارئ زائنة المفسر في الرد  
على مخالفيه ونضجه وتمكسه أكثر .

ولئن المدال الثاني يكون أكثر وضوحا ، فعند تفسير قوله تعالى في كتابه  
( مميان الزاد ) : ( هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب . . . ينفقون ) الآية 3/2 من  
سورة البقرة . يتحدث عن الاختلافات في تفسير الإيمان ومفهوم الكافر والمشرك  
والتناقض في رأي الأباقيين وغيرهم مع محاولة إثبات صحته رأي الأباقيين (1) .  
وفي كتابه ( التيسير ) استغنى عن ذكر تلك الاختلافات مقتصر على ذكر  
اختلاف المفسرين في مدلول المتقين ومفهوم إقامة الصلوات . (2)  
وفي ما روي حديث المؤلف عن طريقته في سرد آراء انماصب الأخرى وموافقته  
بعضها لمعتقداته ونفيه لتقليد غيره قال : . . . ولا سيما التيسير الذي قربان  
شاء الله الرحمن الرحيم كما له والله ما ذكرته الآ لترغبوا فيه لأنه غير طويل بل  
متموسط مع جمسه ما لين في المدلولات والحمد لله . " (3)

(1) ( مميان الزاد ) 200/1 .

(2) ( التيسير ) 7،6/1 .

(3) ( كشف الكرب ) 95/1 ، 96 .

فأصل العامل الذي ساعد على جعل هذا التفسير أكثر دقّةً وتحقيقاً مرده على طلبه من جهة ومراجعتة من جهة أخرى ، قبل تساميه للطابع ، ثم منح حجمه بمقارنته بالتفسيرين السابقين ، يقول فيه إبراهيم بن محمد أظفنين : " ومن وقف على تفسير (تيسير التفسير) شاهد تبخّره في علوم القرآن وغازاة مادّته ومقدّراته على إظهار حقائق التفسير " (1)

فإن ما نلاحظه في هذا التفسير ركافة الأسلوب أحيانا عكس التفسيرين السابقين ويعزو ذلك إبراهيم محمد طلابي إلى " الرغبة في الاختصار من جهة والرغبة في جمع الكثير والإحاطة بمختلف الأوجه من جهة ثانية " (2) ونضيف إلى هذا العامل عاملاً آخر ألا وهو الخرض من تأليفه مما جعل المفسر يتوخى فيه أسلوباً بسيطاً بعيداً عن الأسلوب الفلّسي الأدبي الذي كان ميزة تفسيره (هميان الزاد) .

والمؤلف في تفاسيره الثلاثة لم يخرج عن الطريقة السلفية في التفسير ولم يميّز عنها رغم محاصرته للحركة الإصلاحية ، وانتشار الوعي الديني والقومي فأثارتنا نلاحظ لهذه التخبيبات ، أثرًا في تفاسيره ، ولا لأفكاره التي تبناها ، وقد لاحظنا إليها في الفصل الثاني من الباب الأول ، إذا استثنينا بعض الإشارات في (هميان الزاد) بحيث كان مثلاً يدعو على التصاري بالخزي وللمسلمين بالتصبر (3) .

وفي الوقت الذي عرفت فيه البلدان الإسلامية المجمة الاستعمار بالثورة ، والتحرّف الصليبي ، وبعض إشارات في كتابه (التيسير) الذي يدعو فيه المسلمين إلى توحيد الكلمة وجمع الشّات وتجاوز الخلافات ، ويثوّه فيه برجال الإصلاح (4) ، فكان من المنظر أن تجيء تفاسيره أو على الأقل أحداها تحمل مميزات المدرسة الأملانية لكن يبدو أنّ المفسر لم يستطع التحرر من تأثيرات المدرسة السلفية التي تعلم عليها من خلال مصادر دراسته ، فجاءت تفاسيره — بصفة عامة — تحمل طابع هذه المدرسة لكننا نصور — كما رأينا ذلك سابقاً — أفكار مدرسة من المدارس الفقهية الإسلامية ، ألا وهي المدرسة الأملانية ، وتعبّر بصدق عن تفاسيرها عمل

(1) الذهب الخالص ترجمة العوّ لف بقلم أبو اسحاق ص/هـ .

(2) إبراهيم محمد طلابي ، محاضرة ص 07 .

(3) (هميان الزاد) 100/14 — 129 .

(4) (التيسير) 791/2 .



هذه المدرسة مع المدارس الأخرى وتجسّم وجهة نظر هذا المدرسة التي كانت مجهولة في نظر الكثير من الدارسين.

### أسباب عدم انتشار التفسير<sup>الز</sup>

وقد يعجب الدارس - في بداية الأمر - إذا علم أن هذه التفسير تجد صداها عند متعلمي الأباضية ومنقفيهم ناهيك عن غيرهم ، فقد درست مثلا - مادة التفسير على أحد تلاميذ المفسر وهو يوسف بن بكر حمود علي من كتاب عبد الله بن عمر البيضاوي ( 685هـ ) وكان ابراهيم بن عمر بيوض ( 1816م ، 1400هـ ) في دروس التفسير لا يعود الى كتابه (التيسير) إلا حين يريد أن يطلع على وجهة نظر الأباضية في قضية ما (1) ولم يبلغ مستوى الاعتماد أحد تفاسيره كمرجع في معهد من المعاهد التي تدرس الفقه الأباضي ، ولعل من أسباب ذلك ما يلي :-

- (1) طباعتها السيئة التي لا تغوي الطالب على الدراسة ، ولا تساعد على البحث لخلوها من أرقام الآيات والفهارس ، بالإضافة الى كثرة الأخطاء الواردة فيها .
- (2) قلة النسخ التي طبعت لا تسمح للطلاب والباحثين باقتنائها ، فيكون من الصعب عليهم - أحيانا - العثور على نسخة للاطلاع عليها بله للدراسة ، بالإضافة الى عدم طبع تفسيره (داعي العمل) الذي لولا الأيدي الأمانة لضاع مع جملة من مؤلفاته التي ضاعت لا سيما رسائله<sup>برائده</sup>.
- (3) وبما أن المفسر اقتبس كثيرا من كتب المفسرين الذين سبقوه في هذا الميدان ، وانتهج الطريقة السلفية في التفسير كما سبق ذكره ، ولا تحمل عناصر جديدة شكلا ومضمونا إلا ما ذكرناه من وجهة نظر الأباضية ، فإن الباحث والطالب لا سيما في الماضي - يجب الرجوع الى المصادر الأساسية ، ليستقوا منها معلوماتهم ، وفي الوقت الحاضر فإن الطالب في الغالب - يختار المراجع التي تمتاز بمنهجية حديثة ومضامين تتماشى مع تطور الحياة والفكر ولذلك لم تجد تفاسير المؤلف صدى في أوساط هؤلاء وأولئك .

(1) أعلام الأصلاح في الجزائر 126/3 .

4) عدم التعريف بهذه التفاسير ، بحيث لم يتناولها باحث أو أستاذ بالدراسة كما هو شأن بقية التفاسير التي نالت حظها من الدراسة الأكاديمية أو من تعريف العلماء بها فهي إلى حد الآن مجهولة لدى كثير من الباحثين ، ولعل إذا وجدت من يقوم بتحقيقها وطبعها طباعة عصرية وحظيت بدراسات علمية ستجد مكانتها بين سائر التفاسير المعروفة على الأقل من حيث أنها تمثل مدرسة إسلامية تتميز بمعتقداتها وآرائها .

5) اعتماد المغاربة مؤلفات المشاركة ظاهرة معروفة منذ القدم ، ولعل السبب راجع إلى أن المشرق مصدر الثقافة العربية الإسلامية مما أصبح المغاربة ينظرون إليه نظرة التلميذ لأستاذه ، ويشعرون أزامه بعقدة النقص مهما بلغوا من المعرفة والعلم ، وهذه الظاهرة نلاحظها في معظم العلوم ، وهذا مما أدى إلى التقليل من شأن تفاسير أهل المغرب مثل تفاسير المؤلف ، وتفسير الثعالبي وغيرها واعتبار غيرها أحق بالدراسة ، وأن كنا فضل المشرق على المغرب وتفوقه إلا أننا لا نوافق على إنكار مساهمة المغاربة في إثراء التراث العربي الإسلامي وأحيائه ، كما ندعو لذلك إلى استثمار هذا التراث والاستفادة منه ، ووضعها في مكانته اللائقة .

فهذه أهم الأسباب التي جعلت تفاسير أحمد بن يوسف أطفيش غير منتشرة ، ومتداولة بين الدارسين والباحثين ، رغم أنها تمثل وجهة نظر إحدى المدارس الإسلامية في تفسير آيات العقائد والأحكام .

## الباب الثاني : الفصل الثاني :

### — رأي الباحثين في نقل سيده —

تختلف آراء الباحثين في تفسير أحمد بن يوسف أطفيس باختلاف وجهة نظر كل باحث واتجاهه ، فمن الآراء المنتقدة لهذه التفسير ، وتبلغ هذه الانتقادات — عند بعضهم — درجة التحامل ، مثلما هو الملاحظ في كتاب (التفسير والمفسرون) . فإن أول حكم يصدره صاحب هذا الكتاب على تفسير (هميان الزاد) هو كونه يمثل أهم التفسير عند الإباضية من الخوارج (1) ، غير أنه يرى من جهة أخرى لا يمثل حق التشييل للتفسير عند الخوارج القدماء معلاً ذلك بقوله : " لقرّب عمد مؤلفه ، وتأخّرّه عن زمن كثير من علماء التفسير الذين وافقوه على مذهبه والذين خالفوه فيه " دون أن يستند في رأيه على أدلة تثبت صحّة ما ذهب إليه ، ويقول في موضع آخر من كتابه مؤدّا رأيه بعد التعريف بالتفسير الذي سبق ذكره : " مما يدعوننا الى القول بأنّ تفسيره يمثل التفسير المذهبي للخوارج الإباضية في أواخر عصرهم فقط " . (2)

أرى أنّ الناقد تسرّع في إصدار حكمه على الكتاب بحيث يمكن له أن يقارن بينه وبين تفسير هود بن محكم المواربي (القرن الثالث للمجري) الذي ذكر بأنه تحصّل على نسخة منه ، وهذا العمل لا يكلفه جهداً كبيراً يخرج برأيها بت مدقّم بأدلة هم أنّ آراء الخوارج والإباضية — بصفة خاصّة — معروفة وواضحة في كتبهم ، ولا أخال أنّ الناقد يجهلها ، فإذا وجد المفسر — فعلاً — يدافع عنهما ويؤدّون الآيات حسب مذهبه كما استنتج الناقد ذلك حيث يقول : " لا يكاد يمرُّ بآية يمكن أن يجعلها في جانبه إلا ما ملأها إلى مذهبه وجعلها دليلاً عليه " . " . " بل ذهب إلى أبعد من ذلك إذ يقول : " . . . ولا آية تصارحه بالمخالفة إلا تلمس لها كلمة في طائفة من تأويل ليتخلّص من معارضتها ، وقد يكون تأويل متكلفاً وفاسداً ، طاقتة

(1) التفسير والمفسرون 320/2 .

(2) نفس المكان .

ولا يجيء من معارضة الآتية ، لكنه التعصب الأعمى يدفع الإنسان الى أن ينسى عقله  
و يطرح تفكيره الصائب ليمشي مع الحمى بعقل فارغ و تفكير خاطئ ."  
فالأجدربالتأقدا أن يصدر حكما صريحا على أن التفسير يمثل آراء الأباضية ولا  
سيما وقد استنتج أن المؤء لف يتعصب لآراء المذهب تعصبا أعمى ، فما ذا ينتظر من  
مفسي الأباضية الأولين حين كان الصراع المذهبي قائما والجدال حادا ، وكل مذهب  
يرمي غيره بالمروق من الدين ، فهل يصفهم بوصف آخر غير التعصب الأعمى ! ؟ أو  
ينتظر منهم أن يكونوا أكثر نزاهة من مفسرنا ؟ وسندلي برأينا في الموضوع عند تعرضنا  
لهذه النقطة في منحة التفسير .

وبعد أن أشاد الذمبي بسعة اطلاع المفسر واستفادته من التفاسير قائلا :  
" ان الرجل قد قرأ الكثير من كتب التفاسير تأثر بما جاء فيها ، و استفاد الكثير من  
مخانيها و مراعيها . " (1)

ورجل منفتح على جميع الآراء ليس من السهل أن يتمم بالتعصب الأعمى ، فماذا  
يقال - حينئذ - في مؤء لف عاش في عصر ازدهار العلم ، وفي وسط ثقافي ، وفي عصر يومن  
بحرية الرأي ؟ فيتمم مذها من المذاهب الإسلامية بالزيف ، دون الاستناد على أدلة  
وحجج قاطحة متحا ملا على المفسر في قوله : " . . هذا هو مفسر الأباضية ، وهذا هو  
تفسيره الذي ملأه بالدفاع عن العقيدة الزائفة والتعصب لمذهب فاسد . " (2) .  
فهذه اللجة الحنيفة التي عرض بها الناقد أفكاره تجعلنا نحتمل تجاها أحد  
الإحتمالين : إما جملة لآراء الأباضية ، ورأي طمء المذاهب الإسلامية الأخرى  
النزما فيما ، وإما تعصبه لمذاهب أهل السنة ، جعله يعتبر غيرها مارقة من الدين  
وزائفة ، وفي كلتا الحالتين يقف الدارس الذي ينشد الحقيقة متحفظا من آرائه  
النقدية .

(1) ن . م . 2 / 320 .

(2) ن . م . 2 / 321 .

وعند تعرض محمد حسين الذهبي لطريقة المؤلف، يلاحظ القارئ اعترافه بسعة اطلاعه، والمسامحة بجميع المسائل التي ادعاها مؤلفه بالآية على استمرار المفسرين الذين سبقوه، وقد ذكر من قبل بأسماء استفاد منهم، لكن لا أتجد أي داع لقوله: "ثم يذكر قوا قد السورة بما يشبه كلام المشعوذين والدجالين" وقوله: "وهو يكثر الى حد كبير من ذكر الاسرائيليات التي لا يؤيدها الشرع، ولا يصدقها العقل." (1) فهذه ايميزة لا يختصر بها مفسرنا فحسب، بل هي ايميزة مشتركة بين عدد من المفسرين الذين تأثر بهم، وسنذكر بعضهم عند تعرضنا للمصادر، ومن بينهم مفسري اهل السنة، فلا تدري لماذا أصدر الناقد حكمه على محمد بن يوسف لطفيش دون غيره؟!؟

ومن هنا يتبين لنا بوضوح ان محمد حسين الذهبي تنقصة التزامه الملمية وعمق التفكير وتنصف احكامه... في - مطالب الاحيان - باجحاف كبير تجاه بعض المفسرين... لا سيما - غير المنتمين الى مذاهب اهل السنة، فلا أدري على أي أساس صنف تفاسيرهم في صنف التفاسير بالرأي المذموم، وتفاسير اهل السنة في صنف التفاسير بالرأي المصمود!

وقد لاحظنا محمد حسين الذهبي ان المفسر في أسلوب تناوله للسورة، يذكر في اولها عدد آياتها والمكي منها والمدني، ثم يذكر فبما السورة، وفواهدهما اخذا عليه استمهاده... في انساب... بالاحاديث الموضوعية، في فضائل السورة، وبسرد قوا قد بما يشبه كلام المشعوذين والدجالين.

ثم بشرح باسهاب الآيات متعمقا... في ذلك... للمسائل التحوية واللغوية والبلاغية والفقهية، مع ذكر مسائل الخلاف بين الفقهاء، متطرقا بشي من التفصيل الى مباحث علم الكلام، والابحاث الأصولية، والقراءات، ويقتصر في الجانب الترخي على ذكر الخزوات التي وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

(1) ن.م. 320/2، 321.

ومما أخذ عليه أكثره من الأسرائيليات المتناقضة مع الشرع ، وتأويل الآيات بما يوافق آراء مذهب ، وقد ظهر له بأنه متأثر بأراء المعتزلة . (1)  
من خلال هذا العرض الوجيز لآراء الذهبي في تفسيره (معيان الزاد) نستنتج ما يلي :-

- (1) أهمية هذا التفسير تبدو واضحة في كونه موسوعته تجمع مختلف الآراء والمعلومات التي لها قيمة بالقرآن الكريم .
- (2) تأثر المفسر بذهب الإعتزالية .
- (3) اعتماده التأويل الأصولي لخصرنا مذهب ، نتيجة تخصصه له .
- (4) اعتماده على الأسرائيليات والأحاديث الموضوعية ، وسرد فوائد التوراة بطريقتين لا يصدقها الشرع ولا العقل ، ومعنى هذا لا يتحرق المفسر التمهيق في روايته المعلومات وإيرادها كشواهد .

فمذه الآراء التي استخلصها محمد حسين الذهبي من كتاب (معيان الزاد) للمفسر كانت محل ردّ بعض الباحثين ، فعند ذكر عادل نويهض لكتاب (التفسير والمفسرين) كأحد المراجع المعتمدة في ترجمة المفسر ، عقب ذلك بقوله : " لا نوافق على كل ما جاء فيها من آراء " . (2)  
كما تولّى الردّ عليه أكثر من باحث أفاضي ومن جملتهم أحد مفسريهم المعاصرين أحمد بن حمد الدنيلي الذي يعزو نقده الي : " التصيب المذهبي البغيض " والذي يرى أنه أعماه عن رؤيته لحقائق يمكن له التوصل اليها بأجراء مقارنة بين تفاسيره الثلاثة ، والبحث عن الأسباب التي جعلته يقنع في تلك المآخذ والتي يجهلها فيما يلي :-

- (1) تأليفه في صغر سنه .
- (2) ثقته في أقوال الملصاق من قبله على اختلاف دولهم .
- (3) عنايته بالجمع أكثر من عنايته بالبحث والتصحيح .

---

(1) ن . م . 320/2 ، 321 .  
(2) معجم المفسرين 658 / 2 أنظر المواصل .

ومما يلاحظ في هذا الرد اعتراف أحمد بن حمد الخليلي بالخطأ الذي وقع فيه المفسر في كتابه (هميان الزاد) والتنويه ذمياً بتفسيره الآخريين الذين كانوا ذموا نزع المفسر وتحقيقاً لرغبته في محو الأخطاء التي تنبه اليها في تفسيره الأول ، والناجئة عن عدم الاهتمام بالتحقيق والتعميم فيما ينقله من المفسرين السابقين . (1)

ونفس الرد - تقريباً - هو وجهه إليه بلحاج عدون شريفي ، إذ يرى أن صاحب كتاب (التفسير والمفسرين) بالغ في نصت المفسر بأوصاف لا تليق به نتيجة عدم التعمق في الدراسة ، والاقتصر على تفسيره الأول والمباينة في التحويل مع اعترافه - من جهة أخرى - بالخطأ الذي وقع فيه المفسر من جملة المعلومات وروايتها دون تعميم وتحقيق أحياناً ، وهذا راجع في نظره إلى محاولة المفسر الأولى والتي توخى فيها جمع ما يمكن من المعارف التي حصل عليها أثناء سنوات دراسته . (2)

لكن إبراهيم محمد طسلاي يرى في رده أن السبب المحتمل الذي دعاه إلى التنبؤ إلى اتهام المفسر بالتعمص المذهبي هو أحد أسباب تأليفه لتفسير الوارد في مقدمة الجزء الأول والتمثل في الرد على المخالفين أو إيضاح مذهب الإباضي (3) ، مما دفع الناقد إلى التمسك على المفسر ومذهبه ، ويرى أن آثار المنصف للكتاب يكشف أن هذه التعمص الموجهة للمفسر بالذم ، ولا يوافق على اتهام كل متعمص لري ، أو مؤمن بنظرية بالتعمص والتطرف . (4)

إذا كان الذمّي جانب في نقده الموضوعية ، ولم تكن دراسته مبنية على أسس علمية محسباً رأياً فإن الردود الموجهة إليه اتسمت بالسطحية ، ولم تستند على أدلة وحجج مقنعة فأول ما يلاحظ عليهما الاكتفاء بلوم الناقد عوض محاولة تبيان مواطن الخطأ في أحكامه وتصحيحاتها ، فكان موقفهما موقف انمادي والمدافع

---

(1) أحمد بن حمد الخليلي جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل 1/ من ص 35 - 37 .  
(2) التفسير ومناهجه عند علماء الإباضية ، محاضرة ص 11 و 12 .  
(3) (هميان الزاد) 1/ .  
(4) إبراهيم محمد طسلاي ، محاضرة ص 05 .

الذي يحاول ردّ التهمة على زبونه لا الناقد الذي ينشد الحقيقة والصواب.  
ولذا نجد في دراسات هؤلاء التفسير أمحمد بن يوسف أطفيش، التركيز  
على إبراز مزاياها والتنويه بها، أكثر من محاولة نقدها نقداً علمياً يبرز الجوانب  
الإيجابية والسلبية فيها، فجاءت دراساتهم عبارة عن ملاحظات عامة يعززها التحليل والتحقيق  
وسوق شواهد وأدلة تثبت صحة ما ذهبوا إليه.  
فإذا تصفحنا محاضرة إبراهيم محمد طلاي حول تفاسيره يسترعي انتباهنا فيها  
تحديد مزاياها في النواحي التالية:-

1° جمع الكثير مما هو متفرق في كتب مختلفة %

2° تحقيق الكثير من المسائل التي تضاربت فيها أقوال المؤلفين والمفسرين °

3° لا يغفل عن أوجه الأعراب والتخریجات البلاغية وإيراد المسائل الفقهية واستنباطها  
من مضانها مقارنة ومرجحا ومنتقدا °

4° يغني القارئ من مراجعة عدة تفاسير وعدة كتب في الموضوع الواحد ° (1)

ومما يستخلص من هذه الأوصاف الحكم على تفاسيره بالشمولية لجميع الموضوعات التي

تعرض لها المفسرون ولعل هذا يعتبر من الأسباب التي جعلت القراء يحججون عن

مطالعتها إذا صح هذا الحكم كما يرى - بعد عرض طريقة التفسير - أنه انتهى في

تفاسيره الطريقة السلفية التلقينية الشائعة بين المفسرين (2) ، دون الإشارة إلى ما يمكن

أن تمتاز به تفاسيره عن غيرها من حيث الموضوعات أو الطريقة وكان شخصية المفسر لا

أثر لها ، مع أنه سبق للمحاضر أن نسوه - في مستهل محاضراته - بالمفسر قائلا : ° وهو

على الخصوص مفسر كبير ، وعالم جليل بمعاني كتاب الله تعالى ، ومتمكن من استنباط أحكامه ، واستجلاء

درره ° ° (3)

فإذا كان الأمر كذلك فإنه من دون شك تحمل هذه التفاسير مميزات وخصائص نتيجة اجتهاد

المفسر الذي أدى به إلى استنباط الأحكام ، واستجلاء الدرر ، والمحاضر لم يتطرق في

محاضراته ولو على سبيل المثال إلى بعض ما توصل إليه المفسر مما يعتبر نتيجة اجتهاد

وثمره بحقه وتحقيقه °

(1) ن ° م ° / 07

(2) نفس المكان °

(3) ن ° م ° / 01 ، 02 °



فإذا استنبينا ملاحظنا المحاضر لا أسلوب المفسر في كتابه (التبيين) والذي يرى أنه يميل فيه - أحياناً - إلى عدم السلاسة معللاً ذلك برغبته المؤلف في الإختصار من جهة ورغبته في جمع الكثير، والأحاطة بمختلف الأوجه من جهة ثانية، (1) نجد دالاً قد تغاض عن الجوانب السلبية الأخرى والتي لاحظها بقية الباحثين والدارسين لتفاسيره .

وما يلاحظ المقارن بين أحكام محمد حسين الذمبي و إبراهيم محمد طلاي هو فحش طرف الأول عن جميع الجوانب الإيجابية عند المفسر، وعدم التنويه بها، ولو بحباره مختصرة أقلها الترحم على المؤلف، بينما راجح بوجه له انتقادات لا ذمسه أحياناً - ولا أقول نقداً - بعيدة كل البعد عن الروح التحميه والنزاهة والمدالمة مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: " ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تقعدوا، أعدوا له وأقرب للتقوى . . . " (2)

بينما نجد إبراهيم محمد طلاي يتغاضى عن الجوانب السلبية، وإن تعرض لبعضها حاول إيجاد مبررات لها، وهذه النظرية - أيضاً - بعيدة عن البحث العلمي النزيه . فإذا ارتقلنا إلى رأي محمد بلحاج بن الشيخ، نجدة يخلص طريقته المفسر في جانبين رئيسيين .

- 1 . جانب المبنى الذي يعتبر - في نظره - الميزة الغالبة على تفاسيره، إذ لاحظ إفاضة المفسر في المسائل التحويلية والصرفية والبلاغية .
- 2 . الجانب العلمي والفقهي، يظهر على وجه الخصوص في شرحه لآيات الأحكام، غير أنه يورد ما بطريقه غير مرتبه كما هو الشأن عند القرطبي والرازي . وبتوّه (من خلال ذلك) بقدرة المفسر، وسعة معارفه في العلوم الآتية والصناعية اللغوية، أخذاً عليه الأغرأق في النقل واقتباس بعض الأسرائينيات من المفسرين السابقين في تفاسيره (مميان الزاد) معللاً ذلك بتأليفه في غزارة شيا به .

(1) ن . م . ص / 07 .

(2) المبادئ، 09 .

ومشيداً بالتفسيرين الآخرين، الذين ألفهما عند نضج عقله ، ودلوه في درجته الإجماع المقيد ثم المطلق من حيث التخلي عن كثير ، النقل والرواية مقتصرين على ما توصل إليه عن طريق استقراء النصوص القرآنية من مسائل بلاغية ، وأحكام فقهية مع الاستشهاد ببعض أقوال السابقين (1) .

لولا اعتراف الباحث في مستهل تحريره للمفسر وتفاسيره بعدم التحقق في دراستها لأخذنا عليه اقتضاره على جانبين فقط ، في حين أن المفسر قد تناول في تفاسيره جوانب عديدة لا سيما الجارب العقائدي ولم يحصل الجوانب الأخرى التي سنتناولها بالبحث في الباب الأخير ، لكن من جهة أخرى لا حظ اتفاقه مع بقية الدارسين في أغراض المفسر في نقل الأسرائليات دون تحقيق وتمحيص ، والاكتفاء من الروايات من المفسرين الذين استقى منهم معلوماته ، وهاتان الملاحظتان تنطبقان في نظره على تفسيره (مميان الزاد) بخلاف إبراهيم محمد طالبي الذي يرى أن الملاحظة الثانية ميزة تفسيره (داعي العمل) إذ يقول : " . . فهو تفسير ضخم يورد فيه القابرحمه الله كل ما ذكره المفسرون من قبل " (2) ، غير أنه لا ينفي هذه الميزة عن بقية تفاسيره لكنه لا يوافق غيره على عدم التحقيق والتمحيص ويقول في ذلك : " فميزة الكاتب أنه جمع الكثير مما نراه متفرقا في كتب مختلفة ، وحقق الكثير من المسائل تطاربت فيها أقوال المؤلفين والمفسرين " (3) .  
 وأما رأي إبراهيم بن محمد أطقيش في كتابه (داعي العمل) يتخبره في قوله : " لقد رأيت في هذا التفسير من التحقيق ما لم أراه في غيره " (4) ويعرفه في مجلة المنهاج بقوله : " وهو جدير بالأعتماد والإعتبار ، ومن أجمل التفاسير وأعزها ، لما فيه من دقائق التفسير ودقائق التنزيل ، وليس بتفسيره بسيط ، بل ملك المفسر فيه منهج التبسيط والتحقيق ، لما اختلفت فيه الآثمة من معاني الآيات ووجوه التأويل . " ويسترسل قائلا : " . . . يجد فيه مرید الآيات من بدائع التفسير

(1) القرآن تفسيره ومفسروه عند الأباغية ص 39 - ص 41 .

(2) إبراهيم محمد طالبي محاضراته ص 56 .

(3) ن . م . ص 57 .

(4) نمرة الجزائر الجديدة 315 / 2 الطبعة الأولى .

وبلا عنه القرآن ، وأصول الأحكام ، وتحرير المشكل وتأويل الحق المتشابه ما لا مزيد بخده لمستزيد " (1) وبل يرى أن المفسر نفسه قد نسّوه به في مؤلفاته وكان يحيل القارى عليه في سور المفضل كما يحيله في غيرها على (هميان الزاد) . (2)

أول ما يلاحظ القارى في هذه الآراء المتناقضة ، أحيانا ، اتفاقها على غزارة المسادة وتنوعها ، أن ما رآه هذا الأخير حقائق في تأويل المتشابه رآه محمد حسين الذهبي من التأويل الثالث لظواهر الآيات تعصبا لمذهب ، وكل يحكم على المفسر من وجهة نظره ، ومن زاوية انتمائه المذهبي ، ولا عجب في ذلك ، إنما العجب هو الإبتعاد عن عالم عاش في القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر ، أن يكون نزيها كل النزاهة بطرح آراء مذهبه جانبا والآتهم بالتعصب الأعمى !!!

فإذا اعتبر إبراهيم بن محمد أطفيش كتابه (داعي الحمل) من أهم تفاسيره من حيث التحقيق بدليل قوله السابق ، فأنا نجده يهدر حكما شبيها بالحكم السالف الذكر على كتابه (التيسير) قائلا : " . . . ومن وقف على تفسيره (تيسير التفسير) شاهد تبخره في علوم القرآن وغزارة ما دتسه ، ومقدرته على اذمه حقائق التفسير " (3) .

وبنفس الأسلوب يعلق محمد علي دبور على تفاسيره قائلا : "وأنت إذا نظرت في كتب التفسير التي ألفها ورأيت مباحثه النحويّة وإعراجه فيها ، وحفظه لمذاهب النحاة في مشاكل النحو علمت أنّي بحر هو في علوم العربية " (4)

" لكن باعجاب هذا الأخير مقتصر على تطلع المفسر في المسائل النحوية بمذاهب النحاة ، دون التعرّف لجوانب أخرى ، وكان تفاسيره ذات اتجاه نحوي حسب وجهة نظره .

وإذا تأملنا آراء إبراهيم بن محمد أطفيش ومحمد علي دبور لاحظنا أنها تتميز بطابع المدح فهي أشبه ببلاغات الأشهار ، منها بآراء تقدمية ، وأحكام دقيقة يتوسل اليها الباحث عن طريق التحليل والدراسة الجادة والموضوعية ، فإذا حاول التّباد

(1) مجلة المصباح ع 3، 4 / 46 ، 47 داعي الحمل .

(2) ن م . ص 47 .

(3) الذّهبالص ترجمه المرؤّف بقلم إبراهيم بن محمد أطفيش أبو اسحاق ص / هـ .

(4) نمطه الجزائر العدد 1 / 302 .

التابعون الأظهار في دراستهم لبعض جوانب تفاسيره بالتأقدين ومحللين فإن هذين الأخيرين اكتفيا بالتنويه والأشادة.

ولعل الدراسة التي يمكن اعتبارها أقرب إلى الدراسات الجادة والمؤدية والتي تفيد الباحث، وتعطي صورة - ولو عامة - على تفاسيره هي الدراسة التي قام بها بلحاج عدون شريقي، وقد استعملها باقظاً ولا حيلة عامته على تفسيره (هميان الزاد) الذي لا يمثل - في نظره - مناهجه الحقيقي في التفسير مثلما هو شأن تفسيره (التيسير) وذلك راجع إلى عاملين :-

1. محاولة الفسر جمع أقصى ما يمكن من المعارف التي حصل عليها في سنوات دراسته .
2. إهمال التحقيق والتعميق أحياناً . (1)

قم تطرق إلى تحديد منهجية من خلال تفسيره (التيسير) وتتمثل في الجوانب

التالية :-

1. إضافة القول في المباحث اللغوية البيانية، مستمداً في ذلك أسلوب التحليل والتفصيل للتوصل إلى ترجيح الرأي الذي يراه صحيحاً مدعماً رأيه بأدلة من القرآن، والملاحظة التي استرعت انتباهه هي قيمة المصادر التي يستقي منها معنوماته .
2. الخوض في مسائل الخلاف الفقهية مقدماً الرأي المشهور عند الأباضية .
3. التصرّف - أحياناً - إلى علم المتشابه .
4. الرد على المخالفين للمذهب الأباضي في بعض المسائل المتنازعة على وجه الخصوص .
5. رواية كثير من الآثار دون التثبت من مصحتها . (2)

وما يلاحظ جديداً في دراسته بلحاج عدون شريقي سوقه لأمثله لعدم آرائه، فبرأيه استمد ما من كتابيه (هميان الزاد) و(التيسير) مع أنه انتفى بدراسة مناهجه من خلال تفسيره (التيسير) واعتبر (هميان) لا يمثل بحق مناهجه، ومن هنا نرى أن المحاضر لم يلتزم بمنهجيته في الدراسة، بالأضافة إلى ذلك اعتمده على قول بعض الأساتذة دون التحقيق من صحته مع أمكاته ذلك، لكن الدارس استطاع الاضطلاع ببعض جوانب منهجيته في التفسير، وسلط على تفسيره (هميان)،

(1) التفسير ومناهجه عند علماء الأباضية، معارضه، ص 11، 12 .

(2) ن.م. ص 12، 13 .

و ( التيسير ) بعض الأضواء المساعدة للباحثين على التعمق في دراساتهم لمذنبين التفسيرين .  
وما يمكن استخلاصه من هذه الآراء المختلفة التي تعتبر ملاحظات ، وأما أكثر ما  
تكون نقدا ودراسة علمية ما يلي :-

- 1 . اتفاق الباحثين على أن التفاسير الثلاثة تبرز بوضوح ثقافة المفسر الفريزية ،  
وإطلاعه الواسع على جل التفاسير وتبحره في علوم اللغوية والبيان .
- 2 . تميزها بمسائل الخلاف ، وتعميرها عن وجه نظر الأباذية في هذه المسائل .
- 3 . جل الدارسين اجمعوا على أن تفسيره ( هميان الزاد ) يمثل أولى محاولته في هذا  
الميدان ، مما يعوزه التحقيق والتثبت من صحته المعلومات التي استقها المفسر  
من مختلف المصادر .

- 4 . تنويه بعض الباحثين بالتفسيرين ( التيسير ) و ( داي العمل ) وعدم انكسارهم  
لأهمية تفسيره ( هميان الزاد ) رغم ما فيه من ما أخذ لأسياب سبق ذكرها .  
فماذا أهم ما أمكن استنتاجه من ملاحظات بعد عرض آراء الباحثين والدارسين  
لتفسيره ، فهي لا تغلو من جوانب ايجابية ، وتعتبر مادة خام للباحث تساعد على الدراسة  
العميقة العلمية لهذه التفاسير ، وبالعمل كانت لي بمثابة معالم امتديت بها إلى تحقيق  
هذه الدراسة المتواضعة ، التي سنتعرف فور من خلالها على منهجية المفسر ، التي هي  
موضوع الباب الثالث من هذا محاولين معالجة هذه الآراء مثبتين الصحيح منها ومقندين  
ما نراه مجانيا للصبوب مدغمين كل ذلك بأدلة وحجج ، لأن من القلائد  
هذه الآراء ما في فيها اتجاهات الباحث واثقا وه المذهبي وهذا شيء طبيعي بالنسبة  
لدراسة يهدف في الغالب صاحبهما إلى التعرف بتفاسير مجهولة ودراسة لا تعتمد  
على قسوة علمية يتوخى الباحث من وراءها الحقيقة لا غير ، خدمته للتراث  
والعلم .

## الباب الثاني : الفصل الثالث .

مصادر تفاسيره :

ان المتممن في آراء الباحثين والدارسين لتفاسيره ، يلاحظ شبه اجتماع على غزارة المصادر ، وكثرة الروايات ، وهذا الحمل يتطلب من المفسر الاقتصار على مصادر مختلفة ، ومقتوعه ، سواء كان ذلك في علم واحد كعلم التفسير مثلا أو فسي علوم مختلفة كالحدِيث والتفسير ، وقواعد اللغة هو البلاغية وما إلى ذلك .  
سنحاول في هذا الفصل - قدر المستطاع - تسليط بعض الأضواء على هذه المصادر المختلفة مكتفين بضرب أمثلة عن كل نوع ، لأننا لسنا بصدد حصر جميع المصادر المختلفة التي اعتمدنا المفسر ، وإنما الغرض من دراستنا هذه وتوسيع مجالها مساعدنا على تحديد منهجيته من جهة هو إبراز مدانه تفاسيره بين التفاسير التي كانت مطررها ، ومدى تأثير المفسر بغيره .  
مصادرها من كتب التفسير :

فإذا عدنا إلى حلقة الدرس التي كان يشرف عليها المؤلف في مادة التفسير نجد حسب رأي أحد تلاميذه ، أنه كان يعتمد في تدريسها على وجه الخصوص - على كتابي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر البيهقي ( . . . ، 685هـ ) والكشاف عن حقائق التنزيل لمحمود بن عمر الزمخشري ( 467 هـ ، 538 هـ ) (1) والمفسر نفسه يتحدث عن هذين المفسرين في مقدمته تفاسيره ( «مبيان الزاد» قائلا : " وأما نفس تفاسير الآتي والتردد على بعض المفسرين ، والجواب فأنه ما تراه منسوبا ، وكان ينظر بفكره في الآتي أولا ثم تارة يوافق بآراء الزمخشري والقاضي البيهقي ، وهو الغالب والحمد لله ، وتارة يخالفهما ، ويوافق وجهها أحسن مما أتتاه وذلك من فضل الله الكريم عليه " (2) .

(1) نهضة الجزائر الحديثه 372/1 .

(2) ( «مبيان الزاد » 1 / المقدمة .

من هذه الفترة يتضح لنا بجلاء أن المؤلف لا ينكر النقل من المفسرين  
والاستفادة منهم لا سيما عبد الله بن عمر البينزاوي ومحمود بن عمرو الزمخشري كما  
فهم ذلك محمد حسين الذهبي (1) ، فعنده الله على موافقته لهما في كثير من  
الأغنيان لدليل على عدم انكاره للنقل والاعتماد على تفسيرهما ، كما أن الرد على  
بعض المفسرين يتطأب منه الاطلاع على تفاسيرهم والوقوف على آرائهم ، و الا فكيف  
يسرد عليهم ؟

كما استنتج ابراهيم بن عمر بيوش ( 1316 هـ ، 1400 م ) من خلال اطلاعه  
على كتابه ( التيسير ) الذي كان يرجح اليه للوقوف على رأي الأباشييه في تفسيره  
أن المفسر اعتمد في تفسيره على محمود بن عبد الله الحسيني الأكرقي ( 1217 هـ ،  
1270 م ) في كتابه ( روح المعاني في تفسير القرآن والسبح المثاني ) ، وقد تأكد  
من ذلك حين عثر في تفسيره على عبارات كاملة نقلها حرفياً منه . ( 2 )

وللتأكد من كل ذلك نسوق الأمثلة تثبت صحة ما ذهبنا إليه فإذا تفحصنا  
تفسير عبد الله بن عمر البينزاوي وأخذنا كمثال تفسيره لقوله تعالى : " أن الذين  
فرقوا بينهم " الآية 159 من سورة الأنعام يقول في شرحها : " بددوه فامنوا  
بعضهم وكفروا ببعض أو افرقوا فيه " قال عليه الصلاة والسلام افرقت انبيؤهم على  
أحدى وسبعين فرقة كلهما في المأوىة الآ واحدة و افرقت النصارى على اثنين وسبعين  
فرقة كلهما في المأوىة الآ واحدة و استترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهما  
في المأوىة الآ واحدة و قرأ حمزة والكسائي هنا وفي الروم فارقوا أي باينوا . ( كما هو  
شيحاً ) الآية 159 من سورة الأنعام " فرقاً تشيع كل فرقاً إما ما " ( 3 ) .

ولتفسير محمد بن يوسف أظفيش لنفس الآية يقول : " ( 4 ) دين الله الواجب عليهم  
أن يوتنوا عليه فيضاف إليهم أخذوا بعضهم وتركوا بعضهم وترك انبيؤهم نفس للكل فهو ترك  
للكل وهذا في أهل الشرك وأهل التوحيد ، وذلك كعبادة الأصنام والقول بأن الملائكة

( 1 ) التفسير والمفسرون 2 / 316 .

( 2 ) اعلام الأصلاح في الجزائر 3 / 124 .

( 3 ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1 / 416 .

( 4 ) التيسير 2 / 472 - 473 .

بدأت الله وبأن عيسى ابن الله وآتاه الله وآتاه مريم اله وآتاه عزير بن الله وآتاه  
عليها أولى بالأمامة في أولاده إلى الحسين بن علي بن الحسين بن علي لأنه لم  
يبغض أباً بكر وعمر وكذبت الشيعه ، فإنه لم يبغضها أحد قبله أيضاً من أولاد علي  
والقول بأن أهل المعاصي والكبائر مشركون والتحكيم فيما فيه حكم لأن أمرنا  
الله به قال صلى الله عليه وسلم افتردت المجوس على سبعين فرقة كلها لها لكسة ،  
وافترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وافترقت النصارى  
على اثنين وسبعين فرقة كلها هالكهنا إلا واحدة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين  
فرقة كلها هالكهنا إلا واحدة ، وسئل صلى الله عليه وسلم من هي ، فقال من كان على  
ما أنا عليه وأصحابي .

وليس في أحاديث الأئمة ذكر المجوس وذكره الشيخ يوسف بن إبراهيم في بعض  
كتبه وذلك كما قال الله جل وعلا : " وكانوا شيعاً " فرقا تنسب كل فرقة إلى إمامها  
الذي شايهه هي " وإذا قارنا بين التفسيرين الآية نلاحظ الاتفاق في شرح المعنى  
مع تضيير طفيف يتمثل في تعرض المفسر الأول للقراءات وأدوات الثاني في الشرح  
و ضرب الأمثلة ، وقد استشهد كل منهما بحديث ( ستفترق أمتي ) مع اتفاق مصدر  
استيقائه ، أما الجزء الثاني من الآية لا نلاحظ عليه سوى تضيير في الجواب مع اتفاق  
في المعنى .

ويظهر تأثر المفسر بوزج في كتابه ( هميان الزاد ) وهذا بأعتراف منه فعند  
شرحه لقوله تعالى : " وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات " الآية 25 من سورة البقرة  
يقول المفسر بعد استنكاره للرأي التائل أن الإيمان قول بلا عقل مقدا هذا الرأي  
بقوله : " فالعمل الصالح كالبناء النافع . . " والإيمان آس ، ولا يفتح إلا س بلا بناء  
عليه . . ففي عطف الأعمال الصالحات على الإيمان أيان بأن البشارة بالجنة إنما  
يستحقها من يجمع بين الأعمال الصالحات والإيمان . . " ( 1 ) .

إذا رجعنا إلى تفسير عبد الله بن عمر انبضواوي لنفس الآية نراه يستدل  
بنفس الأدلة ويضرب نفس المثال مع التقدير ، والتأخير ، وتضيير في أسلوبه يقول :  
" وعطف الحق على الإيمان مرتباً للحكم عليهما إحصاراً بأن السبب في استحقاق هذه  
البشارة مجموع الأمرين والجمع بين الوصفين بأن الإيمان الذي هو عيار ، عس



التحقيق والتعميق أسوأ الحمل الجمال كالبنياء عليه ولا فناء بأس بنا عليه . " (1)  
وقد يعمد المفسر النقل منه مع نسبة القول إليه ، ونرواية رأيه بحسب أو  
لاذيات فكرة أو تنفيذ ما ذهب إليه ، وغير مقال ما ورد في تفسير قوله تعالى :  
" يا أيها المشركون نجس الآية 28 سورة التوبة ، يقول المفسر : " . . . قال القاضي  
وفيه دليل على أن ما الخالب تجاسته تجسر . " (2)

وفي قوله تعالى : " إن عدّة المشهور عند الله " الآية 36 من سورة التوبة  
يقول المفسر : " وعلقه القاضي بحدّة وهو مصدر " (3) وهذا نموذج لتفسير رأيه  
يقول في تفسير قوله تعالى : " حتى يغيروا ما بأنفسهم " الآية 53 من سورة الأنفال  
" . . . ولا يخفى أن سبب الأخذ هو تغيير الناس ما بأنفسهم كما هو بالآية وليس سببه  
عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم كما هو ظاهر الآية ولا ما عمو  
المفهوم من هذا الظاهر وهو جري عادته على تغييره متى يغيروا حالهم كما زعم  
القاضي . " (4)

وتأثره بمحمود بن عمرو الزمخشري يظهر في النقل منه أحيانا دون ذكر  
الاسم وهي عادة المفسرين القدماء ، وفي تفاسيره أمثلة كثيرة تثبت اقتباس المفسر  
من كتابه (الكشاف) ، وتؤكد بأنه يعتبر من أهم مصادره ويكفي أن نسوق  
هذا المثال للدلالة على ذلك .

لتفسير أم محمد بن يوسف أطفيش لقوله تعالى : " المنافقون والمنافقات بعضهم  
من بعض " الآية 67 من سورة التوبة يقول : " أي متوالفون مجتمعون على المعاصي  
متشابهون فيما كابدوا الشيء الواحد كما تقول : " أنا منك وأنت مني يريدان كما  
متوافقان كما تقول التقا من الرأس تريد أن حكمهما في القصاص واحد ، والأذنان من  
الرأس تريد أن ونحو " ما من الرأس لا مع الوجه ، وقيل ذلك تكذيب لحلفهم أنهم  
لمنكم وتقرير لقوله : " وما هم منكم " ويأمرون بالعنكر " الكفر والمص " ،

(1) (أنوار التنزيل وأسرار التويل) 496/1 .

(2) (هميان الزاد) 276/7 (أنوار التنزيل وأسرار التاويل) 496/1 .

(3) ن.م. 301/7 ، ن.م. 500/1 .

(4) (هميان الزاد) 197/7 .

" يدهون من المصروف " " الأيمان والطاعة وذلك مضاف لأفعال المؤمنين فليسوا منهم " (1).

ومحمد بن عسر الزمخشري يفسر قوله تعالى: " يستخفون من بعض " أريد به نفي أن يذكروا من المؤمنين وتكذبهم في قوله ويحلفون بالله أنهم لمنكم وتقرير قوله: " وما هم منكم ثم ومفهوم بما يدل على مزيد الخاتم لحال المؤمنين " يأمرون بالتمكيد " بالكفر والمعاصي " وينمون عن المصروف " " عن الأيمان والطاعات " (2).

نلاحظ عند المقارنة بين التفسيرين للآية تقارباً واضحاً، رغم أننا لا يمكننا الجزم أن المفسر اقتبس بعض المعاني مباشرة منه، لأن التشابه نلاحظه أيضاً بين مفسرين آخرين مثل عبد الله عمر البيضاوي (3)، وعلي بن محمد علاء الدين المصروف بالخازن (4) (673هـ، 741هـ) ومحمود بن عبد الله الحسيني الأتوسي (5) (1217هـ 1270هـ) غير أن اعتبار تأثير المفسر بالأول أولى لكونه متقدماً على بقية المفسرين من جهة، وبتأثير المفسر بالاستفادة منه ومن عبد الله بن عسر البيضاوي نسي مقدمته كتابه (هميان الزاد) وكثيراً ما يؤد ذكر اسم (بار الله) ويعني به صاحب كتاب (الكشاف) مثبتاً لأقواله، أو مفيداً لها، وكنتفياً - أحياناً - بروايتها مع جملة روايات آراء بقية المفسرين، وفي الأمثلة التالية ما يدل على ذلك:

... في معرض تفسير قوله تعالى: " ربنا اناس " الآية 47 من سورة الأنفال ما يلي: " ... فإن جار الله فوا فوها يعني بدر فسقوا كأس المنايا مكان المصروف، وناحت عليهم النواصح مكان الثقيات " (6).

- (1) ن.م. 368 / 7.
- (2) (الكشاف) 161 / 2.
- (3) (أنوار التنزيل) 509 / 1.
- (4) (لباب التأويل) 244 ، 243 / 2.
- (5) (روح المعاني) 132 / 10.
- (6) (هميان الزاد) 138 / 7 ، (الكشاف) 130 / 2.

وفي تفسير قوله تعالى: " ولو شاء الله ما أشركوا " الآية 107 / الأ أنعام يقول المفسر رداً عليه: " وزعم الزمخشري أن المعنى لو شاء مشيئة اكراه أن يشركوا وأن مشيئة الاختيار حاصلة البتة، هو هذا بخلاف الظاهر فلا يقبل الخ. . . " (1)

وفي تفسير قوله تعالى: " اذ يريكم الله في منامك قليلاً " الآية 43 / الأ أنعام يقول بعض الأقران في شرح المنام قائلًا: " . . . وعن الحسرة المنام موضع النوم وهو الحينان كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيما وعليه النقاش وحكاه عن المازني قال: " بعضهم وعليه فالروءية في اليقظة، قال جار الله: " أن هذا التفسير المذكور عن الحسن تحسّف وما أحسب الروءية فيه صحيحة عنه وما تلائم عنه بكلام العرب فصاحته. . . " (2).

و محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره للآية يورد نفس معاني الكلمة تقريباً، لاحظ ذلك فيما يلي: " . . . وعن الحسن في منامك في عينيك لا تما مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لا تما ينام فيها، وهذا تفسير فيه تحسّف وما أحسب الروءية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب فصاحته " (3).

و أقرطبي بن محمد علاء الدين المعروف بالخازن في تفسيره واضح، لا سيما في القصص فإذا أخذنا كمثال الحوار الذي جرى بين الذئب و يحقوب عليه السلام في تفسير قوله تعالى: " وجاءوا على قميصه بدم كذب " الآية 19 / يوسف، نلاحظ تشابهاً كبيراً بين التفسيرين، ولا ندري هل نقل المفسر هذا الحوار من كتاب علي بن محمد علاء الدين (678 هـ - 741 هـ) (لباب التأويل) أو كان المصدر الذي أستمد منه هذه القصة هو نفس المصدر الذي اعتمده هذا الأخير؟ وإن كان المفسر أحياناً يحاول الاختصار بينما نجد (الخازن) ينقلهما مفرد لما فصلاً يقول المفسر: " . . . ويروي أنهم أتوا بذئب، وقالوا هذا هو الذي أكله فقال عليه السلام: أيها الذئب أنت أكلت ولدي، وثمره فؤادي، فأنا لله عز وجل، وأفممه فقال والله ما أكلت ولدك ولا رأيتك قط، ولا يحتمل لنا أن نأكل لحياتكم

(1) التيسير 377/2.

(2) معيان الزاد 132/7.

(3) الكشاف 126/3.

الأنبياء، فقال له وكيف وقعت في أرض كنعان فقال: " جئت لصلة الرّحيم وهي قرابة لي فأخذوني إليك، فأطلقه يحقوب " (1)

غير أن من الملاحظ لا تحدر على أسم (الخان) في تفاسيره إلا قليلا، لا كالمفسرين السابقين مثل نقده لروايته رواها هو ومحمد بن جرير الطبري (224هـ، 310هـ) قائلا: "... وما رواه الطبري والخازن عن ابن جبير من أنه قتل يومئذ جبلا والدا أيضا وهو المطعم بن عدي في صحيح لأنه مات قبل بدر..." (2) وذلك في تفسير قوله تعالى: " وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا " الآية 31 من سورة الأنفال. وأهم مصدر اعتمده المفسرون لم يذكر أسم صاحبه كثيرا في تفاسيره هو (روح المعاني) لمحمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (1217هـ، 1270هـ) لكننا لا نعتقد أن المفسر قد أطلع عليه خلال تفسيره للقرآن الكريم في كتابه (هميان الزاد) لأن المفسر الأول قد أنهى تفسيره في سنة 1267هـ بينما المؤلف قد أنهى تفسيره في سنة 1271هـ وأربع سنوات تفرافية في ذلك الوقت لحصول المؤلف على نسخة جديدة للتأليف، بينما في تفسيره (تيسير بيان التفسير) لا سيما في الأجزاء الأخيرة نجد أثره واضحا، في نقل أقدار وعبارات - أحيانا - يرمتها منه، وقد أشار المفسر إلى هذا المرجع عند تفسير قوله تعالى: " لا بارد ولا كريم " الآية 44 سورة الواقعة قائلا: "... ويجوز أن يكون ذلك نعتا ليحموم فيفيد نفي الكرم عن اليحموم والبرد النمام عن الظل المخصوص منه إذ كان بعضه مع بقاء ما تقدم من نكتة نفي البرد والكرم عن الظل أشار إليه الأمام أبو حيان ورد علي تفسير قبل هذه السورة بمقدار لبخداي يكثر فيه الرد على أبي حيان ولي همنة في الجواب عنه لكن لي اشغال (3)" ويفهم من ذلك أن المفسر قد أطلع على هذا المصدر، واعتمده في تفسيره (التيسير) الذي لو تصقحناه لوجدنا فيه أمثلة، بل نلاحظ - أحيانا - نقله لعبارات كاملة دون التصرف فيها ومن خلال المثال التالي يتضح لنا ذلك، وما جاء في تفسيره لقوله تعالى: " هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا " الآية

(1) (التيسير) 305/3 لباب التأويل 9/3.

(2) (هميان الزاد) 157/7، 158.

(3) (التيسير) 49/6 (روح المعاني) المجلد 9 الجزء 27 / 144.

01 من سورة الانسان يقول المفسر ما يلي :- " . . مع ان الرواية الصحيحة أم هل رأونا بأى المنقطعة بمعنى بل كما قال السيرافي ومع ان في نسخة قديمية وجد ما السيوطي فهل رأونا بالفاء . . كما فسرها ابن عباس معنى قد وكذا سيوييه والكسائي وقيل للتقريب وقيل للتحقيق . . (على الانسان) الجنس على الصحيح ولا مدخل فيه لادم وبه قال ابن عباس . . (حين) طائفة من الزمان محدودة طويلة أو قصيرة . . (من الدهر) الزمان الممتد غير محدود يفتح على مدة العالم من حين خلق الله الزمان الى ما لا نهاية له . . ويطلق الدهر أيضا على كل زمان طويل غير معين والزمان عام للقليل والكثير . . والمعنى قد أتى أو هل أتى على جنس الانسان قبل زمان قريب مثل طائفة محدودة مقدرة كائنة من الزمان الممتد لا يذكر كما قال الله عز وجل " لم يكن شيئا مذكورا " بل كان شيئا لا يذكر بالانسانية انما معروف بها وهو التراب . الخ " (1)

فقد أورد في تفسير الآية ما يمكن اعتباره اقتباسا من المرجح إما معنى أو حرفيا للمقارنة نورد مثاله من كتاب (روح المعاني) . " . . على ان السيرافي قال الرواية الصحيحة أم هل رأونا على ان أم منقطعة بمعنى بل وقال السيوطي في شرح شواتم المعنى الذي رأته في نسخة قديمة من ديوان زيد فهل رأونا بالفاء وعن ابن عباس وقيادة هي بمعنى قد وفسرها بما جماعا من النحاة كالكسائي وسيوييه والمبرد والفراء وحملت بمعنى التقريب ومن الناس من حملها على معنى التحقيق . . والمراد بالانسان الجنس على ما أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس، والحين : طائفة محدودة من الزمان شاملة للكثير والقليل والدهر، والزمان الممتد الخبز المحدود ويقع على مدة العالم جميعا وعلى كل زمان طويل غير معين والزمان عام للكُل . . والمعنى هنا قد أتى أو هل أتى على جنس الانسان قبل زمان قريب طائفة محدودة مقدرة كائنة من الزمان الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا غير مذكور بالانسانية انما معروف بها غير معروف بها . " (2)

فلا تنحصر مصادر من كتب التفسير فيما ذكرناه، واختراه كأمثلة، فحسب بل نجده يستقي المعلومات من أغلب المفسرين الذين سبقوه، غير أنه اعتمد على بعضهم أكثر من غيرهم، كما أنه يستفيد من مفسر في جانب معين أكثر من جوانب

(1) (التفسير) 6/433، 434.

(2) (روح المعاني) المجلد 10 ج 29/189، 190.

أخرى فعلى سبيل المثال ، اتخذ كتاب (عرائس القرآن) (1) مصدره في رواية قصص الأنبياء وكتاب (البحر المحيط) لمحمد بن يوسف أبي حيان (654هـ-745هـ) (2) في مسائل قواعد اللغة ، كما كان (جامع البيان في تفسير القرآن) للمحمد بن جرير الطبري (224هـ-310هـ) (839م-923م) مرجعه في التفسير بالماثور. (3) وقد يشير الى بعض المراجع التي اطلع عليها خلال تفسيره للاتية ، كما اشار الى حصوله على نسخة من كتاب (الفتوحات) لصبي الدين محمد بن عليّ (أبو بكر) المعروف بأبن عربيّ (560هـ-633هـ) ويقول في ذلك : " . . والسئل على ظاهره من اراد الأفراد أولى كما قال ابن العربيّ في فتوحته ، تحصلت لي من مئة نسخة منه بالقلب معها كلام لبعض الأشعرية . . " (4) .

ومن المصادر التي ورد مؤلفوها كديرا في تفاسيره عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير السيوطيّ (849هـ-911هـ) (5) وقاسم بن أصبغ البيهقيّ انقراطيّ (247هـ-340هـ) (6) وعبد الحق بن غالب بن عطية المحاربيّ (431هـ-542هـ) (7) ومحمد بن عمر التيمي البكر ، فخر الدين الرازي (544هـ-606هـ) (8) واسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين (701هـ-774هـ) (9) .

ومن الملاحظ أنّ لا نصوص على اسم هود بن محكم الهوايي (القرن الثالث الهجريّ) المفسر الأباضيّ الآ قليلا ، وهذا دليل على أنّه لم يتفذه مرجعا أساسيا غير أنّه يفهم أنّ عرض المفسر من ذكر اسمه ضمن بقية المفسرين ، ومحاولة وضعه في مكانه كمفسر ومن هذا المثال يتضح لنا ذلك : " وقال عامر الشعبيّ رضيّ بن زيد والشيخ هود حسبك الله وحسب من أتبعك من المؤمنين . " (10) .

- 
- 1) لعل كتاب المشار اليه لأحمد بن محمد إبراهيم الداعليّ (427هـ) الورود اسمه في تفاسيره أنظر أمثلة في هميان الزاد 31/7 ، 45 ، 47 ، 48 ، 288 .
  - 2) أنظر أمثلة في (التيسير) 12 ، 279/4 ، 28/3 ، 160 ، 161 .
  - 3) أنظر أمثلة (هميان الزاد) 30/7 ، 34 ، 266 ، 267 ، 292 . (التيسير) 290/1 .
  - 4) (التيسير) 327/5 .
  - 5) أنظر أمثلة في التيسير 501/1 ، 20/4 ، هميان 90/7 .
  - 6) = = = 139/8 ، 510/1 .
  - 7) = = = 129/5 ، 12/4 ، 554 ، 535/6 . ن . م .
  - 8) = = (هميان الزاد) 57/7 ، 424 .
  - 9) ن . م . (هميان الزاد) 83/7 ، 40 .
  - 10) ن . م . 209/7 أنظر أمثلة أخرى في ن . م . 128 ، 187/7 .

وقبل أن نختم حديثنا عن مصادر هـ من كتب التفسير ، نريد أن نشير إلى أن المفسر قد يستقي معلوماته من مصادر هـ دون واسطة وقد يستقيها عن طريق مصادر أخرى ، كما ورد في تفاسيره أسما مفسرين آخرين لهم نشر اليمس لا لنا لسانا بصدق عصر جميع مصادر هـ من كتب التفسير فاقصرنا على أهمها ، وعلى ما يخدم الغرض الذي أشرنا إليه في مقدمته هذا الفصل .  
مصادر هـ من كتب الحديث :

يبدو أن المفسر يستقي الحديث النبوي الشريف من مؤرخين ، كتب التفسير ، وكتب الحديث ، ويظهر لنا ذلك من نقله لرأي مفسر في حديث أو في رواية عنه ، والأمثلة التالية توّضح ذلك ، في تفسير قوله تعالى : " هل تعلم له شيئا ) الآية 65 من سورة مريم يقول : " . . . وفي تفسير البخوي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ اسم ربك الا على فقال سبحان ربي الا على الذي خلق فسوى الى آخر البسورة " (1) .

ويقول في تفسير قوله تعالى : " أم نحن الزارعون " الآية 64 من سورة الواقعة قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يقلن أحدكم زرعوا كن ليقبل حرثت ، ثم قال أبو هريرة ألم تعلموا أن الله تعالى يقول أفرايتم ما تحرثون (2) الآية رواه الطبري وغيره ، ويستحب للزارع . . . قاله الطبري بلفظه وقد ظفرت بنسخة من تفسيره بخط اليد المشرقي . . . " (3)

ان الحديث الوارد في المذال الأول أخرجه أحمد وأبو داود الطبري والبيهقي في سننه حسبما ذكر محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (4) ، لكن المؤلف ينقله من تفسير حسين ابن مسعود الملقب بالبخوي ، أما الحديث الوارد في المذال الثاني نسب روايته إلى محمد بن عيسى الطبري مع أن النص الوارد في تفسير هذا الأخير (5) يختلف عن النص الوارد في تفسير المؤلف .

(1) (التيسير) 56، 55/4 .

(2) الواقعة 63 .

(3) (روح المصاني) 181/30 المجلد 10 .

(4) (التيسير) 55/6 .

(5) (جامع البيان) المجلد 11، 27، 114 .

لكننا نجد نفس النص مع اختلاف بسيط في قول أبي هريرة: " ألم تسمعوا الله " عوض " ألم تعلقوا أن الله " في كتاب روح المعاني (1) ولا نستبعد حينئذ نقل المفسر للحديث من المصدر الأخير ، مع الملاحظة أن هناك اختلافا في نسبة الدعاء (ويستحب للزارع الخ ) فقد نسب روايته لمحمد بن جرير الطبري بينما صاحب ( روح المعاني ) رواه عن قاسم بن أصبغ البيهقي القرطبي ، ومن هذين المثالين يمكن القول بأن المفسر يلجأ إلى مصادر التفسير لرواية الحديث عنها ، لكن المؤلف يلجأ إلى مصادر الحديث لاقتباس الشواهد منها ، ومن الأدلة التي تثبت ذلك ، اعترافه بأطلاعه على أشهر كتب الحديث المعروفة وحصوله عليها ، ونقرأ هذا الاعتراف في معرض تفسيره لقوله تعالى : " وما جعل أدعياً كم أبناءكم " الآية 04 من سورة الأحزاب ، ويقول المفسر بعد شرحه للآية وذكر أسباب نزولها مستشهدا بحديث ورد في مسلم والبخاري والترمذي والنسائي بإسنادهم <sup>إيضا</sup>   
 " . . . وكانت كتب الحديث غير موجودة في مضاب (2) ورأي مالكي عالم من أهل مكة مضابياً ينسخ شرح التيل (3) في مكة ولم يجد فيها الحديث كثيرا فأعطاني البخاري ومسلما والترمذي وابن ماجه والنسائي وأبا داود وغير ذلك وأنا حاضر في مكة ، فانتفعت بتلك الكتب كما انتفعت بصحيح الربيع بن حبيب فجمعت منها وفاق الضمانة (4) وجامع الشمل (5) في حديث خير الرسل . (6)

وفي هذا الاعتراف ذكرنا أهم مصادر الحديث التي اعتمدها ، والتي ورد أسماؤها كثيرا في تفاسيره ، تارة بنقل الأحاديث منها ، وطورا ، بنقلها من كتب التفسير مع ذكر السند . كما أشرنا إلى ذلك سابقا .

- 
- (1) ( روح المعاني ) المجلد 09 ، 148/26 .
  - (2) اسم واحة بالجنوب الجزائري تدعى حاليا وادي ميزاب عاصمة ولايتها غرداية تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 600 كلم وبني يسجن احدي قرى هذه الواحة مسقط رأس المفسر .
  - (3) مؤلفات من المفسر في الفقه .
  - (4) وفاق الضمانة بأداء الاثمان من مؤلفاته في الحديث .
  - (5) جامع الشمل في الحديث خاتم الرسل من مؤلفاته في الحديث .
  - (6) ( التيسير ) 799/4 - 800 المجلد 2 .



وقد يذكر المبدرو صاحبه كما هو الملاحظ في معرض تفسيره لقوله تعالى :  
 " انك أنت الوهاب " الآية 08 / آل عمران يقول المفسر : " . . قال الطبراني في  
 معجمه الكبير ، عن أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :  
 " لا أخاف على أمتي إلا الخ . . " (1) والمثال التالي يثبت أكثر بأن المفسر كان يعتمد  
 مصادر الحديث لروايته في تفاسيره فيقول : " رأيت في مسلم والترمذي وأبي داود  
 وابن ماجه والنسائي والبيهاقي أن رسول الله الخ . . " (2) .  
 وعند تصفحنا تفاسيره لا سيما ( هميان الزاد ) و ( التيسير ) لاحظنا أسماء  
 أشهر المحدثين والرواية عنهم وهذا ما يؤيد ما ذهبنا اليه من أن المفسر اعتمد  
 أهم المصادر من كتب الحديث ، والشيء الملاحظ أنه لم يتخذ مسند الربيع بن حبيب  
 الأزدی ( . . . ، 170 هـ / 786 م ) أحد أقدم مصادر الحديث عند الأباذية رحي مصدرا له  
 أساسيا في هذا العلم ، فلا نعثر على اسم هذا المحدث في تفاسيره إلا نادرا مثل  
 قوله : " . . وقد أخرج الربيع بن حبيب وغيره حديث أن أبا مسعود رفع السوط . " (3)  
 وفي موضع آخر يورد حديثا قريبا من معنى الحديث السابق ويقول : " وهو مخالف  
 لمتن حديث الربيع " (4) وقوله : " . . لحديث الربيع رحمه الله أنه صلى الله عليه  
 وسلم جاوز فرسخين من المدينة الى ذي الحليفة ، وقال أريد أن أطمئكم حد السفر (5)  
 وهذا الحديث قد ورد في الجامع الصحيح لمسند الربيع حسب النص التالي : " الأمام  
 قال قال أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة وصلى  
 العصر بالحليفة ركعتين بينهما في القياس والتقدير خمسة أميال الى ستة " (6)  
 لاحظ أن راوي الحديث هو أفلح بن عبد الوهاب .

- 
- (1) ن . م . 446 / 1 .  
 (2) ن . م . 540 / 6 .  
 (3) التيسير 1 / 726 وقد ورد الحديث في الجامع الصحيح لمسند الربيع بن حبيب  
 مع اختلاف بسيط في العبارة 2 / 65 .  
 (4) ن . م . 729 / 1 .  
 (5) ن . م . 794 / 1 .  
 (6) الجامع الصحيح 4 / 09 .

(٢٠٠٠: 240 هـ 854 م) وروايات هذا الأخير ضمها مرتب الكتاب يوسف بن ابراهيم (أبو يعقوب) (1) الى الكتاب ولم يروها الربيع بن حبيب ونفي الملاحظة نستخلصها من استشهاده بحديث (ستفترق أمتي) فبعد أن ساق الحديث قال : " 00 وهذا هو المشهور وعليه أبو عبيدة رحمه الله تعالى 000 ولفظ أبي يعقوب ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهن الى القار ما خلا واحدة ناجية وكلهم يدعي تلك الواحدة الحديث (2) °  
 أن النص الثاني هو النص المطابق للنص الوارد في الجامع الصحيح لمسند الربيع بن حبيب بن عمر الأزدى °

نستخلص مما تقدم من الأمثلة أن المفسر اعتمد الجامع الصحيح مصدرا من بين مصادر الحديث في تفاسيره ، ولكن نجد من جهة أخرى أمثلة تثبت ما ذهبنا اليه سابقا بأن المؤلف لم يتخذ مصدرا أساسيا بحيث نجد بعض أحاديث واردة فيه ، فيكتفي بذكر مصادر أخرى دونه وفي المثال التالي ما يدل على ذلك ° ° ° قال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له ° رواه الطبري والبيهقي ولفظ الطبري عن أبي عباس وابن مسعود موقوفا ومرفوعا لم يزد بها عن الله إلا بعدا ° ° (3)

وقد روي هذا الحديث في الجامع الصحيح عن جابر بن زيد : " عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول هو وأصحابه : " من لم تنهه عن صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعدا " ° (4)

وفي المثال التالي ما يدل على عدم اهتمام المفسر كثيرا بهذا المصدر فيقول : " ولم يصح عند أصحابنا حديث البخاري ومسلم أن آدم <sup>عليه السلام</sup> يغنى الإعجم الذنب فإنه يبقى ومنه بيني °  
 كل أن (5)

- (1) ن ° م ° 3/1 ° تنبيهات لمصحح الكتاب عبد الله بن حميد السالمي °
- (2) (التيسير) 241/5 ، وللاطلاع على مثال آخر ، ارجع الى ن ° م ° حديث (أصبح من عبادي مومن الخ °) رواه الربيع بن حبيب في الجامع الصحيح لمسند 16/1 مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات والعبارات °
- (3) ن ° م ° 686/4 °
- (4) (الجامع الصحيح) 15/4 °
- (5) (التيسير) 674/4 ، فقوله لم يصح عند أصحابنا فهذا الرأي يبدو أنه نقله من كتاب السؤالات ، لأن عبد الله بن حميد السالمي أثبت صحته في شرحه لجامع الصحيح لمسند الربيع وبل أنكر تأويله ، أنظر صفحة 63 564 من المرجع الأخير °

والحديث نفسه وارد في الجامع الصحيح على النحو التالي : رواه أبو عبيدة عن جابر بن زيد : " ومن طريقه (1) عنه عليه السلام ، كل ابن آدم يأكله الأرض إلا عجب الذنب فأنسه منه خلق ومنه يركب" (2) .

وما تقدم يتضح لنا على الأقل عدم اهتمام المفسر بهذا المصدر ، كما يزداد على مصادر الحديث الأخرى التي اعتمدها المفسرون السابقون ، في الوقت الذي كنا نتوقع أن يتخذ هذا المصدر الأبا ضبي في الحديث مصدرا أساسيا وإن لم يملكه أعمالا تاما ، فقد رأينا أنه كان يشير إلى ما يجب على الأقل (3) باستثناء هذه الملاحظة ، نجد المفسر اهتمام كثيرا بكتب الحديث الصحاح ، وبصرفه فإسناد استفاد من أشهر كتب الحديث .  
مصادره من كتب الفقه :

تتقسم هذه المصادر إلى قسمين :

(1) القسم الأول ما يحمل من آراء المدارس الفقهية المختلفة ، التي لا نستطيع أن نذكر من أن المفسر قد استعملها من مصادرها ، ولم يقتبسها من كتب التفسير ، لأنفسنا . نلاحظ أحيانا - توافقا وتناوبا كبيرا بين طريقتيه في عرض هذه الآراء وطريقته مفسرا آخر ، ولتوضيح ذلك نضرب هذا المثل : في تفسير قوله تعالى : " وعلى النوازل مثل ذلك " الآية 288 من سورة البقرة ، فبعد عرضه لبعض الآراء يسوق رأي أبي حنيفة الشافعي (4) وهذه الطريقة في الشرح والعرض يلاحظها في كتاب (روح المحامتي) (5) ، وفي تفاسيره أمثلة كثيرة يمكن للدارس أن يمشر عليها لا سيما في تفسير آيات الأحكام .

غير أن هذا لا يعني أن المفسر لم يرجع إلى المصادر الفقهية للاستفادة منها رغم أن إيراد أسماءها في تفاسيره قليل بالمقارنة إلى ورود أسماء أئمة الفقه (6) .

- 
- (1) أبي أبي هريرة .
  - (2) (الجامع الصحيح) 71/2 .
  - (3) أنظر مثلا آخر على ذلك في (التيسير) 544/1 ، (الجامع الصحيح) 69/1 .
  - (4) (التيسير) 335/1 .
  - (5) (روح المحامتي) 147/2 المجلد الأول .
  - (6) أنظر مثلا في (التيسير) 501/1 .

(2) والقسم الثاني يتمثل في كتب الأباضية في الموضوع ومن أمثلة هذه المصادر : كتاب قواعد الإسلام (1) الديوان (2) السؤالات (3) القناطر (4) الأيضاح (5) .  
يعود الى هذا المصدر رأياً لسوق رأي الأباضية في قضية ما أو رأي المؤلف فحسب فقد يذكر اسم المصدر ومؤلّفه أو يكفي بذكر المؤلف دون الإشارة الى كتابه أو العكس ، ومن خلال هذه الأمثلة يتبين لنا ذلك :

فأثر إيراد رأي المذهب الأباضي في نهي المشرك غير الكتابي والمشارك الكتابي عن دخول المسجد الحرام أو غير من المساجد ~~التي~~ أو مواضع الصلاة والمجالس يقول : " وفي السؤالات وان دعا مشرك الى الجملة التي يدعو اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بها أو كتبها أو صوّها فإنه يجبر على التوحيد الخ . . . " (6) .

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى : " وما كان المؤمنون لينفروا الى يحدرون " الآية 122 من سورة براءة يقول : " . . . قال الشيخ اسماعيل الجيطالي وقال أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر لا يجوز أن يقصد بتعلمه التعليم " (7) .  
وفي اتخاذ الاوطان يقول : " . . . ذكر الشيخ عامر نفعنا الله ببركته ورحمته الله ما حاصله أنه من لم يتخذ وطناً صلاة له الخ . . . " (8) .

---

(1) من تأليف اسماعيل بن موسى الجيطالي (أبو طاهر) ، تصحيح وتعليق عبد الرحمن بن عمر عمر بكلي .

- (2) ويدعى كتاب الأشياخ ألفه سبعة من الفقهاء ويشتمل على 25 جزءاً .
- (3) ألفه عثمان بن خليفة المازني السوني (أبو عمر) من علماء القرن السادس الهجري .
- (4) قناطر الخيرات في أصول الدين من تأليف اسماعيل بن موسى الجيطالي (أبو طاهر) .
- (5) ألفه عامر بن علي بن عامر بن سيف والشماخي (أبو ساكن) يشتمل على 3 أجزاء .
- (6) (هميان الزاد) 278/7 أنظر أمثلة أخرى في كتاب التيسير 569/1 ، 472/5 .
- (7) (هميان الزاد) 451/7 .
- (8) (التيسير) 415/6 ، رأي صاحب كتاب الأيضاح 625/1 .

ومن الفقهاء الإباضيين الذين كان الموءأف يحفل بأرائهم ويستشهد بها لا سيما في العقيدة عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي (أبو عمار) ويوسف بن إبراهيم السدراتي الوريحاني (أبو يعقوب) (500، 570 هـ).

ففي تفسيره لقوله تعالى: "ويخفر ما دون ذلك لمن يشاء" الآية 116 من سورة النساء يقول المفسر: "و قال أبو عمار رحمه الله ما دون ذلك الصغار لا تما تغفر لمن آجنب الكبائر ولو بلا قصد توبة منها ما لم يصبر عليهما . . ." (1) وفي تفسير قوله تعالى: "أن لو كانوا يعلمون الخيب ما لبثوا في الحذاب الممين" الآية 14 / سبأ يستشهد بقول يوسف بن إبراهيم (أبي يعقوب) قائلا: "وبأن الشيخ يوسف بن إبراهيم قال من كان داخل بيت من زجاج لا منفذ له لا يسمع الصوت ولو ضربت عليه طبول الدنيا إلا أن لله خرق الحادة . ." (2) كما كان يستشهد بمنظومة فتح بن نوح الموشائي أبي نصر مثلما نلاحظ ذلك في قوله: " . . . وقد عبر أبو نصر بتقدير في التوبة . . ." (3) عند تفسيره للآية 180 من سورة الأعراف.

ونخلص إلى القول بأن المصادر الفقهية المتنوعة التي آتت بها المفسر تتجلى في عرضه وسوقه لآراء الفقهاء المختلفة في قضية، كلما دعا تفسير الآية إلى ذلك فإذا كنا لا نستطيع الجزم بأن المفسر قد استقى هذه الآراء من مصادرهما ولم ينقلها من كتب التفسير، فإننا لا نشك في أن آراء المدرسة الإباضية استعدت من مصادرهما، فقد وردت في تاسيره بحسن هذه المصادر المختلفة أو أسماء مؤلفيها فإكتفينا بذكر أهمها .  
مصادره من كتب مختلفة:

أن الملاحظة الملفتة للنظر في تفاسيره والتي تسترعي انتباه كل باحث هي تنوع المعلومات ويستدعي ذلك تنوع المصادر، غير أنه لا يمكن لنا التأكيد من أن المفسر — كما سبق أن ذكرنا — رجع إلى هذه المصادر للاستفادة منها، ولم يقتبسها من كتب التفسير، ففي القراءات على الرغم من اطلاع المفسر على هذا العلم والتأليف فيه (4) إلا أننا مع ذلك لا يمكن الجزم بأنه كان يعتمد على مصادر هذا العلم .

1 (التيسير) 1 / 741 .

2 (معيار الزاد) 7 / 912 .

3 (معيار الزاد) 7 / 58 .

4 له كتاب تلقين التلي للآيات المتعالي منخطوط في خزنة محمد بابا نوبني يسكن ولاية غرداية مؤلفه علماء التجويد والقراءات شرح لمنظومته التي سماها (جامع حرف ورس) تحتوي على 518 بيتا .

ففي المثال التالي نلاحظ تطابق شبه تام بين استشهاد المفسر بقراءة زيد بن علي وابن مسعود واستشهاد محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي في كتابه (روح المعاني) يقول المفسر: "... ويدل له قراءة زيد بن علي أنه ملائكم بلا فاء وابن مسعود تفرون منه ملائكم" (1)

وجاء في معرّب تفسير صاحب (روح المعاني) للآية ما يلي: "... وقرأ زيد بن علي أنه ملائكم - بدون فاء... وقرأ ابن مسعود " تفرون منه ملائكم بدون (الفاء)" (2).

نلاحظ هذا التطابق في ترتيب القارئ خاصة، وهذا ما يدعونا إلى التحفظ من إصدار حكمتنا بأنه استغاد من مصادر هذا العلم، وإن لم نستبعد ذلك لتصنيفه فيه.

وقد اعتمد في التاريخ بعض المصادر، منها كتب السير (3) والشيء الذي يؤيد ذلك لنا <sup>نولاً</sup> ورود أسماء شخصيات تحدّثت عنها هذه الكتب منها كموسى أبو محمد (4) وأبو مرداس مفاصر السدراتي (من القرن الثاني الهجري)، وجنون بن يمران (5) وعلى سبيل المثال يورد نصيحة أبي مرداس لجنون بن يمران قائلا: "... قال أبو مرداس لجنون بن يمران إياك ومفارقة المسلمين وبغضهم والتّرك بعد الاجتماد الخ..." (6).

- (1) (التيسير) 6 / 219 تفسير الآية 08 من سورة الجمعة.
- (2) الألوسي (روح المعاني) المجلد 10، 29 / 97.
- (3) كتب السير التي تترجم الشخصيات الأباضية نخص بالذكر يحيى بن أبي بكر (أبو زكريا) سير الأئمة وأخبارهم، أبو الربيع الوسياني (سير مشائخ المغرب) أحمد بن سعيد الدرجيني (طبقات المشائخ بالمغرب) أحمد بن سعيد الشماخي السير.
- (4) ذكره أبو زكريا في كتابه سير الأئمة ص 167، 168 وترجم له الشماخي في السير ص 470، 471 نقلاً من حاشية رقم 9 لأبي زكريا في سيره ص 172 بقلم اسماعيل الحربي كما ذكره أبو الربيع الوسياني سير مشائخ المغرب 2 / 14.
- (5) ذكره يحيى بن أبي بكر (أبو زكريا) السير ص 113، 124، 126، 155، 161، 166، 186 وترجم له أحمد بن سعيد الدرجيني الطبقات 2 / من ص 341 - ص 344 عدّه من الطبقة السابعة (300 هـ - 350 هـ).
- (6) (التيسير) 6 / 311.

ومن الكتب التاريخية التي ورد ذكرها في تفسيره ، كتاب الاستقصاء (1) ،  
يقول المفسر متحدثا عن فتح الأندلس: " . . . وفي كتاب الاستقصاء أنه دخلها صحابي  
واحد وقد ذكرت اسمه في غير هذه السورة وهو المنيسار (2) .

ومن جملة المصادر اللغوية التي يعتقد أنه استفاد منها كتاب المحكم (3)  
يقول متحدثا عن رأي مؤلفه: " . . . وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط من أعمار  
أهل كل زمان ، وهذا أعدل الأقوال " (4) وذلك في معرض تفسيره بقوله تعالى :  
"والذين أتبعوه باحسان" الآية 100 من سورة براءة .

ورود كذلك أسماء بعض اللغويين مثل الجوهرى (1005 هـ . . .) ، ففي تفسير  
قوله تعالى : " ومن لم يحطهم " الآية 249 من سورة البقرة ، يسرد المفسر رأيه في  
مدلول الطم (5) .

كما لا تخلو تفاسيره من ذكر بعض مراجع قواعد اللغة لكنما قليلة إذا أخذنا بحين  
الاعتبار اهتمام المؤلف بهذا الجانب ، وإيراد أسماء النحاة المشهورين ومن أمثلة  
ذلك ذكره لرأي ابن مالك في (إلا) في معرض تفسير قوله تعالى : "إلا تنصروه" الآية  
40 من سورة براءة قائلا : " . . . وابن مالك على جلالته في النحو والتصريف كغيرهما  
من الحديث والتفسير والفقه واللغة والصرف ذكر إلا في شرح التسميل من أقسام إلا  
وإنما ذلك منه على جهة النقلة أو زلّة القلم (6) .

ومن المصادر النحوية التي أهتم بها المفسر (شرح سيويه) فقد روي عن السيرافي  
(قبل 270 هـ 368 هـ) أن الواو كاف في الأباحة (7) عند تفسير قوله تعالى : "فصيام  
ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم" الآية 196 من سورة البقرة ، وهذا من بين  
الأدلة التي تثبت اهتمام المفسر بهذا الحالم وموهفهُ السابق الذكسر .

---

كتاب الاستقصاء في أخبار والمضرب الأصبى لأحمد الناصبي اللأوي يشتمل على 4 أجزاء طبع سنة 1312 هـ  
السيديسي 1043/2 .

(3) المحكم والمحيط الأعظم معجم ألفه علي بن اسماعيل (أبو الحسن) المعروف بأبن سيد  
الأندلسي ( . . . 458 هـ ) ( . . . 1066 م ) رتبته ألفاذه على ترتيب كتاب "العين" للخليل  
لمزيد من المعلومات عن هذا المعجم راجع إلى أحمد مختار عصر البحث اللغوي عند الحرب  
من 150 ، 151 .

(4) (هميسان الزاد) 408/7 .

(5) التيسير 362/5 .

(6) هميان الزاد 316/7 .

(7) التيسير 268/1 .

ومن المصادر المعتمدة في تفاسيره الكتب الأدبية منها الدواوين الشعرية وذكر هذه المصادر لا ترد إلا قليلا، ويكتفي في معظم الأحيان بسرد الأبيات الشعرية دون ذكر اسم الشاعر، ومن اعترافاته اطلاعه على ديوان الشعراء الستة (1) مستدلا بقوله على جواز كتابة البسطة في الدواوين الشعرية: " . . . وجدت ما مكتوبة في نسخة قد يمسه بأكثر من خمسمائة عام من ديوان الشعراء الستة معروضة على أبي علي الشلوبين وأعطى الأجازة فيها لبعض تلاميذه " (2).

وفي نقده لأبيات شعرية لأمر القيس (500م، 540م) موضوعه يقول: " . . . بل ذلك شعر موضوع اقتبس من الآية كقوله قتل الإنسان ألخ . . . فإني لم أراه في نسخ ديوانه ولا في شرحه ولا سيما نسخة عتيقة موجودة صححت عند أبي علي الشلوبين في أندلس ولم أجد فيما ذلك " (3)

ومن المصادر الأدبية التي اهتم بها المؤلف، واستعان بها في تفاسيره كتاب (الإمامي) لأبي علي القالي (901م - 967م) (4).

وللرد على أهل الكتاب، بيد وأن المؤلف أطلع على التوراة والإنجيل

ومما يدل على ذلك قوله في معرض تفسيره تعالى: " برسول يأتي من بعدي " الآية 06 من سورة الصف. تشبهاً بتكتمته التوراة، وقد بسطت أدلة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته من الكتب المتقدمة في (رد الشroud إلى الحوض المورود) (5).

(1) لعل شعراء الستة هم الشعراء الجاهليون، أمر القيس والخابضة وزهير، وطرفة، وعنترة، وعلقمة، ولمزيد من التوضيح أرجع إلى كتاب العصر الجاهلي شوقي ضيف. (2) التيسير 02/1.

(3) التيسير 495/6، مثال آخر في ن. م. 303/5.

(4) التيسير، العصر الجاهلي 131/1 يعتبر شوقي ضيف كتاب الإمامي من الكتب التي فيها التحال كثير.

(4) أنظر مثلاً في كتاب التيسير 96/6.

(5) كتاب للمفسر طبع طبعة حجرية في 1 صفر 1320 هـ. يحتوي على 233 صفحة يسوق فيه الأدلة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته.



فمن ذلك ما في الفصل العشريين من السفر الخامس منها . (1) وبعد عرض أهم المصادر التي آتت بها المؤلف في تفاسيره فالحزب إلى القول بأن المفسر لم يخرج عن سنة المفسرين الذين سبقوه فيما يخص نوعية المصادر التي استعانوا بها في تفاسيرهم باستثناء رجوعه إلى المصادر الأباضية . ومن خلال ما تقدم يمكن لنا تصور منهجيته في التفسير <sup>واللهي</sup> ~~سنتعرض~~ إليها في الباب الموالي من هذا البحث ، فإذا أهملنا ذكر بعض المصادر الخاصة بعلوم أخرى كالطب والفلك الخ . . . أو بعض مؤلفات شخصيات بارزة اهتمت بها المفسر مثل ابن تيمية ، وابن قسيم الجوزية والخزالي ، وغيرهم لا اعتبارها من المصادر المشتركة بين معظم المفسرين الذين ينتمون لمدرسة المفسر ، ومما لاحظناه من خلال دراستنا أنه يقتبس كثيراً من المعلومات الواردة في المصادر السالفة الذكر من كتب التفسير وهذا لا يعني حكماً عليه بأنه لم يستفد منها ، ولم يرجع إليها . وفي فصول الباب الثالث ، نحاول معالجة هذه القضية عند حديثنا عن منهجية التفسير من خلال كتابه (التيسير) ، ومقارنتها ببقية التفاسير . وقد لجأنا إلى الإشارة إلى بعض هذه المصادر إذا اقتضى الأمر

(1) التيسير 197 / 6 ، 198 .

# رَبَابُ رِثَالَت

مِنْهُ جِيَّتَهُ فِي تَفْسِيرِهِ لِاتِّسَابِ وَمَكَاتُّهُ بَيْنَ بَعْضِ الْمُفْسِرِينَ

لرسم معالم طريقة تداول علم القرآن من العلوم أو فن من الفنون يجدر بالباحث أولاً أن يتحرف إلى الأهداف المتوخاة منه باعتبار الطريقة وسيلة لتحقيق هذه الأهداف .

فمن بين الأهداف التي كان يرمي إليها المفسر من تأليفه لكتابه (تيسير التفسير) الذي يقتصر عليه في دراستها هذه ، تذييل صحوية هذا العلم لطلبته ولحل عنواج خبير دليل على ذلك فإن أول ملاحظة يمكن استنتاجها هي محاولة الاختصار بالمقارنة بتفسيره الآخرين وهذا الاختصار يتجلى في التمهيد للسورة إذ نجده في كثير من الأحيان يستغني عن هذا التمهيد ، ويشعر مباشرة في تفسيرها إلا في بعض السور التي مهد لها أما :

(1) بذكر مناسبة نزلها مثلما نلاحظ ذلك في بداية سورة الحلق (1) و سورة الأعراف التي مهد لها بسرد الحادثة التاريخية المذكورة في مطلع السورة ، متحرفاً إلى بعض الاختلافات المتعلقة بها . (2) .

(2) أو يستهل السورة بما ورد في تحريم تسميتها بأسمها دون إضافته إلى السورة وفي بداية سورة الرحمن مثال على ذلك (3) .

(3) وقد يهد لبعض السور بذكر أسباب نزلها ، على غرار تمهيد سورة الأفعال التي استهلها بسرد حادثة اختلاف المسلمين في غلظ بدر (4) :

(4) ولا يتحرف في التمهيد إلى علاقة السورة بما قبلها مثلما نلاحظ ذلك في بداية سورتي النجم (5) والانشراح (6) .

(1) (التيسير) 634/6 - 636

(2) ن .م . 675/3 ، 676 (3) ن .م 6/6

(4) ن .م . 720/2

(5) ن .م . 569/5

(6) ن .م . 635/6

- (5) ومهد لبعض السور بمواضيع لها علاقة **ب**دتم عرضه النبي الأدلة التي تثبت وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند ورود اسمه في بداية سورتي المزمل (1) وييسين (2) أو نهي الرسول صلى الله عليه وسلم من تحليم سورة يوسف للنساء في مستهل هذه السورة (3) ، وفي بداية سورة براءة يذكر سبب عدم ذكر البسطة (4) .
- (6) وقد يقتصر في التمهيد على البحث في اسم السورة من حيث مدلوله واختلاف اسمائها كما نلاحظ ذلك في سورتي الحشر (5) والنمطية (6) .
- (7) أو يبين فضل السورة مستشهدا بالاحاديث النبوية ، كما في بداية سورتي الطسك (7) والاحلام (8) أو فضل بعض آياتها مثل تمهيد سورة الحديد (8) .
- 8] ويقتصر في بعض الأحيان على سرد الاحاديث الدالة على صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم بالسورة التي يمهدها أو يغيرها في بعض صلواته المفروضة والمسلوثة والنوافل ، ونجد مثالا لذلك في مستهل سورة المطففين (10) ،
- (9) وقد يكفي أحيانا بالإشارة إلى بعض مميزات السورة مثل ملاحظته لعدم ورود لفظ الجلالة في سورة القدر (11) والنجم والواقعة ،
- (10) وسائر ما يطرق موضوعا لا علاقة له بالسورة مثل تبيان لطريقة بداية العرسل في مستهل سورة الأحزاب (12) .
- والمفسر يلتزم في كل ذلك الاختصار الا في بعض الحالات القليلة التي ينساق فيها وراء تفاصيل ، ويسرد الشواهد من الاحاديث النبوية ففي سورتي المزمل و (انكافرين) من أمثلة على ذلك ، ففي تمهيد سورة الاولى راج المفسر يسرد أحاديث نبوية دالة على

- (1) ن . م . 381/6 ت 383  
 (2) ن . م . 985/4 المجلد 2 .  
 (3) ن . م . 285/3 .  
 (4) هـ . م . 829/2 .  
 (5) ن . م . 136/6 .  
 (6) ن . م . 171/6 .  
 (7) ن . م . 277/6 .  
 (8) ن . م . 712/6 .  
 (9) ن . م . 69/6 .  
 (10) ن . م . 521/6 .  
 (11) ن . م . 602/5 .  
 (12) ن . م . 796، 795/4 المجلد 2 .

وجوب الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم واختلاف الروايات في متنها  
 (1) أما في السورة الثانية فيستهلها بحديثين بسويين في موضع صلاة  
 الرسول صلى الله عليه وسلم بالسورة <sup>المسحود</sup> التمهيد لها وسورة الاخلاص في ركعتي  
 سنة الفجر، والمغرب، مبيها ان الوتر أفضل من سنة الفجر خلافا لمن يرى  
 غير ذلك، ثم يتعرض الى الطريقة التي كان يتعبد بها الرسول صلى الله عليه وسلم  
 قبل البعثة. (2).

وإذا استقصينا رأييه في افتتاح بعض السور بالحروف، ومدلول  
 هذه الحروف وجدناه يلخصه في بداية سورة البقرة قائلا: "الله هو العالم  
 بمعناه وبمعنى المحر وانصر والبر، وكهيمص وطمه وطمس وطمس وطمس وطمس وطمس  
 عسق رق، ون" (3) ولكنه يذكر في بعض الأحيان ما روي في تفسيرها.  
 والمفسر لا يخرج في اختتامه للسورة عن الطريقة المعروفة  
 عند بعض السلف من المفسرين، لا سيما الذين تأثروا بهم، ولذلك نجدده يهتمها  
 بالحديث الطرقة التالية:-  
 المفسرين

(1) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والله، مضيفا معها - أحيانا -  
 عبارة (الله أعلم) والحوكمة أو الدعاء الذي يكون في الخائب مناسباً لمدلول  
 نهاية السورة أو مدلولها العام مثل قوله عند تفسير الآية (56) من سورة المدثر:  
 "اللهم اجعلنا من أهل هذه الآية". (4) وعند اختتام سورة الانفطار يقول:  
 "اللهم ببركة هذه السورة المختومة بلفظ الجلالة اشفر لنا ذنوبنا واقض  
 حوائجنا، وسهل لنا يوم البعث والبرزخ والحشر والموقف". (5)  
 (2) يذكر في نهاية بعض السور والاحاديث الواردة في فضلها، أو فضل بعض  
 آياتها وخير مثال على ذلك حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: "فاني  
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة في كل  
 ليلة لم تصبه الفاقة أبدا". (6).

- (1) ن.م. 383 - 384/6
- (2) ن.م. 689 ، 690/6
- (3) ن.م. 06/01
- (4) ن.م. 417/6
- (5) ن.م. 521/6

(6) أخرجه أبو عبيد، وابن الضريس والحريث بن أبي أسامة، وأبو يعلى وابن مردويه،  
 والبيهقي (انظر روح المعاني) المجلد 9 - 1/27 هـ 1- رواه بهذا اللفظ من قرأ سورة  
 الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا" رواية محمود بن عمرو الزمخشري (في كل ليلة لم تصبه  
 فاقة أبدا) الكشاف 81/6

وقد أورد قبل هذا الحديث أحاديث أخرى في فضل التسبيح بعد تفسير قوله تعالى :  
 " فسبح باسم ربك العظيم " الآية 96 من سورة الواقعة (1).  
 وفي نهاية سورة الصافات مثال آخر في سرد أحاديث فضل تلاوة " سبحان رب العزة  
 عما يصفون و سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين " (2) الآية 180-182  
 من نفس السورة .

(3) وقد يسوق أحاديث في مواضع أخرى لما علاقة بالسورة مثل حديث عائشة رضي الله  
 عنها في وثر الرسول صلى الله عليه وسلم بسورة الاطى (3) ، وفي فضل ليلة القدر (4)  
 وما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تلاوة بعض الآيات (5) هذا هو  
 الاطار الذي يحدده المفسر للسورة ، وكيف يتناول السورة بالتفسير في هذا الاطار؟  
 ب. طريقته في تفسير السورة :

في تفسيره للسورة ، لا يتقيد المفسر بالآية ، وإنما يراعي في التقسيم المعنى ،  
 فاذا وجد في الآية ما يتطلب التوضيح والشرح وقف عنده ، ليبيِّن معناه و يبسط مدلوله  
 ثم يبرج يفسر بقية الآية و اذا تطلب المعنى تجاوز الآية الى الآية الأخرى فعل ذلك ،  
 وليتضح لنا ذلك نسوق هذين المثالين :  
 (1) تقسيمه للآية تبعاً للمعنى :

لتفسير قوله تعالى : " لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون " الآية  
 07 من سورة يسين ، يبرز في هذه الآية حسماً يقتضيه معانيها فيقول : " (لقد حق)  
 والله لقد صح و ثبت (القول) قولنا لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (6) .  
 وقولنا لا ملأن جهنم منك (7) الخ : وهذا أولى من تفسير القول بعلم الله عز وجل  
 أو بقضائه (على أكثرهم) هم تبعه أليس كما قال الله عز وجل لا ملأن جهنم منك  
 ومن تبعك أجمعين . . (فهم) أي الاكثر (لا يؤمنون) .  
 منهم

- (1) ن . م . 69 / 6
- (2) ن . م . 4097 / 4 المجلد 2
- (3) ن . م . 560 / 6
- (4) ن . م . 651 / 6
- (5) ن . م . 297 / 6
- (6) هود / 119
- (7) ص / 85

أى بسبب حق القبول عليهم مع اختيارهم : فليست اجباراً إذ لا يخفى أن المكلف قادر على ترك المصيبة وعلى فعلها الخ . . . " (1) .  
 (2) تجاوز الآية إلى الآية التالية لاتصام المنص :  
 " لا حظ المفسر يجمع بين الايتين 08 و 09 ، من سورة الرحمن ،

لا تمام المنص ثم يشرحهما بقوله : " يجوز أن يراد بالميزان العدل والميزان الحسي جمعا بين الحقيقة والمجاز وان يراد عموم المجاز اللام مقدرة أى للآ تطخوا أى كواهة ان تطخوا الخ . . . " (2) .

وبهذه الطريقة يفسر المؤلف السورة منطلقاً من الجزء إلى الكل كما لاحظ في تفسير قوله تعالى : " ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم " الآية 110 من سورة آل عمران يقول : " (ولو آمن أهل الكتاب) انيمود (لكان) ايمانهم (خيراً لهم) نفعا وأفضل من كفرهم . . " إلى أن يقول ملخصاً ما سبق " . . فان الايمان التمام يكون أفضل لو علموا " (3) وبعد تفسيره للآيات من 04 إلى 07 من سورة الخاشية يقول ملخصاً ايهاها : " . . والآية تدل ان لاهل النار اشتياقا للشرب وانظمام فعذبوا بالحطش والجوع كما عذبوا بالنار والضرب والزهرير والقرآن والحديث يسدلان على ذلك ويصرحان به " (4) .

وقد ينتهي إلى استخلاص معنى من جملة الآراء التي عرضها مثل قوله : بعد تفسيره للآيات من 05 إلى 10 من سورة الليل : " . . ويتحصل من بعض ما تقدم من الآراء انه أعطى فسوفته وتكون الطاعة عليه أيسر الامور كقوله تعالى " فمن يرد الله أن يهديه أخرج (5) . . ومن يضل سخط له فتكون الطاعة عليه أعبس شح كقوله تعالى : " يجعل مدره حرجا كما (6) يصعد في السماء (7) .

(1) ن . م . 989/4 المجلد 2

(2) ن . م . 05/6

(3) ن . م . 565/1 ، 566

(4) ن . م . 373/6 ، 374

(5) ن . م . الآية 125 / الانعام .

(6) الصحيح كاتما يصعد الآية 125 / الانعام .

(7) التيسير 6 / 611 .

كما يشرح الآية أحياناً جزءاً جزءاً دون التعرض في شرحه إلى التفاصيل فيكتفى بسابراز المضمرة أو ذكر المحذوف ، أو الاتيان بالمرادف ، أو التوضيح بأر بيان حالة اعراب ، ثم يتفرغ إلى التفاصيل ، وهذا المثال يوضح لنا ذلك .

" (إن ربك) ياكل من يصلح للخطاب (ببسط الرزق لمن يشاء) البسط له (ويقدر) ويضيقه لمن يشاء التضييق له أو عليه " ثم يبين سبب نزول الآية منتقداً بعض الروايات التي لا تنطبق على الآية لكونها مكيدة ، ومعتلة أنها مدنية أدرجت في سورة مكية الخ . . . على أنه لم يتجاوز في هذه التفاصيل نزولها ، ثم يواصل تفسيرها بقوله من الآية : " (إنه كان عباده خبيراً) بسوءهم (بصيراً) بعلوهم " واثراً ذلك يستعمل في شرح الآية متعرضاً لمعناها ، وموضحاً ومحللاً ، ومفصلاً ، وهذا رأي الممثلة في مسألة إرادة الله ومصلحة العبد مبيحاً علاقة الآية بما قبلها وما بعدها .

(2) .

وخلص إلى القول بأن المفسر لا ينتهج أسلوباً واحداً في العرض ، فتارة ينطلق من الجزء إلى الكل ، مبتدأً بشرح أجزاء وحدة فكيية ومنتهيماً إلى تخييرها ، أو يمهّد لتفسير الوحدة الفكيية بتذليل بعض التصحيبات اللغوية أو النحوية أو غيرها ، ثم يتفرغ إلى التوسّع في شرحها ، وإلا يكتفى بشرح كل جزء على تحذة مثل تفسير قوله تعالى : " (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله) " في كل ما تشملون أو تتركون فلا تؤذوا حبيبه صلى الله عليه وسلم (قولوا) في حقه (قولا سديدا) مصيباً للحق مخالفنا لقولكم فيه ، وفي زينب في زبيد وقيل لا إله إلا الله وقيل ما يوافق ظاهره باطنه وقيل ما فيه صلاح والظاهر الاول لان الكلام في النهي من الايذاء ولو كان يحتصل أن الخطاب لمن صحف ايمانه فيأمره باخلاص لا اله الا الله ون : كذا يجب لقول السديد في حق غفر موسى ويجتنب المسفه مطلقاً ومن المسفه قول بعض أهل هذه البلاد كذا مثل ذكر في أنش و يريدون ذكراً في فرج أنش يقولون ذلك تارة ولوفى المسجد أو بحضرة من يستحي منه ويقولون مطلقاً وهو لفظ فحش (يصلح لكم) يجعلها صالحاً بالتوفيق إلى الصلاح ومن لازم صلاحها والثواب عليها ، وتباليه عزوجل صلاح الأفعال من الجوارح على صلاح القول باللسان .

(1) 30/ اسراء / 30 / الاسراء

(2) انتيسير / 3 / 718 . 719 .



الصادق الصادر من القلب ، و معنى يصلح لكم أعمالكم ، يقتلها - ويشيب عليها ، و ذلك تفسير  
بالا زم . ( و يغفر لكم ذنوبكم ) يستوما بانتفاء الحجاب عليها كأنها لم تكن ( و من يطع الله  
ورسوله ) فى الأمر و النهي ( فقد فاز ) حصل الفوز لنفسه فى الدنيا و الآخرة ( فوزا عظيما ) (1)  
لا يحلم قدره إلا الله عز و جل " (2) .

إذا كنا نلاحظ بعض الإشارات فى تفسير جزء من الآية الى معنى الجزء  
السابق مثل ما ورد فى تفسير قوله تعالى : " يصلح لكم أعمالكم ) فذلك من باب الربط و تسلسل  
المعنى ، و محارلة توضيح مدلول الجزء المراد تفسيره .

و قد يطلق المفسر من انكل الى الجزء ، و إن كنا لا نلاحظ ذلك كثيرا  
فمن الامثلة تفسير قوله تعالى : " يا أيها الذين امنوا إذا تدانوا فإيهم " الآية 282 من سورة  
البقرة ، " تعاملتم و هو شامل للأخذ و المعطى فانه يجب أو يتأكد عليهما معا الترشيق " .  
لأنه يضيح مال المعطى ، و ليقضى رتبة الأخذ ان مات أو ورائه دينه فلا يملك  
و لكن اذا استوفى صاحب الحق بالكتابة و الاشهاد كفاه و يبغى له مع ذلك أن يكتب و يقدم  
فى ذلك لورثته و وصيته " . (3) ؛

نلاحظ فى هذه الفكرة انما هى المتعلقة بموضوع التداين ، ذكو طرفي  
هذه التحطية و نوعها و طريقتها و الحكمة من ذلك ، مع ان الآيات اثنتى تليها ، تشرح هذه  
الخصائص ، و تتعمق اليها بالتفصيل .

و الحديث عن هذا الاسلوب يسوقنا الى الحديث عن الطريقة التى يسلكها  
المفسر فى تمهيد الآيات ، و الربط بينها ، و جوانب هذا الربط ، و التمهيد .

### (1) التمهيد للآية التالية :

" المفسر يكتب أحيانا فى نهاية تفسير آية بانتميد للآية الثانية دون  
محاولة ايجاد علاقة بينهما لا حظ ذلك فى المقالين التاليين .

فى نهاية تفسير الآية 01 من سورة المجادلة يقول تمهيدا للآية الموالية : " و شرعى بيان حكم  
الظمار يقول " (4) و بعد انتهائه من تفسير الآية 33 من سورة " بأ يقول مفسدا للآية  
اللاحقة : " . . . وقال الله تعالى تسلية لرسوله صلى الله عليه و سلم (5) :

(1) 71/70 الاحزاب .

(2) (التيسير) 4 / 890 ، 391 المجلد 2 .

(3) ن . م . 17/1 لعل الصحيح ( ان مات هو ورائه الخ . . . )

(4) ن . م . 106/6 . (5) ن . م . 29/4 ، 930 .

على أن هذا التمهيد يختلف من ناحية المضمون فقد يكون إشارة الى المضمون الاجمالي للآية الممّدة لما كما لاحظنا ذلك سابقا وقد يعمد للآية بذكر أسباب النزول كما يتجلى لنا ذلك في هذا المثال الذي يعمد فيه لقوله تعالى: " ألم تر الى الذين هموا من التجوى " الآية 08 / المجادلة ، في نهاية تفسير الآية السابقة لما يقول: " .. وكانت اليهود و المنافقون و يتناجون و يتخامزون يمرأى المؤمن منهن ، يوهموهم موت أقاربهم و المؤمن في القتال و لا يزالون كذلك حتى تقدم الأقراب و المؤمن و كثر ذلك منهم فشكا المؤمن الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ذلك فنهاهم و لم ينتموا و نزل قوله تعالى " (1).

### (2) الآية مكملة لمعنى الآية السابقة :

وقد يكون التمهيد للآية متمثلا في ربطها بما سبقها بحيث تكون تنمة لمعناها و لتوضيح هذا الربط نسوق هذين المثالين :  
في نهاية تفسير قوله تعالى : " و لا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جحيم ملوما مدحورا " الآية 39 من سورة الاسراء يقول المفسر محاولا ربطها بالآية التي تليها (2) " .. و من الاشراك وصف الله بالولادة و لا سيما أحسن الاولاد هو الا ناث كما قال . " (3).

وتظهر هذه العلاقة بجلاء في تفسير قوله تعالى : " رجع بعيد " الآية 03 من سورة (ق) . . . فرد الله تعالى عليهم بأنه عالم بما تفقت ما في بيئهم في الأرض فقال .. " (4).

### (3) الآية موكدة لمعنى الآية السابقة :

وقد يتجلى هذا الربط بين الآيتين في كون الثانية دليلا للآية الأولى و موكدة لها و هذا ما يبيئه المثال التالي .  
يقول الله عز و جل : " و يستخلف من بعدكم ما يشاء " يقول المفسر : " .. و يعدل

(1) م . 6 / 119

(2) م . 40 / الاسراء

(3) التيسير 3 / 727 .

(4) م . 5 / 496 .

لكون الاستخلاف الانشاء وان جعل في مكان من اذهب قوله تعالى " (1) كما أنشأكم ذرية قوم آخرين " الآية 133 من سورة الانعام .

الآية التالية مدعمة لرأى المفسر :

والمفسر يستدل بالآية الآتية لدعم رأيه فهو الرأى الراجع في

نظرة كما يلاحظ ذلك في تفسير قوله تعالى : " وللكافرين عذاب اليم " الآية 04

المجادلة يقول المفسر : " . . قلت المعنى المذكور كنه صحيح . . . الا انه لا يصح تفسير

الآية به لانها ظاهرة في المشركين ألا ترى إلى قوله تعالى " (1) ان الذين يحادون

الخ . . . " الآية 05 من سورة المجادلة .

(5) الآية 05 من سورة المجادلة تكمّل للآية السابقة ارجز منها في الاعراب :

وتظهر هذه العلاقة في أجزاء هذه الآية : " (كبر) فيه ضمير

مفسر بقوله تعالى (مقتا) بالنصب على التمييز والمخصوص بالذم المصدر من قوله تعالى :

" عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " (3) الآية 3 من سورة الصف .

ولبيان هذا النوع من العلاقة بيتن الآيه والآيه نورد هذا المثال

يقول المفسر في شرح قوله تعالى : " اذا تتلى عليه . . . ايتنا قال اسيطر الاولين

" الآية 13 من سورة المطففين . " نعت اخر لممتد او لمصوته المحذرف اى كل انسان

ممتد أكيم قائل " أساطير الاولين " (4) ،

(6) الآية محللة للمعنى الآية السابقة :

يقول المفسر في نهاية تفسير قوله تعالى : " وبشرى

للمحسنين " الآية 12 من سورة الاحقاف : " فيجاء سب تحليل البشارة بقوله تعالى :

" ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا " الآية 13 من سورة الاحقاف .

كما أنه في تفسير قوله تعالى " ومن كفر " بقوله : " وأغنى عن الجواب تحليله

لقوله تعالى : " فان الله غني حميد " (6) الآية 12 من سورة لقمان .

(1) ن م . 417/2 .

(2) ن م . 116/6 .

(3) ن م . 195/6 .

(4) ن م . 527/6 .

(5) ن م . 334/5 .

(6) ن م . 747/4 .

و من الملاحظ أن التمهيد أو العلاقة نجد<sup>هذا</sup>ها في جميع الآيات ، قد ينتقل المفسر " من آية إلى أخرى أو وحدة فكرية إلى أخرى دون محاولة إيجاد رابطة معنوية أو وحدة موضوعية بين الآيات ، و كأن معنى الآية مستقل كما قبله ، لا حظ ذلك في المُفسال التالي :

في تفسير قوله تعالى : " يا أيها الناس اتقوا ربكم . . . . ولا يغرنكم بالله الغرور " الآية 32 من سورة لقمان يتناول في آخر تفسير هذه الآية : " . . . وقيل الغرور كسل ما غرك حتى عصيت الله سبحانه كمال وجهه وشيطان الجن أو الانس وقيل الدنيا " ثم ينتقل إلى الآية التي بعدها وهي قوله تعالى : " ان الله عبده علم الساعة " من الآية 34 سورة لقمان ، فشرحها مبينا معناها و سبب نزولها و الايات التي بعدها دون محاولة إيجاد علاقة بينهما وبين الايات التي قبلها في الوقت الذي يمكن أن يجد هذه العلاقة التي تتمثل في أن الآيات السابقة تعالج موضوعا غيبيا ، يتحذير الناس من اليوم السر هيب الذي لا ينفخ فيه مال ولا يكون و الايات التالية لها تتطرق إلى مفاتيح الخيب الخمسة التي أخذ من الله يعلمها ، وهي دلائل قدرة الله تبارك و تعالى على التصرف في هذا الكون ، وعلى مشيئته ، وهذا تأكيد على تحقيق ذلك اليوم الر هيب الذي هو من عالم الخيب و كذا مفاتيح الخيب الخمسة من الغيبيات التي تتحقق أمام الانسان وهي اقرب إلى حواسه ، وهذه هي طريقة القرآن في تقريب انفسهم من الانسان الذي في الغالب لا يؤمن الا بالحواس ويزداد ايمانه بالمشاهدة و المعاينة ، كما انه نسج يهود للآية الاخيرة ( 32 ) رسم وجود أسباب النزول .

هذه بدقيقة عامة طمخ المفسر في عرض السور ، و تفسيرها ، محاولا

الجمع بين الاختصار الذي اشرنا اليه سابقا و بين التوضيح و التمهيط تماشيا مع قدرات فهم القراء الذين الف الكتاب ، و يتجلى التوضيح بصفة خاصة في طريقة استجابته و استغلاله لمصادر مساعده لهم شأنه شأن بقية المفسرين ، و في البحث التالي نسحاول التحرض إلى هذه المصادر المساعدة مع ايراد بعض النماذج في طريقة توظيفها .

## أ. تفسير القرآن بالقرآن:

الدارس لمنهجية التفسير منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يلاحظ بكل وضوح وجلاء أسلوب تفسير القرآن بالقرآن، واعتبره الباحثون النواة الأولى للتفسير (1)، ومن خلال دراساتهم للقرآن الكريم، وللقراءات استنبطوا قوا عد أصبحت - بعد ذلك - من مجالات دراسة علوم القرآن ومن هذه القوا عد حمل المجمل على المبين <sup>و</sup> والعام على الخاص، والمطلق على المقيد الخ... وعدوا بعض القراءات تفسيراً للقرآن وللناسخ والمنسوخ أثر في فهم كتاب الله واستنباط الأحكام منه. والمفسر شأنه شأن المفسرين الذين تتلمذ في مدارسهم من خلال مطالعته لتفاسيرهم، وللمراجع المتعلقة بعلوم القرآن، اعتمد على هذا المصدر الأول في تفسيره واستعمله بطرق مختلفة <sup>بعضها</sup> <sup>بعضها</sup> فيما يلي: -  
لدعم معنى الآية بآيات أخرى:

لتفسير قوله تعالى: "حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا" الآية 61 من سورة الأنعام يسوق المفسر في شرح هذه الآية بعض الآيات المشابهة لدعم معناها. وبيان بعض ما ورد فيها مجملاً، لاحظ ذلك فيما يلي: "ملك الموت وأعوانه وهذا كقوله تعالى "قل يتوفاكم ملك الموت" (2) وذلك عصر الأرواح من الأجساد فإذا بلغت الحلقوم (3) قبضها الله فهذا كقوله تعالى: "يتوفى الأنفس حين موتها" (4)، (5).  
2. حمل المجمل على المبين:

لبيان الحكم الذي تشير إليه الآية: "الاما يتلى عليكم" الآية 01/المائدة ولا سيما المحسن الذي يشير إليه الاسم الموصول الوارد فيما يقول المفسر: "بعد في هذه السورة إذا نزل وهو قوله: "حرمت عليكم الميتة (6) الخ" (7).

- (1) التفسير والمفسرون 41/1 يوافق الاستاذ جولد زيحر في نظريته هذه.
- (2) السجدة / 11.
- (3) الواقعة / 83 فلولا إذا بلغت الحلقوم.
- (4) الزمر / من الآية 42 الله يتوفى الخ...
- (5) التيسير 296/2.
- (6) المائدة / 03
- (7) التيسير 3/2 أنار مشال آخر مشابهاً في ن.م. 296/4 المجلد 1.

شابه آيتين في طريقة التعبير :

ويتجلى هذا التشابه في طريقة التعبير من حيث الفرض والتقدير بين قوله تعالى :  
لئن بصروهم ليولن الأديار ثم لا يبصرون " الآية 12 الحشر ، وقوله تعالى : " لئن اشركت  
بطن عمك " الآية 65 من سورة الزمر .

ويوضح المفسر هذا التشابه بقوله : " . . . ولئن بصروهم بعد الأخبار بأنهم لا  
يبصرون على سبيل الفرض أو التقدير كقوله تعالى : " لئن اشركت الخ " (1) .

استدلال بالآية لأدببات استعمال :

لأدببات جواز الزيادة في الأجابة عن السؤال في قوله تعالى : " بصروهم من الله وفتح  
بشر المؤمن " الآية 13 الصافات يقول المفسر : " وان الزيادة في الجواب على السؤال  
الزيادة كقوله تعالى : " هي عصا يأتوكوا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخس " من  
الآية 18 من سورة طه .

وفي الآية التالية : " يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة " الآية 09 من  
سورة الجمعة ، بين أن (من) بمعناها (في) ولأدببات هذا الاستعمال يسوق قوله تعالى :  
لوي ماذا خلقوا من الأرض " الآية 40 سورة فاطر ، أي في الأرض (3) ولأدببات أن السحي  
قارء في قوله تعالى : " فاسحوا إلى ذكر الله " الآية 09 سورة الجمعة يفيد معنى المشي  
هذا الاستعمال وارد في القرآن يستشهد بقوله تعالى : " ولما بلغ منه السحي " الآية  
102 من سورة الصافات أي المشي (4) .

والمفسر كلما أراد أدببات استعمال معين سواء كان لغويًا أو تعبيريًا أو في القواعد  
نظيره من القرآن ، ولو كان الأمر متعلقًا بأدببات وجهة نظر معينة فحسب تبناها  
أو غيره . في تفسير الآية التالية : " تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله " الآية  
سورة الصافات يبين وجهة نظر الأخص في إعراب المضارعين الواردين في الآية فيقول : " وقال  
أخص المضارعان خبران لفظًا ، ومعنى مصدرهما بدل من تجارة أمسا على حذف حرف المصدر  
فمع المضارع بعد حذف فسه " ولهذا الاحتمال الأول يسوق هذا المثال

أ ن ٢٠٠ . 160/6 .

أ ن ٢٠٠ . 203/6 .

أ ن ٢٠٠ . 212/6 .

أ ن ٢٠٠ . 215/6 .

من القرآن قائلا: % . كما هو وجه قوله تعالى: " ومن آياته يريكم الخ " (1) الآية  
24 من سورة الروم .

5 . وجود علاقة معنوية بين الآيات :

يرى المفسر أن الآية 08 من سورة الأنبياء : " وما جعلنا هم جسدا لا يأكلون  
الطعام وما كانوا خالدين " تتضمن الرد على القائلين : " ما لهذا الرسول يأكل الطعام ."  
(2) الآية 07 من سورة الفرقان .

وتظهر هذه العلاقة - أيضا - في وجود كلمة في الآية المفسرة توضحها آية أخرى  
فمثلا ليوضح المفسر هلاك المسرفين في قوله تعالى : " وأهلكنا المسرفين " الآية  
09 من سورة الأنبياء ، يسوق الآية قائلا : " وآل للاستخراق وأن المسرفين هم  
أصحاب النار " الآية 43 غافر . (3)

وعلى هذا النحو يوضح مدلول (الطيب) في قوله تعالى : " ومدوا إلى  
الطيب " الآية 24 / الحج قائلا : " في الجنة وهو الحمد لله الذي أذهب عنا  
الحنن . . إلى لخوب " (4) الآية 34 / فاطر .  
6 . اثبات محنسى :

نلاحظ المفسر يسوق قوله تعالى : " وهم في الغرفات آمنون " الآية 37 من  
سورة سبأ ، الأثبات أن (ال) للجنس في قوله تعالى : " أولئك يجزون الغرفة " (5)  
الآية 75 / الفرقان .  
7 . التشابه في الدلالة :

يرى المفسر أن الآيتين التاليتين قوله تعالى : " فاطر علينا " الخ الآية  
32 / الأنفال وقوله تعالى : " فأتنا بما تعدنا " الآية 32 / هود متشابهتان في  
الدلالة مع قوله تعالى : " أفبعذابنا يستعجلون " (6) الآية 20 / الشعراء .

(1) التيسير 201/6 .

(2) ن . م . 197/4 المجلد 1

(3) ن . م . 197/4 المجلد 1

(4) ن . م . 290/4 ، 291 المجلد 1

(5) ن . م . 4/ المجلد 1 (481) .

(6) ن . م . 527/4 المجلد 1 .

يبين المؤلف عند تفسير قوله تعالى : " إنما الخمر والميسر والأصاب  
والأزلام الخ " الآية 90 من سورة المائدة التدرج في تحريم الخمر الذي مر على ثلاث  
مراحل فيقول في ذلك : " كان تحريمها تدرجاً فنزل قوله تعالى " يسئلكم عن  
الخمر والميسر الخ " (1) فتوكها بعض خروجاً من اسمها وبقي بعض على طائفتيها  
فنزل : " لا تقربوا الصلاة وأنتم سكرى " (2) فتوكها بعض وقال بعض شربها وتعد  
في بيوتنا حتى لا تضر أحدنا وشربها بعض حين لا تضر بالصلاة ، حتى نزل : " إنما  
الخمر والميسر الخ فهل أنتم متتهون " (3) .

(9) التوفيق بين الآيتين :

يسرى المفسر أن تناقض بين قوله تعالى : " انهم عن السمع لمعزولين "   
الآية 212 من سورة الشعراء ، وقوله تعالى : " وأنا لصنا السماء الى رسدا "   
(4) الآية 98 من سورة الجن . و يجزى المقارنة بين قوله تعالى : "   
ان اتيتكم بشرب قيس " الآية 7 من سورة النمل ، وقوله تعالى : " لعلي باتيكم   
" الآية 10 من سورة طه لمحاولة التوفيق بينهما يقول في ذلك : " لا تناقض بين   
انجزم هذا بالآيتين بالنار وبين ترجمته في قوله تعالى : " لعلي باتيكم لأن   
الراجح اذا قسوى رجاءه جزم الآية بنى الرجاء على أنه ان لم يظهر بالغير   
والخار مما ظفر بأحدهما " (5) .

(10) توضيح مفهومهم :

كما يجزى المفسر المقارنة بين آيتين ، قصد ازالة التباس في معنى أو مفهوم   
وفي المثال التالي يتضح لنا ذلك ، يقول في تفسير قوله تعالى : " وهو في الآخرة   
هم الذخيسون " الآية 5 من سورة النمل ، " أشد خساراً منا من فاسق المؤمنين لأن   
درسته دون درك المشركين كفاً ما كان وأما قوله تعالى : " إن المنافقين في   
سورة

(1) 119 / 4 البقره . (242)

(2) 4 النساء . .

(3) التيسير ( 152 / 2 .

(4) ن . م . 523 / 4 المجلد 1 .

(5) ن . م . 542 / 4 المجلد 1 .



الدرك الاسفل من النار (1) ، وفي النفاق باظهار الشرك فلا تهم ولا تقلد . " (2) .  
ببعض النسخ والنسخة :

يرى الخوئي في هذه المسألة التي أبحث موضوع بحوث  
 ودراسات مستقلة ، انما لرشد أن ابيسن من خلال بعض النماذج كيف استفحل  
 المفسر هذا العلم لتفسير الآيات ، من حيث دراستها ، وتحليلها ، واستنباط الاحكام  
 منها ، فمثلا ، يرى المفسران قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تكلموا الى فضلا  
 من ربهم ورضوانا " الآية 02 من سورة المائدة ، منسوخة بقوله تعالى : " اقتلوا المشركين  
 حيث وجدتموهم " الآية 05 من سورة التوبة ، وقوله تعالى : " فلا يقربوا المسجد  
 الحرام بعد عامهم هذا " الآية 23 من سورة التوبة متحرزا الى القول الذي نرى  
 نسخها . (3) .

ويستعين في الشرح بما نسخ انظرا وبقي حكما ، ومن ذلك قوله في تفسير قوله  
 تعالى من الآية 02 من سورة النور : " فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . . . وفي  
 هذه السورة وسورة الاحزاب قولان الشيخ والشيخة اذا زنيا فأرجمهما اليه  
 تكالا من الله والله عزيز حكيم (4) نسخ لفظة لا حكمه " (5) .  
 ولزيادة التوضيح نورد هذا المثال في شرح قوله تعالى : " وقتلوا في  
 سبيل الله انذيين يقاتلونكم " الآية 196 من سورة البقرة يقول المفسر : " . . .  
 والآية تدل على أنه لا يجوز لهم قتال من لم يقاتلهم ، وهذا المشهور منسوخ  
 بما نزل بعده وهو قوله تعالى : ' اقتلوا المشركين (6) وقوله : " واقتلوا من  
 حيث شئتم " (7) ، فتكون الآيتان على ما زعموا ناسخة ببعض آية نسخت  
 فيها عن القتال (8) .

- (1) انسابه / 145 .
- (2) ( التيسير ) 541/4 المجلد 1 .
- (3) ن . م . 07/2 .
- (4) رواه إمام ( أرجع الى روح المعاني ) 79/18 المجلد 5 .
- (5) ( التيسير ) 363/4 المجلد 1 .
- (6) التوبة / 05 .
- (7) التوبة / 191 .
- (8) ( التيسير ) 254/1 وفي ن . م . 256/1 مثال آخر .

وفي تفسير قوله تعالى : " ولا تتكفروا المشركات حتى يؤمنن " الآية 221 من سورة البقرة . يتعرض المفسر الى اختلاف العلماء في نسخها أو حمل الخاص على العام قائلا : " ولو كتابيات ذميمة جزوا على تحريم الكتابيات الذميمة كغيرهن ، ثم نزل نسخ تحريمهن لقوله تعالى : " والمحرمات من الذين أرتوا الكتاب (1) وبقيت الكتابيات المحاربات و سائر المشركات على التحريم ولو اقتوت الأيتان لقلت أن ذلك تخصيص للمعلوم ولا كما شهروا في المذهب (2) ، وعن الشافعية من أن ذلك تخصيص العام و من جواز تأخير دليل الخصوص على العموم ولو كانت بين العام أو الخاص " . ثم يفتي المفسر محاولا الرد على الرايين مستشهدا بأيات أخرى قائلا : " و لك أن تقول لا نسخ ولا تخصيص بل المشوكات في الآية الكتابيات لأنه كثير في الآيات مقابلة المشركات بالكتابيات كقوله تعالى : " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين " (3) ولو كان أهل الكتاب أيضا مشركين لقوله " سبحانه عما يشركون (4) " (5) .

جد القراءات :

ومن فوائد الاختلاف في القراءات ، تيسير فهم القرآن و ادراك بعض معانيه بالإضافة الى المساعدة على اشتراط الأحكام ، و ترجيح رأي ، و المفسر كثيره لم يفتة هذا المصدر في استغلاله في أرجح التفسير منها :

(1) بيان معنى :

ليبين المفسر أن لام الجر في قوله تعالى : واقع للكافرين " الآية من سورة الماعين تفيد معنى (على) يقول : " أي واقع الكافرين كما قرأ أبي " (6) .

(2) ترجيح رأي ودعمه :

و بعد أن يستوق المضامى المختلفة لتفسير قوله تعالى : " ثم أتينا موسى الكتاب إلى . . . و هدى ورجة " الآية 154 من سورة البقرة يقول : " ويجوز أن يراد تماما على كل من أراد الاحسان ، و يدل على إرادة جنس المحسن قراءة

(1) المائدة / 5

(2) يحل به المذهب الإباضي

(3) البينة / 1

(4) التوبة / 31 .

(5) (التيسير) 1/305 .

(6) (التيسير) 5/386 .

عبد الله بن مسعود على الذين احسنوا وقرأه الحسن على المحسنين" (1) .

### 3- اختلاف قراءتين في الاعراب:

لا يكتفى المفسر بتبيين هذا الاختلاف بل يجده يوضح

علامة هذا الاختلاف بالمعنى وفي تفسير قوله تعالى: " و لصفه و لثه " الآية من سورة المزمل مثال لذلك: " . . . و يجاب عن التخالف بين قراءتهما بالجر و قراءته <sup>بضمه</sup> <sup>صاحبا</sup> <sup>الليل</sup> عطف على أدنى فإن جاعلها انك تقوم <sup>بضمه</sup> <sup>صاحبا</sup> <sup>الليل</sup> من الثلثين ، و تقوم نصف الليل تارة ، و تقوم ثلث الليل أخرى " (2) .

### 4- بيان سبب الاختلاف في القراءات:

ليبين المفسر سبب اختلاف القراءتين لكلمة ( معايش ) في قوله

" و جعلنا لكم فيها معايش " الآية 10 من سورة الاعراف فجده يعود الى أصلها ، و يتمق في الصاحح اللخوية و في الأخير يميل إلى نتيجة لا حظ ذلك: " و وزنه <sup>بضمه</sup> بكسر الحين نقلت كسرة الياء و الى الحين ، و انباء أصل فصحت في الجمع و لم تقلب همزة و ذلك الرواية الراجعة عن نافع (3) و لا روي عنه قلبها همزة شذوذا لان <sup>بضمه</sup> <sup>صاحبا</sup> <sup>الليل</sup> قد تشبه الاصل بالزائد اذا كان على صورته كما سمع شذوذا مصائب بالهمزة <sup>بضمه</sup> <sup>صاحبا</sup> <sup>الليل</sup> ابن عقيل ، و قياسه مصاب بالوار لان عين المصيبة و أصاب و صاب <sup>بضمه</sup> <sup>صاحبا</sup> <sup>الليل</sup> أو أصلية قلبت ياء في مصيبة و الفاء في أصاب و صاب و ابن عقيل تلميذ أبي حيان <sup>بضمه</sup> <sup>صاحبا</sup> <sup>الليل</sup> ، و قد نص على همزة مصائب شذوذا . . . و . . . صحيح ان قراءة معايش بالهمزة <sup>بضمه</sup> <sup>صاحبا</sup> <sup>الليل</sup> خارجة عن السببية و ليست عن نافع بل قرأ بها أبو جعفر و الأعرج فأمّا على <sup>بضمه</sup> <sup>صاحبا</sup> <sup>الليل</sup> و اما على الميم أصلي هو الياء زائدة فصح قلبها همزة و وزنه فعلية (3) ،

(1) (التيسير) 2 / 462 .

(2) ن . م . 6 / 393 .

(3) ن . م . 2 / 492 .

إبيسان ما يكون مجملا في الأحكام:

ليبين في الآية التالية ان الاخ أوالاخت من الام يستشهد المفسر

رواه أبي سعد بن مالك (1) وسعيد بن أبي وقاص قائلا: " وله أخ أو أخت " الآية 12

سورة النساء " من الام كما قرأه أبي وقاص سعد بن مالك وسعيد بن أبي وقاص أم

هو إجماع ، ، (2) .

ومن هذه الأمثلة نرى أن المفسر يوظف القراءات كغيره لتوضيح بعض المعاني

وتوضيح رأى أو حكم وفي تفسيره أمثلة كثيرة تثبت ذلك ولا يخفى علينا أن القراءات تساعد

التفسير وتبين معاني ولا سيما القراءات الشاذة التي استعملها المفسرون لهذا الغرض (3) .

التفسير القرآن بالسنة:

السنة من المصادر الأساسية التي استعان بها المفسرون في تفاسيرهم باعتبار

أول مفسر للقرآن الكريم ، هو الذي كان له الفضل في تبليغه ، وتطبيق تعليماته ، فجاءت

سواء منها القولية أو الفعلية أو التقريبية محبرة عن مضمون كتاب الله ، و مترجمة له

مصلحة لما جاء فيه ، مجملا ، ففي السنة التي تناقلها المحدثون قسم خاص بالتفسير .

ونجد لهذا القسم ، اثرا واضحا في تفاسير المؤلف ، ويتجلى ذلك من

الأمثلة التي نسوقها من تفسيره الذي نحن بصدد دراسته ، فكما كان القرآن الكريم

بعضه بعضا مصدرا أساسيا في تفسيره ، فإن هذا القسم من السنة لا يقل أهمية عنه ،

مادة هذا المصدر .

ويهدف المدرس من استشهاده بقسم التفسير من السنة الى بيان رأى

رسول صلى الله عليه وسلم في مدلول آية أو كلمة أو حكم من الأحكام ، وما الى ذلك لا حظ

لك في تفسيره بقلوبه تعالى: " الا من شاء الله " الآية 57 من سورة النمل و مط جاء فيه "

صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى الا من شاء الله فقال: هم الشهداء مقلدين

فهم حول المعنى ، رواه أبو هريرة . (4) .

1- لم يرد هذا الاسم في تفسير الكشاف 1/234 وكذلك في تفسير (روح المعاني) 4/230 ،

المجلد 2 وهو اسم سعد بن أبي وقاص .

2- (التيسير) 1/521 قراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم (قراءة أبي من الأم "

أرجع الى تفسير الكشاف 1/234 ،

3- وفي هذا المعنى ما رواه طاع القطان ، ص 156 عن أبي عبيدة

من كتابه (فضائل القرآن) ،

4- (التيسير) 4/525 المجلد 1 .

في تفسير قوله تعالى : " فطرت الله التي فطر الناس عليها " (1) يقول مبينا شرح  
لرسول صلى الله عليه وسلم لكلمة انقطرة : " . . . فمن أنس عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم هي دين الاسلام " (2) .

التي تدرج  
الانقطير المقطرة من الذهب . . . الى . . . والحرث " الآية 14 من سورة آل عمران  
قول المفسر " . . . وأخرج الحاكم عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم القنطار  
أوقية ومائتا أوقية وبه قال معاذ وعبد الله بن عمرو أبو هريرة . . . " (3) .

وقد يسوق الأحاديث النبوية التي تدخل في هذا القسم أي قسم  
التفسير والتي تبين اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن وتدبره لبعض  
الآيات كما نلاحظ ذلك في تفسير قوله تعالى : " وأن اتوا القرآن " الآية 2 من سورة النمل  
المفسر : " . . . كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قام ليلة كدر في صلواته : " إِنَّ  
بِهِمْ فَاذِهِمْ عِبَادِك (4) مستخرجا لمعانيها حتى طلع الفجر " (5) .

ومن الأحاديث النبوية التي استشهد بها تلك التي تحرض الصحابة  
على التفاعل مع معاني القرآن وتدويره ، مثل قوله : " . . . قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم  
سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا فقال : " مالي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم ، " .  
جابر بن عبد الله ولفظ بن عمر من رواية الطبري ، و البزار ، و السدار قطبي الخ . . .  
وهذا في معرض تفسير قوله تعالى : " فبأي آلاء ربكما تكذبان " الآية 13 من سورة  
الرحمن .

ومن الأحاديث التي تدرج في هذا القسم ، أحاديث فضائل السور  
التي يات في هذا النوع من الأحاديث نلاحظه في تفسيره ، ومن أمثلة ذلك سرده  
مستعمل سورة الاخلاص لأحاديث في فضل هذه السورة مثل : " . . . وفي الحديث من قرأها  
معه محبت عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين ، فإنه من سام عيسى

يُؤْتِيهِمْ وَقَرَأَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ قَالَ لِمَالِي لَهُ : " ادخل الجنة من يمينك ، وَأَنْ رَجُلًا أَحَبَّهَا  
عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَبَّكَهَا أَخْلَكَ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ الْخَيْرُ ، " (1) .

و من استشهاده بأحاديث فضائل الآيات ، حديث فضل الآية الأخيرة من

سورة الاسراء يقول : " . . . وفي مسند أحمد عن معاذ الجهني عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أنه كان يقول : " آية الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك

في ملكه ، ولم يكن له ولي من الدُّنْيَا وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا " (2) الآية 111 من سورة الاسراء .

وما يدخل في هذا القسم تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض

الآيات المشككة على الصحابة ، إما بطلب منهم أو لعرض التعليل ، ويتضح في مثل هذه الاحاديث

على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التفسير والتعليل ، لاحظ ذلك في هذا الحديث الذي

المفسر لشرح كلمة الكوثر : " . . . قال صلى الله عليه وسلم ما الكوثر ؟ قالوا الله ورسوله

، قال هذا نصر أعظا لله ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة الخ . . . (3) .

و من الاحاديث ما يتضمن أسباب النزول و ستعرض لهذا النوع في بحث

الذي به ، أما القسم الداني من السنة يستعين به المفسر لدعم رأي أو زيادة توضيح معجده يسود

حياتنا - أحاديث كثيرة في موضوع الآية أو السورة ، و من خلال الامثلة تتجلى لنا الاغراض

التي يوظف هذا القسم من السنة .

تجارب

لبيان صراحة الرسول صلى الله عليه وسلم في تطبيق القرآن الكريم بعد

أحكامه ، يقول المفسر : " ، . . . ويناسب أنه لا يجوز له ما فوق ~~الصلوات~~ الاربع أن فيلان

و تحته عشر فقال صلى الله عليه وسلم أمسك أربعاً و فارق سائرهن " في تفسير قوله

في : " فانكحوا ما طاب لكم من النساء . . . الى أو ما طكت ايماكم " الآية 03 من سورة النساء .

و في نفس السياق يتحدث المفسر عن بعض الاحكام المتعلقة بالزواج ،

المطبة فيقول مستشهدا بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم في جواز النظر الى بعض

المرأة ، في الخطبة : " . . . وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا

والآيات رأى الاباضية والشافعية في تحديد معنى البلوغ يسوق حديثاً

نبويًا في معرض تفسير قوله تعالى: " وابتلوا آلتي حتى إذا بلغوا النكاح " الآية ٥٦ من سورة النساء يقول المفسر: " . . حدّ النكاح وهو البلوغ باحدى علامات البلوغ فان لم تكن فخص عشر سنة عندنا وعند الشافعية لقوله صلى الله عليه وسلم: " إذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وما عليه وأقيمت عليه الحدود " (2) .

وإذا وجد في الآية ماله علاقة بحديث أو أحاديث سواء من حيث اللغة،

أو الموضوع أو الأحكام، ساقها كشواهد أو لتوضيح فكرة أو لدعم حكم، وفي الأمثلة التالية ما يدل على ذلك:

ففي شرح قوله تعالى: " وأنزل التوراة والانجيل " الآية ٥٥ آل عمران

يعاين المفسر إثبات عربي ( التوراة والانجيل ) بقوله: " . . ألا ترى أنه لا يقال في الأعلام الحميمية لموسى ولعيسى والنوح ونحو ذلك، وكذا العربية إلا للمح الأصل بلا قياس والفيهما للمح ولا يتعرض بالاسكندرية بال لأنه بيا والنسب العربية . . والنبي صلى الله عليه وسلم قال: " اطلبوا العلم ولو بصين بدين ال و زاد الرازي آل والعربى لا يزيده . . " (3) . وفي معرض تفسير قوله تعالى: " فاشهدوا عليهم " الآية ٥٥ النساء يسرد حديثين لهما علاقة من حيث الموضوع بالآية لاحظ ذلك فيما يلي: " ، قال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواقع التهم ، وقال صلى الله عليه وسلم من وجد لقطة فليشهد ذري عدل ولا يكلمكم . (4) .

والمفسر يلجأ إلى دعم تفسيره بأحاديث في نفس الموضوع، وكتابة

زاخرًا بمثلة وأحيانًا بلا حظا طابا كبيرا في هذه الناحية حتى يخال للقارىء أنه يتصفح

كتابا في الحديث، وفي تفسير قوله تعالى: " يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن " الآية 12 الحجرات خير مثال نجد المفسر يسرد سبعة أحاديث في موضوع

(1) ن . م . 674 / 1

(2) ن . م . 570 / 1 .

(3) هـ . م . 439 / 1 .

(4) ن . م . 580 / 1 .

الآية وتخللها شرح بعض الجوانب ، وذكر الحالات التي يجوز فيها أن التسمي بالناس .  
 (1) ومن المواطن التي يسوق فيها المفسر الأحاديث آيات الأحكام ، ومن أمثلة ذلك قوله : " . . قال عتبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أحسن الشروط أن يوفى ما استحلتم به الشرج " وعن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من أصدق امرأة صداقا وهو مومح على أن لا يوافقها إيساه ثم مات ولم يحطها إيساه نقي الله عز وجل زانبا " (2) وذلك في معرض تفسير قوله تعالى : " وأتوا النساء صدقاتهن نحلة " (4) النساء .

وقد يستشهد بحديث للمطارنة بين مدلول كلمة وردت فيه ومدلولها في الآية أو لشرح توضيح هذا المدلول فقط ، لاحظ ذلك في قوله : " . . ورد حديث الأبرائي قوله : " والحكم اتقوا الله تعالى ( فإن الله تعالى فانسح لكم وانسح " وهذا الحديث ساقه في تفسير قوله تعالى : " انسح الله الذي أتقن كل شيء " الآية 88 النمل ، فيير أن المفسر يحق على هذا الحديث بقوله : " إلا أنسه يحتمل أن يكون انسح في الحديث بمعنى منسح " (3) .

والمفسر يعضي في مو لفسه في توظيف هذا المصدر لأفراض مختلفة باعتباره المصدر الثاني في التشريع ، بذكر السند والمرجع تارة وبأهماله تارة أخرى ، وقد بعض الأحاديث التي تظهر له أنها متناقضة مع موضوع الآية ، أو يستبعد صدورها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتن دون بلوغ درجة التصحيح ، المعروفة عند المحققين من المحدثين .

وخلاصة القول أن المفسر أولى أهمية خاصة لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجملة أدلة الأدبات بعض الأحكام ومصدر الشسويا وفقها ، ولم يخف عن بيان فضائل السور والآيات ، وبل ذهب إلى أبعد من ذلك بحيث كان يستشهد ببعض الأحاديث في مواضع علمية ، منها مثلا فائدة العسل الطبية إذ ساق هذا الحديث " وفي البخاري ومسلم والترمذي عن أبي سعيد الخدري أنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " إن أخي استلق بدنه فقال صلى الله عليه وسلم أسقه عسلا فسقاه ، ثم جاء فقال إنني سقيته عسلا فلم يزد إلا استطلاقا فقال له ثلاثا ،

(1) ن . م . 5 / 430 - 432 .

(2) ن . م . 1 / 675 .

(3) ن . م . 4 / 593 المنجد 1 .



جاء الرابعه فقال : أسقيه عسلا فقال سقيته فلم يزد الا استطلاقا فقال صلى الله عليه وسلم صدق الله ، وكذب بطن أخيك . . . " (1) .

والاحاديث تحتل جزءا كبيرا هي تفسيره ، يستشهدوا لزيادة توضيح لآية . ومعالجة موضوعها ، والامثلة السابقة تؤكد ما ذهبنا إليه ، ومن المصادر التي لها علاقة بالسنة آراء الصحابة والتابعين ، وتنبئين فيما يلي كيف استدل المفسر هذا المصدر في تفسيره .

تفسير آراء الصحابة :

يعود المفسر إلى آراء الصحابة لبيان معنى آية أو كلمة ، أو توضيح إمام فقهية استنبطوها عن طريق الاجتهاد ، وتدبر الآية ، وكان مرجع الاساسي ذلك عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه ، فلشرح كلمة الميزان في قوله تعالى : يخرج الميزان " الآية 57 من سورة الرحمن يقول المفسر : . . . وعن ابن عباس المراد الآية ما تعرف به القناد يروونا أو كيلا أو ذرعا أو نحو ذلك (2) .

بيان مدلول كلمة المصنف في قوله تعالى : " والحب ذو المصنف " الآية 12 الرحمن المفسر الى رأي الصحابي ابن عباس والتابعي الضحاك فيقول : " وفستره ابن عباس بنين وعن الضحاك أنه النخالة . "

ولا يقف المفسر عند هذا الحد بل يسوق آراء الصحابة في ميادين كثيرة كراي ابن عباس في تكوين الارض في قوله تعالى : " والارض وضعوها للاسقام " الآية من سورة الرحمن يقول : " . . . ومن ابن عباس خلق الله تعالى انما ثم الارض من " والاكام الانس والجن عند الحسن والحسين في رواية عن ابن عباس

وفي معرض تفسير قوله تعالى : " ولطئت منهم رعبا " الآية 16 الكهف يستشهد بحادثة عاشها ابن عباس ورواها سعيد بن جبيرة ويقول في ذلك " . . . سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما غزنا مع معاوية نحو الروم فمرنا الكهف الذي فيه أصاب الكهف " (4) .

ن . م . 642 / 3  
ن . م . 05 / 6  
ن . م . 06 / 6  
ن . م . 819 / 3

وفي تفسير قوله تعالى : " إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ " من " الآية 24 الكهف ينقل لنا آراء الصحابة في مدة الاستثناء قائلًا : " . . قال ابن عباس يستثنى ولو بصد سنه أو أكثر أبدا ما لم يحدث لدليل الآية برعنه سنة وعنه شهر وعن سعيد بن جبير أربعة أشهر وعن الحسن و طائوس وعطاء الخليل بقائه ولا استدلال على اعتماد المفسر على هذه الأمثلة المختلفة كافيها لا استدلال على اعتماد المفسر على هذا المصدر ومن بين المصادر الأساسية التي كان يرجح إليها المفسر لا يزال : معاني القرآن الكريم والتي لا يستثنى عنها أسباب النزول القرآن ، ولا أهميتها أفرادنا لها .

### أسباب النزول :

من الوسائل المساعدة على فهم القرآن الكريم ، وإدراك معانيه أحكامه أسباب النزول ، باعتبارها أحداثا وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عالجها القرآن الكريم ، فهي بمثابة نماذج من واقع المجتمع البشري ، ولذلك فإن لنزل الآية وحكمها لا يختص بالحادثة التي نزلت بمناسبة نزولها بل يحتسب توجيهات تشريعات صالحة لكل زمان ومكان ، وقد كان المفسر يشير إلى هذه الفكرة عقب ذكر أسباب النزول أو قبلها بسرد إحدى هذه العبارات : " كما عمّ اللفظ ولو كان سبب خاص " (2) أو العبارة التالية : " الآية على عموم لفظها ولو خص سبب النزول " (3) وفي تفسير قوله تعالى : " وَبَلْ لَكُمْ أُنُوفٌ أَنتُمْ أَهْمٌ " الآية 07 من سورة الجاثية يقول : " والآية عامة لفظا ومعنى ولو نزلت في أبي جهل " (4) والعبارة التي أستعملتها كثيرا هي " لأنّ المختبر عموم اللفظ لا خصوص سبب النزول " (5) .

ومن هنا نرى أن المفسر لا يهدف من وراء استشهاده ، بأسباب النزول سوى توضيح المعنى أو الحكم ، ولا يقصدها لذاتها ، وبالتالي يحتسبها وسيلة ليست غاية في حد ذاتها ، ولذلك نجد في بعض المواضع يمهّد بها للآية أو السورة .

1) أن . م . 3/522 و 530 .

2) أن . م . 6/723 .

3) أن . م . 5/456 .

4) أن . م . 5/301 .

5) أن . م . 5/222 .

وفي بعضها يسوقها في معرض التفسير : ومن خلال الأمثلة التالية يتضح لنا ذلك (1) تمهيدا لقوله تعالى : "وإذا رأوا تجارة أو لهموا انفضوا إليها" الآية 11 / من سورة البقرة يقول المفسر : " . . قال البخاري ومسلم والترمذي عن جابر بن عبد الله بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قائما إذ قدمت عبر المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا أنا منهم وأبو بكر وعمر فانزل الله تعالى : " وإذا رأوا تجارة ألخ . . الى آخر السورة " (1).

(2) وفي معرض تفسير قوله تعالى : " والذين يؤمنون أزواجهم الى . . أن كان من الصادقين " الآية 06 / النور ، يستعرض المفسر جملة من روايات عن سبب نزولها منها قوله : " . . ونزلت آيات اللعان بسبب هلال بن أمية أحد الثلاثة الذين تيب عليهم إذ رمى زوجته فلا عن بعد نزولها وقيل بسبب عاصم بن عدي وقيل بسبب عويمر بن نصر الحجلي . . " (2).

لما جري مقارنة بين المثاليين السابقين نستنتج ما يلي :

#### في المثال الأول :

أ . ممد للآية بسبب نزولها .

ب . ذكر سنده .

ج . يصور حادثة كانت سببا في نزول الآية وتحريم المعاملة في وقت صلاة الجمعة .

#### في المثال الثاني :

أ . سرد سبب النزول خلال تفسيره للآية لغرض التوضيح .

ب . عدم ذكر السند مع احتمال صيغة التبعية لتحديد الروايات .

ج . تبيان الآية لطريقة اللعان بعد وقوع حادثة قذف الزوج .

(3) يجمع المفسر بين الطريقتين السابقتين لتفسير قوله تعالى : " ولما ضرب ابن مريم " الآية 57 / الزخرف .

يقول المفسر : " . . لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنكم ما تحبدون من دون

الله حبص جهنم " (3) قال عبد الله بن الزهري قبل اسلامه : عيسى عبد صالح نبي ،

عندك وقد عبدته النصارى . . . فقد رضينا أن نكسبون نحن

(1) ن . م . 218/5 .

(2) ن . م . 374/4 المجلد 1 .

(3) الأنبياء / 28 .

والمتمم معهم في النار لا يكون ذلك فسكت ونزل: "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مَسَا  
الحسن (1) الخ وهذه الآية (2)، وقيل قال ما أجملك بلخة قومك أن ما لمن  
لا يحقل وأظلمه موضوعا لا تما تكون في القرآن أيضا للحاقل وتكون لهما . . .  
ولما فرغ ابن الزهري من كلامه فرحت قريش بذلك ظنا منهم أنه حجة فضحكوا  
وعلت أصواتهم كما قال الله تعالى: "إذا قومك منه يصد" (3) الآية 57  
الزخرف.

في هذا المثال يستعين المفسر بسبب النزول لتفسير الآية الأولى مع ذكر  
الآيتين اللتين تشتركان محما في سبب النزول، ثم اعتبر ذلك تمهيدا للجزء الثاني من  
الآية التي بصدد شرحها، ولا يفوت المفسر نقد الرواية التي لم يذكر سندها . نزول  
(4) لتفسير سورتي الكافرين والأخلاق، يسرد في شرحه الآية الأولى أسباب هاتين  
السورتين ففي السورة الأولى يستعرض بعض الروايات ويحقبها بقوله: " . . . وعلى كل  
حال في ذلك نزلت السورة أو كان ذلك جميعا فنزلت" (4) دون ذكر السند بخلاف سورة  
الأخلاق يذكر المصادر التي استمدت منها الروايات بأسانيد ما لاحظ ذلك فيما يلي:  
" . . . ففي البخاري والترمذي عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي صلى الله -  
عليه وسلم ما نسب لنا ربك فأرسل الله تعالى قل هو الله أحد (5) الخ " . . . وفي الطبري  
والطبراني . . . " (6)

و خلاصة القول، أن المفسر كلما أمكنه اعتماد هذا المصدر للتوضيح، والشرح  
وابراز المعاني وظنفسه بالحريقة التي أشرنا إليها سابقا، ولا يكفني في غالب الأحيان  
برواية واحدة ان تعددت الروايات مع نقد بعضها، أو محاولة التوفيق بينهما،  
ومن المصادر الشبيهة بهذا المصدر في استعراض أحداث واقعية تترجم الآيات  
أو السور لكن مع خلاف بسيط يتمثل في كون أسباب النزول أحداثا وقعت في عهد الرسول  
صلى الله عليه وسلم، وعاشها عن كثبه تصور جانبها من المجتمع الذي عاش

(1) الأنبياء / 101 .

(2) أن ولما ضرب ابن مريم الخ . . .

(3) التيسير 259/5 .

(4) ن . م . 699/6 - 700

(5) الأخلاق ص / 01

(6) التيسير 713/6 .

في أحضانه وتعامل معه ، وهذه الأحداث كانت أسبابا مباشرة لنزول الآية أو الصورة بينما المصدر الثاني الذي هو القصة يعتبر أحداثا تاريخية مرت على المجتمعات البشرية الماضية يستعرضها القرآن الكريم لغرض الاعتراض ، وهو ما يفهم من قوله تعالى " لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتخصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يوفون " الآية 111 / يوسف .  
المصادر التاريخية :

### 1. قصص الأنبياء .

من جملة المصادر التاريخية قصص الأنبياء التي كانت خير عون في تفسير القرآن من حيث أحياء التاريخ في شكل قصصي حيّ جذاب يشد القارئ ويؤثر فيه مؤدبا الخرس المنشود من اشتغال القرآن عليه .

فإذا كان المفسر أولى عناية خاصة لهذا المصدر مستعينا به في تفسيره محاولا ربط أحداث القصة بالعودة إلى تفاصيل القرآن أو إلى روايات مختلفة فإن إغراقه أحيانا في تفاصيل لا تخدم الغرض بقدر ما تسيء إليه بتحويل وقائع هذه القصص إلى أحداث خيالية لا يصدقها العقل ولا المنطق مع أن القرآن واضح ككل الوضوح في تصوير هذه القصص ، والهدف من سرد ما يجعل الباحث يؤخذ المفسر على ذلك ، وإن كان المتأمل في الحقبة التاريخية التي عاش فيها المفسر والمصادر التي استقى منها معلوماته ، يحذره ، ويخرج باحتمال أن المفسر يقصد من وراء ذلك إفاد قراء تلك الحقبة الذين يلحون وراء التفاصيل والجزئيات ويحدثون عن الخوارق والأمثلة التالفة توكيدا ما ذهبنا إليه : (1) في سورة البقرة من الآية 30 إلى الآية 38 يتتبع المفسر قصة خلق آدم كما أوردها القرآن مبرزاً مضمون كل آية أو جزء منها على حدة حسبما يقتضيه المعنى (1) .

فيرأنا نلاحظ - أحيانا - يستطرد ، ويسرد بعض المسائل التي تزيد القصة وضوحاً وتعد القارئ ببعض التفاصيل منها مثلاً : اختلاف المفسرين في الأسماء التي علمها الله لآدم ، وفي أصل اسم آدم ، وما ورد فيه من اختلافات .

كما نلاحظ من جملة أخرى إغراقه في تفاصيل تجعل القصة أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع ، لاحظ ذلك في المثال التالي الذي يبين فيه طريقة وسوسة الشيطان

لآدم وحواء: " . فأصمهما من خارج الباب أو دخل الجنة متصورا في صورة دابة من دواب الجنة ولم تصرف الملائكة ، أو دخل في فم الحية فتمسها وكانت بقواكسم على طولها من أحسن الدواب نسوقبت بسلب القواكسم وقيل تسورت الحائط وقيل وقف الدلاوس . " الخ . (2)

ومع ذلك قد تنفي هذه التفاصيل بعض الأفكار ، وتشد آنتباه بعض القراء والمفسر يستعين - أحيانا - ببعض آيات من سور أخرى لربط الأحداث أو توضيحها منتصحا بذلك طريقة تفسير القرآن بالقرآن ، ومن أمثلة ذلك ذكره للكيفية التي أول بها الشيطان آدم وحواء: " ابلير بقوله هل أدلك على شجرة الخلد (2) الخ . . وقوله ما نهيكما ربكما الخ (3) . . (4) .

لا يسلم المفسر بكن الآراء ، بل يجده - أحيانا - ينتقد وينقد بعضها ، ومن خلال هذا المثال الذي يحدد فيه جنة آدم وحواء يتضح ذلك: " . . وهي جنة فارس وكرمان أو في عدن أو فلسطين والصحيح أنها دار السعداء ، وقيل جنة في السماء غير ما ولادليل عليها ولا تصرف في السماء جنة " (5) .

وإذا استعرضنا قصة المائدة ، نلاحظ أن المفسر يلم ببعض التفاصيل التي لم يتعرض إليها القرآن لكنهما لا تخدم الغرض المتعدل في الصبرة والتذكير لا غير ، وهذه الجزئيات والتفاصيل اقتبسها أصحاب المناقني والمفسرون من مصادر أهل الكتاب ، نتيجة ميل الحقول إلى الاستيفاء والاستقصاء (6) ، ومن طبيعة الانسان الفذولتي تطلمه إلى معرفة دقائق الأمور ، ورغبته في الحصول على اجابات عن التساؤلات ، والاما الداعي إلى تصرف المفسر مثل جميع المفسرين الذين آنتمجوا نفس الطريقة - إلى معرفة أطعمة المائدة ، وسرد مختلف الآراء المتضاربة - أحيانا - حول هذه الأطعمة ، وطيرانها بمد شيع القوم الخ . . (8)

ونجده خلال سرده لبعض القصص مثل موقف ابراهيم من أبيه وقومه يحالج بعض المسائل الحقائقية أو اللغوية كتعرضه إلى نزاهة أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأصنام والأودان ، ومدلول الآية لغويا ومجازيا ، وتفسير ملكوت ، ورأي الأباضية في عصمة الأنبياء منذ صغرهم الخ . . (8) .

(2) طه 120 .

(1) ل. م . 46/1 ، 47 .

(3) الأعراف 20 .

(4) التيسير 46/1 .

(5) ن . م . 45/1 .

(6) التيسير والمفسرون 61/1 .

(7) التيسير 200/2 - 203 .

(8) ن . م . 315/2 - 325 .

ورغم اهتمام المفسر بالجانب القصصي ، باستعراضه لأحداثها وجزئياتها نجده يشيخ من حين لآخر إلى بعض العبر مثل قوله بعد تفسير قوله تعالى : " قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا " الآية 61 طه ما يلي : " . . . لکن الرّبیسة فی الرفعة والدّفح عن النفس یرى الحق باطلا ، وینسى النظر فی الحواقب. " (1)

و یکنفی فی کثیر من المواضع بحصر الخرض فی تسلية الرسول صلی الله علیه وسلم ، وفي تشبيه عناد المشركين و آذاهم بفعل أقوام بأبيائهم و رسلهم للتجدد والصبر في سبيل نشر الدعوة ، وفي تفسير قوله تعالى : " و هل اتيك حديث موسى " الآية 109 طه مثال على ذلك إذ يقول : " تسلية لرسول الله صلی الله علیه وسلم بما أودى به موسى عليه السلام كخيرهم أئمة من أقوامهم ما عراك في اعلان بأن شأن الأنبياء القيام بالتوحيد و أموره و تحمل المشاق " (2).

أويرى المفسران هذه القصص تهديد للمشركين ، ووعيد لهم ، يقول في تفسير قوله تعالى : " ألم تركيب فعل ربك بعاد " الآية 56 الفجر ، ما يلي : " ألم تعلم يا محمد أو من يصلح للخطاب ما فعل ربك بهم من العذاب ، و ثمود و فرعون لكفرهم فليخف قوئك تحذيبا مثله على كفرهم " (3).

فإذا كان المفسر يرى في أسباب النزول العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فإننا لا نراه يطبق هذه القاعدة على قصص الأنبياء التي تصور نماذج بشرية تنطبق على المجتمعات و على عينات انسانية في كل مكان و زمان و لم يستغل ذلك لأصلاح النفوس و المجتمعات عملا بقوله تعالى : " لقد كان في قصصهم عبرة " الآية 111 / يوسف ، بل أكتفى في كثير من الأحيان بسرد القصة متحرّفا إلى بعض جزئياتها ، و إذا أشار إلى العبرة حصرها في نطاق ضيق لا يتجاوز عمده نزول القرآن الكريم .

(1) ن . م . 132 / 4 المجلد 1

(2) ن . م . 92 / 4 المجلد 1 .

(3) ن . م . 581 / 6 .

لكن المفسر لا يقتصر استفادته من التاريخ على قصص الأنبياء ، بل نجده يستعين ببعض الأحداث التاريخية عا<sup>التي</sup>شما الانسان في مراحل حياته على وجه الأرض ، وتختلف استفادته من هذه الأحداث تبعا لمضمون الآية ونوع الحادثة ، وفيما يلي نلقي أضواء على بعض أمثلة ، ب. الأحداث التاريخية :

أهم ما يتميز طريقة المفسر في سرد الأحداث التاريخية تعرضه الى الروايات المختلفة بما فيها الروايات الضعيفة في بعض الأحيان ، وخير مثال على ذلك قصة أصحاب الفيل . لاحظ في البداية يسرد القصة بحذافيرها ، ويتفصيلها متعرضا الى الاختلافات في تواريخها مدلا وأسباب وقوعها ، ثم يحيد سرد أحداثها خلال تفسيره لآيات دون الإشارة الى العبرة من هذه القصة . (1)

وفي المثال الثاني التشبيه بالأول يذكر المفسر مراحل بناء الكعبة واعادته وذلك في معرض تفسير قوله تعالى : " وأرنا مؤاسكنا " (2) الآية 128 / البقرة . وفي تفسير قوله تعالى : " ومن أظلم ممن مسح . . . أولئك " الآية 114 / البقرة يضرب أمثلة من تاريخ تخريب بيت المقدس وعا<sup>التي</sup>شة الفساد فيها ، ثم يذكر استيلاء الصليبيين عليها ، وتحريم صلاح الدين الأيوبي لها مستدلا بذلك على اثبات رأي التفسير قائلا : " . . . وليس في الآية أنه لا يدخلها أبدا بل فيها أنه يتحقق هذا المقدار من عدم الدخول الأمع خوف فلا يؤد ما ذكرت من دخول مساجد بلاد أخذوها ، ودخولهم المسجد الحرام وأخذهم الحجر الأسود ، ثم أنه رد وكون المقدس في يد الأفرنج أكثر من مائة سنة بحيث لا يدخله مسلم إلا خائفا حتى نزعهم الناصر صلاح الدين الأيوبي يوسف . " (3)

(1) ن . م . 84/6 — 638 .

(2) ن . م . 153/1 — 159 .

(3) التيسير 142/1 ، 143 .



وقد يسوق حادثة تاريخية في تفسير آية للعلاقة هذه الحادثة بالآية وانما لورودها فيها ومثال ذلك الحادثة التي اقتبسها من كتاب الأمالي لأبي علي القاسمي، الواقعة في عهد عمر بن عبد العزيز، والتي تصور تمكن الكفر من صاحبه بسبب نشأته عليه تجعل من العسير التخلي عنه، فقد قال أحد المتحاورين اجابة عن سؤال صاحبه القائل: "قتلت ما بقي معك من القرآن قال: لا شيء الا هذه الآية" ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين" (1) الآية 102 الحجر .

ومثل حادثة علي بن الحسين وجارته (2) يرويها في تفسير قوله تعالى: "الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الفيتن". الى والله يحب المحسنين" الآية 134 آل عمران، تبين هذه الحادثة وقع القرآن الكريم في نفوس أتباعه ومدى استجابتهم لتعاليمه، والعمل بمقتضاه .

وبحكم انتماء المفسر المذهبي، نجده يفخر بأئمة، وكلما وجد فرصة ذكرهم وأشاد بهم مثل قوله في معرض تفسير قوله تعالى "والذين جاؤوا من بعدهم" الآية 10 الحشر ما يلي: "فنقول هم ان شاء الله مثل جابر بن زيد وأبي عبيدة والربيع بن حبيب . . ثم يسرد أئمة الشرق المشهورين مع تاريخ ولا يتعمم (3) . على أن اعتزازه وافتخاره بالقيادة والأئمة لا يقتصر على أهل مذهبه بل نلاحظه يشيد بمواقف قادة المسلمين، ويتجلى ذلك في سرده لحادثة وقعت في عهد يوسف بن تاشفين ويقول فيها: "لما جمع أدفلوش لعنه الله عز وجل جموعا كثيرة لملاقاة أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين الذي دخل الأندلس للجهاد قال معجبا بحاله: "أقاتل بهذا الجيش رب محمد والانس والجن والملائكة، ورأى في نومه أنه ركب فيلا وفي يده طبل صغير يضرب فيه فلم يعرف قسيسوه تأويلها فسأل مؤحدا فاستغفاه، فأبى، فقال تهلكون لقوله تعالى: " ألم تركيف فعل ركب بأصحاب الفيل" (4) مع قوله: فاننا نكفر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير (5) فكانت الدائرة عليه كما عبرونها طعن طعنة أخرجته اعراجا لا زما له بقية عمره الى أن مات همما

(1) ن م 504 / 3 .

(2) ن م 590 / 1 .

(3) ن م 156 / 6 مثال آخر في ن م 401 / 5 يشيد فيه بعبد الرحمن بن رستم وخلافته وفي

ن م 451 / 5 و 452 يعرف بأئمة المذهب الاباضي .

(4) الفيل: 01 /

(5) الحديث / 08، 09، 10 .

وحزنا لقتل أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين ابنه ولقتل عساكره الى جهنم ودارالذل \* ( 1 ) .

ولا يفوت المفسر نقل بعض الروايات عن مواقف أشخاص وتصرفاتهم مثل حادثة عمر بن العاص مع علي بن أبي طالب قائلا: " . . ولما قصده داهية العرب عمر بن العاص للقتال بقهر معاوية له على ذلك تحرك الى جهة علي بصورة القتال فلما قصده ليقتله كشف عورته فأدبر عنه علي فذهب ونجبا وقد امتثل معاوية \* ( 2 ) كما نلاحظ اهتمام المفسر بتبيين الأحداث الأساسية التي فرقت المسلمون وشتت شملهم ولا زال آثارها قائمة الى يومنا هذا تهمش جسم الأمة الإسلامية وهذه الأحداث تتمثل في ما يسمى بالفتنة الكبرى ، التي وقعت في عهد عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، ويحرص في سردها على تحليل الأحداث لاثبات موقف الرافضين للحكيم ونسب علي على قتال الخوارج ، وانفصال الإباضية عن بقية فرق الخوارج لتطرفها هو في تفسير قوله تعالى : " وأن طائفتان من المؤمنين . . الى أن الله يحب المقسطين " الآية 9 الحجرات ، مثال ذلك ( 3 ) وإذا لاحظنا أن المفسر وظف في غالب الأحيان التاريخ في الشرح والتوضيح وضرب أمثلة ، نلاحظ من جهة أخرى ميله الى بعض الاستطرادات التي لا تغدو هذه الجسور نسب بقدر ما كانت حشووا والسياقا وراء بعض الأحداث التي تآثر بها المفسر فذكره لإيئة المذهب الإباضي في مواضيع مختلفة وسرده لحادثة عمر بن العاص وعلي وغيرها لا علاقة لها بمدلول الآيات المشروحة ولا يمكن أن يفسر ذلك إلا بغزارة معرفة المفسر ، وعدم اعتماده منهجية واضحة في توظيف هذا المصدر ، وإرادة ازالة الالتباس عن بعض القضايا لا سيما تلك التي كانت من أسباب الخلافات بين المسلمين هو تصدع وحدتهم .

( 1 ) التيسير 402 / 6 ، 403

( 2 ) التيسير 454 / 5 .

( 3 ) التيسير 474 / 5 ، 475 .

وإذا كان هذا أسلوبه في استعمال هذا المصدر فما هو أسلوبه  
في توظيف الشعر العربي وهذا ما سنراه في البحث التالي .  
الشعر العربي :

تواتر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن شعرا مذيون العرب ( 1 ) ه  
فكما كان الشعر العربي الجاهلي بصفة خاصة مصدرا للغة العربية ، وقواعد حسابها  
فإنه كان ولا يزال من أهم مصادر تفسير القرآن الكريم باعتبارها لغة نزل  
بها لغة العرب ، وأن هذا الشعر يصور عادات العرب ويقتسم السنن  
هي بيضة نزول القرآن الكريم ، وهو من هنا نرى ضرورة ا. طبع المفسر  
على هذا المصدر والوقوف على معانيه ، وإطلاقها من ذلك نجد  
يرجع إلى هذا المصدر مستعملين به لاستجلاء معانيه ودفع النكاره  
وتوضيح معانيه في اللغة والقواعد العربية ، والعلم باللفظة ويظهر من توظيفها  
المصدر اهتمامه بالعلم ، وإطلاقه الواسع على الشعر العربي في مختلف أحواله ،  
وتذوقه له ، ولبيان طريقة التوظيف المفسر لهذا المصدر نسوق بعض الأمثلة :  
( 1 ) اثبات استعمال لفظة :

ا. لتوضيح إحدى مدلولات كلمة ( الرقيم ) في قوله تعالى : " أم حسب أن أصعب  
الكهف والرقيم " الآية 9 الكهف ، يستدل المفسر ببيت شعري لأمية بن أبي الصلت  
القاتل : " وليس بما إلا الرقيم مجلورا . . . . . وصيد هم والقوم في الكهف عند  
ويعني به في هذا المعنى الكلب . ( 2 )  
ب : يستشهد بالبيت التالي دون ذكر صاحبه لإثبات إحدى الاستعمالات كلمة ( صيحة )  
في تفسير قوله تعالى : " فأخذتهم الصيحة " الآية 41 المؤمنون ، وذلك بعد أن  
استعراض بعض معانيها يقول : " . . . أو الصيحة انقلاب الزمان بالسوء قيل :  
صاح الزمان بشال برمك صيحة . . . . . خروا لشدةها على الأذقان ( 3 ) .

( 1 ) التفسير والمفسرون 53 / 1 .  
( 2 ) التيسير 306 / 3 .  
( 3 ) ن . م . 342 / 4 المجلد 1 .

(2) تدعيم فكرة :

- أ . لتدعيم فكرة وردت في الآية : " وأنتم فيما خالدون " الآية 71 الزخرف وهي الخوف من زوال النعمة ، وتأكيد دوامها في هذه الآية يقول المفسر: " . . . وفي الخلود تأكيد في المعنى لقوله " لا خوف عليكم " لأن زوال النعمة ضرر مخوف وموجب لكلفة التحفظ قال :
- وإذا نظرت فان يوماً زائلاً . . . . . للمرء خير من نعيم زائل . (2)
- ب . للمقارنة بين تربية السامري و موسى عليه السلام في تفسير قوله تعالى : " وأظلم السامري " الآية 83 طه ، يستشهد المفسر ببيتين قائلاً :
- إذا المرء لم يخلق سميداً تحيرت . . . . . قلوب مريته وخاب الموقر  
فموسى الذي رباه جبريل كافر . . . . . وموسى الذي رباه فرعون مرسل (3)
- ج . لبيان اعتقاد الكفرة بأن المصيبة اذا عمّت كانت أخف وقما على صاحبها عند تفسير قوله تعالى : " انكم في العذاب مشتركون " الآية 39 الزخرف يستشهد ببيتين للخنساء : " كما يزول بعض الهم اذا عمّت المصيبة وعمم البلوى يسلي القلب في الدنيا قالت الخنساء :
- ولولا كثرة الباكين حولي . . . . . على اخوانهم لقتلت نفسي  
ولا يكون مثل أخي ولكن . . . . . أعزني النفس عنده بالتأسي " (4)
- د . في تفسير قوله تعالى : " ليعلم ما يخفين من زينتمن " الآية 31 النور ، يتعرض السبي مبيهاً يجوز للرجال ارتداؤه مبيهاً أثر الثياب في قيمة الانسان ، مستشهداً في ذلك ببيتين هو لاحظ ذلك : " . . . وأجيز الحرير للرجال في الحرب وكذا يسن للرجال التزيين بلا اسراف قيل :
- تجمل بالثياب ولا تبالي . . . . . فان العين قبل الاختبار  
فلو جعل الثياب على حمار . . . . . لقال الناس يا لك من حمار (5)

(1) الزخرف / 69 .

(2) التيسير / 267 / 5 .

(3) ن م 4 / 150 المجلد 1 .

(4) ن م التيسير / 251 / 5 .

(5) ن م 4 / 396 المجلد 1 .

٤ . قضيّة الحجاب : من القضايا التي اهتمّ بها الفقهاء والمفسرون وبيّنوا أضرار التبرج وآثارها في المجتمع، ولیدعم المفسر الفكرة التي ترى الخطر في النظر والتهاون فيه يموق الآبيات التالية :

" كل الحوادث مبدأها من النظر . . . . . ومعظم الثار من مستنصر الشر والمرء ما دام ذا عين يقلبها . . . . . في أعين العين موقفا على الخطر كم نظرة قعدت في قلب فاعلم . . . . . فعل السهام بلا قوس ولا وتر يسترنا ناظراه ما ضير خاطره . . . . . لا مرحبا بسرور عاد بالضمر (1) وهذا في معرض تفسير قوله تعالى : " وليضربن بخمرهن على جيوبهن " من الآية 31 النور ،

وإذا تصقنا تفسيره الذي نحن بصدده دراسته نجد المفسر يدعم نظاميين الآيات أو بعض أفكارهما علاقة بها أو تبناها هو بآبيات شعرية مستعينا بفرد في زيادة التوضيح وتقوية الفكرة ويتجلى من ذلك تأثير المفسر بالشعر هو نظرتة اليه واعتباره مصدرا مساعدا على الفهم والتأثير على القارئ .

### (3) تبيان مسألة في قواعد اللغة والعلم البلاغية :

لا نريد التحدث عن أهمية القواعد في نظر المفسر لأن ذلك سنخصص له مبحثا خاصا ، وإنما نريد هنا أن نبين أن الشعر العربي لا سيما القديم منه كان مصدرا أساسيا في تفسيره يستخدمه في اثبات استعمال معين في قواعد اللغة ، وسيوضح لنا ذلك من الأمثلة التالية :

أ . لاثبات جواز استعمال ان الشرطية المدغمة في ميم دون زيادة نون التوكيد يشهد بالبيت التالي : قال الشاعر :

فأما تريني ولسي لئمة . . . . . كأن الحوادث أولى بها " ( 2 ) .  
وذلك في معرض تفسير قوله تعالى : " فلأما ترينك " الآية 77 غافر .

ب . استشهد بالبيت التالي القائل :

" العاطفون تحين لا من عاطف . . . . . والمطعمون زمان ما من مطعم " (3)

(1) ن م 393 / 4 المجلد 1 .

(2) ن م 148 / 5 .

(3) ن م 03 / 5 .

لا أدبات صرحة من يرى التاء في قوله تعالى : " ولات حين مناص " الآية 03  
(مر) تابعة لحين وهو قول شاذ ، لأن المشهور أن ( لات ) فيما ( لا )  
النافية ومذهب الجمهور أنها تحمل عمل ( ليس ) زدت عليها تاء التانيث  
مفتوحة فيكون حين خبرها منصوبا واسمها محذوف تقديره ( ولات  
الحين حين مناص ) (1) .

ج . استدل بأبيات لأبي عبيدة اللخمي ليرى من صرحة جمع ( حم ) على  
حواميم أي على وزن فواعيل على القياس بإبدال الحاء واوا ويقول :  
" وحلفت بالسبح التي تداولت " إلى أن يقول : —

و بالحواميم اللواتي سبحت \* وبالمفصل التي قد قصلت " (2) .

د . يحتمل في تفسير قوله تعالى : " القياس في جهنم كل كفار عنيد " (ق)

أنه لخطاب الواحد بألف المثني ليعين جواز استعمال ذلك والغرض منه  
يقول : " الألف ضمير الواحد خطابا له بخطاب الأثنين يدل خطابه  
بتكرير الفعل أي ألف كقوله : :

فإن تزجراني بأبن عطان الزجر \* وإن تدعان أحسم عرضا ممعا (3)

هـ . لتبيان توظيفه للشعر في العلوم البلاغية نكتفي بهذا المثال لأن

التعرض لهذا المصدر سيتم في مبحث خاص ، ففي تفسير قوله تعالى : "

" مثل نوره كمشكورة " (4) يقول : . . . وفي الآية تشبيه الأعلی

بالأدنى قال أبو تمام يمدح المؤمن :

أندم عمرو في سماحة حاتم \* وفي حلم أحف في ذكاه إياس

فقيل له أن الخليفة فوق من مثله بمسم فقال : :

لا تنكروا ذري له من دونه \* مثلا شرودا في النهى والبأس

قاله قد ضرب الأقل لنوره \* مثلا من المشكاة والنهاس (5) .

1) بهذا \* الد بن عبد الله بن عقيل شرحه على الفيض مالك 1 / 19 3 ويذهب أبو عبيد قحط بن  
المثنى في كتابه مجاز القرآن 2 / 176 مذهب جمهور التحق الذي أشربنا إليه مضيافا قوله هذا :  
" و بعض العرب تزيد فيما النما فتقول (أله) لتزيد فيها هاء للوقف إذا اتصلت صارت تاء "

2) التيسير 759 / 5 . 97 / 5 .

3) ن . م . 511 / 5 .

4) النور 35 / .

5) التيسير 423 / 4 هذه الأبيات امتدح بها الشاعر أحمد بن المصمم أنظر شوقي ضيف  
الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 222 ، 223 .

4) الوعظ والأرشاد :

يهدف المفسر أحيانا من توظيف الشعر الى الوعظ والأرشاد والتصحيح لا غير،  
لاحظ في ذلك من الأمثلة التالية :

أ. في تفسير قوله تعالى : " أمات وأحيا " الآية 44 من سورة النجم يسوق المفسر  
هذين البيتين لشرح الوعظ : " . . . قال بعض : -

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيما \* والناس حولك يضحكون مسرورا  
فأجهد نفسك أن تكون إذا بكوا \* في يوم موتك ضاحكيا مسرورا . " (1)  
ب. لأبرار فضل الآم في التربية ، وحائما في الطاعة عند تفسير قوله تعالى : " وصاحبهما في  
الدنيا معروفان " من الآية 15 لقمان يسرد بعض الآيات الشعرية التالية مستحسنا  
أيامها : " وأما أحسن قول بعض :

لأملك حق لو علمت كبيسر \* كثيوك يا هذا لديه ليسيسر  
فكس ليلة باتت بثقلك تشكسي \* لها من حولها آفة وزفيسسر . (2)  
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة \* فمن فصص لها انفواد يطايسر" إلخ . . .  
ج. لبيّن حظ الناس في هذه الدنيا في أرقامهم وأن الأمر في ذلك راجع الى حكممة  
الله ، وقدرته لا الى قوة المبد وسعيه ، يستشهد المفسر بأبيات في معرض تفسير  
قوله تعالى : " أولم يروا أن الله يهبط . . . لقوم يؤمنون " الآية 87 الروم .  
يقول : " فكد الأريب وطيب عيش الجاهل \* قد أرشداك الى كامل  
و قيسل

كس من أريب فهم قلبسه \* مستكمل العقل مقبل عد يسس  
ومن جهول مكثر مسا له \* ذلك تقدر العزيز الحكيم " (3)  
ومن هذه الأمثلة يتضح لنا أثر الشعر في نفس الدارس والقارئ ، والدور الذي  
كان يلعبه في الإرشاد والتصحيح ومكانته بين المذققين ، واعتماد المرشد عليه  
لأقناع المذاهبين بفتح عين الكلفة ، بينما نلاحظ تفتح دوره في هذا المجال  
في الوقت الحاضر لرقسي العقل البشري من التأثير العاطفي الى التفكير المنطقي

(1) (التيسير) 5 / 596 .

(2) ن . م . 4 / 752 المجلد 2 .

(3) ن . م . 4 / 721 المجلد 2 .

نظرا لتطور الحضارة ، وسائل التقدم العلمي ، فقلما نسمع مرشدا أو مفسرا يستشهد  
بآيات شعرية للتأثير في السامع أو القارئ ، اللهم الا من لا زال ينتهج الطريقة  
السلفية في القاء دروسه أو تأليفه ، فأحسن وسيلة للتأثير في الوقت الحاضر هي  
مخاطبة العقل ، ومحاولة الإقناع .

والشعر في نظر المفسر ومن نحاه نحوه بمثابة المصدر القانوني السني  
يعود اليه المحامي أو القاضي أثناء المقاضاة .

### (5) أغراض أخرى :

وتأثر القدماء بالشعر يجعلهم يمدون اليه ، ويحتجون به ولو على من  
لا يفهم هذا المصدر ، مثل النصارى ، فقد استشهد المفسر ببيت شعري لمجائهم  
ردا على تهجمهم على القرآن الكريم بعد أن ضرب لهم أمثلة وبين جهلهم بطرق  
الجدال فيقول : " . . . ولم أراجهم بطرق الجدال من النصارى ، ويعيون القسرا  
بما هو ظاهر البطلان راجع عليهم ولا يستحيون فهم كما موسى نفخت على جهنم  
عظيم لتزيله بنفختها وكأحمق بال في المحيط لينجسه وككلب عوى على البدر ليحطه  
من سماءه " .

" لَوْنِيحِ الْبَدْرِ كِلَابِ الْوَرَى . . . . . مَا وَصَلَ النَّبِيحِ إِلَى الْبَدْرِ " (1)  
وذلك في معرض تفسير قوله تعالى : " ذَلِكَ بَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ " الآية  
03 سورة محمد .

وعند حديثه عن حادثة الافك ضمنها بعض ما قيل من أشعار تيسري  
عائشة رضي الله عنها ، من هذه الأشعار نسوق الآيات المقتبسة من ديوان حسان بن ثابت  
" حِصَانِ رِزَانِ مَا تَزُنْ بِرَيْبِيَّةِ . . . . . وَتَصْبِحُ غَرَسِي مِنْ لَحْمِ الْفَوَافِلِ  
حَلِيلَةَ خَيْرِ النَّاسِ دُنْيَا وَمَنْصَبَا . . . . . نَبِيٍّ الْهَدَى ذِي الْمَكْرَمَاتِ الْفَوَاضِلِ " (2)  
كما يسرد أبياتا في منح الرسول صلى الله عليه وسلم منها :

" صَلُّوا عَلَيَّ الْمَخْتَارِ فَهِيَ شَفِيْعِكُمْ . . . . . فَيَوْمَ يَبْعَثُ كُلَّ طِفْلٍ أَشِيْبَا "

وقيل

" يَا أُمَّةَ الْمُصْطَفَى يَا أَشْرَفَ الْأُمَمِ هَذَا نَبِيِّكُمْ الْمَخْصُورُ بِالْكَسْرِ (3) الْحَمْدُ

(1) ن م 365 / 5 .

(2) التيسير 4 / 375 المجلد 1

(3) ن م 796 / 4 المجلد 2 .



وهذا في معرض تفسير أول آية من سورة الأحزاب .

واستشهد بأبيات تصف غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم هو تجسدا لأحداث التي وقعت في عهده ( ٤ ) .

ومن بين الأعراس التي يوظف فيها المفسر الشعر ، التصريح إلى الله بدعاؤه لا سيما إذا كانت الآية تشتمل على الدعاء لا حظ ذلك في تفسير قوله تعالى : " وهى لنا من أمرنا رشدا " الآية 10 الكهف يسوق المفسر هذه الأبيات .

" يارب هني لنا من أمرنا رشدا . . . . واجعل معونتك الحسنى لنا ممددا  
ولا تكلنا إلى تدبير أنفسنا . . . . فأنفس تعجز عن اصلاح ما فسدنا " (2)  
شعر من نظمته :

من المعلم أن المفسر قد نظم الشعر في أغراض مختلفة ، سيما في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وفي المتون ، وقد يسوق في تفسيره أبياتا شعرية من نظمته مثلما فعل ذلك في تفسير قوله تعالى : " اعلموا آل داود شكرا " الآية 13 سبأ ، يقول متحدثا عن نفسه : " . . . وفي وصول هذه الآية أكلت ليلا خبز شعير بزيت وحده وهو معتادي فالهمني الله تعالى بيتا على ارتجال من المقارب :  
" وخبز الشعير مع الزيت كل . . . . ومن بعده الحمد لله قـل " (3)  
والمفسر ينظم أبياتا ليشتشهد بها في مسألة وردت في القرآن الكريم مثل فعله في تفسير قوله تعالى : " استطعما أهلها " الآية 77 الكهف ، وتكرير كلمة أهل في هذه الآية التي ذكرت من قبل في نفس الآية إذا أتيا : أهل القرية \* أشار تساؤل المفسرين وللإجابة عن ذلك يقول : " . . . ولم أر من أجاب بالنظم فأجبت بأبيات على أنه قد يوجد في الأسقاط ما لا يوجد في الأسفاط وهى :  
" خذ الحكمة الثراء استطعما لنا . . . يلي صفة وجهها لأهل اللسان  
ولو جىء بالضمير لم يلف رابط . . . . من اللفظ موجود ولا منصفاني (4)

(1) أنظر مثالا في ن م 827/4 ، 828 المجلد 2 .

(2) ن م 809/3 .

(3) ن م 909/4 المجلد 2 .

(4) ن م 885/3 ويقول المفسر في ص 886 معترفا بوجود منخلومة في المسألة : " ثم بعد

مضي نحو خمسين عاما وجدت جوابا لبعضهم " ( ويسرد الأبيات ) .

ونلاحظه في تفسير قوله تعالى : " حتى اذا بلغ مطلع الشمس " الآية 90 الكهف  
ينظم بيتين يتبأ فيهما بمستقبل وادى ميزاب قائلا : " ..والآن بدالي أن أقول  
معيًا وعلم الغيب لله .

" لويل مضاب (1) عن ثمان وأربع . . . . سيوى فرحة من مومن وجحود  
كذا لاج لبي والله الغيب أعلم . . . . فذا ساحل لمومن وكبود  
ومضى في ذلك مقدار وبقي نحو عشرين " (2) .

فإذا لاحظنا من الأمثلة السابقة توظيف المفسر للشعر في عتقة أغراض  
مختلفة نلاحظ أيضا سرده لا يبيد شعريته في غرض واحد ولا يتطلب كل ذلك وان  
كانت هذه الملاحظة لا نعر عليها إلا نادرا ، فمثلا لتبيان غرض القرآن الكريم من تكرير  
الفاظ وعبارات يقول : " وجاء التكرير في كلام العرب للتأكيد وللحكم الأخرى ،  
ومضي كلام في ذلك في سورة المرسلات ومن ذلك قولهملا يرثي كليبا بعد (3)  
أبيات على أن ليس . . . الخ فيسرد عدة أمثلة من شعراء مختلفين يبلغ مجموع الأبيات  
المستشهد بها ستين بيتا (4) كلنا تدور حول غرض واحد من الاستشهاد بها .  
ولا يقتصر المفسر على الشعر الاباحي والمعبر عن الاغراض النبيلة فإذا وجد  
المعنى يتطلب شعرا المجهول أو ما يشبه ذلك ساقه كمثال لغرض استتكار أو توضيح  
مسألة لاحظ ذلك في المثالين التاليين :

أ . لتفسير قوله تعالى : " ما شاء ربك كلاً " 08 الانفطار يقول : " ردع عن الاغترار  
بكرمه تعلق فيجعل كرمه ذريعة الى المعاصي قبح الله قائلا :

" تكثرا استطعت من الخطايا . . . . ستلقتني في غد ريباً غفورا  
تعمر ندامة كهيك ممسما . . . . تركت مخالفة الذئب السرورا (5)

ب . وفي تفسير قوله تعالى : " والشعراء يتبعهم الغاؤون " الآية 224 الشعراء

يشتمع بشعراء المجهول قائلا : " .. قبح الله الفرزدق وعمر بن ربيعة وأبا نؤاس

(1) مظب اسم وادى ميزاب منطقة تشمل الآن جزءاً من ولاية غرداية بالجنوب الجزائري وتظم

القرى السبع ( غرداية والعطف ، بني يزقن ، مليكة ، القرارة ، بريان ) وهي مسقط رأس المفسر .

(2) التيسير 903 / 3 .

(3) والصحيح بمدة .

(4) التيسير 6 / من 506 - 509 .

(5) ن م 518 / 6 و 519 .

وغيرهم ممن يتشبه بالشعر وذكر الفسق فعم داخلون في الآية ولا من يروي شعرهم  
للعربية ، وقبح الله من يرويه قاصدا مقصدهم \* مروى عن سليمان بن عبد الملك سمع  
قول الفرزدق :

" فبتن بجانبني مصوعات . . . . . وبست أفضر أغلاق الختام .

فقال : " قد وجب عليك الحد ، فقال قد رد الله عني الحد بقوله : " انهم يقولون

ما لا يفعلون " ( 1 ) الآية 226 الشعراء ،

ولا يسلم المفسر بكل رواية ، دون نقدها ، فقد تصدى لنقد بعضها انا لاحتفظ  
فيها عناصر تدل على وضعه وفيها يلي مثال ذلك : " . . . ولا يصح ما نسب لامرئ القيس  
هكذا :

" أيتنى المرء في الصيف الشتاء . . . . . فاذا جاء الشتاء أنكره

فمرو لا يرضى بحال واحد . . . . . قتل الانسان ما أكفره

بل ذلك شعر موضوع اقتبس من الآية كقوله : " قتل الانسان " الخ ( 2 ) فاني لم أراه

في نسخ ديوانه ولا في شرحه . . . ( 3 ) .

رأينا مما تقدم بأن المفسر اتخذ الشعر العربي مصدرا من مصادر تفسيره

عملا بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " عليكم بديوانكم لا تظلوا ، قالوا ومننا

ديواننا قال شعر جاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم " ( 4 ) .

بذلك نرى أنه كان يعود الى الشعر العربي والقديم والشعراء المولدين الذين اشتهروا

بأشعارهم الفصيحة والتي كانت مصدرا لغويك لاثبات مسألة لغوية وتوضيحها أو مسألتي

في القواعد العربية أو البلاغية ، وفيها عدا ذلك يستشهد بجميع الشعراء وقد يتولى

نظم الشعر كما رأينا ذلك من خلال الأمثلة ، مما يؤكد لنا غرام المفسر بالشعر و

تعلقه به وأهميته على الأقل في نظره من حيث أثره في القارئ أو السامع وهذا

ما دفعه الى استغلاله كوسيلة للتأكيد في القارئ ، سيما في مواضع الوعظ والنصح .

( 1 ) ( التيسير ) 4 / 836 المجلد 2 .

( 2 ) عبيس / 17 .

( 3 ) التيسير 6 / 495 أنظر مثلا آخر في ن م 6 / 640 أبيات نسبت الى أبي طالب

عمر الرسول صلى الله عليه وسلم .

( 4 ) ( التفسير والمفسرون ) 1 / 74 نقلا من كتاب الموافقات للشاطبي 2 / 88 .

وإذا كانت هذه هي الطريقة التي وُفِّق بها المُفسر الشَّعر، فكيف استعمل  
اللغة وقواعدها، وما هي الجوانب التي وُفِّق فيها هذين المصدرين، وهذا ما  
سنراه في المبحث التالي:

### علوم اللُّغة:

نزل القرآن الكريم باللغة العربيَّة يستوجب على دارسيه أن يقدِّموا هذه  
اللُّغة، ويقدِّموا على أسرارها، وقواعدها، وعلومها بصفة عامَّة، ليتسنى لهم  
إدراك معانيه، والافتخار، من مناهله (1)، كما أنَّ القرآن نفسه كان مصدر اللُّغة  
وعلومها، إذ هو المرجع الأساسي لها، فدارس اللُّغة يجد القرآن خير مساعد  
لمعرفة دقائقها، وقواعدها، فكل واحد منهما يخدم الآخر فيرآن القواعد وضمت  
أساساً لمساعدة متعلِّمي اللُّغة العربيَّة على معرفتها والتحكُّم في أماليها، إذ كان  
العرب يعرفون هذه اللُّغة بالتسليفة ويرضون بها من ودي أمماتهم، فلم يجدوا  
صعوبة كبيرة لفهم القرآن ومعانيه أحداثه، وأفكاره (2) فعندما أخذت العربيَّة  
بالعجم وانتشر اللُّحن أصبح الإنسان المسلم بحاجة إلى تعلُّم قواعد اللُّغة، وعلومها  
والاستعانة بها لفهم القرآن والخصوص في أسرارها ومكوناته، واستجلاً كنوزه  
ودقائقه، وبإل كان القرآن الكريم السبب الرئيسي في وضع علوم العربيَّة ويقول  
في ذلك شوقي ضيف: "... ولا يبالغ إذا قلنا أنَّ كل ما كسبه العرب من مصارف  
أما كان بفضل ما فرس فيهم القرآن من حب العلم كما قدَّمنا في غير هذا النموذج  
وقد أخذوا يشتقون منه مباشرة علومًا كثيرة" ويذكر من بين هذه العلوم:  
"... علم نحوه وأعرابه وعلم عامَّة وخاصة ممَّا هيأ لظهور علوم البلاغة" (3)  
وفي مثل هذا المعنى يقول عبد العزيز عتيق: "محصداً أحد أهداف شخف  
الباحثين بالبلاغة العربيَّة منذ صدر الإسلام" "... أما الهدف الخاص فكان هذا  
ديتياً يرمي إلى معرفة أعجاز كتاب الله..." (4).

- (1) مناع القطان مباحث في علوم القرآن 283.
- (2) أحمد أمين (فجر الإسلام) ص 195 - 199 أبو عبيدة (مجاز القرآن) 1/ 33.
- (3) شوقي ضيف (تاريخ الأدب العربي) المحرر الأسوي 2/ 32.
- (4) عبد العزيز عتيق (علم المناهي) ص 35.

ولأهمية هذا المصدر استعان به المفسر لتوضيح المعاني ، و ابراز الافكار ودعم الراء ، وتبيان الاحكام ولتداخل علوم اللغة ارتأينا أن نحالجا في مبحث واحد، وقدرة المفسر في هذه العلوم تظهر بوضوح في حسن توظيفها ، وتعمقها في مباحثها، ولكن هذا التوظيف والتعمق يختلفان تبعاً لما يقتضيه مضمون الآية ومن خلال الأمثلة التي نسوقها ستبين لنا الجوانب التي كان يوظف فيها المفسر هذه العلوم ، على أن هذه الأمثلة تتناول جميع هذه الجوانب وإنما سنكتفي ببعضها لأن الأعلام بما يتطلب بحثاً مستقلاً .

#### 1. ابراز المضمرو والمحذوف :

يكتفي المفسر- أحياناً- بإزالة غموض آية أو جزء منها بأبراز المضمرو أو المحذوف سواء كان ذلك محسوساً ، أو مفردة ، أو حالة اعراب ، ولبيان الحالة الأولى نسوق هذا المثال في تفسير قوله تعالى : " وقلنا لحم لا تعدوا في السبت 154 / النساء ، (قلنا لهم) على لسان داود وعلى لسان موسى (في السبت) بصيد الحوت فيه " (1) .  
وأما الحالة الثانية تظهر في تفسير قوله تعالى : " أنه كان في أهله " ، " حال حياته في الدنيا (مسوراً) (2) بالذات والاشتماء بالمسلمين وغيرهم والنقص منهم وسائر المعاصي معرضاً عن التقوى والآخرة " (3) .  
والحالة الثالثة يبينها المثال التالي : يقول المفسر في تفسير قوله تعالى : " ومن لا يحب داعي الله " (4) الجواب محذوف أي يعذبه وناب عنه قوله عز وجل " (5) .

وفي قوله تعالى : " ما لهم من الله " من الآية 27 / يونس يقول المفسر : " أي من عذاب الله على حذف مضاف ويجوز أن لا يقدر مضافاً كما نقول جاء في كتاب من زيد ويتعلق بمحذوف من ضمير الا استقرار " (6) .

(1) (التيسير) 1 / 849 أمثلة في ن . م . 1 / 291 .

(2) الأُنشاق 13 /

(3) (التيسير) 6 / 53

(4) الأحقاف 32 /

(5) (التيسير) 5 / 359 .

(6) ن . م . 35 / 3 لحل جامعي .

والمفسر يمضي على هذه الطريقة في إبراز مضمون أو محذوف مقدر لغرض توضيح المعنى ومما يمكن الحساقه بهذا الجانب، بيان المدلول الذي يعود إليه التفسير حتى يسهل على القارئ فهم المعنى ومتابعة سياق الآية، ونلاحظ ذلك مثلاً في قوله تعالى: " ليحكم " (1) يتناول المفسر: " الله كما قرئ \* ليحكم . ." (2) وفي قوله تعالى: " ولا تقربوا " من الآية 152 سورة الأنعام يقول: " أيها الأوصياء والأولياء وغيرهم " (3) وهو ما يشير إليه وإلا لما عطف في الفهم المسبوق بلام التأني، وقبل ذلك يبرز المفسر دلالة اسم الإشارة في قوله تعالى: " ذلكم " من الآية 151 سورة الأنعام قائلاً: " أي ما ذكر من ترك الأشرار ومن الأحمسان بالوالدين وترك قتل الأولاد وترك قرب الفواحش، وترك قتل النفس التي حرم الله " (4)

ومما تقدم نلاحظ أن المفسر يتوخى التوضيح والبسط الذي يعتبر إحدى سمات تفسيره هذا قصد تحقيق غرضه من تأليف هذا الكتاب. وإلا ما الغرض الذي دعاه إلى إبراز المضامين التي تعود إليها الضمائر أو أسماء الإشارة، أو اتصاف معنى يفهم من سياق الحديث؟ ولا يقدر ذلك إلا بقصد التسهيل على القارئ والتيسير عليه.

ب. توضيح معان:

ولتأكيد ميل المفسر إلى التوضيح، نجد أنه يستعمل اللغة والاقوال والبلاغة لبسط المعاني المختلفة، ويسوق عدداً أو وجه مبيهاً علاقتها بمعاني الآية أو التيسير المفسر، ولشرح قوله تعالى: " فلا تجعلوا لله أندادا " من الآية 22 البقرة يسوق معاني كلمة التند وأستحوا لا تما مبيهاً وجه الاختلاف بينها وبين كلمتي الشكل والشبه ثم يقول متعرِّفاً إلى الناحية البلاغية: " . . وفي تسمية الأصنام أندادا استعارة تمكينية " محللاً ذلك بقوله: " لأنهم علموا أنها عاجزة لا فعل لها ولا تشارك الله تعالى في شيء، كما يستعمار أسد للجان والتبشير للوعيد، وحكمة ذلك

(1) البقرة / 213 .

(2) (التيسير) 1 / 291 .

(3) ن.م. 2 / 455 .

(4) ن.م. 2 / 454 .

الإشارة إلى أن عليهم ذنب من اعتقدها مشاركة له في صفاته وأفعاله . " (1)  
 وفي المثال التالي يتجلى لنا أسلوب المفسر في استغلال اللّغة والتواعد  
 للتوضيح والشرح ، وآنخاذ ذلك وسائل لأبرز المعنى ، والتعمق فيه . قول  
 في شرح قوله تعالى : " وبأولئك نغضب من الله " من الآية 61 البقرة مستعرضا  
**مضادة** معان لكلمة (بأولئك) وهي (رجعوا أو احتلوا أو استهقوا أو أقسروا أو لاجموا  
 حال كونهم ملازمين لغضب الله ، هو قضائه الأزلّي عليهم بالشقوة وتوابعها أو  
 هو ذمّه أيامهم في الدنيا وعقابه في الآخرة ) (2) .  
 وهذه المعاني اللّغوية واردة في المعاجم (3) على أن المحسن الراجح هو (رجعوا)  
 في هذه الآية وأن لم يشر المفسر إلى ذلك إلا أنه من عادته في الغالب تقديم الرأي  
 الراجح على بقية الآراء .  
 أنظر إليه في هذا المثال كيف يستخدم القواعد في توضيح المعاني يقول مفسرا قوله  
 تعالى : " في عمد " من الآية 59 الهزرة بعد تبين ما قيل في مفردهما ( جمع عموذ  
 عند الفسراء وقال أبو عبيدة جمع عموذ وقيل أسم جمع ) ثم يسترسل ببرزنا حالة اعرابها  
 " وهو متعلق بمحذوف خبر لمحذوف أي هم في عموذ والظرفية مجازية لشدة الوثوق  
 حتى كأنهم في داخل العمد " ويحتمل حالة اعراب أخرى لما : ( . . أو بمحذوف حال  
 من (ها) عليهم أو متعلق بموصولة وفي معنى الباء على هذا والأطباق عليهم  
 تشديد وإيحاء . ) (4)  
 ومثل هذا يقال في توظيف علوم البلاغة ، ينتمج نفس الطريقة واليك مثال  
 على ذلك : يقول في قوله تعالى : " ويجعلون أصابعهم في آذانهم ) من الآية 19  
 البقرة ( أطراف أصابعهم على المجاز بالمحذف أو سماها بأسم الأصابع لآتما بعضها  
 والمجاز لغوي ، ونكتته التحويل بصورة جعل الأصابع إلى أصولها ) (5) .

- 
- (1) ن . م . 25/1 ، 26 .  
 (2) ن . م . 77/1 .  
 (3) ارجع مثلا إلى معجم ابن منظور ( لسان العرب ) 1/36 ، 37 مجمع اللّغة العربيّة المعجم  
 الوسيط 1/75 .  
 (4) ( التيسير ) 6/633 .  
 (5) ن . م . 20/1 .

وفي نفس سياق المعنى ، راجع يعال تشبيهات تصرفات المنافقين ، وموقفهم من القرآن والأسلام قائلًا : " . . . وحاصل الشبه بالتهيب المذكور أن القرآن شبهه بالمطر إذ هو سبب الحياة الدنيا والقرآن سبب لحياة القلوب هو أن الكفر شبهه بالأموات في مطلق الأهلاك وعدم الأهداء وفي مطلق الحيرة والوعيد عليه شبهه بالأموات في الأرماب والعجز شبهة بالبرق في الظهور والحسن وسد إذا هم عن سماع القرآن شبهه بسدها عن الصوا عشق وترك دينهم شبهه بالموت عند همم وذلك تشبيه بمفردات ومفردات ، أن شئت فتشبيه مجموع تصديلي " (1) أ. هـ. وذلك في معرض تفسيره للآيتين 19، 20 من سورة البقرة .

ولاحظ أن المفسر يتخذ من علوم البلاغة لا سيما علمي البيان والمناسبي وسيلة لتبيان أراض استعمال الأساليب اللغوية من ذلك مثلا بين الضرض من استعمال أسلوب الاستفهام في الآية الثالثة : " أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم " الآية 21 فافر ، ويقول في ذلك محتملا (نصب فعل ( ينظروا ) على أنه جواب نفي النفي ( لأن الاستفهام أنكار والاكذار بقي (2) دخل على نفي (3) .

وفي قوله تعالى : " قالوا فآدموا . . . " من الآية 50 فافر بين فرض الأمر الذي خرج عن معناه الأصلي الى معنى آخر محتملا وجهين : " . . . ويجوز أن يكون تولمهم أدعوا تمكنا بهم (4) ، وعلى كل حال المراد بقولهم أدعوا الاقصاد لا الاطمساع في الأجابة " (5) .

ومن هنا نرى أن المفسر يوظف اللغة وعلومها لزيادة التوضيح وتعميق الفهم لا يسوقها لذاتها ، أو لاستعراض الحضلات في هذه العلوم ، فنراه بذلك يجعلها تخدم التفسير ، لا كما يوظف النحاة والنحويون القرآن لخدمة هذه العلوم ، لاحظ في هذا المثال البسيط كيف بين الضرض من إضافة الية الى المساوي فهو يور أنها : " اشارة الى أن الدنيا ليست مأوى يتبوا بل موضع الارتحال يوتصل منها الى ما هو الممكن الحقيقي (5) . . . والجبات

(1) ن.ج. 21/1 .

(2) والمحيي مسج نفي .

(3) ( التيه يسر ) 118/5 .

(4) تمكنا خزنة جهنم على أهل النار .

(5) ( التيه يسر ) 129/5 .

(6) المحيي مسج الحقيقي .



كَلِمَاتِ الْمَأْوَى ، وقد يرد لفظ حِجَّةِ الْمَأْوَى لغوياً من حيث يختص به نوع من المومنين . . . ثم يقارن في موضع آخر بين هذه الأضافة وقوله تعالى :  
"فَمَا يُعِمْسُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْقُرْآنِ سِوَى الذِّكْرِ" . . . ويوز أن يعتبر في  
المأوى معنى ما يلجأ إليه للاستراحة كان لأهمل الحجة حقيقة ولا أهمل  
النسار تمكماً بهم على الاستعسار ومشكلة لذكره في أهمل الآية " (1)

وتأثير المفسر بيلا فحة القرآن جعله يعتبر في بعض المواضع بهذا التأثير  
اذ يقول مثلاً في معرض تفسير قوله تعالى : " وما علمناه النشعر . . . " الآية 69  
(يس) . . . وله صلى الله عليه وسلم براهين تقوية مما بلا فحة القرآن التي  
الانطلاق وقد أدركت مما كثيراً بقدر طاقة المخلوق والحمد لله وبمضاهاتتور  
في قلبي ويحجز لساهي عن بيانها ، إلا باطلالة كلام . . . " (2)

وفي موضع آخر يقول في نفس المعنى : " . . . والحمد لله الرحمن الرحيم الذي من  
كلّي بأطلا عي على تحقق بلا فته ومشاهدتي لطرقها وإدراكي لها ، ولا كلام يفوقه  
ولا يقرب من مساواته ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم دون كلام الله  
في البلاغة ، وإطلاق البلاغة في كلام الله تعالى سبحانه مجاز . . . " (3)

الشيء الملاحظ في اعترافه الأخير هو قدرته على ادراك بلا فحة القرآن وأساليها  
وترتيب هذه البلاغة في الدرجة الأولى قبل بلا فحة السنة ، فيعتبرها أحد أهم أوجه  
الأعجاز القرآني اذ يقول : " . . . لا طاقة لهم (أي السرب) بفصاحته وبلا فته كما  
لا طاقة لهم اخباره بالخيب مع آتته مخلوق مثلهم " ثم يمضي مبرهننا على خلق  
القرآن بقونه : " . . . والأعجاز أمسا هو بالحادث " (4)

ستنتج من قوله السابق أن القرآن في نظره يتجلى في وجهين :

(1) الفصاحة والبلاغة .

(2) الأخبار بالخيب ، بينما نرى أن مساع القطان يحدد أوجهه أعجاز القرآن في ثلاثة :

1) الأعجاز اللغوي .

2) الأعجاز العلمي .

(1) (التيسير) 789/4 المجلد 2

(2) ن.م. 1032/4 المجلد 2 .

(3) ن.م. 48/3 .

(4) ن.م. 780/3 ونجد نفس المفهوم لأوجه الأعجاز في ن.م. 562/5 .

(3) الأَعْجَازُ التَّشْرِيهِيَّةُ. (1)

غير أن المفسر في كتابه (شامل الأصل والفرع) يذهب في تحديد أوجه الأعجاز إلى أبعد من ذلك إذ يرى أنه: "معجز بنظمه ومعجز أيضا بمحابه (2)". وفي كتابه (الذهب الخالص) يوضح الأعجاز ويحدده في الأوجه التالية: "والاعجاز بالآيواز، والبلاغة والبيان وال فصاحة، وبعدم كلال قارئه وملل مستمعه وبخرق العادة في نظامه، وبالآخبار بالغيب، وبالآخبار من مضي يومه علومها لم يجمعها غيره من كلال وحرام، ومواعظ وأمثال، وبصرف المصنعة عن محارفته" ثم يعرف المعجزة بقوله: "الأمر الناقض للعادة الظاهر على يد المنتبئ، زمان التكليف مقررا بالتحدّي من دعوى الرسالة على جهة الأبتداء متضمنا للتصديق" ويحقب على هذا التصريف قائلا: "أولى من هذا أمر خارق للعادة مهّدق للمنتبئ، حين اتيان النبوءة معجز لمنكرها، والتحدّي دعوى الرسالة، فمن (3) في التصريف الأول للبيان أو طلب المعارضة لشاهد الدعوى" (4)

فمن هذا التصريف يمكن تخمين رأي المفسر في المعجزة، أنهما أمر خارق للعادة يساعد المنتبئ على التصديق، به وقت نبوته ويحجز منكره عن الأتيان بمثله ولذلك فإن أوجه الأعجاز التي حددها والتي لا تحمل الجديد مما هو معروف عن العلماء السابقين (5) تتضمن مساوي هذا التصريف، والتصريف الذي سبقه والذي لا يختلف عنه إلا من حيث الصياغة، لأن معجز الأتيان بمثله يكون نتيجة للتحدّي، فسواء كان هذا التحدّي بدعوى صريحة أو ضمنية الأمر سيان لأن من عادة المرء مسأولة معارضة كل التحديات حتى وإن لم تكن هناك دعوى لهذه المعارضة ولا يكون أمر معجزا إلا إذا وقف أمامه المعارض عاجزا عن الأتيان بمثله.

والمفسر يحاول تبين بعض مواطن الأعجاز، لا سيما ما يتعلق منها بالفصاحة فجدده مثلا في تفسير قوله تعالى: "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا

(1) مباحث في علوم القرآن من ص 223 - 238.

(2) (شامل الأصل والفرع) 48/1.

(3) فمن إشارة إلى تعريف المعجزة "مقررا بالتحدّي من دعوى الرسالة".

(4) الذهب الخالص المصنوعة بالعلم الخالص ص 21، 22.

(5) صبري المتولي منهج ابن تينية في تفسير القرآن الكريم ص 251، 252.

كثيراً " الآية 82 النساء يقول واصفنا القرآن: "... والقرآن كله على لهج واحد من الفصاحة" ثم يضرب أمثلة منقياً المتخالف بين الآيات ويقول في ذلك: "... ولا تخالف بين لا يسئل عن ذنبه (1) و لتسألنهم (2) لأن المعنى يسئل في موطن دون آخر ولا يسأل استنظاماً ويسأل توبيخاً، ولا بين إلى ربها ناظرة (3) ولا تدركه الأبصار (4) لأن المعنى ناظرة إلى رحمته ولا بين عيسى (5) وجان (6) وشعبان (7) فآما في العظام كالشعبان، وفي الخفة كالجان وفي الخبث كالنسيئة، وغير ذلك من التأويل، ولا في التسخ لأن المسوخ موقوف لورقته عند الله لمصلحة كشف دواء في وقت وغيره في آخر ونفعه لنوع وغيره لنوع" ويظهر أن المفسر له ذلح في معرفة تطابق الآيات ويفهم ذلك من قوله: "... والحمد لله الذي أنعم علينا بأدراك تطابق آيات القرآن وتجاوبها كلها مما أشكل لبادي الرأي" (8).

وفيما عدا بعض الأشارات إلى جوانب من الأعجاز، نلاحظ المفسرين مواطن الفصاحة، وبعض وجوه الأعجاز الأخرى دون ذكر أن ذلك من وجوه الأعجاز القرآني، مكتشياً ببيان الأسلوب أو المضمون، وهذه الأشارات في معظم الحالات تكون في الآيات الدالة على وجه من وجوه الأعجاز، وقد ضربنا أمثلة على ذلك، ولزيادة التوضيح نسوق الأمثلة التالية وجهاً من وجوه الأعجاز يقول في تفسير قوله تعالى: " أن هذا لسحر مبين " الآية 52 يونس، " ظاهره في وصفهم القرآن بالسحراقار بأنهم رأوا من القرآن أمراً خارقاً للمادة من البلغة والأخبار بالخييب مع عجزهم عن معارضته ولو لم يخرق المادة لم يسموه

(1) الرحمن / 39 .

(2) الحجر / 92 .

(3) القيامة / 23 .

(4) الأنعام / 108 .

(5) طه / 20 .

(6) القصص / 31 .

(7) الشعراء / 32 .

(8) (التيسير) 1 / 769 .

سحرا" (1) ويعلق على عدم توافق القواصل في الأيتين 42، 43 من سورة فصلت مع امكانية التوافق: "... و ذو عقاب للكافرين هكذا ولم يقن شديد مع أنه أنسب بقوله مجيد لأبيساء الى أن تراكيب القرآن ليست كالأسجاع والخطب وأن حسنه ذاتي والنظر الى المعاني دون اللفظ كما يأتي فيه كثيرا ما يشبه الأبيساء (2) " (3) . . . . .  
ستنتج مما تقدم أن المفسر يركز على المبنى لأبراز وجوه الأعجاز القرآني ، ويوظف ذلك لزيادة التوضيح ، وتعميق الفهم ، وبيان الجمال التعبيري في القرآن ، ومما يلاحظ أن المفسر يوظف علوم اللغة لخدمة التفسير .  
وإن كنا لا نحظ بأبيان - أفراده في استعراض أوجه أرابية أو بلاغية أولئك متنوعة مختلفة حتى ليغال للتأريء أن يقرأ كتابا في موضوع فيفسر التفسير ، وربما يعود ذلك الى تمكن المفسر ، وفزارة علمه ، والرغبة في الأفادة وتوسيع أفق القارئ في هذه العلوم التي يعتبرها التدماء مفاتيح فهم القرآن الكريم .

لا حظنا مثلا في تفسير قوله تعالى : " . . . ذواتا " من الآية 43 سورة الرحمن ، كيف يبين صيغ تثنيتهما وجمعهما ، ويضرب لذلك أمثلة فرضه زيادة التوضيح لكن الدارس يشعر وكأنه يقرأ كتابا في القواعد ، واليك هذا المثال : " صاحبنا بعث جنتان تثنيه ذات بمعنى صاحبة فأن ذات يثنى على ذاتا بلفظه وهو القياس كما يثنى على ذوا وجمع ذو على ذورا ويثنى أيضا على ذواتا برده الى أصله لأن التثنية ترد الشيء الى أصله بحورسي ورميا ودعا ودعوا ، وتقول الحسان والحصوان والفتى والغتيان والأخ والأخوان ، وقد لا ترد نحويدان والأصل يديان ، وقائوا أصل ذات ذوات حذف الواو للتخفيف والفرق بين الواو حسد والجمع وبساطته في النحو . " (4)

وينتج نفس الأسلوب لتبيان معاني " أفنان " من الآية 43 الرحمن اللخوية والمجازية مسددا بعض الروايات الى ابن عباس وعطاء متعمدا الى شيخنا فسي الجمع والمفرد . (5)

(1) ن . م . 05 / 3 .

(2) الأبيساء ، تدرار الناقية في الشعر لفظا ومعنى .

(3) ( التيسير ) 179 / 5 .

(4) ن . م . 22 / 6 .

(5) ( التيسير ) 22 / 6 .

ولكن رغم الصعوبة انفسر في الشرح وايراد أوجهه مختلفة سواء كانت لغوية أو  
 اعرابية أو بلاغية ، فإنه يحاول توظيف ذلك لبعض معاني الآية أو الجزء المفسر وتقريرا  
 من أذهان طائفة معينة من القراء التي ألف كتابه لتيسير الفهم عليها ، ولاشأنها  
 يستعمل المفسر التعليل ، والاستدلال ، وتلحل هذا المطلوب ميزة  
 المفسرين الذين يدافعون عن وجهة نظر معينة لخرق اقتناع الطرف  
 الآخر ، ولكن المفسر يحاول في جميع المسائل اقتناع القارئ مستعملا  
 كل الوسائل ، وهذا ما دعاه في كثير من الحالات الى الخوض في التفاهيل  
 والجزئيات ، وايراد شواهد والى نقد بعض الآراء وتبنيها وان كان  
 أصحابها علماء معتبرين مبرادر وقطاعيل في جانب معين ، ويذهب — أحيانا —  
 الى أبعد من ذلك ، فيذكر أوجه جديدة في بعض المسائل .

إن المتتبع للعلوم التي نشأت أو تطورت على أيدي علماء مسلمين ،  
 لا حظ تأديرها بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية وأثبت هؤلاء العلماء  
 العلاقة بين هذا وذلك ، وأبرزوا الأعجاز العلمي في المصدرين التثريين ،  
 ولم يقتصر الأمر على ذلك بل حاول بعضهم أن يجعل من القرآن الكريم كتاب علم  
 في اختصاص معين وأن كانت هذه النظرة ناتجة عن إعجاب هؤلاء العلماء ، بهذا الكتاب  
 المدلول وتقريرهم له ، والشغف في اكتشاف مكنوناته ، إلا أن في بعض الحالات  
 بل في كثير منها بلغت درجة التصرف إلى حد صرف أنظار القراء لهذه الدراسات  
 عن المهمات الأساسية الثبوتية التي جاء القرآن الكريم لتحقيقها في المجتمع  
 البشري ، أضف إلى ذلك إقحامه في النظريات العلمية المتناقضة ، ومما زاد  
 اللبس بلسة ، خوفاً غير المختصين في هذه العلوم في ادلاء بدلائلهم في تفسير  
 الآيات التي لا يدرك أبعادها العلمية الأذو الاختصاص هو محاولتهم استعرا في  
 عضلا تم في ذلك ، مما أصبح كذا من تفاسير السلف بحاجة إلى التنقيح  
 والتحقيق ، وتفنيد النظريات العلمية التي أدبت العلم الحديث خطأها .  
 ولئن كان هدف معظم المفسرين فيما يبدو من استقراءهم يدوم بمثل هذه  
 النظريات هو إبراز دلائل قدرة الله ، وعظمته ، ووحدانيته ، بالأضافة  
 إلى الأخذ بيد القارئ أو السامع إلى تدبرها ترسيخاً لإيمانه وعقيدته ، فير  
 أن هذا المبرر لا يعذر هؤلاء المفسرين ، ولا سيما وأنهم يستشهدون بها  
 كحقائق علمية ثابتة ويذهب بعضهم إلى تفنيد بعض المسائل التي أدبت  
 علماء الاختصاص صحتها ، فينصب نفسه ناقداً للعلوم ليست من اختصاصه . (1)  
 ولعل مفهوم العالم في عصر الوسطى الذي يعني الإنسان الملم بجميع  
 العلوم ، هو الذي أدى بهؤلاء إلى التجاسر على الخوض في ميادين علمية  
 مختلفة وإلى التأليف فيما ، وأن كانت بذاعتهم قليلة .

(1) أنظر مثلاً في كتاب روح المعاني 29/15 المجلد 5 ، فيه يرد المؤلف بحنف على  
 تفسيرات العلماء للحياة في القمر ، ومحاولتهم الوصول إليه متجاسراً على تفنيد  
 تفسيراتهم وكأنهم خبيثون في الميدان .

ولا أريد بهذا انكار التفسير العامي للقرآن كما هو شأن صاحب كتاب (التفسير والمفسرون) (2) ونقل ذلك - أيضا - عن الشاطبي ، إلا أنني أعتبر أن دور القرآن الأساسي هو توبيخه حياة الإنسان ، وتربيته ليتربسح على عرش الخلافة في الأرض ، وليتحمّل الرسالة المنوطة به بأمانة ، لذا أرى أن التفسير العلمي الذي لا يخدم هذا الغرض ، ولا ينشد هذه الحقيقة ، محاولا جعل القرآن كتاب فن أو علم ، يتعارض مع مقاصده ، والأمر الثاني الذي أريد تأكيده هو عدم التعرض لهذا التسويع من التفسير إلا من ذوي الاختصاص أو على الأقل التزام الأمانة في نقل رأي عالم متخصص.

والمفسر كغيره من بعض المفسرين القدماء والمعاصرين لم ينسج من هذه الورطة ، إذ نجده يخوض في مسائل علمية يستمدّها من مصادر مختلفة دون ذكر اسماء ، غير أن التشابه الكبير الملحوظ بين تفسيره وتفسير (روح المعاني) للأكوسي يجعل الدارس يربطهم أنه نقل كثيرا من المعلومات من هذا المصدر ، مع محاولة الاختصار وانتقاء بعض المسائل ، فمثلا في تفسير قوله تعالى : " أن زلزلة الساعة شيء عظيم " الآية 01 الحج ، يذكر طريقة حدوث هذه الظاهرة الطبيعية قائلا : " والزلزل حقيقة هو الله جل وعلا في ذلك كله أو الملك ، وفعله فعل الله سبحانه ، والزلزلة تكون بأمره ملكا موكلا على جبل قاف ، بتحرك عروق الأرض المتصلة بجبل قاف ، وتكون إذا أراد زلزلة أرض يأمره بتحرك عروق تلك الأرض " (2) .

ونجد صاحب (روح المعاني) يصرّف سبب وقوع الزلازل بنفس التحريف مع تخيير بسيط في العميافة ، لاحظ ذلك : " وهو حركة الأرض الحنيفة ، وتحدث هذه الحركة بتحرك ملك بنساء على ما روي أن في الأرض عروقا تنتمي الى جبل قاف ، وهي بيد ملك هناك فإذا أراد الله عز وجل أمرا أمره أن يحرك عروقا فإذا حركه زلزلت الأرض " (3)

(1) (التفسير والمفسرون 157/3 .

(2) (التيسير) 4 / 272 ، 273 المجلد 1 .

(3) ( روح المعاني ) 17 / 111 . المجلد 06 .

ما يلاحظ في تعريف هذا الأخير احتمال صيغة التبعيض (روي) الدالة على عدم تأكيد المصنف من صحة الخبر بينما يظهر لنا من التعريف الأول تصديق المفسر للخبر ومما يثبت ما ذهبنا إليه قوله في تعريف الفلا سفة لمذه الظاهرة: " وزعمت الفلا سفة أن الزلزلة باجتماع بخار بأحتمها سه في بطن الأرض وغلظه مع انتشاره مفذ فقد يكون منه غسف وأصوات ولسار لشدة احتمال البخار. " ويضيف قائلاً: " ولأن مسج قاله جامعهم ، ومخرجه ومزلزل به اذا شاء ويناسبه شدة الزلزلة وكدرتها في الأرض الصلبة بالنسبة الى الرخوة " (1) أن العبارة الأخيرة دالة على أن المفسر لا يريد انكار تعريف الفلا سفة وتشيده بقدر ما يريد اضافة الفعل لله ، وصاحب (روح المعاني) ينقل تعريف الفلا سفة الذي لا يختلف عن التعريف السابق في شيء من حيث المعنى دون استعمال كلمة (زعمت) ومع عدم رأيهم بالحجة الأخيرة الواردة في التصريف والتي هي كدرة الزلازل في الأرض الصلبة ، وشدتها بالنسبة الى الأرض الرخوة .

ويستعمل دعوته هذا بقوله : " ومما يستأ نبريه للقول . . . " (2) ومما يوءد استقناء المفسر لكثير من معلوماته من كتاب (روح المعاني) مبادراته في بعض الأحيان لأراء المصنف ، ونقد ما أحيانا مع سرد نفس المعلومات وقد تجلنى لنا ذلك في المثال السابق ، أما نقده يمكن ملاحظاته في المثال التالي : في تفسير قوله تعالى : " من بين فريث ودم لبننا خالصا سائغا للشاربين " الآية 66 النحل . يذكر الألويسي طريقة التمثيل الخذائي عند الحيوان حسبما يحرفها من سماهم الحكماء أهل التشريح ويوءد رأيهم بقوله : " . . . ويوءد ما ذكره ما أخبرني به من أذوق به من أنه قد شاهد خروج الدم من الخرع بعد اللبن عند المبالغة في الحلب " (3) .

(1) (التيسير) 4 / 273 المجلد 1 .

(2) (روح المعاني) 17 / 111 . المجلد 6

(3) ن . م . 14 / 173 المجلد 5 .



والمفسر من جهة يرد نفس المعلومات، ولكنه يفند رأي الألو سي الأخير في اثبات ما ذهب إليه الحكماء : قائلا " . . . وأما ما قيل من أن بعض من يوشق به شاهد خروج الدم بمد اللبن في مبالغة الحلب فلا دليل فيه لا مكان أن يكون لحصول الجرح بالحلب الشديد " (1) ومما تقدم يتبين لنا - مما لا مجال فيه للشك - بأن المفسر قد استفاد كثيرا من كتاب روح المعاني في هذا المجال، على أنه لا يسلم بكل رأي وارد فيه، ومما يؤكد هذه الاستفادة التشابه الكبير في سرد معلومات علمية ومجارة المفسر - أحيانا - لصاحب الكتاب في آرائه دون ذكر المصدر، ولكن لا يعني هذا أن المفسر لم يطلع على مصادر الاختصاص إذ ألف في الميدان العلمي مثل كتابه ( تحفة الحبيب في أصل الطب )، كتاب جمع فيه بين الطب النبوي وتجارب الأطباء، وهذا الجمع بين ما ورد في الآثار من معلومات مختلفة وبين آراء العلماء المختصين ظاهرة واضحة في تفسيره، ومحاولة التوفيق بين النظريتين المتناقضتين والمتعارضتين أو ترجيح نظرية على الأخرى، كمثال على ذلك، انظر كيف يحاول التوفيق بين رأي الطب في العسل، ورأي النبي صلى الله عليه وسلم .

يرى الطب أن العسل : " يزيد أصحاب الصفراء وأصحاب الحرارة والاسهال ضرا "

أما رأي النبي صلى الله عليه وسلم يظهر في حديث الذي رواه أبو سعيد الخدري حين جاء رجل إلى رسول الله (ص) يشكو استطلاق بطن أخيه فنصحه بسقيه <sup>العسل</sup> ثم يعقب المفسر على هذا الحديث قائلا : " . . . أو في أنه ليس اسهالا حقيقيا فسقاه فبرى " هو كأنه نشط من عقاب علم الله جل وعلا أن شفاء هذا الرجل بالعسل ولو كان للرجل اسهال وللعسل اسهال وأيضا أعانه على الاسهال حتى فرغ بدنه منه، ومن الطب المجمع عليه ترك الاسهال على حاله أو أعانته إذا كان تخم أو امتلاء أو هيمضة وحسبه مضر . . . " ثم يحاول التوفيق بين الآية و طب العسل بقوله : " . . . والآية على الخالب والامكان وليس فيها أنه شفاء لكل داء في كسل أحد وقيل أنها على العموم . . . " (2)

(1) التيسير 3 / 608 .

(2) ن . م 612 / 3 . 613 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا تعارض النص مع المعلومات، أمّا يحاول أن يجد للنص تفسيراً آخر أو يوضحه ويؤدّه، لاحظ ذلك في المثال التالي: في تفسير قوله تعالى: "والشمس تجري لمستقر لها" الآية 38 يس يقول: "و جاء في أحاديث أنها تسجد تحت العرش وهي تدل أن المستقر اسم مكان وأنها تمسك عن الجري حال السجود حتى زعم بعض عن عكرمة أنها تبين الليل كله ساردة، وجاء أنها تطلب الله في سجودها أن لا تطلع لأنها تعبد من دون الله. ثم يستلزم الرد على هذا القول: "وأنت خبير بأنها تدور إلى جهة الشمال دائماً إذا فريت رأسه لا وقت هو ليل على الدنيا كلها فوق وقت واحد يكون ليلاً على أهل موضع و نهاراً على أهل موضع آخر والأوقات كلها متتابعة كذلك ففي أي ليل من ليالي الدنيا تسجد في ليل مضاب (1) أو في ليل عمان (2) وهكذا" ويحاول - بعد ذلك - إيجاد تفسير للحدِيث قائلًا: "وأما بالحدِيث ولعل المراد ليل قائل ذلك صلى الله عليه وسلم وهو ليل مكة أو المدينة أو ليل الخارج عن العمورة ولو كان ذلك نصاراً في أماكن كثيرة أو تسجد مع سير، وقد قرأ ابن مسعود (والشمس تجري لمستقر لها) أي تجري أبداً لا وقوف لها إلى يوم القيامة" (3) والمفسر لا يتوانى في رد بعض النصوص المنسوبة إلى الصحابة أو التابعين إذا كانت المعلومات الواردة فيها متناقضة مع ما يراه علمياً أو واقعياً فقد رد ما رواه: "الطبراني وابن المنذر عن ابن عباس أنه خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ومن وراء ذلك جبلاً محيطاً بها يقال له قاف، وخلق من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع ممرات، وخلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم وراء ذلك جبلاً يقال له قاف السماء الثانية مترفرفة عليه حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة له جبل وذلك قوله تعالى: "والبحر يمدده سبعة أبحر" (4) ثم يعقب على هذه الرواية بقوله: "... والله أعلم بصحة ذلك، والله تعالى قادر على ما لا يحصى من ذلك، وهب أنه ذكره

- 
- (1) وادي ميزاب تقدم تعريفه .
  - (2) سلطنة عمان ، دولة في الخليج العربي عاصمتها مسقط أحد ربوع المذهب الأباضي .
  - (3) (التيسير) 4 / 1010 ، 1011 المجلد 2 .
  - (4) لقمان / 27 .

كعب الأبحار رضي الله عنه لكن لعلسه أخذه من كتب الأُسرا<sup>١</sup> يبيِّن وهو في نفسه ثقة، ويحث بأثمه إذا كان ثقة لم يروا<sup>٢</sup> إلا ما صحَّ فيجاب بأثمه رواه ظاهراً<sup>٣</sup> آثمه صحيح مع آثمه ليس مما يقطع فيه العذر. " (1)

ومن الأمثلة السابقة يتضح لنا أن المفسر جمع بين آراء من سَمَّاهم الأُطباء أو فلا سفة أو علماء الهيئة أو حكماء<sup>٤</sup> وبين الأقوال المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وغيرهم، على أنه كثيراً ما يتعامل على الفلاسفة، وهذا لم يمنعه من تأييد آرائهم أحياناً وتفنيد بعض الأقوال المأثورة، وهذا التعامل يلمس في استهلال أقوالهم بكلمة (زعمت) أو يعقب أسمهم - أحياناً - بهذا الدعاء (قبَّحهم الله).

والمفسر كثيره من المنتمين إلى مدرسة السلف التي انتهجت طريقة التفسير بالرأي لم ينسج من الخوض في مسائل علمية، والذلمسور بمعرفة علوم لا يتجاوز فيما تحصيله معارف المبتدئين، مما كان يفسح في معلومات خاطئة وفي تفسيره كثير من الأمثلة لتقريب منها ما يلي: في تفسير قوله تعالى: " الشمس والنجم بحسبان" الآية 55 الرحمن بقول: "... والشمس تجري لمستقر لها وهو الظاهر ولا يلتفت إلى زعم من زعم أن المتحرك هو الأرض" (2).

وهذا متناقض لما هو معروف في علم الفلك، الذي أثبت حركة الأرض حول الشمس (3) مما ينتج عنها الفصول الأربعة، وفي المثال التالي نلاحظ كيف يبرهن على صغر النجوم بالنسبة لحجم الأرض، وينكر بذلك إحدى الحقائق العلمية: "... وتسعد الأرض مع كبرتها وعظمتها بأن يصغرها الله تعالى، ليست كبيرة كما في علم الهيئة بل هي كما ترى أكبر بقليل وهذا هو الصواب، ألا ترى أن تقاربها وإدراك العين لما يحويه الله عز وجل ويجمعها مقدار من الأرض تحيط به العين" (4).

مع أن علماء الفلك أجمعوا على وجود كواكب أكبر بكثير من الأرض (5)، لكننا نلاحظ من جهة أخرى ينتقد بعض الروايات التي لا يتقبلها المنطق والعقل، ويرددها

(1) (التيسير) 4 / 764 ، 765 .

(2) ن.م. : 5 / 4 .

(3) علي موسى ، مخلص الربيع علم الفلك ، مفاهيمه وأسمه جي / 44 ، 45 .

(4) (التيسير) 6 / 501 .

(5) علم الفلك ص / من 44 / 45 .

بمخالفه مع ترجيح ما جاءت به النصوص التي اعتبرها صحيحة ويحاول إيجاد تفسيرات لها ، ففي المذال التالي ، نجد المفسر يورد ، بمخالف بعض الروايات ، بعد سرده لما جاء في الحديث أن بين كل أرض وأخرى خمسمائة عام فيقول مؤيداً ذلك : " . . . وجاء ذلك الصدود ومقدار ما بين الأرضين مائة ، فحديث أحمد والترمذي إلا الخلف ، ويحلي به فلنظ كل واحدة خمسمائة عام ، فيقول : " وذلك هو الصحيح وعليه الجمهور " ثم ينتقد الروايات الأخرى قائلاً : " لا ما قيل أن في كل واحدة من السمات ما في هذه من آدم ونوح وجميع الأنبياء وجميع ما في هذه فيكون اختصاصه صلى الله عليه وسلم يختص النبوة باعتبار هذه الأرض وذلك تغليب وقيل سبع أرضين مائة مائة يحمّل من قور على صخرة إلى أخضر التخاليط " (1)

والمفسر يستدل بمختلف العلوم التي تعرض لها لتبيان قدرة الله ودلائل وحدانيته وعظامته ، بصرف النظر من صحتها أو خطئها فقد تعرض لحلم الفلك في الآيات المشيرة إلى ذلك ، كما تناول بالبحث مواضيع في الطب والعلوم الطبيعيات ، ففي الطب مثلاً في تفسير قوله تعالى : " من قبل أن تنزل التوراة " الآية 93 آل عمران يذكر رأياً يرون أن ما حصره إسرائيل على نفسه يقتصر على الامتناع عن تناول عرق النسابة ثم يستفيض في تعريف هذا المرض ، وطريقة علاجه (2) وإذا وردت في آية قصرة راجح يذكر منافصها مثل الزيتون وما يشقق منه من زيت وما يفيد من الناعديسة الطبية يقول : " : كتعفن اللون ، وتصفية الأخطاشد الأعصاب ، وفتح الصدود وإخراج الدود والأذوار وتفتيت الحصصى وإصلاح الكلى " . ثم يبين طريقة الاستعمال فيقول : " . . . شرباً بالماء الحار " (3) ففي العلوم يبين أصل الألسان قائلاً : " . . . أن أصلهم الذي تكونوا منه من تراب وهو آدم والأغذية التي تكونوا منها تراب " (4) موضحاً بعض الصفات الموراثية في تفسير قوله تعالى : " . . . من نطفة أمشاج " الآية 52 الألسان فيقول : " . . . ما الرجل أبيض غليظ ومنه الحمص والحظلم وأن علا كان الشبه له ، وماء المرأة أصفر رقيق ومنه اللحم والدم والشعر فإن علا (5) كان الشبه لها ، فإذا اجتمعا في قصر الرحم أخضر الخ . . . " (6) .

(1) (التيسير) 257 / 5 .

(2) ن . م . 545 / 1 . 547 .

(3) ن . م . 680 / 6 في سورة (المؤمنون) يبين منافع الزيت ومذاقها . ن . م . 336 / 4 المجلد 1 .

(4) ن . م . 276 / 4 المجلد 1 في سورة (الألسان) الآية الأولى توضح أكثر لهذه المسألة ،

ن . م . 434 / 6 .

(5) لا

(6) ن . م . 435 / 6 في تفسير الآية بعض التفاصيل في الموضوع .

من العلوم الأنثائية التي عالجهما المفسر، علم النفس في تفسير قوله تعالى " وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة " الآية 73 الدال تعرض لقيمة الإدراك قائلاً: " . . وأعلم أن النفس تدرك الكلي والجزئي بأستعمال الحواس وبدونه ، والصحيح أن الإدراك للعقل خاصة والحواس أبوابه ومعنى الحسن المشترك أنه أدركت فيه الشيء الحواس والعقل معا بصرة وأكسره بعض المتكلمين " ثم تحدث عن عقل الجنين فقال: " والأسان إذا كان جنيناً له عقل ميولاني له به العلم بالأحاساس بالجزئيات " (1)

وفي موضع آخر يرد على من يرى أن الصبي " لا يدرك في سبعة أيام من ولادته شيئاً ، ولا يدرك راحة ولا ألماً " فيقول: " ويرده بكسائه إذا أصابه ضر من جوع أو غيره وأنه عالم بنفسه " (2).

كما كان يستعين بعلم الجغرافيا للتخريف، بالأسماء (3) والجبال (4) أي ما يدعي بالجغرافية الطبيعية ، تناول — أيضاً — بالبحث الجغرافية السياسية فيبين مثلاً استيلاء فرنسا على الجزائر وتقسيمها للمغرب الأقصى (5) الى عمالات وان كان هذا خارجاً عن موضوع الآية التي يقول فيها تبارك وتعالى: " رب المشرقين ورب المغربين " الآية 17 ائرحمن لاحظ ذلك فيما يلي: " ومن الأوسط انجزائر جزائر بني مزغلة أخذها فرنسة سنة ست وأربعين ومائتين وألف وفي تقسيم فرنسة فرنسية وسائر الأفرنج أن المغرب الأقصى عمالة فاس ، عمالة مراكش ، وعمالة سوس ، وعمالة درعة وعمالة تيفلا لت " (6).

ويضي المفسر على هذا المنوال مستعيناً بالعلوم المختلفة المنسوفة عند المفسرين الذين تأدربهم وتعلمذ على كتبهم ، مكتفياً — أحياناً — بسردتها ومتدخلاً حيناً لنقدتها بالطريقة التي أشرنا اليها سابقاً ، وجامعاً بين آراء الحلماء وما تواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف ، هدفه من ذلك توضيح ما تضمنته الآية ، أو إبراز عظمة الله وقدرته في مخلوقاته أو بيان فرض القرآن من ذلك وبعضها صر

(1) ن . م . 524/3 .

(2) ن . م . 623/3 .

(3) ن . م . 564/3 .

(4) ن . م . 455/6 .

(5) المملكة المغربية حالياً .

(6) ن . م . 16/6 ليستقيم النص يمكن صياغته على الدعوات التالية ( وفي تقسيم . . . وسائر الأفرنج المغرب الأقصى الى عمالة . . . ) .

وما ينتج منها من فوائد وما يدجر عنها من مضر ، مقتبسا مختلف الآراء ، ومرجحا في معاليم الحالات ما ورد في التصو من ، فهو ممن أشرنا اليه في مقدمة هذا البحث . وعلى فرار مدرسة التفسير بالرأي السلفية يخوض في علوم ، بضاعته قليلة ومعلوماته عامة في حاجة الى التحقيق ، مما كان يسرد بعض المعلومات الخاطئة أو ينتقد بعض الآراء الصحيحة جبدا لونهما الى أصحابها بذكر السند ، أو المرجح الذي استمد منه هذه الآراء والمعلومات ، ولا يعني هذا أنه كان يجمع المعلومات ، ويسرد ما دون نقد ما والتعليق عليها وأبداء آرائه .

ومن خلال البحث التالي سيتضح لنا أسلوبه في تناول المصادر المختلفة السابقة الذكر ، والأستمالة بما في تفسيره .

### أسلوبه في التفسير:

رأينا فيما سبق أن المفسر توخى الاجازة والتوضيح في تفسيره قصد التيسير على القراء لا سيما طلبة هذا العلم ، وقد كان يركز في المواطن التي لا تحتاج الى الحداة للفهم ، وعندما تقتضي الضرورة التوضيح بده يطلب ويسرد مختلف الآراء متعمجا في ذلك أسلوب التحليل ، والتليل الذي يحتم عليه أن يتعرض للنقد قصد ترجيح رأي على آخر أو التوفيق بينهما أو تفيدها ، وإذا لاحظنا أمراق المفسر أحيانا - في بعض التفاسير - والاضطرادات وهذا يتناقض مع منهجية التأليف التي تتطلب الالتزام بالموضوع ، فالتسامح ذلك الى تمكنه ، وغزارة علمه ، والرغبة في الافادة وتوسيع أفق القارئ في العلوم والفنون المختلفة التي استعان بها ، وهذه الملاحظة تظهر أكثر وضوحا في الجواب اللغوية والبلاغية ، ومسائل الخلاف التي يحاول بكل طريقة اقناع القارئ بوجهة نظره متعمجا أسلوب التليل والاستدلال بالشواهد وضرب أمثلة .

فاذا كان المفسر يحترم آراء من استمد منهم معلوماته ، ويثق فيهم ، ولعل ذلك من الحوامل التي جعلت تفسيره يتضمن بعض المعلومات التي لا أساس لها من الصحة أو بحاجة الى التحقيق ، وقد أشرنا الى بعضها ، وسنتعرض لأمثلة أخرى في محلها فانه رغم ذلك لاحظنا بعضا للنقد ، ويستوي عنده جهادة الحداة بخير منهم ، ففي المدال التالي عند تفسير قوله تعالى : " يسألهم من في السماوات والأرض " الآية 27 الرحمن يستعرض آراء كل من أبي صالح وأبن عباس وأبن جرير

ثم يحقهما بقوله: "وأنا متعجب من أين التعصبيون إلا أن أريد التمديل والحواب في كل حاجة. ودخل فيها سؤال دفع المضار بل شملت الآية سؤال المعاصي وهو محرم بمعنى أنكم تحتاجون إلى الله تعالى في كل شيء" (1)

ومن الملاحظ أن المفسر يدعو في كثير من الحالات إلى التعميم ويرجح الرأي الذي ينزع إلى ذلك، ثم لا في تفسير قوله تعالى: "والسابقون السابقون" الآية 10 الواقعة يستعرض عدة آراء تخصص معنى الآية فيختار منها رأي ابن كيسان وسعيد بن جبير لأنه فهم منهما التعميم فيقول: "... والعموم المذكور عن ابن كيسان وسعيد بن جبير أولى فلعل غيره مما ذكر من الأثرال تمثيل" (2).

وفي المثال التالي لاحظ كيف ينتقد الزمخشري رائد مدرسة التفسير بالرأي، وذلك عند تفسير قوله: "وما صاحبكم بمجنون" الآية 22 التكرير تأثلاً: "... ومن الخطأ ادعاء الزمخشري فضل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدح جبريل دونه"، ثم يمضي في تبیان وجه الخطأ والرد عليه: "وجه الخطأ أن مدح أحد دون أحد لا يدل على فضل من لم يمدح بل يمتصل العكس، والمساواة، أن المقام ليس مقام مدح له صلى الله عليه وسلم ومع أن المقام ليس لمدحه هو مدح له إذا أرسل إليه من أو أمر عليه فالمرسل إليه أفضل من المرسل...". (3)

لاحظ من الأمثلة السابقة أن المفسر لا يكتفي برّد الرأي أو إضافة منه دون تبیان وجه الصواب والخطأ، وكما أن النقد لا يقتصر عنده على الجانب المحوي فحسب بل يشمل جميع أوجه التفسير، ولقد ضربنا بعض أمثلة عند تحريرنا لهذا المصدر في هذا الفصل، ونوهت ذلك بالمثل التالي الذي ينتقد فيه قول الفسّر في تفسير قوله تعالى: "فيهن" الآية 56 الرحمن بقول: "أي في الجنات والجمع بآثار أن لكل خائف جنّين أو لكل خائف من الأُس جنّة ولكل خائف من الجنّ جنّة، فهو لا جنّات.

(1) التيسير 14/5.

(2) (التيسير) 36/5، 37.

(3) ن.م. 513/6.

وهذا يحني عن قول النصارى أن الضمير للجنة ، وأنه كذا يروى ما يحبر عن أدين

بما للجمع" (1)

وقد يكتفي في نقده بنفي الدليل على أدبات قنينة أورأي ، وفي المدال التالي يتضح لنا ذلك يقول في تفسير قوله تعالى : " أن الله اصطفيك " الآية 42 آل عمران وعن طريقة تبليغ الخبر الى مريم ابنة عمران يقول : " . . . وقيل المعنى كلموها بالعلماء ومودعوى بلادليل " (2) ومثل ذلك لاحظ في تفسير قوله تعالى " فيكون طائرا بأذن الله " . . . وإنما استيقظ ليميز عما خلق الله لا على يد عيسى وهكذا قيل ولا حجة له ، وظاهر القرآن بأبما ه لو ثبت لقد حوا فيه " (3) .

كما ينتقد بعض الروايات الشاذة التي لا يستسهما المنطق ولا الواضح كقوئيه : " . . . ولا يصح ما قيل أنه يملئ ركعتين الأولى بتبارك الملك ، والثانية بتنزيل السجدة ويدعو بهما " (4) . . . أي عيسى عليه السلام ويقول في تفسير قوله تعالى : " وأمرأتي عاقر " الآية 40 آل عمران : " . . . وأما ما قيل أنه دعا فيه قبل بشارته بأربعين عاما أو ستين فتسبي دعاه فقال : " أنسى يكون لي الخ . . . فبهيد جدا ولا سيما مع ظاهر التحقيق .

وفي قوله عز وجل فسادته الخ . . . " (5)

ومن الملاحظ أن المفسر يحاول في رده ، ونقده اقتناع القارئ منتمجا أسلوب التحليل والاستدلال ، لاحظ مثلا كيف يريد على قول مجاهد الذي يرى أن الله مسح قلوب أصحاب السبت ولم يمسح صورهم " قلت قوله فجهلنا ما نكالا (6) " رد نقول مجاهد أنهم لم يمسخوا صورة ولكن قلوبا ومثلوا قرده ، إذ تحويل قلوبهم لا يظلم لكل أحد حتى يكون رادعا وموعظة ولو ظهر لم يتبين قبحة لجمهور الناس بخلاف مسح صورهم فإنه يظلم قبحها للموحد والمشارك والمطيع والخاصي " (3)

(1) (التيسير) 24/6 .

(2) م . م . 493/1 .

(3) ن . م . 502/1 .

(4) ن . م . 504/1 .

(5) ن . م . 305/1 .

(6) 66 / البقرة .

(7) (التيسير) 34/1 ، 35 .



ولتأكيد ما ذهبنا إليه نسوق هذا المضمار الذي يورد فيه على من يرى أن الخطاب في قوله تعالى: "وَأَنْ كُنْتَ فِي شكٍ لِمَنْ يَرْسلُ فِيكَ: وَمِمَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول محملاً ومستنداً بأهمية: "الأنه لا يجوز خطاباً في كلام واحد مثل أن نقول أكرمك وتريد بخطاب أكرم زيد وبخطاب الكاف عمر" (2).

والمفسر في نقده تارة <sup>ببعض</sup> رأياً أو يورده مع تبليان الصلحة وتارة يرجح رأياً على آراء موضحاً السبب، ولذلك في كثير من المواضع شخصيته ويستعمل في ذلك عدة صيغ، فإذا شك في رأي أو رواية استخدم صيغة التبعيض، وفي محذوم الأحيان يبدأ بالرأي الراجح عنده حين يستعرض الآراء والأقوال ولو كانت مخالفة لرويته أو شاذة في نظره، ففي تفسيره قوله تعالى: "أخرجنا لهم دابة" الآية 32 التمس، يسرد أوصاف الدابة التي يتكون شكلها من بعض الحيوانات ثم يحقّب على ذلك بقوله: "وأنا أذكر هذه الأمور كارهة ليتهاج إليها السامع ولولم أصدقها" ثم يمضي نقده قائلاً "ومن بعد ما قيل أنها تن من المغرب والمشرق مع أنها لا تروى من المشرق من السماء، ولا تروى الشمس والقمر والجسم إذا غربت" (3).

ولحل هذا ما يفسر تضمين تفسيره لبعض الآثار التي يجوزها التحقيق، دون التحقيق عليهما أو التثبت من صحتها، مما دعا بعض الدارسين إلى مواعظته عليهما (4) إضافة إلى ذلك يميل ذكر المصدر والسند أحياناً، ولتأكيد ما ذهبنا إليه نضرب هذه الأمثلة في تفسير قوله تعالى: "أنهم كانوا قبل ذلك مترفين". الآية 45 الواقعة يستعمل تفسير الآية بذكر معناها، ثم يستعرض بعض أوجه تفسيرها قائلاً: "تحليل جملي أي عذابوا بذلك لأنهم كانوا قد جعلهم الله ترفين أي تابعين لمواهبهم، وذلك خذلان من الله تعالى ولهم اختيار ولا اجبار لهم".

(1) 94 / يونس.

(2) (التيسير) 110 / 3.

(3) ن.ج. 4 / 591، 592 المجلد 2.

(4) (التفسير ومناهجه عند علماء الأباذية) محاضرة ص 12، 13.

ثم ينتقل الى استعراض بعض أوجه التفسير فيقول : " أولاً أنهم كانوا قد جعلهم الله تعالى متكبرين عن الحق ، أو لا فهم كانوا قد أبطروهم الله أي جعلهم بطرين بالتمسك أو أبطروهم التمسك " ولكن شخصية المفسر تأتي الأقتضار على سرد الأقسام دون التصدي لنقدها ، فلذلك نراه يملق على هذا الوجه الأغير من تفسير الآية قائلاً : " ويبحث بأنه ليس كل أهل النار مذكورة لهم التمسك في الدنيا والجواب بأن ذلك حكم على المجموع لا كلية ضعيف ويحدد بحسب الظاهر أن ، يراد كل أحد منحصراً عليه بعمدة البدن الصحيح والعقل والحياة ونوع قلّة المال لا يستشكل بمن ليس كذلك لقلّة المرضى وأصحاب الآفات بالنسبة " (1)

وشخصية المفسر تظهر بجملاء في هذا النص الذي يحترف فيه ضمناً بمقدرته على الاستدلال والتحقيق ، ويؤى أن ذلك لا يصدر إلا من عالم مارس المحقول والمنقول ، ويمتد في با اجتماع شروط الاجتهاد لديه ودونك النص الذي موضوعه مسألة زيادة الأيمان ونقصه " . . . وليس كل عالم يحسن الاستدلال ، وإنما يحسنه من مارس المحقول والمنقول ، فتمسك بما قررتك لك فأنت لا تجده مستطراً على هذا التحقيق في غير هذا الكتاب ، ثم أخذتني تحقيق آخر هو أن الأيمان يجوز اتساقه على مجرد التوحيد وهو التصديق كما يطلق على ذلك مع الأقرار والعمل وهو الأيمان الكامل لا يدخل الجنة الآبه ، فيشتق منه ذلك مما تجده مستطراً ، ولولا أنه لا يجوز لي كتمان علم ظاهري لا اجتماع شروط النظر ما فهمت بذلك ما يخالف غيبي " (2) .

وهذا النص الذي سقته من كتابه (هميان الزاد) يوكد أعتزاز المفسر بشخصيته وعلمه ، ومقدرته على التحقيق والاستدلال ، وأن كان هذا الاعتراف فيما يبدو جاء في مرحلة مبكرة من حياته وهي التي ألف فيها تفسيره الأول السابق الذكر ، أما تفسيره الذي نحن بصدد دراسته فلا تفرقه كثيراً

(1) (التيسير) 6 / 49 ، 50 .

(2) (هميان الزاد) 7 / 97 ، 98 .

على هذه الاعترافات ، لآتسه قد أؤبت - عتليا - جدارته ومقدرته على التأليف ، وفرض وجوده كعالم في عصره على الأقل في محيطه ، ولذلك لاحظ في أسلوب تفسيره زيادة في التحليل ، والنقد ، وأن أستعمل - أحيانا - الصنف هو كذلك لاحظ التعمق في الاستدلال والتحقيق ، غير أنه رغم ذلك لم يتخلص من جمع بعض المسائل التي لا يستثنيهما العقل ولا المنطق ، وحشا بما تفسيره .

ومن أمثلة ذلك تنبؤه بوقت نزول المسيح عليه السلام وحدث تخييرات في مسقط رأسه ويقول في ذلك : " . . . وينزل ان شاء الله تعالى على ما أئمت وروعت على تمام أربعين عاما بعد ألف وثلثمائة وخمسة وعشرين إلا أن آبتدأ الحساب أن شاء الله يكون من الحادي عشر من ذي الحجة من عام خمسة وعشرين وثلثمائة وألف وعند العشرين الأولى من الأربعين يتخير مزاب (1) والمسلم لله لا لغيره " (2) وبعد سرده لدعاء عيسى عليه السلام لما يريد تبرئة لأممه والأبرص يذكر هذه الرقية : " . . . واذا قرأ هذا على المجنون وكتب وسقى له برء باذن الله عز وجل . . . " (3) .

ولا فسروفي ذلك لأن رأي المفسر في الاستشفاء واضح في قوله : " . . . ويجوز الاستشفاء بالقرآن تحليقا وغسلا ومسحا بالخسالة ، وشربا ولو يفصل الإنسان ذلك بنفسه " (4) .

غير أن هي هذا التفسير كان أكثر دقة وتحقيا ، ففي هذه المسألة مثلا يقول في موهج آخر تحقيقا على حديث نبوي في الاستشفاء بالقرآن : " . . . وليس على ظاهره من أن معنى الآية أن القران دواء لوجع الصدر بسبل معناه أنه دواء لدنس القلوب بنيمة المعاصي بل قياس منه صلى الله عليه وسلم للمرضى الجسمي على المرضى المعقول من الذئب " .

---

(1) وادي مزاب تقدم تعريفه ،  
(2) (التيسير) 261/05 .  
(3) ن . م . 508 / 1 .  
(4) ن . م . 772 / 3 .

الى أن يقول : " بل قد يكون المرض الهنسي سببا للحسي فيقرأ القرآن  
ليسزل المنسوي الذي هو سبب الحسي " (1) بينما نراه في كتابه  
( هيمان الزاد ) فارقا في سرد بعض الرقيبات الشبيهة بالتصائم من أمثلة  
ذلك قوله عقب تفسير قوله تعالى : " .. وما التصرا إلا من عند الله أن الله  
عزيز حكيم " الآية 10 الأفعال : " .. ومن كتب في بطاقة في السابع والعشرين  
من رمضان وما جعله الله إلا بشرى الآية وجعلها تحت فص خاتم وحطه هو  
أو غيره لم يسزل حامله مسرورا منصورا على عدوه (2). "

فاذا أجرينا مقارنة بسيطة بين تفكيره في تفسيره الأخير وتفسيره  
( التيسير ) اعظما عمقه مع بروز بوادر الحركة الأصلية ، ولم يتخلص  
من بعض المأخذ التي ذكرناها أو ستعرض لها في الفصول الآتية .

ونخلص إلى القول بأن المفسر ، رغم تأثره بالحركة السلفية ، وبـ  
بعض مفسريها إلى درجة اقتضاء آدابهم في المسادة والمنهجية ، لم يصره  
هذا التأثر عن إبراز شخصيته في الأدلاء بأرائه في بعض المسائل ، والرد  
على آراء الغير ، وتثنيها أو ترجيح ما يراه صائبا منتهجيا أسلوب التحليل  
والتحليل ، كما يتميز في تفسيره هذا بالعمق في التفكير ، ويتجلى ذلك  
من خلال معالجته لبعض القضايا التي تعرض لها ، وسيظهر هذا العمق  
أكثر في موقفه من بعض المسائل التي سنتناولها بالبحث في الفصل الثاني  
من هذا الباب .

(1) ن م ، 66/3 ، 67 أنظر رأيه في القضية في ن م . 771 / 3 .  
(2) ( هيمان الزاد ) 127 / 7 .

## موقفه من بعض المسائل

يُصور تفسيره وجهات نظر تجاهه بعض آراء المسائل ، المتعلقة بالأديان والمذاهب وموقفه من بعض الحنما ، وقضايا عصره ، ومما لفته لهذه المسائل تختلف باختلاف موقفه منها ، وانتمائه له ، فجدد يتضاف مع بعضها وينتقد بعض الآخر بشدة وعنف أحيانا ، ولكن المفسر ينظر اليها من وجهة نظره الخاصة باعتبارها عالما مجتهدا ، محاولا اقتناع القارئ بهذه النوجه ، ولا يعني هذا أنه تحدد من انتمائه المذهبي لأن مثل هذا التحديد يتطلب مستوى فكريا وحضاريا تصدق أنه لم يرق اليه بعد الفكر الحر ، لا سيما في ذلك العصر ثم أنه ليس من السهل التخلص من مخلفات وورثها الألسان واكتسبها وأصبحت جزءا من كيانه وشخصيته ، فكدورا ما يُدعى بالتزام الموضوعية وحرية التفكير ، لا يعد وأن يكون قننا ما يخفي وراءه أفضاضا يهدف صاحبها إلى تحقيقها باسم هذه المواصفات وعلى هذا الأساس يمكننا تبليان موقف المفسر من مذهب .

موقفه من المذهب الأباضي :

يتميز المذهب الأباضي . كثيره من المذاهب الإسلامية ببعض الآراء في الأصول والفروع التي يختلف فيها من غيره ، وان كان يتشقق مع مذهب في مسألة ويختلف فيها مع آخر ، فيحاول المفسر أن يبين هذا الاختلاف وهذا الاتساق كلما لاحظ ذلك وكأني به يريد أن يثبت للقارئ ، ولا سيما لا أولئك الذين أساءوا فهم المذهب و مكانته بين المذاهب الإسلامية ولا يمكن تفسير ذلك بتحيز المفسر إلى مذهبه والدفاع عنه والتعصب المذهبي لسببين اثنين : أولهما أن الإيمان بفكرة يقتضى من صاحبها الدفاع عنها وتبليانها بقسوة ، لا سيما المسائل المتعلقة بالحقبة والدين والأركان إيمانه عما سداحيا ، والسبب الثاني دعوة المفسر إلى وحدة المسلمين وتجاوز الخلافات المذهبية وهذه النقطة سنتناولها بالبحث في موقفه من المذاهب الأخرى .

أن أول ما يسترعي الانتباه في اعتزاز المفسر بمذهبه هو مدح أئمته والتعريف

بهم في مواضع مختلفة من تفسيره ولا سيما إذا كانت الآية تختص بمدح قوم فمثلا عند تفسير قوله تعالى: " فسوف يأتي الله بقوم أبلغ " المادة 54 يقول مادحا للأئمة الرسوميين والقوم الفرس والمسلمون المبين أذهرهم في الدين كالأمام عبد الرحمن ابن رستم والأمام أفلح والأمام عبد الوهاب والأمام محمد لما نزلت الآية وفيهم نزل وأن تصولوا يستدل قوما غيركم (1) أيضا ضرب صلى الله عليه وسلم يده على كتف سلمان الفارسي فقال: " هذا وذووه أو قال: لو تعلق الدين بالذرية لنا له رجال من أبناء فارس " ثم يذكر حادثة وقعت في تونس (2) ، وبعد عرضها أمام المحكمة أصدرت الحكم التالي: " وحكم بأنه من طعن في المزابيين (3) يقتل شرطا أن لم يتب لآته طعن في الإسلام جملة ، ونحن كذلك تجمعا كلمة التوحيد والميزابيون يوفون بالقول والحمل " (4)

ولا يجد المفسر فرصة للإشادة بأئمة مذهبه إلا انتمزما ، مبرزاً ما درهم فقد ذكر بأعجاب وتقدير يرفض سلطان زنجبار حمود بنما مقام الأباضية على غرار مقامات المذاهب الأخرى فقال في معرض تفسير قوله تعالى: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " من الآية 125 البقرة وقد قال أمير مكة للسلطان حمود وهو سلطان زنجبار أموام أقامته بمكة . أبني مقاما لك وللأباضية أهل مذهبك فقال: " تفعل لآته خلاف الشريعة ولا تصم لا يقبلون ذلك عني ولا عنك ولا يقف فيه أحد منهم فلذلك ونحوه قلت فيه :-

حمودنا بن محمد وشيخته \* ضل البرية والحق شريحته . القصيدة " (5) ويتجلى من هذه الحادثة افتخار المفسر بمذهبه واعتزازه بأصابعه الذين يرفضون البدع .

ومن القضايا الأساسية التي بنى عليها المذهب الأباضي ، لا سيما في المعتقدات قضية التأويل ، وقد أنكر عليه غيره اعتماده في تفسير بعض المسائل الاعتقادية ، فما رأي المفسر في ذلك ؟ كيف يرتك على من أنكر التأويل ؟ .

(1) محمد / 38 .

(2) دولة عربية في المغرب العربي بجوار الجزائر .

(3) سكان ميزاب بالجنوب الجزائري ويطلق على أتباع المذهب الأباضي في تلك المنطقة .

(4) التيسير 2/111 أنظر مثالا آخر في ن . م . 1 / 829 .

(5) ن . م . 1 / 154 .

يقول المفسر في تفسير قوله تعالى: "أنتم من في السماء" من الآية 16 الطك  
 نفيًا للتشبيه: "ولا يزول الأشكال إلا بالتأويل" إلى أن يقول: "وتأويل المتشابه  
 هو الحق ويحقب ذلك بالتردد على من يندر التأويل قائلًا: "وجمهور سلف قوماً (1)  
 على إبقاء المتشابه بالتأويل ويقول أنه على ظاهره إلا أنه بلا تكليف وهو جهالة  
 وظلمة مع وجود العلم والنور وكثيرًا ما أول ابن عباس وغيره من الصحابة المتشابه،  
 فلو كان التأويل حراماً أو مكرهاً لما فعلوه، والتأويل تصحيح لقوله تعالى:  
 "ليس كمثله شيء" (2) عمل به وفي تركه مع إمكانه تقصير في الدين وإبقاء للمرتاب  
 على آرتيابه وتقوية وإعانة للتشبيه وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "أما سوا  
 بمشابهة فليس فيه التمي عن التأويل بل أمر بالأيمان ونهى عن انكاره وجمله  
 من غير الله أو أمر بالوقف لمن لم يدرك التأويل" ويختم كلامه بقوله: "وما لا  
 يدرك معناه يبقه بلا تأويل ونؤمن به" (3).

وفي موضع آخر من تفسيره (4) يرى أن التأويل يطلق على التفسير الصحيح  
 والتفسير الباطل، أو يكون المراد منه المعنى الأول وليكن في زعم المبتدئين  
 للفتنة (5).

وقد ذهب الدارسون في قضية التأويل مذاهب، فمن هو لا من اعتبرها  
 بدعة أول من فتح بابها الخوارج وأدت إلى نتائج عملية خطيرة (6) أما صاحب  
 كتاب (التفسير والمفسرون) فيحدد تبيينه للفرق بين التفسير والتأويل يسئل يعرف  
 الأول بقوله: "ما كان راجعاً إلى الرواية" ويعرف الثاني بقوله: "ما كان  
 راجعاً إلى الدراية" (7) ومن هذا التصريف يحكم صابر طحيمه على الأباضية  
 بقوله: "وهكذا وقع الأباضية في نهج عقلي عملوا فيه تأويل النصوص الشرعية  
 مخالفين بذلك مذهب جمهور المسلمين" (8)

(1) يطلق هذا الاسم على الأشاعرة.

(2) الشورى / 11.

(3) التيسير 6 / 290.

(4) عند تفسير قوله تعالى: "وأبتغوا تأويله" من الآية 7 آل عمران.

(5) ن. م. 1 / 443.

(6) آراء الخوارج الكلامية 1 / 103.

(7) التفسير والمفسرون 1 / 19 - 22.

(8) صابر طحيمه الأباضية عقيدة ومذهب ص 99.

أما صاحب كتاب (مباحث في علوم القرآن) سراه يفرق بين مفهوم التأويل عند الأوائل الذي يعني التفسير ومفهومه عند المتأخرين الذي هو: " صرف اللفظ عن الاحتمال الرجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقتضيه به " وأطلق على هذا الأخير التأويل المذموم وهو أخذ المتأخرين عليه قائلا: " أما لجأ إليه كثير من المتأخرين مبالغة منهم في تنزيه الله تعالى عن ما خلقه للمخلوقين كما يزعمون ، وهذا زعم باطل أو قصصهم في مثل ما هو منه أو أشد " و بعضي في شرح ذلك . (1)

و يفهم من القول الأخير أن تأويل المتشابه من آيات لا يقتصر على الأباطنية والخوارج فقط أو غيرهم من المعتزلة ، وإنما هو اتجاه المتأخرين . وقد تعرضنا لهذه المسألة ، فرجعنا إليها من باب المقارنة ليتجلى اتجاه المفسرين في هذه المسألة التي هي أساس تفسير الآيات المتشابهة المتعلقة بمسائل عقائدية مثل انكار الرومية ، والاستواء على الصورش وغيرهما ولا يحل هذا إنما سنتعرض لجميع ما يتميز به المذهب الأباطني من المسائل وإنما سنكتفي بضرب أمثلة الغرض منها تبين أسلوب معالجة المفسر لهذه المسائل ووجهة نظره منها .

فلأدوات نفي رومية الهاري يوم القيامة في قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " الأيمان 22 ، 23 من سورة القيامة يسوق أدلة لغوية وعقلية وعقلية ، وفي البداية يتعرض لصيغة الآية ، وللجانب اللغوي فيقول : " قدّم بطريق الأهتمام والحصر ، وللإضافة " أي شبه الجملة المشتمل على الجار والمجرور ( إلى ربها ) ثم يشرع في الرد قائلا : " المتبادر يفيد أنه ليس المحسن تنظر بأبصارهم إلى ذاته تعالى ، لأن مدعي الرومية لا يقول ينظر إلى ذاته فقط كما فهموا ، وان قيل التقديم ليس للحصر ، بقي أن النظر إلى الذات ولو أقدم من لحظة موجب للتحيز على الله عنه " ويسوق — بعد ذلك — الأدلة التي تثبت أن النظر هنا هو قد يفيد معنى الأنتظار فيقول : " وناظرة خبرتان ومعناه منتظرة ومن تعدي النظر بمعنى الأنتظار إلى قولهم أنظر إلى الله ثم اليك أي أنتظر فضل الله ثم فضلك وقول الشاعر :—

وجوه ناظرات يوم بدر \* إلى الرحمن يأتي بالفلاح

(1) مباحث في علوم القرآن ص 186 — 188 .



وقول شاعر : —

سبحانه كل الخلائق ينظرون سبحانه

نظر الجحيم الى طلوع هلال .

وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة (1) قال الامام علي ناظرة تنتظر حتى يأذن لهم ربهم في دخول الجنة أو الى بمعنى النعمة . . . أو ثواب ربها أو رحمة ربها " إلى أن يقول : " وكل حذف التاويل ولو كان خلاف الأصل مقدم على مدمه إذا كان عدمه يودي الى التشبيه أو نحوه والتقدير والتاويل هما المناسبان لقوله تعالى ليس كمثله شيء (2) المتفق عليه ، ولكونه لا يتحيز ولا يتجه ولا يتجسم كما هو المتفق ، ولتنزهه عن الحلول كما هو المتفق عليه ولتنزهه عن الزمان كما هو المتفق عليه وذلك كله بالذات ، وما بالذات لا يتخلف باختلاف الأزمنة ولتنزيهه عن اللون والطول والقصر والخلقة والرقعة ورويته تنقض هذه الأصول كلما وثبتت غيبته عن المواضع الأخر والتجزئ ، ولزمهم أن الله محسوس لخلقه وينقل بعد ذلك الى الحديث عن كلام الله تعالى قائلًا : " وهو لا قوم لا يخفى عليهم في بعض الأصول كما قالوا أن موسى سمع كلام الله النفسي القديم أدبتوا الكلام النفسي وأدبتوا له مسموع مع أنه غير صوت وقد أبطل هذا بعض حدائقهم وشتت على الغزالي والأشعري في قولهما سماع كلام الله الأزلي ، وقال اشعقوا على أنه لا يسمع غير الصوت وقد رجح إنيلا من قال معنى سماع الكلام الأزلي أنه معلوم بسماعنا من الشرع أن الكلام النفسي ثابت قلنا أيضا لا نسلم بثبوت الكلام النفسي . "

ويهود دائية للرد على من يثبت الروية قائلًا : " . . . ولا عاقل يترك ما هو توحيد الى ما يخالفه ووضعوا أحاديث منها أنه ينظر اليهم وينظرون اليه ولا يقدرون نظرهم حتى يحتجب عنهم ومنها أن أكرمهم على الله سبحانه من ينظر اليه صباحا ومساءً ولا يخفي عن مدعي الروية دعوى أنها ليست علمي المعتاد لأن حاصلها الانكشاف وهو منزه عنه ، ولا يضرهم الانتظار لأن ما هم

(1) البقرة / من الآية 280 .

(2) الشورى / 11 .

فيه من الضميمة بحجة عظيمة تنفي <sup>تدني</sup> مَمَّ الأُتظار بل جعل الله الأُتظار بحجة أعين " (1) .  
 ومن الملاحظ أن المفسر يدافع بكل ما لديه من حجج عقلية و ثقافية عن وجهة  
 نظر الأباضية ، لا سيما في المسائل الحقائدية ، فإذا وجد من يميل من غيرهم الى  
 آرائهم أو في وجهة نظره ما يقرب منها ، جعل ذلك حجة للخصم ونهايه به ،  
 وقد يحال مع القضية الرئيسية قضايا أخرى لها علاقة بها مثلما هو الشأن في المثال  
 السابق إذ كان يتناول بالبحث قضية نفي الروية والرد على مفسري الآية الكريمة  
 حسب معناها اللغوي دون تأويل ، ولكنه تطرق في نفس الوقت الى قضيتين أخريين  
 الأولى : صفاته سبحانه وتعالى ، وكلامه ، وهما من القضايا الخلافية أيضا .  
 ومن تحمس المفسر لمذهبه ، ودفاعه عن وجهات نظره ، وانتمازه لكل فرصة  
 لإثبات آرائه في قضايا مختلفة ، هناخذ على سبيل المثال قضية الروية التي أشرنا  
 إليها سابقا ، نجده يتعرض لها في عدة مواضع ، فقد أشار إليها في تفسير قوله  
 تعالى : " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيت محكمات هن أم الكتاب " من الآية 07  
 آل عمران (2) ، كما ذكرها مع قضايا أخرى خلافية في قوله تعالى : " وأختلفوا من  
 بعد ما جاءهم البين " من الآية 105 آل عمران (3) ، وتصدي للرد على القائلين  
 بالروية في قوله عز وجل : " فأخذتهم الصاعقة بظلمهم " من الآية 153 النمل  
 (4) وفي تفسيره أمثلة كثيرة (5) .

ولزيادة التوضيح لاحظ كيف يستدل بقوله تعالى : " حتى نور الله جمرة "   
 من الآية 55 البقرة على كفر من يدبت الروية فيقول : " والآية دليل على كفر (6)   
 مجيز الروية دنيا وأخرى ، وذلك لأن اجازتها ولو في القلب اجازة لتكليفه   
 وتكليفه ممنوع لأن فيه تشبيها وادراكه بالقلب تكليف لا يتصور بدونه ، فلا   
 يحس قولهم ، بلاكيف ، وتكليفه في القلب بلا تقدير أن يكيفه لغيره هو من   
 نفس المحذور " (7) .

(1) التيسير 6 / 426 ، 427 .

(2) ن . م . 1 / 442 .

(3) ن . م . 1 / 561 .

(4) ن . م . 1 / 848 .

(5) أنظر أمثلة أخرى في ن . م . 5 / 579 — 4 / 993 المجلد 2 — 1 / 372 .

(6) في اصطلاح الأباضية كفر بحجة على المسلم الفاسق .

(7) التيسير 1 / 68 . " إطلاقي "

ملاحظ. في الأمثلة أن المفسر لا يكتفي بتبيان وجهة نظر المذهب الأباضي بهذا يتصدى للرد على مخالفه ، وإذا وجد عالما أو مذهباً يوافق الأباضية في رأي ذكره مثلما فعل عند تعرضه لمسألة الشفاعة في قوله تعالى : " ولا تقبل منهما شفاعة ، ولا يوخذ منهما عدل ولا هم ينصرون " الآية 48 البقرة يقول المفسر في هذا الصدد : " . . . والآية دليل لنا وللمعتزلة على أن الشفاعة لأهل الكبائر لأن الآية ولو كانت في المشركين لكانت في وصف يوم من شأنه أنه لا شفاعة فيه بدفع العذاب عن مستحقه ، ولا مقام أو زمان من مقامات الموتف وأزمنتسه تم على ثبوتها للفساق ولا لشخص مصر " (1) .

و ينتمج نفس الأسلوب لاثبات رأي الأباضية في نفي المثفرة للموحد المصّر على المحصية في قوله تعالى : " لا يفتح نفساً إيمانها . . . أو كسبت في إيمانها خيراً " من الآية 158 الأعمام يقول المفسر : " وفي الآية دليل لنا وللمعتزلة على أن التوحيد المقرون بالمحصية المصّر عليهما لا يفتح . " إلى أن يقول : " وهو مذهب المحدثين من قومنا أيضاً " (2) .

ومن دعم رأي مذهبه بذكر عالم من مذهب آخر يوافق المذهب الأباضي في في مسألة قوله في صفات الله : " . . . قال ابن العربي الأندلسي المالكي ما بين من يقول صفاته غيره ومن يقول أن الله فقير (3) إلا تحمين العبارة " (4) . نجد المفسر يؤول كل آية يفهم منها التشبيه ، ويحملها على المعنى المجازي فمدل في قوله تعالى : " الله الذي رفح السموات بخير عمد ترونها " من الآية 02 الرعد يرد على قول مجاهد وعكرمة اللذين نفي الصفة وأدبتا الحممد التي : " لا ترى وهي جبل فان محيط بالديا <sup>لأن</sup> بعد المحيط من زمر أخضر اذ تبقى السموات أو يدعى أن أطرافهن كمن على جبل قاف ولا تدري أصح "

(1) ن . م . 59/1 .

(2) ن . م . 468/2 ، 469 .

(3) آل عمران / من الآية 131 .

(4) التيسير 404/3 .

أم لا والصواب أن الحمد فرض وهو كما هي القدرة ، والقدرة لا ترى وإنما بين  
أدريها فالحمد هي قدرة الله عز وجل وهي واحدة ذاتية وأما جمعها فتتمثل  
أو باعتبار تعدد متعلقاتها " (1) .

ومن هذا المدال نستنتج أن المفسر يذبح عن آراء مذهبه ولا يفرض ذلك ما  
دام يعتبرها هي الصحيحة ، والصواب ، وهذا ديدان كل مفسر وبل كل محتق  
لمذهب أو فكرة ، ومن هنا نحكم أن تفسيره هذا يمثل تمديلا صحيحا وجهة نظر  
المذهب الأباضي ، وخاصة في ما يسمى بالأصول أو مسائل الحقيفة ، ومما يلاحظ  
أقتصراره - أحيانا - على عرض رأي مذهبه دون الرد على مخالفه وعلى سبيل  
المدال في قوله تعالى : " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " من الآية 28 الأتبياء يسرد  
رأيه في الشفاعة وهو رأي الأباضية قائلا : " أي ارتضاه الله عز وجل أن يشفعوا  
له وهو من يقول لا اله إلا الله وأتبعه بالحصل الصالح ومات على خير كبيرة  
وشفاعتهم الاستشفار في الدنيا ويوم القيامة . . " (2) .

ولم يقتصر المفسر على تبين وجهة نظر مذهبه في المسائل العقائدية بل تناول  
- أيضا - بالبحث المسائل الشرعية الأخرى غير أنه كان في هذه المسائل أكثر  
تفتحا وتحسرا باعتبارها مسائل فرعية ، ولكن هذا لم يمنعه من تأييد آراء مذهبه  
وبيان حججه فلا حظا مثلا كيف ينتقد في البداية حجة المذهب في تحريم  
المس قبل الأطعام في الظهار " . . قال الله تعالى في المعتق والصوم من قبل  
أن يتماسا (3) ولم يقله في الأطعام فقل المراد فيه أيضا من قبل أن يتماسا  
حملا للمطلق على المقيد وذلك مذهبا ، وعندني أن الحصول على المقيد يكون إذا  
كان الأطلاق والتقييد في مسألة واحدة نحو أطعم أهلك براحتي يشبهوا  
أطعمهم برا صبا ، وقيل يجوز المس قبل الأطعام إذ لم يقيد " ثم يحسد لتأييد  
رأي مذهبه بقوله : " والأول قولنا وهو أحوط ونسب الثاني لماك " (4) .

(1) ن . م . 3 / 408 .

(2) ن . م . 4 / 209 المجلد 1 .

(3) المجادلة / 43 .

(4) التيسير 6 / 113 .

تلاحظ... أحيانا... تناقضا في بعض المعلومات، وإن كان ذلك قليلا، ونحو  
هذا الاختلاف في المعلومات إلى: أولاً عدم مراجعة المفسر لما يكتبه، ودا ثانياً إلى  
زيادته في الأطسلاع، ففي تفسير قوله تعالى: " قل قاتل فيه كبير " من الآية 217  
البقرة. يدلي المفسر برأي مذهبه في قاعدة شرع من قبلنا فيقول: "... والمذهب  
أن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا " ثم يحقّب عليه قائلا: " والذي عندي أن شرع لنا و  
وآتسه يقدم على الاجتهاد ما لم ينافه القرآن أو الحديث أو الاجماع بدليل راجح  
ولا خلاف في آتسه ليس شرعا لنا اذا صرح في ذلك بخلافه ولا يصح أن شيئا شرع  
لنم قبلنا إلا اذا ذكر عنهم في القرآن أو الحديث أو الاجماع أو رواه ثقة أسلم  
منهم كعبد الله بن سلام (1).

ويقول في موضع آخر بعد استعراضه لآراء حول نفس المسألة الواردة في كتاب الله  
السومات: "... وقيل لم تتعبد بشيء من شرائعهم إلا ما لا يفسخ كالتوحيد ومحاسن  
الأخلاق وإليه يتوجه قوله تعالى فبهذا هم آتته (2) وهذا القول يقول بعض  
أصحابنا " وبعد آتته من سرد ما جاء في كتاب السومات يضيف المفسر قائلا: " والبعض  
الأخر من أصحابنا شرائع من قبلنا شرع لنا إلا ما نسخ بالقرآن وغيره ومن التشرع  
بشرع من قبلنا قول صاحب الوضع (3) في الصوم فصل في صوم التطوع روي أن رجلا  
جاء إلى ابن عباس الخ (4) " (5)

تلاحظ مما تقدم أن النص الأول يروي عن الأباضية عدم عملهم بقاعدة شرع  
من قبلنا شرع لنا بينهما النص الثاني يذكر أن جماعة منهم تعمل بها، وإذا رجعتنا  
إلى كتاب الأباضية نجد صاحبها يعتبرها قاعدة يحمل بها الأباضية ويقول في ذلك  
" شرع من كان قبلنا شرع لنا اذا لم ينسخ وقصه الله تبارك وتعالى أو رسوله عليه

- 
- (1) ن.م. 298/1.
  - (2) الأتسام / من الآية 90.
  - (3) يحيى بن أبي الخير الجناوي (أبو زكريا) النفوس كتاب الوضع التصريف كتاب الوضع وموه آتته  
ابراهيم أطفيش، أبو اسحاق.
  - (4) يحيى بن أبي الخير الجناوي الوضع من ص 162 - 167.
  - (5) التيسير 341/2، 342.

السّلام علينا على جملة التّشريع" (1) وإذا قارنا هذا القول بقول المفسر في التّصريح الأوّل ، نلاحظ سقوط الأجماع من هذا التّصريف الأخير ورواية ثقاة من أسلم من أهل الكتاب.

ولمّا أُطلِمح في بداية الأمر على رأي المعارضين لمّ اكتشف جماعة أخرى من علماء الأباضية يؤيدون العمل بهذه القاعدة الشرعيّة ، وإن كان المفسر في المسائل الفرعيّة يبيّن اختلاف علماء مذهبه مثلما هو الشأن في تفسير قوله تعالى : " وإن يتفرقا " الآية 130 النساء يقول : " بالطلاق أو الفداء " وهو طلاق خلافا لجابر ابن زيد إذ عدّه فرقة غير طلاق " (2).

وفي قوله تعالى : " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا " من الآية 141 النساء يبيّن اختلاف جمهور علماء الأباضية مع أحد أهمّتهم في مال المؤمن من إذا استولى عليه الكافر فيقول : " ومذهب الجمهور من أصحابنا وغيرهم أنّ الكافر إذا استولى على مال المؤمن لم يملكه ، فإذا قدر عليه فهو للمؤمن ، وقال الربيع بن حبيب وبعض العلماء تجوز معاملة المشرك فيه وهبته وتملكه منه بالختم فيكون فيئا للمسلمين " (3).

ولا يتخرج في ردّ بعض النصوص الواردة في مصادر الأباضية مثلما فعل في تفسير قوله تعالى : " وأزواجه أمهتهن " الآية 106 الأحزاب ، فقد ردّ ما روي عن جابر بن زيد أنه كان يسأل عائشة رضي الله عنها عن جماع النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : " . . . ولا يصح ما يروي عن جابر بن زيد أنه خلا بعائشة رضي الله عنها أو لم يخل بها وأتته سألها حاشاها وحاشاه عن كل ما بدا له حتى سألها عن كيفية جماع النبي صلى الله عليه وسلم وكيف يجسر على ذلك وكيف ترضى له هذا السؤال ولم تنهره عنه وكيف تجيبه مع نهيه صلى الله عليه وسلم عن أن يصف الرجل أو المرأة ما فصل أحدهما مع الآخر في الجماع هو أن قيل سألتها عن جماعه هكذا لا بقيد أتته مصها فجساره أيضا حاشاه عنها . . . " (4).

(1) الأباضية ص 60 .

(2) التيسير 1 / 328 .

(3) ن . م . 1 / 338 .

(4) ن . م . 4 / 803 ، 804 المجلد 2 .

هذه الحادثة وردت في كتب الأباينية وغيرهم (1) وإذا تصفحنا الجامع الصحيح

للتربيع بن حبيب نجد فيه أحاديث رواها جابر بن زيد عن عائشة في مسائل الجامع والافتسار والحيض (2)، ومن هناك لا نستبعد حدوث هذه الواقعة، ثم إن حرص أعلام التابعين على معرفة كل شاردة وواردة من سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياته بأعتبار سنته مصدر التشريع، يجعلهم يسألون دون حرج أو خجل طلبا للمعرفة، وحفاظا على السنة النبوية، ولكن لسراة من جهة أخرى — يدافع عن آراء مذهبه سائقا أدلة قبل استعراض الرأي المخالف وأدلتها والرد عنه ونجد مثلا لذلك في تفسير قوله تعالى: "فليس عليكم جناح أن تنصروا من الصلوة" من الآية 101 النساء يقول في قصر صلاة السفر: ". . . والقصر واجب فمن صلى سفر تاما ولم يحدما قصرا ملك ولزمته المخلطة ورخص في المخلطة كما ذكره الشيخ موسى ابن عامر وكذلك قال بوجود القصر أبو حنيفة كما قلنا ولنا قول عائشة رضي الله عنها فرضت الصلاة ركعتين والمغرب ثلاثا وزاد الله في الحضر (3) على غير المغرب والفجر ركعتين فالتقصير عزيمة وأبقى المغرب لآته وثر النهار والفجر لآته يسن فيه طول القراءة ولنا أيضا قول عمر صلاة السفر ركعتان تصام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم، وليس في نفي الجساج ما ينافي الوجوب، لآته دسح لما يتوهم أن القصر ذنب على حد ما في قوله عز وجل، الا جناح عليه أن يطوف بهما (4) ثم ينتقل الى ذكر رأي الشافعي الذي يرى أن القصر رخصة لا عزيمة مع سوق أدلة ويتشرف — بعد ذلك — الى ردّها ونقدّها . (5).

- 
- 1 التربيع بن حبيب الجامع الصحيح 04/4 مجلد واحد، يحيى محمد بكوش فقه الأمام جابر ابن زيد 75، 76.
  - 2 الجامع الصحيح أنظر أمثلة في 1 / 29، 30.
  - 3 رواه بهذا المحدثي التربيع بن حبيب، النسائي وروى مثله أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس.
  - 4 البقرة / 158.
  - 5 التيسير 1 / 794، 795.

وإذا كنا قد لاحظنا بوضوح وقوف المفسر مع آراء مذهبه ومما يدل على ذلك  
 المثال السابق، وتكراره فيه لقوله، و (لنا)، لكنه لم يمنعه ذلك من مخالفته  
 أو ترجيح رأي يراه صواباً مخالفاً لأحد أئمتسه، ولتأكيد ما ذهبنا إليه نسوق هذا  
 المثال من تفسير قوله تعالى: "ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل" من  
 الآية 165 الطهارة يتعرض فيه لرأي الأباضية في حجة الله على عباده قائلًا: "والآية  
 دليل على أن حجة الله على عباده الكتب والرسل والعقل وهذا مذهبنا" ثم  
 يستعرض رأي المعتزلة والأشاعرة فيعود ثانية لتوضيح رأي الأباضية في القضية  
 قائلًا: "والمذهب أن عليه الحجية بمعنى الحق عنده، والحكمة أن تعذيبهم بلا  
 بيان لهم ظلم" ثم يعقب على هذا القول: "الآتي أقول حجة الله في توحيد  
 على خلقه أيضا العقل فأنه يدرك أفراد الله بالألوهية بعقله لدلائل المخلوقات  
 فإذا أدرك الأفراد دعاه ذلك إلى خدمة من أوجده وأنعم عليه فيذهب ولو  
 كان في جزيرة لم يلق أحداً إلى من يعلم كيفية الخدمة، فيوضح <sup>الله</sup> بهذا أن صاحب  
 الجزيرة غير محذور أن لم يكن على دين نبي من الأنبياء والرسل والكتب مبينة  
 ومفصلة لدلائل العقل" (2) وفي كتابه كشف الكرب يوضح هذه المسألة أكثر ويبين  
 الفرق بين رأيه ورأي مذهبه قائلًا: "... مع ما ضمت إليه من أنه إذا أدرك  
 التوحيد أداه إلى شكر المنعم فيخرج لينظر بما يشكره به لكن مذهبنا أن شكر  
 المنعم واجب بالشرع لا بالعقل" (3).

ومن هنا فلا حظاً لرأيه لا يختلف كثيراً عن رأي المعتزلة إلا من حيث بعض  
 التفاصيل، وأن كان المفسر ينتقد هم بشدة في هذه المسألة، وهذا ما سنراه في  
 في محثه الخاص به.

- 
- (1) يروي علي يحيى محمّد صاحب كتاب الأباضية أن "حجة الله تقوم على الخلق بالرسل  
 والكتب" . ص 60 .  
 (2) التيسير 863/1 .  
 (3) كشف الكسر 1 / 29 .



ويقول رداً على من يحتقد أنّ أصحاب الأُخدود مؤمنون في تفسير قوله تعالى :  
 " وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود " الآية 07 البروج : " بالاضمار واظهار  
 المؤمنين فإنّ الضمير لا يرجع الى المؤمنين بل للكفار الذين هم أصحاب الأُخدود  
 ودعوى أنّ الضمير عائد الى الكفار المعلومين من المقام ، وأنّ أصحاب الأُخدود هم  
 المؤمنون تكلف بارد " ثمّ ينتقد في هذه المسألة صاحب العقيدة (1) قائلاً : " وقول  
 صاحب العقيدة رحمه الله أنّ أصحاب الأُخدود من أهل الجنة (2) و أنّهم  
 المؤمنون والمقتولون بالنار أخذ من الآية لا تفسير لهما " (3).  
 ولا يفوت المفسر ذكر اختلاف علماء الأُباضية في بعض المسائل ، وقد يرجح  
 الرأي الذي يميل اليه أو يكتفي بحرض هذه الأختلافات من خلال هذا المثال  
 يتضح لنا ذلك ، في تفسير قوله تعالى : " أو الدّافل الذين لم يظلموا على عورت  
 النساء " من الآية 31 النور يقول في حكم المراهق : " وفي المراهق في المذهب  
 قولان : بعض يحكم عليه بحكم البالغ ، وبعض لا يحكم عليه به وهو الصحيح ،  
 وكذا قولان في الشافعية والسنن أحوط " (4).  
 ويميل المفسر الى الحكم الأحوط ، اتقاءً للشبهات من مميزات المفسر ، الذي في  
 معظم الأحيان - يختار الرأي الذي يحتاط في الحكم .  
 كما أنّه يبيّن الأختلافات في بعض المسائل بين علماء المشرق والمغرب وإذا  
 اختص أحدهما برأي في قضية ما ، نسيه اليه ، لاحظ ذلك في تفسير قوله تعالى :  
 " ومن خفت موازينه " من الآية 09 الأعراف يقول : " وقال قومنا وأهل عمان  
 من أصحابنا رحمهم الله الثقل والخفة بكثرة الحسنات وقتلتها وان تساوت  
 الحسنات والسيئات فمن أصحاب الأعراف . " (5).

- 
- 1) يجمل كاتبها في أنّ ناقلاً من اللّغة لبربرية الى التبرية هو أبو حفص عمرو بن جميع من القرن  
 الثامن الهجري ، وقام بشرحها كلّ من بدر الدين أبي الحباس أحمد بن سعيد الشماخي  
 ( . . . 928هـ ) وأبو سليمان داود بن ابراهيم اللّاتّي ( . . . 967هـ ) أنظر ترجمتهما في  
 مقدمة التوحيد و شروحهما ، مؤلف الترجمة ابراهيم أبو اسحاق أطفيش من ص 02 - 10 .
  - 2) ن . م . ص / 65 يذكر من بين أهل الولاية من الرجال المعصومين أصحاب الأُخدود .
  - 3) التيسير 548/6 .
  - 4) ن . م . ص / 395/4 المجلد 1 .
  - 5) ن . م . ص / 490/2 أنظر مثلاً الآخر في ن . م . ص / 741/1 ، ن . م . ص / 537/2 ورأي المخاربة  
 من علماء الأُباضية يرون أنّ ما تمّخص تادبا معيّنات و ان مات مصراً بطلت حسناته .

ومن الملاحظ - أيضا - أنه في كثير من الأحيان - عند استعراضه لآراء المداعين الفقهية المختلفة في مسألة من المسائل يبدأ بذكر رأي مذهبه ، ثم ينتقل الى استعراضه بقية الآراء ، وفي المثال التالي ما يحدث ذلك : في تفسير قوله تعالى : " واذا ضربتم في الأرض " من الآية 101 النساء يقول بيبنا حد السفر شرعا : " جاوزتم فرسخين مما اتخذتموه وطنا ولو في الحوزة لحديث الربيع رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم جاوز فرسخين من المدينة الى ذي الحليفة وقال أريد أن أعلمكم حد السفر (1) وقال مالك . . . الخ " (2) ولكن لا يعني هذا أن المفسر يلتزم بهذه القاعدة في جميع تفسيره فقد نجده - أحيانا - يوءجل ذكر رأي مذهبه الى النهاية أو يذكره بين يقيسة الآراء لا سيما اذا اتفق مع مذهب آخر ، لاحظ في هذا المثال ، آخر ما يذكر فيه رأي المذهب الأباضي بعد استعراضه للأصناف الذين لا جزية لهم : " والمذهب أخذها من الأعصبي " (3) .

وقد يذكر - كما أسلفنا - رأي مذهبه في مسألة ما مع بقية المذاهب الأخرى المتفقة معه أو يكتفي بدمجه في رأي الجمهور ، وهذا ما سنراه حين نعرضنا لموقفه من المذاهب الأخرى .

وقد تناول المفسر بالبحث أهم القضايا التي يتميز بها المذهب الأباضي لا سيما المقائدية ، والأمثلة السابقة كافية لتصور وجهة نظر المفسر منها ، وطريقة تناولها . ومن المسائل التي تعرض لها المفسر والتي يراها بعض الدارسين السبب المباشر لظهور المذهب الأباضي ، المسائل السياسية ، وعليه تركز مبادؤه في نظر هو لا ، ومن أهم هذه المسائل فكسرة الأمامة التي تبلور مفهومها بعد الفتنة الكبرى التي كان يشير اليها المفسر كلما وجد آية لها علاقة بالخلافة أو الأمامة محاولا تبيين رأي مذهبه في هذا الخلاف الذي انعكست آداره السلبية على وحدة المسلمين ، وأحداث في مجتمعهم تصدعا ، وفي المثال التالي يبين لنا المفسر وجهة نظر مذهبه من هذه

- 
- (1) ما جاء في كتاب الجامع الصحيح للربيع بن حبيب 09/4 مجلد واحد ، قال أنس بن مالك أن رسول الله (ص) صلى الظهر بالمدينة وصلى العصر بذي الحليفة ركعتين وبنهما في القيا س والتقدير خمسة أميال الى ستة أميال .  
 (2) التيسير 794/1 أنظر مثالا آخر في ن . م . 338/5 ، 339 .  
 (3) ن . م . 888 / 2 .

الأحداث التي تعتبر مفترق الطرق في تاريخ المسلمين وذلك في تفسير قوله تعالى :  
 " ولا تازعوا فتفشلوا و تذهب ربحكم " من الآية 46 الأفعال يستعمل حديثه باستعراض  
 الأحداث في عهد عثمان بن عفان وبنو أمية تمثل جذور خلاف المسلمين متحدًا  
 عن تصرفات الخليفة وحاشيته ثم يعقب على ذلك بقوله : " واجتماع هذه الأمور  
 ونحوها مسقطه لأن يقال فيه فصل ذلك لمصلحة شرعية اقتضاها الحال " ثم  
 ينتقل إلى عهد علي بن أبي طالب بمبرزا ندمه على قتل أهل النخوة (1) فيقول :  
 " وقد ندم علي بن أبي طالب على قتل من قتل وقال : " انهم أصحاب القرآن والتوراة  
 والأجيل ، آلائه لم يكمل ندمه " ويبين - كذلك - رأي أنصاره الذين  
 أشقوا عنه وقاطبهم فيقول : " وقد قالوا لا تنزع منك اسم الأمامة وقد  
 ثبتت لك ولو كره معاوية " ثم يدعم رأيهم بتأييد عمر بن عبد العزيز  
 لهم قائلا : " وقد ارتضاهم الأمام عمر بن عبد العزيز وأثبت الأمامة لعلي  
 " ويختتم كلامه بقول المسعودي : " ارتضى الأمر بأصحاب معاوية إلى أن جعلوا  
 لعن علي ستة ينشأ عليهما الصغير ويملك عليهما الكبير ويلعنونه على المنابر " (2).  
 وفي موضع آخر من تفسيره راجح يثبت رأي مؤيدي أمية علي ، وأستندارهم  
 للتحكيم على أساس : " أن الأمامة استحقها هو ولا يجوز لمعاوية منازعته فيها ،  
 ولا لعلي تركها " (3).

انطلاقاً من موقف الأباضية من هذه الحادثة يبين المفسر رأيهم في الأمامة  
 في تفسير قوله تعالى : " فمن نكث فإنا نكث على نفسه " الآية 10 الفتح ومن  
 استعراضه لجملة من آراء المذاهب نستخلص منها رأي الأباضية الذي يشتمل على  
 مبدئين ، الأول : " والآية تدل على وجوب الأمامة الكبرى ونصح الناس وكل  
 ماية أوجب الأمامة العدل (4) ، وإقامة الدين فهي موجبة بالأمامة فهي من  
 القرآن استنباطاً وكذا في الأحاديث " إلى أن يقول : " وكان صلى الله عليه  
 وسلم يأمر بالتباعد الأئمة ماداموا على الحق فوجبها بشرع " .

(1) أنظر الواقعة بشيخ من التفصيل في شذرات الذهب لابن العماد 1/50 ، 51 .

(2) التيسير 2/791 ، 792 .

(3) ن . م . 5 / 475 .

(4) الأمامة العدل .

أما المبدأ الثاني يتمثل في شروط الإمامة فيقول في ذلك: " ويجب أن يكون واحد (1) لئلا يختلفا فيكون الفساد، ولا يجب أن يكون الامام أفضل القوم" ثم يضيف قائلاً: " ويكون الامام من قرين إذا وجد وصلاح لا امامة (2) والأمن غيرهم ولا يجب أن يكون من بني هاشم " ومن شروطه حسب رأيه: " ولا يكون الامام بدوياً أو عبداً أو طفلاً أو جباناً أو أعشى أو أصم أو أبكم أو لا رأي له وان لم يجدوا إلا بدوياً تصبوه " وقد أشار من قبل الى أحد أسباب عزله في رأي الأباضية وهو: " وينزل بالفسق اذا أسسر عليه (3) وكعادته يقدم رأيه بحالم من مذهب آخر يتبنى نفس الفكرة فيقول: " وذكر ابن العربي أنه اذا كان الامام لا ينظر في أحوال الناس ولا يمشي فيهم بالعدل فقد أزال نفسه من الامامة في نفس الأمر دون الظاهر واختار أنه اذا فسق اعزل فيما فسق فيه لأنه لم يحكم فيه بما أنزل الله تعالى ". (4).

من خلال ما تقدم يتجلى لنا بوضوح انتماء المفسر الى المذهب الأباضي وتعبيره عن وجهة نظر هذه المدرسة الإسلامية معتزلاً بأئمتيه، ومؤيداً لآرائه السياسية والحقائدية والتشريعية، وان لاحظنا جراته، ونزاهته العلمية وتناول بعض المسائل ولا تدل على ذلك من مخالفته لبعض آراء مذهبهم في التشريع، ولا غرابة في ذلك لأنه أفتى بعدم جواز عمل المجتهد بخير رأيه إلا أن فارق الوقت عن الاجتهاد في مسألة، وأجاز ذلك بشرط ذكر السند والمصدر وان كان مخالفاً لرأيه (5).

فهذا هو موقفه من المذهب الأباضي، فما هو موقفه من المذاهب الإسلامية الأخرى؟

(1) واحداً .

(2) للإمامة .

(3) أصم .

(4) التيسير 414/5 ، 415 .

(5) كشف الكربة 84/1 .

موقفه من المذاهب الإسلامية :

إذا وقف امرءٌ تجاه مذهب أو حزبه أو رأيه موقف مدافع، لا تصح له، وإنما كان ذلك عن اقتناع، لأنه تشرب بمبادئه، وأصبح يعتقد صحته، اعتقاداً جازماً في هذه الحالة لا يمكن اتهامه بالتعصب والتشويق، لا سيما إذا كان مثقلاً على بقية الأراء، وهذا ما ينطبق على المفسر، إذ نجده، ورشم دفاعه عن مذهبه بأدلة وحبس، مثله مثل سائر المفسرين السلفيين، يتصرف في المذاهب الإسلامية الأخرى، ويدعو التي وعدة الأمة الإسلامية، وتجاوز الخلافات، ففي تفسير قوله تعالى: " ولا تنازوا فتشعلوا وتذهب بحكم " من الآية 46 قال يقول :

" . . . والنزاع لأن فحشا في أهل التوحيد، فلكم هم أهل الشرك، ولورجوا إلى مذهبنا في الأصول أو فحشوا من مسائل الخلاف كأن لم تكن وكانوا يدا واحدة لغتوا على أهل الشرك " (1) ، وإذا لاحظنا دعوته التي الرجوع إلى المسائل المذهب الإباضي الأصولية، لا اعتقاده بصحتها، لأنه يرى: " في كل مذهب راجح ومرجوح وأكثر مسائلنا في راجحات والحمد لله وكلها حق في الأصول " لكن نزاهته، وإذا علمه للحق جعله يرى أن: " إذا ترجح قول غيرنا فسمي مسألة من الفروع على قولنا بأدلة أو ذكرنا مسألة لا بأس بها ولم تذكر في المذهب جاز ذكرها " ويود على من يتعصب للمذهب وينكر عليه استنادته عن المذهب الأخرى والرجوع إلى مسائلنا إذا كانت صحيحة قائلًا: " ومن الصحيح أن تكون المسألة حقا فتترك لأنها جاءت من مخالف هذا فلو وأذكروا قوله تعالى: في غير أهل القبلة، " ولا يجرمنكم شأن قوم " (2) .

ويستذكر على من يرى مسائل الخير مريية قائلًا: " ومن أين لك أن تريب مسائلهم كلها؟ " التي أن يقول: " وقد علمت أن الخلع حرام " (3) .

(1) أم محمد بن يوسف أظفيس (التيشير) 791/2 .

(2) المائدة / 08 .

(3) كشف الك. سرب 90/1، 91 25 .

ويذهب المفسر إلى أبعد ذلك ، إذ يستحسن الدعوة إلى الرجوع إلى السنة لا استحباطها الأحكام ، وحرق كتب الفروع ، وورد ذلك في التفسيره للآية الأولى من سورة الحجرات حيث يقول : " وقد أمر عبد الله من بتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة كتب الحديث واستحباط الأحكام منها ، وكتب بذلك وهو في المغرب الأقصى التي جميع طبعة العلم من بلاد أندلس والحدوة قلت ذلك حسن ولولا آفته لا يقدر الطائفة كلهم على الاستحباط وليس يوجد في كل قطر طائفة يستعبط فقد يتعطل أمر الأمة بذلك ، وليس يوجد في كل موطن متمدن .. (3) استحسانه لهذه الدعوة دال على إيمانه بتقارب المسلمين ، والمذاهب ، وان دال هذا على شيء ، فأما يدل على تحضره من التصيب المذهبي التناقد في عصر الاحتياط وهذه الفكرة تعبر سابقا لا وأما في ذلك العصر .  
وإذا قلنا التحضر لا يعني ذلك — هذا المفسر للفكرة المذهبية ، وأما نقد منه تحضره للمذاهب الإسلامية المخطفة دون عقدة نقد ، فليجد .  
يسرد آراءها وكتابتها تقرأ كتابا في الفقه الخلافي ، حتى لا تكون مبالشين حين نقول في الفقه المقارن ، ومن غير الأضاف الحكم طيه بالتصيب إذا أخذنا بعين الاعتبار مصوره ، وأكداره التي أشرنا إليها سابقا (2) ، على الرغم من ظنهم بولدر المركبة للأمة التي لم تتبلور أفكارها على الأقل في المغرب العربي ، ومن خلال دراستنا لموقفه من المذاهب الإسلامية المتطرفة تتجلى رؤيته أكثر وضوحا .  
موقفه من الأشاعرة :

يبدو للدارس من آراءه وهلمة أن المفسر أولى اهتماما خاصا لآراء المذاهب الأربعة ، ومما لاحظته الأبحاث الأخرى ، وذلك بتعرضه لها في المسائل الخلافية وغيرها ، ويذكر فيها في ضوء رؤيته المأثفة الذكر من المذاهب ، ويؤيد كسب هذه الرؤية في حديثه عن الأئمة من كتب الحديث قائلا : " . . . ومختلفا فيها آرائه ، وان كان هو الحق أبقته وصحته ولا حرق مع من خلفنا في الأصول " (5) .

(1) التفسير 453/5 ، 459 .

(2) التفسير والمفسرون 823/2 .

(3) التفسير 860/4 المجلد 2 .

ومن هذا ينتقد هذه المدرسة في مسائل الأصول ، وأحيانا يكون انتقاده عنيفا يندم من ايمان المفسر بمسائل الأُصولية واعتقاده بصحتها ونظرته هذه داهية... أيضا — من ايمانه أن الحق في الأصول مع واحد وغيره مخطئ ، بينما الحق في الفروع مع واحد فقط ، وقد يخطئ الباقيون ولا اشم على المنطوق (2) ، وهو رأي المنحصر بالباطني في هذه القضية ، ولا عجب... اذن — اذا وجدناه ينتقد آراء غيره في الأصول ويخطئها ، ويدعو الى اعتقاد آراء مذهبه ، ولذلك نجد يستنكر الخلاف في الأصول قائلا : " في تفسير قوله تعالى : " ولا تكونوا كالذين هلكوا... الآية 105 آل عمران " وكالتاطين في هذه الاُصولية بما لا يجوز الخلاف في نفسه كروية البار ، وكون هبات غيره ، وادب الجوارح بلا كيف" ولكنه يجوز الخلاف في الفروع ويتجلى ذلك في قوله : " .. وأما الاُصول فمما يجوز فيه من الفروع للمجتهدين من الصحابة ومن بعدهم فلا بأس به بل هو رحمة" (2) ولكننا لا نجد تفسيرا لقوله : "وقومنا يفسدون مجتمعهم يرشح الأيدي وأخذ الأيمن على الشمال لأحاديث وزعمها أوائلهم أو غيرهم وهب آتاما صحت عنه صلى الله عليه وسلم لكن ذلك لداع مثل أن يقع سلاح من طائفة للشروهل صبح آتاه آدم صلى الله عليه وسلم ذلك كما يديه هو لا ، ولو أدامه لشرولم يخطف (3) فيه وكذا يفسدون سائر صلواتهم" (4) فاذا أجاز المفسر... كما رأينا سابقا... الأُصول في الفروع فلا يمكن الحكم على فساد الصلاة برفسح الأيدي والقبض اللهم إلا اذا تحقق عدم صحة الأحاديث الواردة في الموضوع فيقتل ذلك دراسة تسلط على هذه الأحاديث مقاييس التحقيق لمحرفة عن صحتها أو ضعفها ، وربما حكمه هذا صادر على استنكاره لذلك لا غير فلعل أقسى حكم أصدره في حلق مثالي المذهب الباطني كان في قوله تعالى : " والآية (5) دليل على كفره بيز الرواية دليها وأخرى ، وذلك لأن اجازتها ولو في القلب

- (1) كشف الكرب 1/34 .
- (2) التمهيد ص 561/1 ، 562 .
- (3) يكون الصحيح ، ولو أدامه لشرولم يخطف فيه .
- (4) ن . م . 6 / 215 .
- (5) البقرة / 56 .

إجازة لتكييفه ، وإكبيفه ممنوع لأن فيه تشبيه ، وإدراكه بالقلب تكيف ، لا يتدبر بدونه  
 فلا يصح قولهم بلا كيف وتكييفه في القلب بلا تقدير أن يكيفه لشعره مؤمن نفس  
 المحذور" (1) ويرى في موضع آخر رداً على من يفسر الآية الكريمة " ثم استوى على  
 العرش " الآية 5 يونس على ظاهرها " مع القول بلا كيف فإنه دخل في التلمذة  
 بعد وجود التهورا ويهني في تفيد هذا الاعتقاد ، وإدبات عدم امكانية ذلك (2)  
 وقد تعرض لهذه المسألة في سورة الأعراف بتفصيل أكثر ومما ورد فيها قوله  
 " ومن قسرا الاستواء بظاهره كفسر" (3) والمفسر في مناقشته لا أكد. إرمخالفية يستعرض  
 آراءهم وحججهم ثم يتصدى لثرد عنها ، وتفيد ما ، لاحظ ذلك مثلاً في تفسير قرنه  
 تعالى : " لقد رأى من آيات ربه الكبرى " الآية 18 التلخيص فبده يسرد أحاديث  
 رواها السيوطي عن الرواية ثم يناقشها محاولاً تفسيرها تفسيراً يفي الرواية ، أو يحتمل  
 وضعها ويهني رده بقوله : " . . . وحجج ادبات الرواية والتأويل اليها ، وحجج  
 خلق الفاعل فعله (4) وحجج المجبرة (5) واهمية متكلمات كما هو شأن العايز  
 شبهة يتعمد التعداد " ثم يذكر ما روي عن أحمد بن حنبل : " أنه سئل عن الرواية  
 قال : " راء ، راء ، راء حتى يقطع نفسه عداداً ومجزأاً وذلك أيلة الأسراء  
 أو قال يراء ، يراء ، يراء وذلك في الآية " (6) .  
 ويسوق في كثير من الحالات تفسيرهم وردودهم بخية تفيد ما : أناسر  
 في المثال التالي كيف يسأله هذه التحجج بقوله : " . . . ولقومنا هذا تخاليف  
 عودي إلى التشبيه يرد ما المبتدى المتفق بأنه لا يشبه شي ولا يشبه شيئاً  
 فيقتضون فيقتضون ويقولون بلا كيف كقولهم ناداه بكلامه القديم الذي لا صوت فيه  
 وقولهم بالتخلي له بما لا يحق ، سمح كلامه بصوت ، ومن وجه مناقشته للحوادث  
 سبحانه تعالى ويجب أن لا تحسب الحوادث بأذن ولا عين ولا يغيرها والآ ناقض  
 المخالفة " (7) .

(1) ن . م . 1 / 68 .  
 (2) ن . م . 3 / 05 ، 06 .  
 (3) ن . م . 2 / 545 ، 546 .  
 (4) مذهب المعتزلة والامامية أنار محمد . مواد مختبة مسائل الفلسفة الإسلامية 146 ، 147 ، 14 .  
 (5) قول جهم بن صفوان ( 113 م ) وأتباعه ويدعون الجبرية ،  
 (6) التيسير 5 / 572 ، 579 .  
 (7) ن . م . 4 / 623 المجلد 02 .



وفي بعض المواضع يتصر على سرد آرائهم دون التعليل عليها لاحظ ذلك في هذا المدرك الذي تهرس فيه لتسمية مرتكب الكبار ، فبعد استعراضه لرأي الأباضية في القضية يقول : " ، والأشاعة أجزاء الحفوع عن الكبار فغير الشرك بلا توبة ومما أنصار على الصغائر وهذا تفسيرا لما قبله أو يراد بما قبله ، الكبار وبهذا التفسير " (1) وذلك في معرض تفسير قوله تعالى : " ويحذرو عن التسميت " الآية 21 النور .

ومما تقدم نستنتج أن المفسر يقد آراء الأشاعرة المناهضة لمذهبهم في الأصول ، ويحكم عليها بالانحلال محاولا ردّها وإبطالها ، مع احتمال أن وضع الأباذيت المحتسدة أو تأويلها بما يتفق مع أساليبها ، وكان وده كما سبق ذكره عفيفا ، وشديدا أحيانا يذم على استكساره لهذه الآراء والتي يراها مخالفة للتعاليم ، وعلى اعتقاده الجازم بصحة آراء مذهبهم .

فإن رؤيته في الفروع تعطف كل الأختلاف ، فقد جعل من تأنيده في الله والتفسير كتمها ، إضافة لآراء الأباضية والمذاهب الأربعة ، وهل يتعداها أساليبنا إلى بقية المذاهب الإسلامية ، وقد وردت فيها أسماء أئمة المذاهب الأربعة وأعلامهم ومختلف آرائهم ، مع آراء المذهب الأباضي ، ولتين أسبقية نشأة المذهب الأباضي على المذاهب الأربعة يستعرض تاريخ ولادة أئمتهم في تفسير قوله تعالى : " كل حزب بما لديهم فرحون " الآية 53 النور ، وتقبل ذلك أشار إلى أن المسلمين كانوا : " لا يعرفون إلا انقران والتسمية والاجماع والاجتماع لمن تأهل له " ثم ينتقل إلى بيان نشأة المذاهب قائلا : " ثم كانت المذاهب والتقليد ، وأما ظهور بعضها في عصر القرن الثاني ، فإن عمر مالك عام واحد حين مات امامنا ، ابرين زيد اذ مات عام ستين وتسعين و مالك ولد عام ثمانين وتسعين ومات عام مائة وتسع وسبعون وعصر أبي حنيفة حين مات جابر مائة وعشرا ما لا تسه وند عام ثمانين من الهجرة ومات عام مائة وخمسين ، ولا وجود للشافعي وأحمد في زمان ابرين لأن الشافعي وند مائة وستين ومات سنة أربع ومائتين وأحمد سنة مائة وأربع وستين ومات عام مائتين وواحد وأربعين " ويسترسل . . . اذ ذلك في الحديث عن تاريخ انتشار بعض هذه المذاهب ، وما تلقى أئمتهم من الأخطام ، ثم ينتهي

حديثه بقوله: " فأين الأشواق على هؤلاء الأربعة " (1).  
 وإذا وجد اتفاقاً في مسألة بين الإباضية وأحد هذه المذاهب ، ذكرهما معاً  
 مثلما فعل في تفسير قوله تعالى: " ويحركهم من مذابحهم " الآية 31 الأحقاف  
 حيث يذكر اشواق الإباضية ومالك بن أنس في اعتقادهما أن لأدار للمكلف بعد  
 البحث إلا الجسة رانثار والجن يذاب أو يذب كالألسان ولا فرق بينهما (2).  
 كما يذكر من هذا الأشواق مع المعتقدات الأشعرية ووجد مثلاً لذلك في  
 تفسير قوله تعالى: " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " الآية 165 التوبة  
 إذ يقول: " والآية دليل على أن حجة الله على عباده الكتب والرسل والمقل ،  
 وهذا مذهبنا ومذهب الأشاعرة " (3).

ومن خلال دراسته للمذاهب الأربعة وأطلاعها الواسع عليها ، يستنتج  
 أن: " أبي حنيفة وهو عالم كثر النواق بينه وبيننا مشيراً بالإباضية الوهيبية  
 في المسائل " (4) وتلج هذا التقارب بين المذاهب ناتج عن تشابه العوامل  
 المحيطة بهما في بيئة حضرية ، وفي خضم الثورات عقائدية ، وجدال في علم  
 الكلام ، والنام ل الطائي التاشي من الأول وهو آتياهما إلى مدرسة أندرية ،  
 ونراه في هذا المثال كيف يبرمج بين المذهب الإباضي والمذاهب الأربعة  
 في مسألة السمي في الحج مستعرضاً آراءها وأدلتها مبرحاً رأي الإباضية وأبي  
 حنيفة وذلك في تفسير قوله تعالى: " فمن حج البيت أو أتمره " الآية 252 البقرة  
 يقول المفسر: " . . . ولا حجة فيه لمن قال بأنه غير واجب لأحد بيت الوجوب  
 وهذا مذهبنا ومذهب أبي حنيفة وإن لم يسح لزمته شاة وقيل بدنة ، وقال  
 مالك والشافعي يبطل الحج بتركه للمديك وقال أحمد ، أنه غير واجبة ويده  
 الحديث " ويعني في استعراض أدلتهم إلى أن يقول: " ولنا الحديث دليل للوجوب  
 ولا دليل للشافعي ومالك على أنه ركن يبطل الحج بتركه " (5).

- (1) ن . م . 848/4 المجلد 1 .
- (2) ن . م . 858/5 أثارنا لا آخر يذكر فيه اتفاق الإباضية مع الشافعي في ن . م . /  
 888/1 و 888/2 توفي ن . م . 842/6 - 255 ، وفي دم . 262/1 أيضاً يشير  
 إلى اتفاق الإباضية مع أبي حنيفة .
- (3) ن . م . 868/1 .
- (4) ن . م . 826/1 .
- (5) ن . م . 199/1 .

وبمذهبة الطريقة يتعرض المفسر في المسائل الفقهية خصوصا لآراء علماء الأباذية والمذاهب الأربعة ، تارة يجمع بين الأباذية وأحد هذه المذاهب أو أكثر وتارة أخرى يكفي بذكر رأي مذهب واحد إذا انفرد برأي في مسألة خالف فيها غيره وقد يجمع بين رأي بعض الأباذية وغيرهم مثلما فعل في هذا المثال الذي تحدث فيه عن منة قضاء رمضان : " وذكر بعض أصحابنا وشيوخه وبعض قومنا (1) أنه إن بدأ من أول الشهر أتته زاد على رمضان أو نقص " (2) .

بينما نجد في هذا المثال يذكر الشافعي الذي انفرد برأي في انقضاء قافلة . . . عمم الشافعي القتل بمثل ما قتل به محتجا بالآية كقتل بمحدد وحق وحرق وتجويح وتضيق حتى لو أفرقه في عذاب لم يخرقه في ملح . " (3) . وذلك في تفسير قوله تعالى : " فأعدوا عليه بمثل ما أعدى عليكم " الآية 194 البقرة . ويسلك نفس الطريقة مع بقية أئمة المذاهب الأخرى أو علماءها ، كما تناول بالبحث الخلافات المعروفة عن أئمة هذه المذاهب في بعض المسائل ، أو أنني تكون بين علماء المذهب الواحد على قرار ما رأينا في مجالته للمذهب الأباذي . فلا حظ ذلك في المثاليين التالين .

في تفسير قوله تعالى : " فما استيسر من الهدي ، فمن لم يجد . . . في الحج " الآية 196 البقرة يستعرض آراء المذاهب في وقت ذبح الهدي قائلا : " . . . وقال الحنفية إذا جاء يوم التحريم يجزأ الأذبح ، ومذهبا ترى يذبح تأخير ذبح هدي المتعمد إلى يوم التحريم والمشهور عند أبي حنيفة أنه بين الأضالان من الحمرة والأضرام بالحج وأجازته بعد الإحرام به ، وقال الشافعي يذبح بعد الإحرام بالحج ، وعن أبي حنيفة أنه يذبح يوم التحريم فقط ويذبح في الحرم فقط . " (4)

(1) يالقر هذا الاسم على المذاهب الأربعة :

- (2) ن . م . 252/1 .
- (3) ن . م . 253/1 .
- (4) ن . م . 267/1 .

وفي نفس الآية " وسبعة اذا رجعتهم " يسرد الآراء المختلفة في وقت صياح هذه الأيام  
 قالوا : " ومذهب أبي حنيفة في مكة وقال الشافعي اذا وصاتكم أهلكم وله قول  
 كقولنا وقول أبي حنيفة ومن ابن عباس اذا بلختكم أعماركم وحكمناوي  
 الإقامة بمكة حكم وأصل أهلها . . . وقال مالك يجوز صيامنا في أيام التشريق "  
 ويرد على القول الأخير " ويزعم أن فيه حديثا . " (1)  
 نستخلص مما تقدم أن للمفسر رأيا أصليا واسما على مسائل الأشاعرة الحقايقية  
 والأحكام الفقهية في المذاهب الأربعة ، يتجلى ذلك بوضوح في تفسيره ، وبطل في  
 مسائل كتبه الفقهية ، وقد كان يفتد مسائلهم الأصلية في الأصول جملة ، بينما  
 يعتبرها في الفروع آراء لها قيمتها ، يستعرضها مع آراء الأباغية ، وكأني به  
 يريد التقريب بينهما ، ولا يفتل عن الاستشهاد بأدلتها الثقلية والحقيقية ، ورد  
 ما يراه يستدعي الرد ، وكان - أحيانا - عنيفا لا سيما في المسائل الأصولية ،  
 ومن هنا كان تفسيره شاملا لآراء هذه المدارس الإسلامية الفقهية واتجاهاتها ،  
 محاولا إبراز المدرسة الأباغية كمدرسة لها كلمتها في التفسير والفقه ، ولا تختلف  
 عن غيرها .

موقفه من الشيعة :

بأن موقفه من الشيعة يختلف تماما للاختلاف عن موقفه من الأشاعرة وهذا  
 الاختلاف يتجلى في الرد عليهم ، إلى درجة تكذيبهم في بعض المسائل لا سيما في  
 قضية الخلافة ، وما ونحوها من الأساطير في هذا الموضوع ، وأنتقادهم لآرائهم  
 في بعض مسائل أخرى .

وفي قضية الخلافة يرد دعواهم في أن عليا أسبق بالخلافة بعد رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم فيقول في تفسير قوله تعالى : " كما أشرك الذين الذين الخ . . . "  
 الآية 55 / النور : " والآية حكيمة على صفة خلافة الأئمة الثلاثة والرابع علي  
 وهو نفسه متربا من الأئمة الثلاثة قبله ومن ذلك أنه أشركه عمر في قتال فارس بنفسه  
 الخ . . . " (2)

(1) ن . م . 268 / 1 .

(2) ن . م . 428 / 4 المجلد 1 .

وفي موضع آخر يرد زعم الشيعة المنحرفة المعتقد أن علياً أحق بالرسالة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى الشريق الذي يدعي الرأي السابق في الخلافة تافلاً: "... وزعمت بعض الشيعة أنه هذا المرعى على الأمر وأن علياً هو الإمام بهذه الآية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رسول الله وأن علياً هو الرسول ، وأنه هو المراد بلفظ الرسول في الآية وأن المراد أيضاً وتكلم الله ومن أتى بالرسالة والايمان واقامة الصلاة الخ... وبعض الشيعة أنه الإمام بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبو بكر ولا غيره وأنه المراد بقوله الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راحسون " ثم يسوق أدلتهم ويقصد (1) وذلك في معرض تفسير قوله تعالى: " أيضاً وتكلم الله ورسوله والذين الخ " الآية / 85 / المادة .

وأستتكره لنوعهم في الصحابة دفعة إلى اعتبارهم ممن فرقوا بينهم مثل أصحاب الديانات السابقة ويتلوا ذلك من تفسير قوله تعالى: " أن الذين ذرّفوا دينهم " 159 / الأقسام ويقولون ضاربا أمثلة: "... وأن علياً أولى بالأمامة ، وأن الإمامة في أولاده الأئمة الحسين بن علي بن الحسين بن علي لا أنه لم ييختر أباً بكر وعمر ، وكذبت الشيعة قائمه لم ييخترهما أحد تبليسه أيضاً من أولاد علي " (2) .

ويدعي آل الخوآدي بحكم التي تقديس آل البيت ، ووضح أحاديث في شأنهم واعتبارهم أن بعض الآيات نزلت في مدحهم ومن ذلك ما نقرأه في تفسير قوله تعالى: " الذين اصطفيتموا من عبادنا " 88 / فاطر .

وزعمت الشيعة أنهم من آل البيت والصحيح أنهم الأمة أو عناصرها ، فيدخل متقدرو آل البيت أولاً. " (3) .

ومن الأمثلة في شرح أحاديث الأئمة شهادة علي وآل البيت قوله في تفسير الآية 81 / طه: " أنك كنت بعدا بصيبراً " .

(1) ن . م . 2 / 128 ، 128 .

(2) ن . م . 3 / 472 ، 473 .

(3) ن . م . 4 / 978 المجلد 2 .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق تبيها اشرق تبيها اللهم اتي أسالك  
 مما سألك أخي موسى أن تشرح لي صدري وأن تيسر لي أمري وتحل عقدة من  
 لساني يفتسه قولي وآب من لي وزيراً من أهلي علياً أخي أهدد به أهدى وأشركه  
 في أمري كي يسبحك كثيراً وتذكرك كثيراً أنك كنت بنا بصيراً وموحدك روتته أسما  
 بنت ميمبر، فيما ذكره ابن مردويه والخطيب وابن عساكر وأطلقه موهوماً وشبهه الشيعة  
 ليستدلوا به على أن علياً أولى بالأمامة من الصادق وعمر وعثمان ويؤمنون إلى ما  
 يرووا من قوله صلى الله عليه وسلم له أنت ممي بمنزلة هرون من موسى وانصراد بعل  
 عقده عليه الصلاة والسلام دوام فصاحته والأفلا رتته له إلا ان أراد رتته وئده  
 الحسن كما مر" (2).

ويبلغ به الشك في مثل هذه الأبيات التي رواها الشيعة إلى حد تحذير  
 التاريخ منها في قوله: " . . . وإذا جاءك حديث في أهل البيت وفي سنده شيعي  
 فخذ حذرك فاتهم يكذبون " (2).

ومن القضايا التي تعرض لها المفسر، منتقداً فيها الشيعة، ولا سيما  
 الأمامية قضايا في التفسير منها مثلاً الميراث، لا حظسبه في هذا الشأن كيف يؤد  
 بعضه على ما مامية في تفسير قوله تعالى: " وللتساء نصاب مما ترك . . . أو أكثر"  
 الآية 57 النساء. . . وتبين الله الامامية ان خصوا الابن الكبير بالثمن  
 والله والآنك والسيف والمصحف والذاتم والثوب البدني من تركه الميت بلا مؤش عند  
 أكثرهم وهو مخالف لتكلام الله تعالى كعدم توريث النساء من التفسير" (3)  
 ومما ينسب إلى الامامية قولهم: "بواز انو تيسة للمشرك إن كان أباً  
 أو أمّاً أو ولداً (4)، ويقول عن الشيعة في مسألة أمهات المؤمنين: " . . . وزعم الشيعة  
 أنهم صلى الله عليه وسلم أم ر علياً أن يكلف من شاء ممن بعد موته وأنه  
 طلق عائشة يوم البعل، وذلك كذب عنه صلى الله عليه وسلم ومن علي" (5) وذلك  
 في معرض تفسير قوله تعالى: " وأزوجه أمهاتكم " 06/الأحزاب.

(1) ن.م. 108/4، 109، لحل الصحيح، بيرويه،  
 (2) ن.م. 187/5،  
 (3) ن.م. 681/1،  
 (4) ن.م. 305/4 المجلد 2،  
 (5) ن.م. 306/4 المجلد 2.

وكان في مسائل أخرى يسرد آراءهم مع بقية المدارس الفقهية الأخرى ومن ذلك قال :  
 " وأجازت الإمامية من الشيعة شهادة العبد المسلم البالغ العدل " الى أن يقول بعد  
 ذكر بعض العلماء الذين يتفقون معهم " وهو مردود " (1).

ومن هذه الأمثلة يتضح لنا موقف المفسر الواضح من هذه المدرسة الذي يدل  
 على رفضه لأفكارها التي يراها مخالفة لاجتماع المسلمين ، ولا سيما في مسألة الخلافة  
 التي كانت مصدر افتراق المسلمين الى شيخ ومذاهب .  
 وأما في القضايا الأخرى التي لا يظهر تناقضها الصريح مع مدلول الآية ويشتم  
 منها راحة تأييد اتجاهاتهم وأفكارهم مثل بعض الأحاديث أو تأويل بعض الآيات  
 فمثل هذه القضايا يذكرها على أساس أنها قضايا آجتماعية تمثل وجهة نظر تلك المدرسة .  
موقفه من المعتزلة :

لحل حكم صاحب كتاب " التفسير والمفسرون " على تأثر المفسر بآراء المعتزلة  
 ومجاراتهم في بعض عقائدهم (2) يعود الى عدم اطلاعه الواسع على عقائد الإباضية  
 التي تتفق مع هذه المدرسة في بعض المسائل (3) كما تختلف معها في مسائل أخرى ،  
 وهذا الحكم ينطبق على جميع المدارس الإسلامية التي تكون مجموعة المذاهب المعتدلة  
 والمنفصلة على التوازي والمبادئ الأساسية ، فموقف المفسر من هذه المدرسة تابع  
 من هذا الاختلاف والاتفاق ، فعندما يتعرض لمسائل الخلافة ينتقد بشدة هذه  
 المدرسة ، ويرد بعض آرائها ويظهر ذلك في الأمثلة التالية : -

1) خلق الأفعال أو حرية الإنسان :

يحالج هذه المسألة في تفسير قوله تعالى : " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض  
 كلهم جميعا " الآية 99 / يونس ، مبتدأ شرح الآية بتبيان وجهة نظر جمهور العلماء  
 ثم تعرض لرأي القدرية والمعتزلة قائلا : " . . . قول القدرية أن المراد مشيئة الاجاء  
 وهم المعتزلة (4) اذ زعموا " أن أفعال العباد مخلوقة لهم لا لله ، وأنهم القادرون  
 عليها " وبعد استشهاده بحديث القدرية مجوس الأئمة ، وأخبار طمأنينة ما وراء النهر  
 هذه الفرقة شررا من المجوس يضيف قائلا : " لأن كل فاعل عندهم خالق

(1) ن . م . 1 / 421 .

(2) التفسير والمفسرون 3 / 336 .

(3) آراء الخوارج الكلامية 1 / 193 ، 184 .

(4) يعزوا أحمد أمين تسمية المعتزلة القدرية وأعتبارهم فرقة واحدة لا تتأقلم على هذه  
 المسألة وهذا ما جعل المفسر يطلق على المعتزلة القدرية فجر الإسلام / 207 .

لفعله حتى الدواب " (1).

وفي معرض تفسير قوله تعالى: "... فتبرك الله أحسن الخلقين " 14 / 1 :  
المؤمنون يقول رداً على المعتزلة: "... زعم المعتزلة أنهم خلقوا أفعالهم ومعنى  
حسن خلقه لأشياء انتفاه أو انتفاء القبح في فعله وهو تعالى يخلق القبيح والحسن  
لا كما قالت المعتزلة أنه لا يخلق المعاصي (2).

(2) التحسين والتقيح العقلان : (3)

يؤء من الفكر الاعتزالي بأهمية العقل في ادراك الحسن والقبيح ، ولو بدون  
أن يسترشد بشريعة الهية تضع له الضوابط ، وتبين له الخير والشر ، والمفسر ينتقد  
هذه المدرسة في نظار يتهم هذه في عدة مواضع من تفسيره ملما قوله : "... ولا  
نقول بالتقيح والتحسين العقلين كما قالت المعتزلة أن العقل يدرك الامور الشرعية  
كلما بالكتاب ولا رسول ، أما الكتب والرسل للتشبيه ، وأن معنى الآية لم يبق على  
الله حجة وان لم يرسل الرسل والكتب ، فقد نصت الاشعرية على أنه لا حجة  
عليه أيضا لأن له أن يفصل في خلقه ما شاء والمعتزلة بهذا أولى لأن العقل  
عند همم وحده حجة " وذلك في معرض تفسير قوله تعالى : " لئلا يكون على  
الله حجة " الآية 165 / النساء (4).

وقد ندد المفسر باعتقاد هم في هذه المسألة في بعض المواضع وشبههم  
بتصرفات ابلين من ذلك قوله في تفسير الآية 12 / الأعراف " قال ما معنك ألا تسجد  
إذ أمرتك " ، يقول المفسر : " وفي جوابه إشارة الى أن من شأنه الخلق من النار  
لا يحسن السجود لمن ليس منما فكيف يومر والمعتزلة اخوانه في التحسين والتقيح  
العقلين (5) في التكليف " (6).

1 التيسير 114/3

(2) ن . م . 333/4

(3) نقل عمار طالبي في كتابه آراء الخوارج 156/1 - 159 عن أصحاب المقالات اعتبار

الخوارج بما فيهم الاباضية من القائلين بالتحسين والتقيح العقلين ، ويؤء كد

هذا الرأي عند حديثه عن الخوارج والمعتزلة ن . م . 134 .

(4) ن . م . 363 / 1

(5) العقلين .

(6) ن . م . 496 / 2



ومما نسب المفسر الى الفكر الاعتزالي انكاره للحساب وورد ذلك في تفسير قوله تعالى : " يحاسبكم به الله " البقرة / 284 حيث يقول : " وأنكرت المعتزلة والروافض (1) الحساب ويردّه عليهم القرآن والسنة وتأويلهم تكلف " (2).

وأورد صاحب تفسير (روح البيان) نفس الفكرة عن المعتزلة والروافض في تفسير نفس الآية قائلا : " أي يجازيك يوم القيامة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض. " (3)

إن المتأمل في هذا الحكم على المعتزلة الذين يؤمنون بالوعد والوعيد وبينون عليهما بعض مبادئهم ، ويقولون بخلود الفاسق في النار و يعتقدون بمبدأ العدل يرتاب منه ، ويدعوه الى التحقيق في ذلك ، ولحل اعتماد هؤلاء العقل دعاهم الى انكار محاسبة ما توسوس به النفوس أو يحزم عليه الانسان من المعاصي فهذا مجرد احتمال ، لكن ما لا يتقبله المنطق هو انكارهم للحساب جملة ، ولحل هذا الحكم ناتج عن سوء فهم بعض النصوص وتفسيرها بخير حقيقتها .

وهذه الظاهرة آدت في كثير من الأحيان الى اتهام فرقة من الفرق بمسألة ربما تعتقد نقيضها ، ولا عجب في ذلك سيما اذا صدر هذا التصرف من علماء عصر كثر فيه الجدل ، وما دام يصدر من باحثين محاضرين وفي رسائل جامعية ، مثل ما ورد في كتاب (آراء الخوارج الكلامية) الذي اعترف بتمسك الأباضية بالسنة والاجماع الى درجة تكفير من ينكر أحدهما ولكن في موضع آخر من الكتاب يشاهد القائلين بانكار الخوارج للسنة ويسوق لذلك دليلا من أحد كتب مفسرنا قائلا : " ولكن ينبغي أن نعترف بصواب بعض ما أشار اليه البخدادي الذي زعم أن الخوارج أنكرت جميع السنن لأنها تكفر مخالفيها من الرواة ، وذلك لأن الأباضية التي وصلتنا بعض مؤلفاتها تقدر عدم الأخذ بقول المخالف لهم ، ولا يحسن عندهم النقل وأن كان ثقة عالما .

(1) الروافض والرافضة فرقة من الشيعة رفضوا خلافة الخليفين أبي بكر وعمر ، وجعلوا الامامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي .

(2) التيسير 1 / 480 .

(3) اسماعيل حقي البروسوي (روح البيان) 444/3 المجلد 1 .

التحسم إلا إذا كان ما ينقله حقا" (1)

اعتمد في نقله للرأيين على كتاب (شامل الأصل والفرع) للمفسر، وإذا أمعنا النظر فيهما نلاحظ تناقضا بينهما، فمن جهة يعترف بتمسك الأبخارية بالنسبة والأبصار ومن جهة أخرى يستدل بما يؤيد رأي القائلين بأنكار النسبة، وإذا جهد الباحث نفسه قليلا وتصفح المصدر الذي استقى منه معلوماته، وأمعن النظر أكثر في النص اندثاتي، لتوصل إلى نتيجتين:

1- يريد من قوله الثاني التشديد في قبول الروايات من المنافقين، وتحري الصحة، وهذا ما يدعو إليه كل المحدثين الذين ينشدون تنقية السنة من الشوائب والوضوح.

2- يجد في مصدره نفسه أحاديث كثيرة استشهد بها في مواضع من تلمذة، استعد مادتها من كتب الصحاح، وباعترافه أنه استناد من هذه الكتب لوضع كتابه في الحديث (جامع الشمل) و(وفاء الوصاية) وقد أشرنا إلى ذلك في هذه الدراسة.

ولذا فمن الأضغاف وتحري الموضوعية العلمية وإشاد الحقيقة أن لا نسلم بالتمسك الموصيعة إلى الخصم في ظروف سادت فيه العداوة والبهتاء بين الفرق الإسلامية الأبعد التحقيق في صحتها، والعودة في ذلك إلى مصادرهما وهذا ما دعا إبراهيم أبو اسحاق إلى القول: "... ولا ألتزم أن المعتزلة مع ما بلغوا إليه من الدنوم مرتجعوا في الفلسفة حتى قيل لهم حكماء الإسلام يقولون بخلق الأفعال على معنى الإيجاد والأبداع" إلى أن يقول: "ثم أن الصروب المذهبية تدفع أنخلا إلى الافتراء على الأخصام تشويها للسمعة وكيدا في مبالغة في النكابة وما يدرينا أن ما نراه منسوباً إلى كثير من الفرق الإسلامية من قبيل الدامية الفاجرة المبرمة مادتها لم نقل على خصوصها في كتبهم وأعمالهم فكيفما الخصم منهم وازداد يقيني في هذا بما أراه لهؤلاء القوم من الأبا طيل التي يمزونها لأصحابنا وخصم الله" (2).

(1) آراء الفوارج الكلاسيكية 161/1 - 163.

(2) مجلة المصباح العدد 8، 4، ص 31، 30.

وما يقع في عصر البحث العلمي من افتراءات على الخصم لا سيما في المجال  
المتقاضي والفكرتي يجهلنا نشاط هذه الفكرة ، وتدعو إلى التأكيد من الأخصار  
التي تلبس الأسماع ، فقد يكون هذا الافتراء عن نية سيئة مبيتة أو سوء فهم النص ،  
وله دم تشويه في نطاق الظروف المعقدة بالتأمل ، ولكن هذه الأسباب توثق من  
انكار المعتزلة للعصا ب .

ويواصل المفسر تشييد بعض اعتقادات المعتزلة وآرائهم من جملة هذه  
الاعتقادات التلهية عن إيمانهم بمبدأ العدل ، وقولهم بالواجب على الله في قبول  
التوبة من التائب ويركأ عليهم المفسر قائلاً : " . . . وان تائب في بحر المعاصي وأصر  
على بحر صمت توبته عن ذلك التبعي فلا يعاقب في الآخرة الأعلى ما أصر عليه وأكثر  
المعتزلة على الله غير مسيئة ، وقبول التوبة غير واجب على الله عز وجل ولا واجب  
على الله عز وجل إلا في المعتزلة " (1) .

ومن هنا نستنتج الخلاف بينهم وبين الأباذية في مسألة الوعد والوعيد . . . . .  
والمتمثل في الوجوب على الله تحقيقهما في نذر المدرسة الأولى ، وفي نذر المدرسة  
الثانية الوجوب على الله وانكته صادق في وعده ووعيده ، بينما يقول الأشاعرة :  
" لا يجب على الله شيء " وله أن يعاقب العاصي ويذهب العاصي . " (2)

وعلا بمبدأ الوجوب على الله يرى المفسر أن المعتزلة والامامية (3) من الشيعة  
تقولان بوجوب نصب الامامة على الله تعالى (4) ولكن صاحب كتاب (مناجم الفلاسفة الإسلامية)  
يأرق بين رأي المعتزلة والامامية بقوله أن المدرسة الأولى ترى بوجوب نصب الامام  
على المسلمين بحكمهم العقل والثانية ترى أن وجوب نصبه على الله بحكم العقل ، (5)

(1) التيسير 212/5 .

(2) معالم الفلسفة الإسلامية ص 223 علي يحي مفسر . الأباذية ص 57 .

(3) الامامية .

(4) ن . م . 424/5 .

(5) معالم الفلسفة ص 138 ، 139 .

وعند استعراضه لرأي النوارح في تبيهم نوجب نصب الأمام يوم بيد المفسر ما ذهب اليه المعتزلة قالوا: "والأصح من المعتزلة" ويستطرد قالوا: "والحق وجوب نصب الأمام إذا أمكن" ثم ينتقل إلى تبيان أسباب ذلك ولخصها في القاعدة الفقهيّة الناظمة: "وما لا يتسم الواجب الآبه فهو واجب" (1)

ويرى المفسران المعتزلة آعتدوا هذا المبدأ في تفسيرهم نلايات وتأويلها من ذلك مثلاً قوله في تفسير قوله تعالى: "قال هذا مراد علي" 41/الحجر.

"... وأبقى المعتزلة (علي) على ظاهرهما من الوجوب لا تهم أرجوا على الله الأصلح" وقيل هذه الآية أي في تفسير قوله تعالى: "لا أزيلهم من الأرض" اني المخلصين " 39، 40/الحجر.

يستعرض آراءهم المناطقة في هذه المسألة انطلاقاً من تأويلهم للاجواب وتفسيرها بالنفي آعتقاداً منهم بأنه لا يجوز أن يحدث الله شيئاً، ثم يشرّح ذلك بالترّد عليه م (2).

وقد بلغ في رده - أحياناً - درجة الحف والشدّة، إلى أن جعلهم اغواناً للشيطان في تفسير قوله تعالى: "قال أنا خير منه" 12/الأعراف، لاحظ ذلك في قوله: "... فكيف يومرو والمعتزلة الخوايم في التمسين والتفويض المتأيين في التكليف" (3).

غير أنه يجاريهم في بعض المسائل دون التمريح بذلك، لقد سبق أن أشرنا في مسألة حجة الله على عباده معقبا على رأي الأباضية: "الآتي أقول حجة الله في توعيده على خلقه... أيضا - الحق فآته يدرك انفراد الله بالألوهية بعقله لدلائل المخلوقات، فاذا أرك الأفراد دعاه ذلك إلى خدمة من أوجهه وأنصم عليه، فيذهب ولو كان في جزيرة لم يلق أحدا انى من يحلّمه كيفية الخدمة فيصبح بهذا أن صاحب ذلك جزيرة غير معذور وان لم يكن (4) على نبي من الأنبياء وانرسل والكتب ميّدة ومفصلة لدلائل العقل" (5).

أدرك

- (1) التيسير 414/5.
- (2) ن م . 524، 525/3.
- (3) ن م . 496/2 الحقلين .
- (4) لصل الصحيح: "غير معذور ان لم يكن" بحذف الواو.
- (5) ن م . 368 /1.

وإذا تأخذا النص وأمعنا التدبر فيه لا نجد فرقا كبيرا بين ما ذهب إليه  
 المعتزلة في أن العقل هو الحجة ، وبين قدرة العقل في نذر المنفرد - طسسى  
 ادراك خالقهم ونبحت عن طرق خدمته ، ففي الحالتين العقل هو الحجة .  
 هذا هو موقف المفسر من مسائل الخلاف ، أما موقفه من المسائل المتفتحة  
 عليها بين المدرستين والمنطقة فيما من بتيمة اندمار من انقضية الأسمية يذكر  
 توافقهما بأعتزاز مبيد قوة الإلتصاف ، وخطبتهما ، ومن هذه المسائل  
 مركب الكبيرة ، الولود في النار ، وفي يوم ينة البارئ في الآخرة ، تأويل ما يفيد  
 التشبيه ، الشفاعة الخ . . .

ولحسن اتفاق المدرستين في كثير من المسائل العقائدية يسهل السج  
 اتفاهما إلى اتجاه الدراية ، وعدم تصك المدرسة الأباضية بحرفية النص  
 وظاهرة بالأضافة إلى الظروف والمحيط التي نشأ فيها ، ومهما يكن من أمر  
 فإن التشابه الملحوظ بين المدرستين جعل بعض الدارسين يظنون بينهما ، ودعا  
 كما أسلفنا - طاحب كتاب (التفسير والمفسرون) إلى اتهام المفسر بمجاعة أفكار  
 المدرسة الأمتالية وتأييدها ، فإن كنا قد لاحظنا ميله إلى بعض هذه الأفكار  
 فإن ذلك لم يؤد به إلى الخروج عن معتقدات مذهبه .  
 موقفه من الفوارج :

تمردنا في تمهيد هذه الدراسة إلى الآراء المختلفة في نسبة الأباضية إلى  
 الفوارج ولا نريد الخروج في هذه القضية مسرة أخرى ، وإنما يمكننا استئناف  
 رأي المفسر في هذه المسألة من خلال آرائه على آرائهم ، التي نالفوا فيها  
 المدرسة الأباضية ومن ابراز هذه الآراء والذي كان في نذر المنفرد هو المفسر انفاصل  
 بين هذه المدرسة و فرق الفوارج ، تحليلهم ندما المسلمين وأموالهم بالذهب  
 (الصفري) يقول المفسر في ذلك : " وأما قالت التورمية والتجدية والأزرقمة بتحليل الدما  
 والأموال بالذهب فخرج عن مذهب الأباضية التومبية .  
 الذهب

يفهم من هذا النص أن الأباشيية كانوا فرقة من الخوارج ثم انفصلوا عنهم وأصبح هذا الاسم في نظر المفسر على الأقل - لا يطابق إلا على الفرق الثلاثة المذكورة في النص السابق، ومن هنا كان مفهوم الخوارج في بداية الأمر يعني الخروج عن صف علي ورفض التحكيم، ويتضح ذلك من قوله: "... وقد عدم على اهتمامه بقتال الخوارج عنه" (1) أي علي، ثم تغير هذا المفهوم وأصبح يطابق على الفرق الثلاثة ويحمل دلالة دنيوية، بعد ثلثهما في الحكم على الموحدين بالشرك، وهذه المسألة تعتبر أساس الخلاف بين الأباشيية وهذه الفرق، ولذا كلما فسرت آية لها علاقة بهذه المسألة رُد على الخوارج ومن ذلك مثلاً قوله في تفسير الآية 48/ النساء "إِنَّ اللَّهَ لَا يَشْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَشْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" اثر تعرضه لاختلاف الآراء في مرتكب الكبيرة يقول: "... والآية حجة على الخوارج إذ قالوا أن كل ذنب شرك أو كل كبيرة شرك وهم الصفرية والتجدية والأزارقية..." (2).

وفي تفسير قوله تعالى: "ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا أخج" 10/ الحشر يتدد بالفرق التي تنتم الصحابة فيقول: "... وذلك كالصفرية والتجدية والأزارقية القائلين بتشريك علي وكل من فعل كبيرة ويحل دم الفاعل لها وماله" ولكن المفسر يجيز "أن يقال المحقق مع فلان من الصحابة أو غيرهم لا مع فلان وأن فعل كذا غير صواب، وأن فعل كذا كبيرة يستحق فاعلهما المقاب" (3).

وقد يسوق بعض آرائهم في المسائل الفقهية التي انفردوا بها أو اختلفوا فيها مع غيرهم ومن أمثلة ذلك رأيهم في المقدار الذي يقسم التمسك على السارق فيقول في تفسير الآية 86/ المائدة: "والسارق والسارقة" "وأبن عباس في التليل والكثير بلا حدود قال الخوارج: "كما روي عنهم عدم قولهم بالحرز" (4).

(1) التفسير 475/5.

(2) ن.م. 742/1 مثال آخر في ن.م. 228/3.

(3) ن.م. 287/6.

(4) ن.م. 30/2.

يتجلى من خلال ما تقدم من الأمثلة أن المفسر لم يجرأ تصانفاً كبيراً بهذه الفرق باعتبارها خارجة عن إجماع المسلمين لتوهم بشرية معتزلة الكبرية ووفى رسالة ألفها في الرد على الصفرية والأزارقة استجابة لبعض علماء عمان تظلموا اعتراضاته أكثر على هذه الفرق، واستنكاره الشديد لهذا وتوهم للأئمة الأئمة الإسلامية مؤتمس من التصوف :

إن الدراسات الأباضية التي أطلعنا عليها لم تتحدث عن وجود نزعة التصوف في هذا المذهب (1) وتدل ذلك واضحاً على أصولهم في العقيدة، والتوف من القول على الله، وهو أحد الأسباب التي أدت - كما رأينا - إلى قلّة التفسير عندهم ولذلك نجد أن المفسر يميل بحماسة عنيفة على هذا التيار القلبي الذي تزعمه ابن عربي، وهذه الحملة تلمز في انتقيد بأفكارهم والبراءة منهم، على أنه يكفي في بعض الأحيان بسرد آراءهم كمادة دون التطبيق، لاحت ذلك في معرض تفسير قوله تعالى: " هو الأول والآخِر والظاهر والباطن " 55 / الحديد . . . " ومن التصوف قول البعيد الأول بهرج القلوب والآخِر بهجران الأذوب والظاهر بكشف الكرب والباطن بعلم الشيوب " (2) كما يفهم من قوله في تفسير الآية 27 التمام " ثم يتوبون من قريب " " زعم أهل التصوف والمعاطة أنه هو ما قيل أن تتم ود التفسير السوء ويكون لها كالتبعية فيمتدحذ الرجوع وليس مرادهم منع التبدول بل الجدد " (3).

ويظهر من المثالين التاليين قول هو لا في الاشارات النبوية التي تعتبر شرها من الوهم، وتتميز بالتمسك القرآني مفاهيم بعيدة كل البعد عن مقاصده، ومما يده يقول المفسر في نهاية تفسير قوله تعالى: " وسف القصر، وجمع الشمس والقمر " 58، 59 / القيامة " فالقمر الروح والشمس مكان لحضيرة القدس، والملائكة الأطلون وان تم يترك هذا فأضرب به وبه السوفية الفارجة عن طريق الجديد

(1) يذكر أبو اسحاق في مقدمة كتاب شامل الأصل والفرع من الأباضية أم يتأثروا بأفكار الباطنية، ويحزو ذلك إلى تمسك أمنه بالكتاب والسنة.  
 (2) التيسير / 6 / 72 .  
 (3) ن . م . 696 / 2 لعل الصحيح فيتم ذكر .

تَبَحُّمِ اللَّهِ عَوْ وَجَلَّ . " (1)

يذهب من التصور السابقة بأن المفسر يقف من أفكار الجيد موقفاً يختلف عن موقفه المتد والعارض لأفكار التصوف، والرافض لها، ومن هذا المشال يتضح لنا موقفه أكد من أفكار التصوف المتطرفة ففي تفسيره للآية الأولى من سورة الانسان يقول: " وزعم بعض الصوفية أن هل للتفي وأن المعنى لا أول للزمان ولا للانسان يوجد ويفنى بلا أول لذلك وهذا اشراك ولا أعلن موحداً يقوله ومؤلفي لا أول من الله وادبأت للقدماء مع الله ولعل الرواية لم تصح " (2).

ويبلغ به الحد في تفسير السورة الآتية 21 / الانسان الى البراءة من هذه الاشارات الخفية قائلًا: "... وهراً الى الله تعالى بتفسير الامور بالادب وار تفسيره على أصل التبعة بحسب أعمانهم كتفاوت الذهب والفضة ومن تفسير الشراب الظهور بتدل رباً تي مستكروا وبتوذك بك قدا يخالف ان الامر " (3).

ومما يكن موقفاً المفسر من هذا الاتجاسه ، فإن الدار من اردوده يتأكد من مبارزته لأفكاره ولا سيما تلك التي تتناقض مع صريح الآية أو اجناسها من مهور المفسرين ، غير أنه ... مع ذلك - يحترم بعض العلماء المشتغرين بهذه النزعة مثل ابن العربي ويذهب من بعض أفكاره الصوفية ويبدو ذلك من قوله: " أوقف ذكر ابن العربي في الفتوحات المكية أنه اجتمع مع سيدنا ابراهيم عليه السلام فسأله عن خطيبته المذكورة في قوله تعالى: " والذي أطمئح أن يخضر لي خطيبي يوم الدين (4) قال اضافتي المرض الى نفسي بحيث قلت: " واذا مرضت فهو يشفين (4) ، وانه كان يقول بذلك قبل أن يسأل ابراهيم ، وهذا ريل عريب في كلامه هو جامع للظاهر والباطن وهو مع ذلك محقق " .

(1) ن م . 426 / 6

(2) ن م . 435 / 6

(3) ن م . 446 / 6 ، 447 .

(4) الشرح / 32 .

(5) الشرح / 30 .



ويُتدَّد ببعض آداب المتصوّفين ، كقولهم بروية النبي صلى الله عليه وسلم  
في اليقظة فيقول مجيباً من أسأله عن مدى صححة ذلك : " إله لا يسعدكم السكوت  
عنه ، كذبوه وأزجروه وأبرؤا منه " (1) .

دستج مما تقدم أن موقف المتصوّف من التصوفية المخالفة في حمل القرآن معاني باطنية  
تعارض مع صريح أسلوبه ، ومضامينه موقف معارض ومدد ، لكن موقفه من آراءهم  
الأخرى ، لا تختلف عن موقفه من جميع المسائل الخلافية الأخرى التي لا تتعارض  
مع أصول العقيدة الأباضية .

موقفه من بعض الفرق الأخرى :

وقد كان المتصوّف يهيرانى بعض الفرق الأخرى المنتسبة إلى الإسلام ويتقد  
آراءها ومن هذه الفرق التدرية ، وفي تشيخ قوله تعالى : " إنا كل شيء خلقناه  
بقدر " 49 / القدر ، يرد على هذه الفرة مبيداً بأدلة عقلية صححة انقدر ، مستهدداً  
بأحاديث نبوية تتدد بهذه الفرقة بالمرجعية ومن هذه الأحاديث : " .. صفان  
من أمي ليعرلها في الإسلام نصيب المرجعية والتدرية نزل فيهما من المجرمين ...  
إني بقدر (2) رواه ابن عباس " وفي الأخير بين رأي التدرية معللاً سبب تسميتهم  
في الحديث بخصماء الرحمن قائلاً : " ساء لهم خصماء الرحمن لا تصم بفنون قدرة  
الله على أفعالهم فقالوا : إنهم خلثوا أفعالهم لم يخلقها الله ، وقالوا لا يتسدر  
أن يخلق المعصية ويعدب عليها فاعلمها ، ولا يعلمها حتى تشع . " (3) .  
ومن آراء التدرية قولهم : " أن الحرام يوزقه الانسان نفسه بينما الحلال  
يزق من الله فيقول المفسردا على هذا الاعتقاد : " وأن الحرام أيضا يزق من الله  
تعالى يعاقب الانسان على تناوله " (4) .

(1) كشف الكذب 105/1 ، 106 .

(2) التفسير / 47 ص 49 .

(3) التيسير 621/5 ، 622 .

(4) ن 40/3 .

أما المرجسة ينتقدها في مضمونها للإيمان ، إذ ترى أن المعصية لا تنذر مع الإيمان ، كما لا تنفع الطامة مع الكفر ، ولذلك ترى أن كل مسلم مؤمن تحسرم عليه النار ، ومن الآيات التي يمتشهدون بها لأثبات هذا الاعتقاد قوله تعالى : " أن العذاب على من كذب وتولى " 48 / طه يقول المفسرون عليهم : " فلا دليل في الآية للمرجسة القائلين أن الموحّد الفاسق لا يدخل النار " (1).

وهذا الاعتقاد منهم كان في نظر أحمد أمين . رد فعل لغزو الخوارج والشيعية ، واضطر هذه الفرقة في بداية نشأتها حزبا سياسيا ، وقف من الفتن والخلافات في عهد الصحابة موثقا محايدا ، غير أنه ما فتى أن يصبح ييمتشي في الأمور اللاهوتية ، فتبلورت معتقداته المبتنية أساسا على موقفهم السياسي السابق الذكر . (2)

ومن بين المذاهب التي انتقد آراءها المذهب الظاهري الذي يرى تجديد النوض في كل صلاة ويقول المفسر في ذلك : " يبطل قول الظاهرية أنه ينتقض بدخول وقت الصلاة بعد الأول ، وأن لكل صلاة طهارة ويؤدّه صلاة صلى الله عليه وسلم الخمس بوضوء واحد وصلاة الجمعة كل صلاة بوضوء بعده صلى الله عليه وسلم ندبا ولم يثبت (3) الخبر عن الإمام أبي آله ينهل ذلك ولا يثبت ما قيل أن الآية (4) على ظاهرها من أن لكل صلاة طهارة ثم نسخ هذا انتقده لأن سورة المائدة من آخر ما نزل فلم ينزل بعدها ناسخ من قرآن ولا جاءت سورة متواترة " ثم يستشهد بالأحاديث القوية (5) .  
ويعفي المفسر بهذه الطريقة يناقش آراء بعض الثرق ، وينتقدها مبيدا أوجه الخطأ مستدلا كعادته — بحجج عقلية وتقليدية .

(1) ن . م . 21/4 المجلد 1

(2) فجر الإسلام ص 279 — 282 .

(3) لم يثبت .

(4) المائدة / 06

(5) التيسير 27/2 ، 28 .

ونخلص الى القول أن المفسر تناول بالبحث في تفسيره آراء المدارس الإسلامية والفرق المنتسبة الى الاسلام مقارنا بينها مع سوق حججهم ، وعند تعرضه لتفنيدها ، وانتقادها يدعم آراءه بأدلة محاولا اقتناع القارئ بصحتها ، وخطأ وجهات نظر الخصم ، مستعملا — أحيانا — أسلوب العنف الذي يدل على استنكاره للمفسر لمعتقدات المخالف ، واعتقاده ببطلانها تماشيا مع أسلوب النقد اللاذع السائد في كتب التفسير التي تتلمذ عليها .

هذه هي وجهة نظر المفسر نحو هذه المدارس والفرق ، وموقفه منها وأسلوبه في مواجهتها فما هو رأيه — يا تروح من مسألة الإسرائيليات ؟ .  
موقفه من الإسرائيليات :

إن طبيعة الإنسان مجبولة على حب الاستطلاع ، ومعرفة أسرار الكون ، وما يلف حوله من الغيبيات ، ولحل هذا العامل يعتبر رئيسيا ولا نقول وحيدا لنقل المعلومات من أهل الكتاب قصد اشباع هذا الميل ولم يكن أنذاك من مؤأظم ببعض التفاصيل التي تغاضى عنها القرآن الكريم من طمأء أهل الكتاب ، وقد كانوا مصدر هذه المعلومات لا سيما أولئك الذين أعلنوا إسلامهم .

ولا نريد في هذه التوطئة التعمرض لرأي الشرع في ذلك لأن الكدير من الدارسين تناولوا هذه المسألة بالبحث والتفصيل ، غير أننا نريد أن نبين أن المفسر لم ينفرد بذلك ، بل مؤ متأثرين من سبقه في هذا المجال ، كما لا ننكر عونه في الإسرائيليات التي يستسيخما الحقل ويتقبلها الشرع ، وفي ما لا يجد لها الدارس تفسيراً ، ألا كونها من الحشو ، ونقل معلومات لا تمت بحيلة لمقاد القرآن ، وان كان في تفسيره الذي نحن بصدد دراسته أكثر تحقيقاً ودقة من سابقه ، وقد أشار فيه — كما أسلفنا — الى تعمله لنقل معلومات : " ليتروح اليما السامع " على حدّ تحبيره وذكره لهذه المعلومات كما قال : " عن كره " (1) ونحزو ذلك الى رغبتة في جعل تفسيره شاملا جامعا لما ورد في التفاسير السابقة .

والملاحظة الثانية هي استملاله للأخبار الإسرائيليات في كثير من الحالات بصيغة التبعين التي تدل على عدم تأكده من صحتها ، لاحظ ذلك : —

مثلا في الحوار الذي جس بين الله عز وجل والعناصر التي شاركت في حادثة بدء الخليقة في تفسير قوله تعالى: " وناديهما ألم أملكما عن الخ... " 22/الأعراف " ويقال ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد سميتك فقال أطعمتني حسوا وقال لحسوا لم أطعمته قالت ، أمرتني الحية ، وقال للحية لم أمرتها ، قالت أمرتني ابليس فقال : أما أنت يا حسوا فلأدميتك كل شهر ، كما أدميت الشجرة ، وأما أنت يا حية فاقطع أرجلك فتشمين على وجهك وليشد خن رأسك كل من لفيك ، وأما آيت يا ابليس فطهون " (1) .

والتأريخ للتقصير التراثية في تفسيره كثيرا ما يعثر على مثل هذه النماذج التفسيرية بالتقصير الخيالية المنسوجة التي لا تترك مجالاً للشك على أنها من صناعة رجال التقاصيين أو من الأسرائيليات ، فهي قصة مذبذبة يشكك أشبه بالمرح أو الرواية لا اهتمامها على المسوار .

و قد يشير في بعض المواضع - وإن كان ذلك قليلا - إلى أنها من الاسرائيليات . وهذا ما نلاحظه مثلا في تفسير قوله تعالى : " فأنجينه والذين معه في الفلك " 64/ الأعراف ، وبعد أن يصف سفينة نوح يقول : " وهذا من الاسراء آيات " (2) . كما ينتقد الروايات التي يشتم منها رائحة الكذب والمبالغة ولكن هذا لا يمنع من ذكرها ، وفي تفسير قوله تعالى : " وبعثنا منهم اثني عشر نبيا " 12/ المائدة يقول منتقدا قصة عروج بن علق : " ولا يصح ما قيل من أنهم لبثوا رجسا أسماه عروج بن علق من الجبارين وأن طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعا ، وأنه يحتجز بالسيحاب ويشرب منه ، ويتناول الحوت من تعمر البحر فيرمعه إلى بين الشمس فيشويه فيأكله ، وأن ماء الطوفان ما جاز ركبتيه وقيل كعبه وأنه عاش ثلاثة آلاف سنة . " إلى آخر أوصاف هذا العملاق ، ويتحدث كذلك للنتقد ومنه قوله : " . . . وكيف يتوون على حوتها مع أنها تنفس الحوت في يده مع أن حوتها منتشر في الجوانب لا كحوت النار . " ويقول : " وكيف يبقى وينجو من الخرق وهو كافر وقد قال الله عز وجل : " وجعلنا ذريتهم هم الباقين " (3) . (4)

(1) ن . م . 508/2 .

(2) ن . م . 561/2 .

(3) الحقائق 77/ .

(4) ن . م . 39، 56/2 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يفرغ. أيضا الروايات التي يشتم منها راحمة طمن في نبي أو رسول، أو يحاول جعلها على وجه إذا آتت صحتها مثل قوله في تفسير الآية 33/88 الأنبيا، مسلي القدر " فبعد ذكر مرض أيوب قائلا: "... وتسلط الدود في جسده وتفتح واحدة فيردما ويقول تلي رزتك " يرد على ذلك فيقول: " قلت: لا يصح هذا بل لا يجوز فكيف يفعل " وبعد سرده لما بين فرعون وشعيب، وأمتناع أيوب من اعانة شعيب على فرعون وما أصيب به من ابتلاء فيختم هذه الحادثة قائلا: " والله أعلم بصحة ذلك " (1).

إذا كان المفسر يذكر المبالغات في الوصف والعدد الوارد في القصص مما تجعل انداز من يقف منها موثقا متحفظا، فإنه يحترف بعدم آتمتنا به لما قائلا: وفي نفسي من اكثار العدد في القصص بعض انكسار " وهذا في تفسير قوله تعالى: " فإذا حيا لهم وعصيتهم ينزل اليه من سحورهم أنها تسمى " 66 / طه ثم يصف حبل السحرة حسب رواية الأخباريين قائلا: " ذكر الأخباريون أنهم جعلوا في العصي والحبال <sup>زينة</sup> زينة فامتزت لحدسارة الشمس كأنها تمشي ومن فرائب أهل القصص أنهم حفروا تحتها الأرض وجعلوا انوار تحتها " ثم يقصد للرد عليهم قائلا: "ثم لا تحرق الحبال وان قويت النار لا تحرق العصي الضفاف وان كانت الحبال والنار والعصي قليلا أمكن ذلك بأمداق النار بحيث توجد حرارتها في الزئبق ولا تحترق وكيف ذلك وقد قيل أخذت ميلا في ميسل ان صح " (2)

ومما يلتزم بهذا الموضوع ضعف المفسر بذكر أسماء الملوك والمدن والأنبياء والرسول وأهلها، فمن أقرب ما ذكر في هذا العدد أسماء ملوك مدين التي هي: " أبو جاد وهو زوسعطي وكلمن وسلفس وقوشة " (3) وهذه الأسماء توافق الأبدية ومن أمثلة تسميته لأسماء الأنبياء تسميته بنبي الله شعيب في تسميته قوله: " أنام شعيبا " 35 / الأعراف ومما يقول في نسبه: " هو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم وقيل شعيب ابن تويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وبعض يقول ميكا بن بدل ميكيل وقيل هو ابن يشجر بن لاوي بن يعقوب وهو تيسير .

(1) ن . م . 249 / 4 ، 250 أنظر ما لا آخر في ن . م . 355 / 6 ، وما لا آخر في ن . م . 532 / 2 .

(2) ن . م . 136 / 4 .

(3) ن . م . 592 ، 591 / 2 .

شعب يفتح واسكان اسم جبل أو بكسر فاء فكان وهو الطريق في الجبل والتصحيح أنه مرتجل وأسماء الأنبياء لا تصح بعد الوضع وأما قبله هكذا فبائز " الخ (1) وفي تفسير كثير من الأمثلة ، ولا يمر باسم الأئمة به ، وأستعرض الآراء المختلفة في نسبة ، محاولاً أن يجد له أصلاً على النحو الذي رأيناه آنفاً ، ومما يستمر في الأئمة - أحياناً - نسبة الرواية إلى مفسر عرف باسمه من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام ، وكعب الأحمس ، وهب بن منبه ، وآبن جرج باعتبار هو لاء أقطاب الروايات الأثرية (2) .

ولهؤلاء لاء مائة مشرقة عند المفسر ، ويفهم ذلك من انترجم عليهم ، والاعتزاز باسمهم وتكذيب الروايات المنسوبة إليهم إذا اشتم منها رائحة الوضع ، وهذا ما لاحظته في تفسير الآية الأولى من سورة التلم إذ يستهل الرواية المنسوبة إلى كعب الأحمس بقوله : " وضموا من كعب الأحمس ، وصل ذلك الحديث فقال : " الق ما على ظهرك من التمار والجن ، والحيوان ، والشجر ، والدواب والجن فهت ذلك فأدخل دابة في مخرها ، وضجت إلى الله تعالى فأخرجها فهي كلما أرادت الألقاء عادت الدابة فهي تنظر إنيها والله أعلم بصحة ذلك " (3)

ومن الملاحظ أن هذه الرواية تبدو في نظره غير صحيحة وعلى الأقل يشك في صحتها وفي نسبتها إلى كعب الأحمس ويفهم ذلك من قوله : ( زعموا ) والله أعلم بصحة ذلك ، وهذا موقفه في معظم الأحيان من الأسرار والبيانات إذا لم يتحقق من صحتها أو كذبها خضية انكار الصحيح من الأخبار ، وتصديق الكاذب منها عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " وقد يكشف - أحياناً - بسرد ما روي عنه مثل قوله في تفسير الآية 44/ الرحمن : " ويطوفون بينها وبين حميم - أن " مصراً حالة أهل جهنم قائلاً : " ومن كعب الأحمس يساقون إلى واد فيه دم وقبيح أهل النار بالأمثال فيغمسون فيه ويخرجون وقد أحدث الله مزوجاً قوّة ويردون إلى النار " (4) .

(1) ن.م. 532/2 .

(2) التفسير والمفسرون 1/183 .

(3) التفسير 2/297 ، 298 .

(4) ن.م. 20/6 .

كما نقل عن عبدالله بن سلام الذي يدبر في نظره أو ثق من ذكرنا هم سابقا،  
 وإن لم يصرح بذلك وإنما يستشف من ذكره في مواطن مدح أهل الكتاب الذين  
 تمسكوا بالحق، أو يستدنيه من تصرفات أهل الكتاب تجاه الرسالة المهدية، ففسي  
 المثال التالي يتضح لنا ذلك، يقول في تفسير الآية 159 / الأعراف: "ومن قوم  
 موسى أمة يمدن بالحق وبه يعدلون" فإربا المثال لموه لاء بقوله: "كعبد الله ب  
 ابن سلام" (1).

وقد بقي عنه بعض الأخبار مثل قوله: "وعن عبدالله بن سلام مكتوب في التوراة أن  
 حفقة محمد وعيسى بن مريم يدفن من معه، وفي البيت، قيل موضح في عيسى عليه  
 السلام" وهذا في مخرج تفسير قوله تعالى: "اسمه أحمد" 06 / التوبة،  
 ولحل هذه الأمثلة تأقية لا ذات نقل المفسر من موه لاء الذين اعتبروا مصادر  
 الروايات الإسرائيلية وموثقة منهم.

ونخلص إلى القول بأن المفسر لم يدرج - كغيره من كثير من المفسرين -  
 من الخوض في الروايات الإسرائيلية، فبرآته في تفسيره هذا كان أكثر تصحيحا ونقدا  
 الروايات، وإن اكتفى بسرد بعضها دون الأدلاء برأيه أو استعانة صبغة التبليغ  
 الدانة على شكه في صحة الرواية، وبذلك نلاحظ تناوب المفسر مع الأحداث التي  
 تصورها هذه الروايات، ويسوقها كمعلومات مساعدة على إبراز معنى الآية أو الوعدة  
 ويمكن تفسير ذلك بنوعه من تكذيب الصحيح وثقته فيما ينقله من المصادر  
 المختلفة، وقد ينقلها لمجرد ادعاء تفسيره، ويترك الحكم للقارئ، وهذا  
 ما يلاحظه أثار من في بعض المواضع من تفسيره.  
 ومن أمثلة ذلك ما ذكره من أوصاف: الوقت والطريقة التي قتله بها داود فيصفه  
 بأنه: "جبار من العماقة من ولد عمليق بن عاد في بيضته ثلاثمائة رجل حديد  
 وذاته ميل وقيل طوله...".

(1) ن.م. 664/2 مدان آخر في ن.م. 620/2.

ويقول في طريقة قتل داود جالوت: " . . . ومآلى جالوت داود على ثلاثمائة  
 أحجار واحد بعد واحد كل يقول : يا داود تقتل جالوت بي فحملن ، وقيل قال له  
 الأول احطني فآتي حبر هرون والثاني احطني فآتي حجر موسى والثالث احطني  
 فآتي حبرك الذي تقتل بي جالوت وحملن في مخلاته ومبارت حبرا " ثم بهتمل  
 الطريقة التي أصابت بها الأحجار الثلاثة جالوت قائلا : " ولعل الثالث هو الذي  
 يتصل بهالوت ويذرقه والأحزان متصلا ن به كصا . . . الخ (2) .  
 وإذا التينا نظرة فاسية على هذه القصة التي أوردنا جزأها معنا فنتسبط

الأحزان

استدجنا : -

1) أحراق المفسر في إبراز التفاصيل التي استعملها القرآن الكريم .  
 2) تفاعل المفسر مع مثل هذه التفاصيل ويظهر ذلك من محاولته لايجسه احتمال  
 طريقة إصابة الأحجار الثلاثة جالوت هو استحضاره له تطف الروايات مع احتمال  
 بعضها بصيغة التبخيص .

أحراق

وبهذه الطريقة تعرض المفسر للأسرائليات ، معتمدا طارة أسلوب النقد ،  
 والتشكيك في الرواية ومكتفيا . . . طارة أخرى . . . بسردها ونقلها كسائر المعلومات  
 المساعدة على الشرح والتوضيح في الحالات التي لم يشد المفسر عن جمهور المفسرين  
 وموقفه هذا يترجم نوعية ثقافته في هذا المجال والتي لم تتعد حدود ثقافة  
 السلفيين من المفسرين ، ولكن رغم ذلك فقد ظهرت في تفسيره بوادر الحركة  
 الأصلية وتتمثل في موقفه من بعض القضايا عصره ومتمصده .  
 بوادر الحركة الأصلية في تفسيره :

من أمثلة القضايا التي عالجتها الحركة الإصلاحية ، والتي كانت أحد أسباب  
 نشأتها مجابهة حركة التصير التي أخذت تغزو العالم الإسلامي فووقت بكل ما  
 ترد عليه من أمثلة الشرسة على الإسلام والمسلمين ، فتفطن المفسر إلى مكائدها ، فتعدى  
 لمجابهتها والرد عليها كلما تجرأت على التحل في مقومات المسلمين : يقول المفسر  
 ردا على النصارى وآسمزاء بهم : " . . . ولم أر أجهل بطرق البدال من التصير  
 يحيون القرآن بما هو ظاهر البطلان راجح عليهم ، ولا يستعيون فهم كلامه نفتح (2)

(1) ن .ج . 1 / 355 .

(2) والصحيح نفتح .



على جبل عظيم لتزيهه بنفسهما وكأصق بال في الصحيح لينجسه و كلب عوى  
 على البدر ليحطه من سماءه ، لو نوح البدر كلاب الوين \* ما وصل النبح الى البدر  
 وينكرون المحسوسات والبدهييات (1) ويدعون وقسوع المصطلات كئما زادوا جد (2)  
 زادوا آفتنا حا لا تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه ! ثم يهاجم  
 اليهود تافلا : " ويقا بهم النيمود إلا آن ذآهم دعا هم الى التين فتستقروا به  
 بخلاف علماء الاسلام وحججهم فكما قيل : -

اعد ذكرى من ان ذكره \* هو المسك ما كرته يتسرع

وما أرى النصارى مع المسلمين إلا كما ربي أن جاهلا جادل عاتما فحجز و بصرق في وجه  
 المسلم وقال : " أضعف حججك أيها المسلم " (3) ، فمن الملاحظ أنه يستعمل  
 في الرد عليهم أسلوبين : -

(1) نقل المناظرات التي جرت بينهم وبين بعض علماء المسلمين .

(2) الاستشهاد بما جاء في الإنجيل .

ومن أمثلة الأسلوب الأول قوله في تفسير الآية 31 / التورف : " قل أن  
 كان للرحمن ولد ، فألها أول البدين " . . . قال أحمد بن قاسم الأندلسي الحنبلي  
 جاء في نصراي يورقة كتبها وقال في المنام من الله أنه أراد أن يجعل في الأرض  
 السماء وخليفته فيها وهو عيسى وكتب ذلك في ورقة مبنها به ، فقلت له فيبني  
 اذا نعيس أن يجعل انهما يكون خليفته بعد موته وكذا بعد فأفصح النصراي  
 وبقي يورقة في يده متحيرا . . . " (4) .

ولتبين رأي النصارى في آدابهم أن عيسى روح من الله قال : " . . وآما  
 أن يقولوا أنه جزء من روح الله أو هي روح الله كلها فلا يصح لما قل  
 لأن الله جل وعلا لا يجزأ أو لا يتصف بالروح ولا بالحلول ، فلو كان ذلك لبقي  
 الله بالروح أو بروح ناقصة بآنته ان ينعها اني عيسى في زعمهم ان زعموه وذلك  
 من صفات المخلوق وام ينع عيسى بذلك " ثم يستشهد في رده من الإنجيل

(1) عمل الصبيح البديهييات .

(2) بسدالا .

(3) التفسير 865/5 ، 866 .

(4) ن م . 271 / 8 .

والتوراة قائلاً: ففي أنجيل لوقا قال: يسوع لتلاميذه أن أباكم السماوي يعطي روح القدس وهو في بطن أمه وفي التوراة قال الله تعالى لموسى عليه السلام اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التي عليك وفيها وفي حق يوسف عليهما السلام يقول الملك: "هل رأيت مثل هذا الفتى الذي روح الله عز وجل جال (1) فيه وفيه أن روح الله حلت على دانيال وغير ذلك" ويسوق اثر ذلك بعض المناظر اتقائلاً: "وناظر بعض النصارى بعض أكابر المسلمين بأن في القرآن ما يشهد بأن ميسى جزء من الله تعالى وتلا قوله تعالى: "روح منه (2) فعارضه المسلم بقوله تعالى: "وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه (3) فليزيم أن تكون الأشياء جزء منه وهو محال اتفاقاً فأسلم النصارى والمسلم هو علي بن الحسين الوائدي" (4) وقد ألف المفسر رسالة في الرد على أنجليزي سماها (قضى العين على أهل الغيب) أشار إليها في تفسير قوله تعالى: "ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون" 78/آل عمران (5) كما تعرض في تفسير لمكاند الحركة التنصيرية، منها مثلاً محاولة تحريف القرآن لكن يرى أنها باء بالفشل (6) .

ويظهر من كلامه في تفسير قوله تعالى: "كل حزب بما لديهم فرحون" 53/المؤمنون، أنه نال حظوة لدى علماء المسلمين في عصره مما كانوا يواجهون إليه أسئلة ويشيدون بمواقفه ومواقفه، فبعد استعراضه لتواريخ ظهور المذاهب لانتشارها يقول: "وسبب ميل علماء مصر إلي مع تخالف المذهب وتباعد البلاد أنه أشكلت عليهم مسألة في الربا وأرسلوا التي هوئلاً في مضاب وجادلهم انجليزي وأرسلوا التي سؤالا فأجبت لهم بما استحسنا وأيضاً أطلعوا على الفرح النبيل) وغيره مما طبع في مصر من ثالفي" ويبدو أنه كان على اتصال بعلماء عصره منهم عبد الحق الذي ذكره في النص السابق وقال فيه: "أنه دخل تونس وأمرهم أن يسألوا الفقير صاحب هذا التفسير في كل ما أشكل وكذا عالم قبله مثله في مصر" (7) .

(1) الصحيح حل فيه .

(2) النساء / 171 .

(3) الجاثية / 13 .

(4) التيسير 869، 868/1 .

(5) ن م . 531 .

(6) ن م . 392/2 .

(7) ن م . 348/4 ، 349 ، والصحيح تأليفه

الجهاد

وكان يساند الحركة الإصلاحية ، ويدعو الى توحيد كلمة المسلمين بتجاوز الخلافات المذهبية لمواجهة جبهة الشرك التي تتآمر على المسلمين الذين أنصروا عن الجهاد ويصور ذلك في تفسير قوله تعالى : " ولا تنازروا فتشكوا وتذهب بحكم " 46/الأنفال " . . . والنزاع هنا في أهل التوحيد فلكم أهل الشرك ولورجموا الى مذهبنا في الأصول أو أخذوا عن مسائل الخلاف كأن لم تكن ، وكانوا يبدأ واحدة لخلبوا على أهل الشرك ، وأهل الشرك مشغولون بالأحتيال فيما يملكون به فيهم " ثم ينتقل الى استمرار حالة المسلمين قائلا : " وأهل التوحيد بعضهم معين للموءلاء ، وبعضهم بطال معرض ، وبعضهم يعبد الله عز وجل ولا يشغل به بالدعاء عليهم ، وبعضهم مكذب على التأليف ، ولا يحسن إلا ما كان على طريق الشيخ عبده والشيخ مصطفى بن اسماعيل والشيخ قاسم بن سعيد واذلك قلت أجب على التأليف اذ لم نجد بنا فوزيا ولا من بهم نغزو " (1)

أجيب

وتبدوا من هذا التصريح لاهوته في الجهاد ومحاولة أهل الشرك ، والدعوة الى وحدة المسلمين ، ومساندة الحركة الإصلاحية بالامسادة بأراء المصلحين وطرقهم في التأليف .

وقد عبر في تفسيره عن كرهه للتصارى الذين يمدون التيار الاستعماري المهادي لنظام الاسلامي ويدجلى ذلك في الدعاء عليهم بالخزي في تفسير آخر سورة المائدة : " ومنه غزى التصارى وتمذبيهم دنيا وآخرة واثابة المسلمين فيهما ونصروهم فيهما " (2) .

وأما تأييده للحركة الاسلامية ، وموقفه من نصرتها فتأخر في قوله : " فأكذبوا الطوائف والقراءة وادعوا الله عز وجل يلصقوا على طين الحد ما يبيحون يستددم الله إلا اله الا هو رب المرش العالم ، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام " (3) وذلك في معرض تفسير قوله تعالى : واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة " 32/الأنفال .

(1) ن . م . 791/2 ، 792 .

(2) ن . م . 209/2 .

(3) ن . م . 592/4 المجلد 2 .

ورغم سيطرة المشركين ، وظهورهم بتسوية بأن عمرة الاسلام في نذر المفسر  
ومهادثة تستطد طب النصارى ، وتستميلهم الى الدخول في حوزته بأعتمائه ، ويذكر  
ذلك في تفسير قوله تعالى : " ولتجدن اقرينهم مؤدّة للذين آمنوا الذين قالوا انا  
نصرى " 82 / المائدة فيقول : " والى الاآن يسلمون عام ألف، وثلاثمائة وأسد عشر "

(2) .

اذا كانت الحركة الاصلاحية قد واجهت هجومات النصارى وداشمت عن القيم  
الاسلامية ، فهي ترى ان داء العالم الاسلامي يكمن في الآفات الاجتماعية وانتشار البدع  
التي كانت تفتديها حركة التنصير العالمية ، ولذلك لم يذلل المفسر من هذا الجانب ،  
فقد تصف في تفسيره الى معارفة بعض المصالح والمشينة الناتجة من تنهي الجهل  
والأمية منما التقرب بالذبايح الى الجن ، والاعتقادات الفاسدة ، فقد هجر عن استنكاره  
لها في تفسيره لقوله تعالى : " ان لو كانوا يعلمون الخيب ما لبثوا في المذاب  
المهين " 14 سبأ يقول المفسر : " . . . وفي الحديث ، **للتبتم سنن من تبلكم حتى لو  
دخلوا حجر فذب ندخلتموه** أو ركبوا متن فبسا تركبتموه وفي هذه الأمة من يميل  
الى ذلك ، بل يتقرب اليهم بالذبايح " (2) وفي تفسير قوله تعالى : " وآبه كان  
رجال من الاس . . . فزادوهم رمقا " 66 / الجن ، يستعرض هذه المعتقدات  
الفاسدة في الجن قائلا : " ومن العياذة بالجن القساء الطنج والرصاد حيث عثر الانسان  
أو أصيب بضر انا ان ذلك من الجن ، ومن العياذة بهم ذبح شاة في نحر الموضع الذي  
يريدون نحر بئر فيه أو في دار أريد الحفر فيهما لتببر (8) وكل ذلك حرام ،  
لان قصدهم التطق الى الجن بالقساء الطنج والرصاد فهو كالذبح لهم وكذا انقاء  
التبببر أو نحوه لهم بدار أو بلاتار " (4) .

وكان في مواضع من تفسيره يبين موقفه من بعض البدع ، ويدعو الى التحلي عنها  
من ذلك مثلاً قوله في تفسير الآية 23 / نوح : " رب أفقر لي . . . أئج " وأعلم أنه

(1) ن . م . 144/2 .

(2) ن . م . 221/4 المجلد 2 .

(3) ن . م . لعل الحبيب للهدى .

(4) ن . م . 870/5 .

جرت عادة بني مزاب إذا قرأوا آيات وسور مخصوصات اخبرهم سورة التامن أن يبسطوا  
ويقرأوا رب آعفرلي ولوالدي الخ . . قلت نعم ان اصحابنا كرهوا قراءة التيسطة وسدا  
قراءة القران وابتدأ (2) بها في غير أول سورة في قراءة القرآن فتروها وقال جاهل :  
ان قولنا رب آعفرلي والوالدي الخ السورة ليس قرأنا قوله لاننا دعونا به دعاء وهذا  
كفر شرك لانه يتم من القران وقد يترقوله لا تادعونا به تأويلا فيكون نقاشا!  
(2) .

قولنا

كما عبر عن بعض التصرفات الناتجة عن الجهالة ، والتي كانت من مخلفات الفتن  
في صدر الاسلام مثل لمن ما لكعبة ورقصة من يبخر علي ومعاوية وعثمان في  
مآذهم ويقول في ذلك : " وأي داع لهم الى استمرارهم على ما يؤم لهم  
الصحابة والجمهور في الأذان ولا يوجد ذلك في بلد من بلاد الاسلام ولا في  
بلاد الشرك " (3) .

ومن القضايا التي عالها المفسر ، قضية الاجتهاد التي تحدث عنها معتبرا كل  
مجتهد مأجورا وان أخطأ ، فربما أن يقصد في اجتهاده الحق لا اتباع النهي (4)  
وهذا يعتبر دعوة صريحة الى استعمال هذا المصدر التشريعي وتثريب وجهات  
نظر الفقهاء .

كما دعا الى تطوير أسلوب الوعد والذكر وتقرأ ذلك في تفسير قوله تعالى :  
" وذكروا ان الذكركم ترفع المومنين " 55 / الذاريات ، حيث يقول : " ويبخني للخاص  
ان لا يدل فيملوا فذهب بركة الملم " الى ان يقول : " ويبخني لمن يدل ان  
يذكر لهم في مجلسه ما يتسمون به ترويعا لهم " ثم ينتقل للحدث عما يبخني  
ان يفعله السامع قائلا : " ويبخني للمستمع ان يقول للواعظ او الملم كلما حدثه  
بحديث ان يقول له صدقت أو أصدقت ليكون رافيا ولا بد من حذر الرشاء " (5) ويريد  
بذلك ان يكون ترويعا بين الملم والمستمع ، ويراعي الاول طائفة الداعي .  
ومن تمسك المفسر بآفته الحربي الاسلامي ، اعتدازه بلصاته البرية ،  
وشعوره بكيانه الحربي ، استنكاره لوجود كلمات أعجمية في القرآن ويقول في ذلك

(1) والمصحح البديع .

(2) ن . م . 6 / 365 .

(3) ن . م . 5 / 434 .

(4) ن . م . 1 / 216 .

(5) ن . م . 5 / 546 .

مثلا في تفسير الآية 30 / ص: " انه آراب " يقول : " ومن الحبيب أن يوجد  
للكلمة معنى صحيح في التورية ويحملها على التورية مثل أن يقول : " الآراب  
في الآية لفظ حبشي معناه المسيح " . (1) .

ويبدو اقتضاه بلغته انبريرية من الاستعانة بما في الشرح كقوله مثلا :  
" في تفسير الآية 35 / المدثر " انها لأحدى الكبر " بقول بلغتنا انبريرية لأن  
واحد منهم اذا عظم آتيا له مثلا " (2) .

وفي تفسير قوله تعالى : " الذين آمنوه في ساعة المسرة " 117 التوبة  
يتجلى شعوره بانتصاه العزري في آتيا رموه لفته فمن مؤاتات المفارسة :  
" ويقول في ذلك : " كواصب القسطاني ودلائل القحالي وشرحي على توبة  
الديسج والسهيبي وانقاضي عياض " (3) .

هذه بعض بوادر الحركة الاصلاحية ، وقضايا الساق في تفسيره ، واكتشيفا  
بمثل بعض التيمات ، التي تدل على نهاية التفسير لأحداث عصره ، ورغبته في  
اصلاح مجتمعه ، ولكن رغم ذلك لم يبلش تفسيره درجة تفسير الحركة الاصلاحية  
التي تهدف الى التأثير في البنية الاجتماعية ومعالجة آفاتهما باتخاذ القرآن  
مصدرا لذلك بجانب التوبة ومصادر التفسير الاسلامية هو ان كتبنا قد لاحظنا  
دعوة التفسير الى تصحيح هتات المسلمين ، وبذ الخلفات ووعيا منه بالخطر المحدق  
آتمته ومساهمته في اصلاح المجتمع ومطاربة البدع الضالعة ودعوته الى  
تطوير الشيب الوعظ والارشاد الخ . . .

فهذا بعضة عامة موقفه من بعض قضايا عصره في تفسيره ، وموقفه من آفات  
المسائل الواردة فيه .

- (1) ن م . 10/5 . .
- (2) ن م . 412/6 . .
- (3) ن م . 1035/2 . .

— الباب الخامس للمبحث —

الفصل الثالث: مكانة تفسيره بين بعض التفاسير .

مدخل:

ليس من السهل على الدارس أن يتبين مكانة تفسيره ما بين عدد كبير من التفاسير التي تزخر بها المكتبات العالمية ، مهما حاول أن يدينها ، ويتفحصها ، وكل ما نرى في بعض الدراسات من مقارنات بين تفسيره وتفسيره أخرى ، فهو في اعتقادنا مجرد محاولات لا تتعدى بعض الجوانب .

ومن هذا المنظر رأينا إجراء مقارنة بين التفسير الذي نحن بصدد دراسته

و ثلاثة تفاسير :

أولها : يمثل مدرسة المفسر ، وقد عاصر صاحبه وتأثر به ، وقد بيننا ذلك في مبحث المصادر ورأينا أن هذا التأثير قد بلغ درجة نقل بعض الأفكار والعبارات بحذافيرها ، وهذا التفسير هو ( روح المعاني ) للأوسني .

ثانيها : يمثل أحد التفاسير الجزائية ، وأن يقبل بينها فاصل زمني كبير ، فبرأيهما يشتركان في الألفاظ إلى شعب واحد ، وبيئة واحدة ، ونرمي من حسنة المقارنة إلى تبيان مميزات كل واحد منهما ، وأوجه الأختلاف والتشابه . وهذا التفسير هو ( جواهر الحسان ) للذمالي .

ثالثها : يمثل مدرسة الإصلاح التي عاصرها المفسر ، وعاش بعض أحداثها ، ومن خلال المقارنة نحاول التوصل إلى إبراز أوجه التشابه والأختلاف بينهما مبينين أسباب ذلك وهذا التفسير هو ( المنسار ) لمحمد عبده ورشيد رضا ،

ودراستنا هذه لا تتعدى مقارنة أهم الجوانب ، مكتفين في كل تفسير بما يتميز به ، وفق المنهجية التي أتبعها مؤلفه ، ولا نغفل عن ذكر الأسباب كلما أمكن ، حتى نصل إلى تصور واضح لمكانة تفسيره بين هذه التفاسير الثلاثة التي تمثل في نظرنا مدرسة التفسير بالرأي ، ومدرسة التفسير بالمأثور ، ومدرسة التفسير بالإصلاحية وذلك على التوالي .

وأول سؤال يتبادر إلى أذهاننا ، ونحن نريد إجراء مقارنة بين تفسير أمحمد أطفيش وتفسير الأوسسي هو ما هي أوجه التشابه والاختلاف في منهجية هذين التفسيرين طالما أننا حكمنا على تأثرنا لأول بالثاني ؟

المقارنة بين منهجية ( التيسير ) ومنهجية ( روح المعاني ) .

لا نرى اختلافا كبيرا بين التفسيرين من حيث المنهجية العامة ، طالما أنهما ينتميان إلى مدرسة واحدة ، ألا وهي مدرسة التيسير بالرأي ، فكل منهما يسلك المنهج التلخيصي النقدي الذي يمتد آراء المفسرين السابقين ويوهم من الصلابة ، ثم يعقبها بال نقد وابداء آرائه الخاصة ، أو ترجيح أحد الآراء الممتدة ، لذلك يقول محمد حسين الذهبي في وصف ( روح المعاني ) : " فهو جامع لخلاصة ما سبق من التفسير " و يضيف قائلا : " ينصب نفسه حكما عدلا بينهما ، ويجعل من نفسه نقادا مدققا ، ثم يبدي رأيه جسرا فيما ينقل " (1) .

وقد رأينا أن الحكم نفسه ينطبق — إلى حد ما — على كتاب ( التيسير ) ومن هنا نرى أن التباين بينهما يظهر أكثر وضوحا في وجهات النظر تجاه بعض المسائل ، و يعود ذلك إلى اختلافهما في البيئة ، والأتمسا المذهبي .

#### موقفهما من المغالين :

فإذا كان صاحب كتاب ( التيسير ) ينتقد بحرف وهدوء — أحيانا — آراء المغالين للمدرسة الأباذية الحنابلة على وجه خاص ، ويحاول تشديدها وإثبات صحة آراء مدرسته ، مقرا بذلك على اندكاره للاختلافات في الأصول ومجيزا أياما في الفروع فأق صاحب كتاب ( روح المعاني ) يذهب نفس المذهب ، منتصرا إلى آراء السلف في العقيدة رافضا كل الأوسسار المخالفة لهم ولا أهل السنة ، ويعتبر الاختلاف في الأصول مذموما حيث يقول : " ثم إن الاختلاف المذموم مسمول كما قيل على الاجتلاف في الأصول دون الفروع ، ويؤخذ هنا التخصيص من التشبيه " وذلك في تفسير قوله تعالى : " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا . . . " 105 آل عمران .

فإنه يحصر الاختلاف المسمود والجائز في اختلاف الصحابة والمجتهدين الممتد بهم ، قائلا : " فألحق الذي لا محيد عنه أن المراد باختلاف الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن شاركهم في الأجهساد كالمجتهدين الممتد بهم من علماء الدين ليسوا



بمبتدئين، وكون ذلك رحمة لضعفها<sup>٥</sup> الأئمة ومن ليس في درجتهم، مما لا ينبغي أن ينتطح فيه كبشان ولا يتنازع فيه اديان. " (1)

ولعله يقصد بالمتبعين المبتدئين كذ المخالفين لآراء أهل السنة، لأن هذا اللقب يطلقه في الغالب على الفرق المخالفة (2) وهذه نظرة ذميمة بالمقارنة بنظرة أمحمد أطفيش الذي لم يخصص فرقة في جوازه للآلاف في الفروع ويلاحظ هذا من قوله: " . . وأما الاختلاف فيما يجوز فيه من الفروع للمبتدئين من الصحابة ومن بعدهم فلا بأس به بل هو رحمة " (3).

ويظهر ميل الأئمة إلى آراء السلف في العقيدة بوضوح في اندساره للتأويل ودعوت إلى الايمان بخلاص الآيات واستشف ذلك من قوله في تفسير الآية 16 / الطك " امتنع من شي السماء " متعباً على بعض الآراء: " وأنا أقول في التأويل اتباع آلن وقول في الله عز وجل يخبر عظم والا لا تجد ما يذكره من المعنى فيه مع أن الأمر ليس كذلك، حيث يذكرون من التأويل شي واحد (4) وجوها من الاحتمالات وفيما عليه السلف سلامة من ذلك ويكفي هذا في كونه أحسن المسالك.

"وما علي إذا ما قلت محقدي \* دع الجمهور يظن الجهل عدواً لنا" (5)  
بخلاف أمحمد أطفيش الذي يدعو إلى تأويل كل آية يؤدّي معناها إلى التشبيه ويرى ذلك . . كما رأينا . . واجباً .

ولكن الأئمة . . مع ذلك . . يؤيد آراء أهل السنة، ويتبنّاها، ويدافع عنها معاولاً رد كل الآراء المخالفة لها، شأنه . . في ذلك . . شأن أمحمد أطفيش في دفاعه عن آراء الأباضية وادبات آرائهم، وهذا المثال يوضح ذلك .

ففي تفسير قوله تعالى: " ويعفو عن السيئات " 25 / الشورى يستعرض في بداية الأمر رأي مذهبه قائلاً: " صفاؤها وكبائرها لمن يشاء من غير اشتراط شيء كالتوبة المكبائر واجتنابها للصائغ . . " ثم يستعرض لرأي المعتزلة الذي يشترط التوبة في الكبائر واجتنابها للعفو عن الصغائر باعتبار هذه الآية تميمها بعد تخصيص فيقول رداً عليه . .

- (1) روح المعاني 23/4 - 25 المجلد 2.
- (2) أظن مثالا في ن 30 . 268/1 المجلد 1.
- (3) التيسير 562/1.
- (4) نحل الصحيح (تأويل شي واحد).
- (5) روح المعاني 13/ 29 ، 19 المجلد 10.

وتدعيهما للرأي السابق: "والظاهر مع أهل السنة إذ لا دلالة في التذلم الجليل على تخصيص  
السيئات، نعم المراد بها غير الشرك بالاجتماع." (1)

فإذا كان المفسران يتفقان في الرد على مخالفي المدرسة الإباضية وأهل السنة في  
المسائل المشتركة بينهما إلا أنهما يختلفان في أسياها في وجهات النظر في فهم هذه  
المسائل وعلى سبيل المثال في تفسير قوله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك  
هم الكافرون" 44/المائدة.

يرى الألوسي أن الموء من الفاسق في نظر الخوارج - كافر ويقول في ذلك:  
"واجتجت الخوارج بهذه الآية على أن الفاسق كافر غير مؤمن" (2) بينما نجد أمجد  
أدفيش يفرق بين مفهوم الكافر في رأي الإباضية والخوارج قائلا: "واستدللت  
الصفوية بالآية على شرك فاعمل الكبيرة وأعطوا لمنهم الله لأن الكافر في الآية ليس  
شركاً على الإطلاق بل معنى عام قابل للشرك" ويتضح رأيه أكثر في هذه المسألة  
في قوله: "على أن الكافر كفرة ممة أو كفر شرك على التشبيه لا الحقيقة تخفيفاً عليهم"  
(3).

وإذا أمعنا النظر بعد هذا الخلاف الظاهري في الفهم نلاحظ اتفاق المفسرين  
في وجهة النظر في هذه المسألة على الرغم من محاولة اثبات كل منهما لرأي مذهبه ومعتقده.  
(4).

فإذا كان مفهوم الكافر عند أهل السنة حسب رد أمجد أدفيش محصوراً في الشرك (5)  
فإن ما يفهم من كلام الألوسي أن هناك رأياً يرى: "المراد من الأخيرين من الكافر  
أيضاً - بعض المحققين، وذلك بحملهما على الفسق والتذلم الكاملين." (6).  
يجعلنا لا نرى هناك فرقا بين مفهوم الكافر عند هؤلاء الإباضية، إذا أريد به كفر  
ممة.

(1) ن.م. 36/25 المجلد 09.

(2) ن.م. 145/6 المجلد 2.

(3) التيسير 93/2، 94.

(4) روح المعاني 145/6، 146 المجلد 2، التيسير 93/2، 94.

(5) التيسير 94/2.

(6) روح المعاني 146/6 المجلد 2.

ويظلم رأينا - اتفاق المفسرين في التحذير من أخبار الشيعة ، فيقول الألووسي : " أخبار الشيعة من أهل البيت أو من بيت الصنكوت وأنه أو من النبوت " (1) ، ومما يؤيد ذلك قوله : " وكل ما يورونه في ذلك كذب صريح وفيه القول بالرجعة التي لا ينسحق لهم عليها دليل : " وورد هذا النقد في اعتبارهم اندابة المذكورة في قوله تعالى : " وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة " 82 / النمل هي علي بن أبي طالب ، وهذا قول بالرجعة . (2)

وكما أنتقدا بشدة آراء المذاهب المخالفة ، استعملا أيضا - العنق في الرد على أئمتهم ، وهذا المثال يبين ذلك ، ففي تفسير قوله تعالى : " وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله " 48 / الأعراف يقول الألووسي رداً على الزمخشري : " . . فأعزى المعتزلة في الدنيا المعتدي بنفسه على قول الله تعالى حكاية عن قول الموحدين في مقصد صدق (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) واختار لنفسك أي الفريقين تنقدي به ولا أراك أيها العاقل تعدل بما نسوه الله تعالى به قول ضال يتذبذب مع هواه وتصيبه ، ولما رأى الزمخشري هذه الآية كافحة في وجهه قومه فسأل الهدى باللطف الذي يسببه ، بخلق الصبذ الا متصداً لنفسه وهو لمصرو بكلام من حرم اللطف لسأل الله تعالى العفووا لمافية وبهذه الطريقة ، ومن هذه الوجهة يستعزى المفسران آراء مذاهبهما ويتصران اليهما بكل ما لديهما من حجج عقلية ونقلية ، مفندي آراء مخالفتهما وحججهن ، ومحاولين الرد عليهن ، وهما بذلك يتصيان نفسيهما مدافعين عن وجهة دار معينة ، نشأ عليها ، وتشربا مبادئها حتى أصبحت جزءاً من كيانها وعقيدتها ، وينظران إليها على أنها الحق الذي لا محيد عنه ، وتمثل في نظر كل واحد منهما العقيدة الصحيحة وغيرها ضالة وزائفة عن الحق ، ورغم أن الاختلاف في المسائل الحقائقية كان من عهد الصحابة ، والتابعين الأوائل ، ولا أدل على ذلك من أن كل واحد منهما يستدل على صحة عقيدته ببعض هو الآخر ولعل ما يسبب إلى السلف والخلف من باب التغليب فقط ، أو مجرد دعا يمة للكسرة ومذهب ولكن مع ذلك نرى أن هذا الدفاع لا يعتبر تعصبا ، إذا صدر عن اقتناع وإيمان راسخ بصحة ما ذهبوا إليه لأن طبيعة العقيدة تتدلب ذلك .

(1) ن . م . 33 / 11 المجلد 4 .

(2) ن . م . 22 / 20 المجلد 10 .

(3) ن . م . 121 / 03 المجلد 03 .

ولكن نذكرهما الى مسائل الفسوع تختلف كل الاختلاف ، فيكتفيان فيما باستعراض الآراء المختلفة وترجيح الرأي الذي يسراه كل واحد منهما صادقا ، وفي الخالب يقمع الاختيار على رأي مذهبه ، فمثلا في مقدار عدد المصلين الذين تصح بهم صلاة الجمعة في تفسير قوله تعالى : " فاسعوا الى ذكر الله " الآية 09/الجمعة يرجح الأوسى رأي أبي حنيفة قائلا : " وأنا أقول أرجحها مذهب الأمام أبي حنيفة " ثم يفتسي في تدعيم رأيه بقوله : " وقد رجحه المزي وهو من كبار الأخذيين عن الشافعي ، وهو اختيار الجلال السيوطي ، ووجه اختياره مع ذكر أدلة أكثر الأقوال بما لها وعليها مذكور في رسالته له ممصاها ( فهو الشفعة في عدد الجمعة ) ، ولولا مزيد التطويل لذكرنا خلاصتها ، ومن أراد ذلك فليرجح اليها ليظهر له بنورها حقيقة الحال . " (1)

فاذا قلنا بينه وبين أحمد أطفيش لاحظنا انتشار الأول من ذكر المصادر التي يستمد منها هذه الآراء ، بينما الثاني يكتفي في مريضم الحالات ، بسرداها ، وفي بعض المسائل يكشف الدارس تشابه هذه الآراء المختلفة المنسوبة الى أئمة المذاهب أو غيرهم من العلماء ، مما يجعله يعتمد اعتماد أحمد أطفيش تفسير الأوسى مصدرا ، ولا يعني هذا أنه كان يسايره في جميع آرائه أو ينقل ذلك عنه حرفيا دون إضافات ، ومن هذا المثال يتضح لنا ما ذهبنا اليه : ففي تفسير قوله تعالى : " فاسعوا الى ذكر الله " الآية 9/الجمعة يتفق المفسران في سرد الآراء المختلفة في تقدير عدد المصلين المشروط لصحة صلاة الجمعة كما يتفقان في رفض قول الناشا تي الذي يشترط شخصا واحدا ، غير أن الأوسى يذكر المصدر الذي استقى منه القول الأخير والذي هو ( شرح المكذب ) ، وأما أحمد أطفيش فقد اقتصر على رد هذا الرأي ، لكنه من جهة أخرى يبين الفرق بين رأيي الشافعي القديم والجديد في القضية قائلا : " وهو جديد الشافعي وهو في مصر إذ هرب اليها وقد يسه ما له في بغداد قبل الهروب " كما أنه يحاول إيجاد احتمال لتفسير أبي القاسم للمبعض المنعقد بين أسرته والمحدثار أدباء صلاة الجمعة قائلا : " قلت لعله انتقد لأن البائع قد نزلت منه الجمعة ، وأولم تلزم النساء والخدم والأطفال من أهله " (2) بينما الأوسى قد اكتفى بسرد الحادثة مع بيان ما تفيد هذه الحادثة قائلا : " وظاهره حرمة البيع إذا تودي للصلاة على غير من تجب عليه أيضا " (3).

- (1) ن . م . 102/28 ، 103 المجلد 10 ، أنظر هذا الآخر حول ترجيح رأي مذهبه في مسألة جواز الاستماع للكفار في قتال المشركين وهو مذهب أبي حنيفة ن . م . 120/3 المجلد 1 .
- (2) التيسير 216/6 .
- (3) روح المعاني 102/28 ، 103 المجلد 10 .

ومن هنا لا يستبعد أن يكون (روح المعاني) مصدر أمحمد أطفيش في اقتباس آراء المدارس الفقهية المنظمة ، هذه الآراء التي تعتبر أحد ميزات التفسيرين ، وإن كان تفسير أمحمد أطفيش يزيد على الأول في إبراز آراء المدرسة الأباضية الفقهية ، ومكانتها بين بقية المدارس الأخرى بأدلتها وحببها ، ووجهة نظرها .  
 ووجهة نظرهما من الأسرانيات :

أول ما يلاحظه الباحث من اختلاف بين أمحمد أطفيش والأوس في هذه المسألة ، ذكر هذا الأخير في معظم الأحيان للمصادر التي اعتمدها في استيقان المعلومات ، بخلاف أمحمد أطفيش الذي يستغني في كثير من الحالات عن ذكرها ويتفلسف في نقد بعض الروايات وتفنيدها ، والمثال التالي يبين طريقة الأوس في نقل الأخبار ونقدها .  
 ففي تفسير قوله تعالى : " اهبطوا بطونكم لبعض عدو " 1/24 الأعراف ، يقول بعد نقل رواية الأجهوري عن الغزالي التي تنزول آدم من الجنة إلى البحث عن مكان لقضاء حاجته نتيجة أكله من الشجرة المحرمة ، فيقول محقبا على هذه الرواية : " وأنا لا أرى لهذا الخبر صحة " (1)

غير أنه قد يكتفي بسرد الرواية مع استمالة بصيغة التبصير دون ذكر المصدر مثلما فعل في روايته كدقيقة نزول المائدة ومحتوياتها ، وقد استملها بقوله : " روي أن عيسى عليه الصلاة والسلام . . " (2) وذلك في تفسير قوله تعالى : " لا أعذب أحدًا من الله العالمين " 115/ المائدة .

ومن هنا نرى أن الاختلاف الوحيد بين المفسرين هو مدى ذكر المصادر المختصة في هذه المسألة ، وقد كان الأوس يذكّر هذه المصادر أكثر من نظيره .

(1) ن.م. 102/08 المجلد 03 .

(2) ن.م. 63/07 المجلد 03 .

وجهة نظرهما من التفسير الأشعاري والتصوف.

ولحل أول ما يلفت نظرا ونحن ننتفضح التفسيرين ، موقف الألو سي المؤيد  
 لتفسير الأشعاري والتصوف ، وموقف أم محمد أطفيش الرافض لهما ، وقد يتجلى موقف الألو سي  
 مثلا في تفسير قوله تعالى : " أن آية ملكه " 249/ البقرة يقول المفسر : أن آية ملكه  
 عليهم وخلافته من قبل الرب فيكم أن ياتيكم تابوت الحديد فيه سكينه أي طمأنينة من  
 ربكم وهي الطمأنينة بالإيمان والأمن بالله تعالى أنج . . " (1)  
 بينما يرفض أم محمد أطفيش التفسير قائلا : " أو التابوت القلب والسكينه ما في القلب  
 من الصلح والانضلال واتيانه مسير القلب كذلك بعد أن لم يكن وهو ضعيف لأنه لا يلا ثم  
 أنه آية ملك طابوت لخفاة " (2).

والألو سي يصرح بموقفه المؤيد بجملة في قوله : " وأما كسلام السادة الصوفية  
 في القرآن ، فهو من باب الاشارات الى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ، ويمكن التطبيق  
 بينهما وبين الظواهر المرادة ، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان " ثم يهني في  
 قوله مدافعا عن هذا الاتجاه انكارهم لظواهر الآية الذي يؤدى الى نفي الشريعة  
 بالكلية ، ويبري الصوفية عن هذا الاعتقاد ، ويقتسم قوله : " فلا يهني لمن له أدنى  
 مسكة من عقل بل أغنى ذرة من إيمان أن ينكسر اشتغال القرآن على بواطنه يهنيضا  
 المبدأ الفياض على بواطن من شاء من عباده . . " ويحتر انكار ذلك قسورا في العقل  
 ويقول في هذا الشأن : " فالانصاف كل الانصاف السليم للسادة الصوفية الذين هم  
 مركز للدائرة المحمدية ما هم عليه واتهام ذمك التقييم فيما لم يصل لكثرة الحقائق  
 اليه " (3).

ويذهب به الأمر الى أبعد من ذلك ، إذ بين انكارهم للخلود في النار " مبني على مشرب  
 آخر وتجل لم ينكشف لنا والكثير منهم قد بنى كلامه على اصطلاحات ورموز وأشارات قد  
 حال بينها وبين فهمها الحقائق الدنيوية والحلايق النفسانية " (4).

(1) ن.م. 175/03 المجلد 1

(2) ن.م. التيسير 1/360 ، 361 .

(3) روح المعاني 1/07، 08 المجلد 01 .

(4) ن.م. 142/1 المجلد 01 .

ويؤيد من بعض أرواق التي تمتد لها الصوفية ، ويتحامل على من ينكرها لاحظ ذلك في قوله : " كما يحكي عن بعض الأولياء قدست أسرارهم ، أخصم يرون في وقت واحد في عدة مواضع ، وما ذلك إلا لقوة تجرد أنفسهم وغاية تقديسها ، فتعمل وتظاهر في موضع وبدنها في موضع آخر . . . وهذا أمر مقدر عند السادة الصوفية مشهور فيما بينهم وهو غير طي المسافة وانكار من ينكر كلامهما عليهم مكابرة لا تصدر إلا من جاهل أو منافق " (1)

من هذه الأمثلة يتجلى للقارئ موقف الأوسى وإيمانه بالتفسير الأشاري وأنسياقه وراء أفكار المتصوفين ، حتى ليخال له أنه أمام تفسير يمثل هذا الاتجاه لكثرة ما ورد فيه من أفكار مدرسة التفسير الأشاري والنزعة الصوفية ، وقد رأينا موقف أحمد أنطيس الرافض لهذا النوع ، وتعامله على نزعة التصوف ، والتسرام من بعض أفكارهم المتعارفة وقد استعمل في نقده لها بعض العبارات الدالة على استنكاره لهذه النزعة مثل : زعم أهل التصوف . . . وان لم يحجبك هذا فاضرب به وجوه الصوفية . . . الخ (2) ، غير أنه - مع ذلك - يبدى احتراما لآراء بعضهم مثل الجعيد وآبن العربي ، ويؤمن بصحة كرامات الأولياء وهذا المثال يؤيد ذلك : " نفي تفسير قوله تعالى : " وتحمل أثقالهم إلى بلد لم تكونوا . . . " / التحل ويقول المفسر : " . . . فلا تنافي كرامات الأولياء ولا تبطلها في طي مسافات الأرض فيصلون المواضع البعيدة في زمان قريب بقدر ينمى الوجود ومشاهدته " (3) .

ويتجلى مما تقدم اختلاف وجهة نظر المفسرين من التفسير الأشاري ومذهب التصوف ، مع اتفاقهما في الإيمان بكرامات الأولياء ، والاعتراف بفضل علماء التصوف في خدمة العلم ، واستنكارهما لما ابتدئته الصوفية من عادات مخالفة للشرع ، ومن اعتقادات باطلة . (4) ولعل ما يمتاز به (روح المعاني) عن (التيسير) اشتغاله على آراء مدرسة التفسير الأشاري وأفكار المتصوفين ، بحيث يتيح للقارئ فرصة الأطلاع على هذا الاتجاه بكل ما فيه من محاسن مساوئ ، غير أنه من الأخطاء المؤخذة الأوسى على أنسياقه وراء النزعة الصوفية وإيمانه بأفكارها إلى درجة اعتبارها أمورا رمزا يصجز

(1) ن . م . 13/23 ، 14 المجلد 08 .

(2) ارجع إلى هذا البحث ص .

(3) التيسير 3/553 .

(4) أنظر رأي الأوسى في ذلك في تفسيره روح المعاني 18/20 و 70/21 المجلد 07 .

شخصياً عن فهمها وقد تحولت في حدّ تعبيره " بيننا وبين فهمنا لذلك الحق الدنيوي  
والعلائق النفسانية" (1) وما مسألة أنكارهم للخلود في التدارك الأدليل على ذلك .

### المسائل العلمية والتفسيريّة :

لا يلاحظ الدارس اختلافاً كبيراً في هذه المسائل بين المفسرين ، ففي المسائل العلمية  
لا تتحدّى معرفتهما حدود عصور الأقطاب ، فهما ينسبانها إلى أهل الهيئة أو الفلاسفة  
مع التشكيك في أتوالهم ... أحياناً ... وهذا ما يفهم مثلاً من تعليقهم على قول أهل الهيئة  
بوجود مسافات شاسعة بين الكواكب تقدّر بملايين الفراسخ كما هو الحال بين كوكب الشمس  
والأرض ، فيختتم الأئوسيّ هذا الخبر بقوله : " إلى آخر ما زعموا " (2) وذلك في تفسير  
قوله : " زيننا السماء الدنيا بما بيح " 05 / الملك :

كما يذهبان إلى التوفيق بين العلم والأثر ، إذا وجدنا تناقضاً بينهما ، وخير  
مثال على ذلك ما جاء في الأثر أن الشمس تسجد تحت العرش ، وما يعرفه علماء فلكنا ، يقول  
الأئوسيّ : " . . . والتي يغدار بالبال في حلّ ذلك الأشكال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ،  
أن الشمس وكذا سائر الكواكب مدرسة عاقلة كما يبيّن عن ذلك قوله تعالى الآية : " كل في  
فلك يسبحون " (3) حيث جيء بالفصل مستنداً إلى ضمير جموع العقلاء ، وقوله تعالى : " أتى  
رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " (4) .

لنحو ما ذكر يدّل عليه فلا حرج ما بقي عن أبي ذرّ من أنّما تسجد وتستأذن ، فإن المتبادر  
من الاستئذان ما يكون بلسان القائل دون لسان الحاصل .

وقد يستجد الأئوسيّ بأكثر من الصوفية لتفسير الألوامير الكونية مثل قوله :  
" . . . فيمكن أن يقال أن للشمس نفسها مثل تلك الأفسس القدسيّة ، وأنّها تتسلخ  
عن الجسم المشاهد والمعروف مع بقائها نوع من التعلّق لها به ، فتفرج إلى العرش فتسجد  
تحت بلا واسطة وتستقر هناك وتستأذن ولا ينافي ذلك سيحور هذا الجسم المعروف ، وعدم  
سكونه حسبما يدعيه أهل الهيئة وفيهم . . . " غير أنّه يرجح القول الأول ويبقى

(1) ن . م . 142 / 1 المجلد 01 .

(2) ن . م . 09 / 29 المجلد 10 .

(3) 40 / يسس .

(4) 04 / يوسف .



الثاني مجرد احتمال، (1) ، ويرى أن الحكم على التأويل الكارثية يتم حسب الحالات التي تظهر ما لم يثبت دليل قطعي خلاف ذلك: "حيثما يعيل إلى التأويل وبا بسمه وا مسح" (2).

وطريقة الأوسى في الاستعانة بالعلوم لأبراز مضمين الآيات الكريمة لا تختلف كما رأينا عن طريقة أحمد أطفيش الامن حيث نجو<sup>٥</sup> الأول إلى أكدا والموقية<sup>٥</sup>، واختلفا في الايمان ببعض المسائل، وجسرة الثاني على نقدهما، وقد تعرضنا لذلك في الفصل الثاني من هذا الباب.

أما المسائل اللغوية، فكانت وجهات نظرها تكون متفقة في طريقة توظيف هذه المسائل في التفسير، وأن كان هذا لا يمنع من ملاحظة اختلاف هذه الوجوه في تفسير هذه المسائل واستقلال كل منهما برأيه الخاص، وبما نجد أحمد أطفيش يشار إلى الأوسى في موافقه من أبي حيان في المسائل اللغوية، ويستنكر موقف بعض البخداديين من بينهم فيما يبدو والأوسى ويقول في ذلك: "ورد علي تفسير قبل هذه السورة بمقدار البخدادي يكرهه الرد على أبي حيان، ولي حمة في الجواب عنه، لكن لي أشغال" (3) وبما يرى أن ردهم على أبي حيان لا يقصد به الرد وكأني به يريد أن يتقدم بنصب الجدا له، وهذا ما يقدم من قوله: "وما مراده الرد على الأمام أبي حيان، ولو أنصف لهذا الأمام لكان أولى" (4) ولعل استعماله لتفسير المفرد الخائب إشارة إلى الأوسى الذي يلاحظ الدارس في كتابه ردودا كثيرة على أبي حيان (5) وبلغ الأمر بالمفسر إلى درجة اتهام المفسرين بتصيد أخطاء أبي حيان، والتجاوز عن حسناته، ويقول في ذلك: "وأرى بعض المفسرين البخداديين إذا رأوا لأبي حيان حسنة دفعا أو بغي لها جوابا، أو رأى سيئة أشاعها، ومتى شاء اغتنم منه الفائدة" (6).

ولعل هذا المثال يبين لنا ضرورة من الخلافات بين المفسرين والمخارطة، وانتصار كل مفسر لملصق منطقتة، كما يتجلى منه اختلاف المفسرين في وجهات نظرهما تجاه بعض المسائل اللغوية والنحوية، لكن أسلوب استقلال هذا المفسر في التفسير لا نلاحظه

(1) روح المعاني 13/28، 14 المجلد 08.

(2) ن.م. 100/27 المجلد 09.

(3) التيسير 49/06.

(4) ن.م. 153/3.

(5) روح المعاني 160/30 المجلد 10، 144/27 المجلد 09.

(6) التيسير 585/6.

فيه اختلافاً يذكر، ونفس الحكم يندبِق على المسائل العلميّة التي تحكس ثقافة كلّ مفسّر  
لكنها ثقافة لا تمدو أن تكون العماما ببعض المعارف العامّة في علم الفلك والطبيعيّة  
والفلسفة، بمفهومها المعروف في عصر الأندلس، وإن كانت لا تخلو من بعض المعلومات  
المعاصرة للمفسرين، (2)

وتخلو أئس التول بأن المفسرين يمثّلان المدرسة السلفيّة في التفسير وينتميان الي  
مدرسة الدراية، ويمثّل كلّ واحد منهما وجهة نظر انتسائه العقائدي والمذهبي والدفاع  
عما يكّن ما أوتي من أدلة وحجج، مع محاولة تشييد أدلة خصمه، وهذه نظرة ليست  
غريبة عن التفسير التي ظهرت بعد تبلور المدارس الإسلاميّة.  
المقارنة بين (التيسير) و (جواهر الحسان).

يمثّل تفسير (جواهر الحسان) لعبد الرحمن بن محمد بن مغلوب الدمشقي (733، 784 هـ  
373، 275 هـ) مدرسة التفسير بالمأثور، ويرجع الي القرن التاسع الهجري بينما تفسير  
(التيسير) يعتبر حديثاً بالمقارنة بسابقه، ويمثّل مدرسة التفسير بالدراية، ورشم  
هذا الفاصل الزمني، وأختلاف منهجيّة التفسير لا يلاحظ إلاّ في اختلاف كبيراً من حيث طريقة  
التأليف والمحتوى، وهذا راجع الي المصادر المعتمدة في التفسيرين، التي لا تتحدى  
أممات التفسير المعروفة، في هذا العلم وهذا لا يعني اتفاق وجهات نظر المفسرين  
في رؤيتهم للمسائل المختلفة.  
كما أن هذا لا يمنع من وجود أختلاف واضح وبين في منهجيتهم في التفسير وهذا الأختلاف  
يظهر في الجواب التالية :-  
1) طريقة الاستقادة من المصادر:

فإذا كان الدمشقي قد اعتمد في مؤلفه تفسير ابن عطية، ممّا دعا عبدالوهاب  
قايده الي اعتباره منهجاً لهذا الأخير (2)، وقد أقرّ، المفسر نفسه بذلك في مقدمة مؤلفه  
قائلاً: " فقد ضمنت بهمد الله الهمم ممّا أشتمل عليه تفسير ابن عطية "

(2) أنظر أمثلة في روح المعاني 145/28 المجلد 10، 100/27 المجلد 09، 93/29، 94  
المجلد 10 (كربة الأرض) يطلق على أهل الآراء المعاصرة (فلاسفة العصر) أهل الميئة الجديدة  
الحكماء الجديدة أنج... أنظر أمثلة في التيسير 09/6 تقسيم الفرنسيين للمغرب العربي وتاريخ  
استيلائهم على الجزائر المعاصرة.  
(2) عبدالوهاب بعبد الوهاب قايده منحج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم ص 294.

لكنه أضاف إليه - على حدّ قوله - فوائد كثيرة من المصادر الأخرى ، ويفهم ذلك من قوله :  
 " وزدته فوائد جمّة من غيره من كتب الأئمّة وثقات أعلام هذه الأئمة " كما ضمّه سأيناً ..  
 بعض آرائه الخاصّة وكان يرمز اليها بحرف (ت) وقد التزم في قوله الأمانة اللمية ، والنقل  
 الحرفي لآراء غيره خوفاً من الخطأ ويقول في ذلك : " وكل ما نقلت عنه من المفسرين شيئاً فمن  
 تأليفه نقلت وعلى لفظها حبه عزّلت ، ولم أنقل شيئاً ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الزلل ،  
 واتّما هي عبارات وألفاظ ظلمن أعزوها إليه .. " .

وبالفعل يلاحظ الدارس ، وفي الخالصة ذكر السند والمصدر وقد أولى أهمية لهذا

الجانب ممّا دعاه الى توجيهه الفارس لتصحيح ما أشكل عليه الى المصادر التي اعتمدها  
 وتجنب استخدام رأيه في ذلك ، ويفهم هذا من قوله : " ومن أشكل عليه لفظاً في هذا المختصر  
 فليراجع الأئمّة المنقول منها ، فليصلحه منها ، ولا يصلحه برأيه وبديهة عقله فيفسح في  
 الزلل من حيث لا يشعر " . (1)

وهذه النصوص تدلّ دلالة واضحة على اهتمام المفسر بالتحقيق ، والتزامه بالأمانة

العلمية في النقل ، ونسبة الرأي الى صاحبه ، وهذه الميزة لا نجدها في كتاب (التيسير)  
 المشتمل بدوره على آراء أعلام التفسير وأئمّة الفقه ، والتاريخ ، وعلوم الأخرى ، لكن صاحبه  
 لم يبلغ درجة تحقيق النص التي بلغها صاحب كتاب (الجواهر) . ممّا يستدعي من الدارس  
 - في حالة تحقيق النصوص - الرجوع الى كتب التفسير والمصادر الأخرى ، وتكبّد عباءة البحث ،  
 بينما لا يجد في ذلك صعوبة كبيرة في كتاب (الجواهر) ، وقد يحتمل الدارس اعتماد أحمد  
 أظفيس في نقل بعض الآراء على مراجع أخرى غير مصادرها مثل ما لاحظنا ذلك في بعض المسائل  
 التي لا يستبعد نقلها من كتاب (روح المعاني) .

ولكن (التيسير) يتفوق على (الجواهر) في آسئما له على معلومات مختلفة ويعتبر

موسوعة في التفسير بالمقارنة به ، إذ يحتوي على آراء منتلفة الأتجاهات في هذا العلم ،  
 وتبرز فيه شخصية المفسر بوضوح ، بينما لا يجد وكتاب (الجواهر) أن يكون مختصراً لكتاب ابن  
 مطية مع إضافات أخرى ، وتدخلات المؤلف انقليلة ممّا دعاه محمد حسين الذهبي الى القول :  
 " إن الذهبي في تفسيره هذا ليس له بعد الجمع والترتيب الأمل قليل ، وأثر فكري ضئيل " (2)

(1) الجواهر 1/07، 03 .

(2) التفسير والمفسرون 1/250 .

ففي المسائل الفقهية كثيراً ما يقتصر على آراء المذهب المالكي ، محاولاً الانتصار له وان تعداده لا يتجاوز — في أغلب الأحيان — مذاهب أهل السنة ، والحقيدة الأشعرية أو السلفية ، وان سائر آراء غيرهما تصد بذلك الرد عليهما وتفنيدهما ، مثلما نلاحظ في مسألة روية الباري ، فبعد استعراضه لآراء أهل السنة في القضية وأدلتهم وحججهم المعتلية وانتقالية ، راجح يرد على ابن عطية قوله تحقياً على قول مجاهد وغيره : " ان الله عز وجل قال له : " يا موسى لن تراني (1) ولكن سأتجلى للجبل وهو أقوى منك وأشد فان استقر وأطلق الصبر لمحييتي فستملك أنت روءيتي " فقال ابن عطية :

" فصلي هذا إنما جعل الله الجبل مثالا " ثم يقول رداً على ذلك : " قلت وقول (ج) (2) ولو ببقينا مع هذا النقي بمجردة لقضينا أنه لا يراه موسى أبداً ولا في الآخرة قول مرجوح لم يفتن له رحمه الله ، والحق الذي شك فيه أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد " واثراً ذلك يرد على الزمخشري : " وذكر الزمخشري في (أنموذجيه) أن لن لتأبيد النقي وحامله على ذلك اعتقاده أن الله تعالى لا يرى وهو اعتقاد باطل لصحة ثبوت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستدل بما يفتسي عن (لن) التأييد " (3) .

**ويبلغ به الحد إلى التحذير من مطالعة تفسير الزمخشري مجازاً لآراء شيوخه**

ويقول في ذلك : " وحذر الشيخ ابن أبي عمرة من النظر في تفسير الزمخشري ، ونبه على عدم جواز مطالعته لوجهه عليه ، وبه أقول وقد أدركت جماعة من مشايخي الورعين الدنائين يجتنبون النظر في تفسير الزمخشري ومن خاف على نفسه احتاط لهما " (4) والعامل الذي دفعه إلى اتخاذ هذا الموقف المحادي لتفسير الزمخشري تمسكه بالحقيدة الأشعرية وآراء أهل السنة ، ولا سيما المذهب المالكي وهذا المثال يوه كد لنا ذلك ، فيقول في أية اللسان (5) : " ومشهور المذهب أن نفس تمام اللسان بينهما فرقة هو لا يحتاج معها إلى تفريق حاكم وتحريم اللسان أبدي باتفاق فيما أخذ من مذهب مالك " (6) .

وإذا قارنا هذا الموقف بموقف أحمد بن يوسف ألقيش وجدنا هذا الأخير أكثر تشبهاً على المذاهب والفرق ، إلا من حيث تناول آرائها ، ولا من حيث الاستفادة من أفتائها .

(1) 143 / الأعراف

(2) يرمز به عرف الحين (ج) لابن عطية .

(3) الجواهر 63 / 2 / 69 .

(4) ن . م . 191 / 5 .

(5) النور / 09 .

(6) الجواهر 172 / 3 .

(2) أسلوب الاختصاص:

يظهر أسلوب التّحليل في الاختصاص في عدّة جوانب منها خاصّة:

أ. عدم تعرّضه لاختلاف الفقهاء من مسائل الفروع الأنادرا، إذ يكفي في معظم المسائل بآراء علماء المذهب المالكي، وإذا تعرّض لغيرها، لا يتجاوز في ذلك انمذاب الأربعة المعروفة. (1) بينما نجد كتاب (التيسير) أكثر شمولية لآراء المدارير الإسلامية بما فيها المدرسة الإباضية، غير أنّ كليهما يلتزم الاختصار فإذا كان الأول يبيد واختصاره فيما تقدّم ذكره، فإن الثاني يستغني عن ذكر المراجع والتسديد وأحياناً الأدلة. (2)

وكلاهما يحيل القارئ في بعض المسائل على كتب الفقه، فمثلاً يقول التّحليلي في نهاية تفسير آية التّكسار ما يلي: " وفروع الظاهر مستوفاة في كتب الفقه، فلا يطيل بذكرها " (3) ويقول أمحمد أظافيش في بعض مسائل الوراثة: " وبسبب المسئلة في شرح التيسير وشرح الدعاء ثم " (4) ومما يلاحظ أنّ هذا الاختصار كثيراً ما يحيل القارئ على مؤلفاته.

ب. يتجنب التّكرار وهذه سمة بارزة في كتاب (الجواهر) وقد أشار المفسر إلى ذلك قائلاً: " وقد استوعبت فيه بحمد الله مهمات ابن عدلية وأسقطت كثيراً من التّكرار وما كان من الشواذ في غاية الوهي " (5).

وفي قضية الرومية مثلاً في تفسير قوله تعالى: " وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها. ناظرة " 23 / التّاية يقول المفسر: " وقد تقدّم استيعاب الكلام على هذه المسئلة وما في ذلك من صريح الأحاديث " وذلك بعد أن ساق رأي أهل السنة. (6) وبلسخ به الاختصار إلى درجة الاستغناء عن تفسير بعض الآيات، أو الاقتصار على تذييل الصّحوبات اللّغوية تعاشياً للتّكرار والاطمئنان، ففي آخر تفسير قوله تعالى: " يخالفون عن أمره " 63 / التّور يقول: " وباقي الآية بين والحمد لله " (7)

(1) أنظر أمثلة في الجواهر 1 / 185 - 133 (مسائل الحج)

(2) أنظر أمثلة في (التيسير) 1 / 260 - 273 (مسائل الحج).

(3) الجواهر 4 / 581.

(4) التيسير 1 / 692.

(5) الجواهر 4 / 692.

(6) ن. م. 4 / 522.

(7) ن. م. 3 / 199.

وفي تفسير قوله تعالى: "والسماوات البروج" 1/ البروج يقول: "هي المنازل التي عرفها الحرب وقد تقدم الكلام عليها" (1).

يصف المفسر كتابه بقوله: "كفاية للمبتدئ يستشفي به عن المتأولات" (2)،

ولعل هذا الوصف يصدق إلى حد بعيد على مؤلفه، كما أن وصف أحمد أطفيش لكتابه

(التيسير) بقوله: "لتزهدوا فيه لأنه غير طويل بل متوسط مع جملة مما ليس في المتأولات" (3)

يدل على مدى التزام صاحبه بالأقتصار لكنه يلجأ إلى التكرار ولا سيما في مسائل

الخلاف رغبة منه في تثبيت آرائه في ذهن القارئ، وقد ضربنا مثالا على مسألة الرواية

التي تعرض لها في عدة مواضع من تفسيره، كان بإمكانه الأقتصار على توضيحها في موضع

واحد، ولكن لا يعني هذا أن هذه الملاحظة تنطبق على جميع المسائل الواردة في تفسيره،

وقد يشير إلى أن بعضها قد سبق شرحها مثل قوله في تفسيره: "ووجدك" 08/ النحي،

"مثل مأمّر" (4)، والمفسر لا يوفى من بالتكرار في القرآن من أجل التكرار، لذلك يحاول أن

يجد في تفسيره للآيات المتشابهة عدة أوجه، وقد أشار في سورة (الكافرون) إلى إنكاره

للتكرار من أجل التكرار قائلا: "وعلى كل وجه لا تكسر في الآية" (5)، وقد يحاول

زيادة بعض الإضافات التي لها علاقة بسياق الآية مثل تفسير قوله تعالى: "إذا السماء

انفطرت" 01/ الانفطار، يقول: "كلها فلا أفراد بعد بتأويل الجماعة أو السماء الدنيا

(انفطرت) مداوع فطرهما أي تقطعا فانشقت لنزول الملائكة يوم تشقق السماء بالغمام ونزل

الملائكة تنزيلا" (6)" (7).

وقوله: "إذا السماء انشقت" 03/ الانشقاق، يقول المفسر: "مداوع شق، توجهت إرادة الله

إلى شقها فانشقت ومثله انفطرت أي انشقت بالغمام، كما قال الله سبحانه وتعالى: "يوم

تشقق السماء بالغمام" يسألها عليها فتشق، به، وقيل تشقق لهول يوم القيامة، لنقله

تعالى: "وانشقت السماء فهي يومئذ واهية" (8) ولا مانع أن يكون الحصول هو تسلط

الغمام فذلك قول واحد... (9).

(1) ن.م. 593/4.

(2) ن.م. 153/4.

(3) كشف الكسر 1/26.

(4) التيسير 6/620.

(5) ن.م. 701/6.

(6) الفرقان / 25.

(7) التيسير 6/515.

(8) الحاقة / 16.

(9) التيسير 6/535.

ولعل حرص المفسر على جعل كتابه شاملا وجامعا مع محاولة الاختصار هو الذي فرض عليه هذه الطريقة في التأليف.

جاء يختصر المفسر في سرد الروايات الإسرائيلية، ويختارها يراه مساعدا على الشرح، والذي دعاه الى ذلك... أيضا... شكسه في صحتها لضعف سندها ولعدمه، فبعد سرده للأسلوب الذي قاتل به داود جالوت وهو شبيه بما ذكره أمحمد أطقيش بقول: المفسر: "وتد أكثر الناس في قصص هذه الآيات، وذلك ككسه نين الأسانيد، فلذلك انتقيت منه ما تنفك به الآيات، ويحلم به مناقل النازلة." (1)

وقد يستغني من بعض التفاصيل مقصد الاختصار مثلما فعل في وصف مائدة بدي إسرائيل التي يحقب وصفها بقوله: "وأكثر الناس في قصص المائدة مما رأيت اختصم له لعدم سنده" (2)

وإذا قارنا بينه وبين أمحمد أطقيش، نجد هذا الأخير لا يتخرج من سرد الروايات المختلفة على أنه كان يستعمل محققا بصيغة التبغيش أو يشير الى أنها من الإسرائيليات وهذا لم يمنع من خوضه - أحيانا - في هذه المسألة ويتفوق في هذا الجانب على كتاب الثعالبي، لكونه يشتمل على الروايات المختلفة التي تساعد الدارس والباحث على الأطلاع عليها، فبر أن الثعالبي كان أكثر تحقيقا واحترازا من الخوض في هذه المسألة التي عابها بعض المحققين، وأخذوا عليها الخائفين فيها.

ونخلص الى القول بأن كل تفسير من هذين التفسيرين يعكس مميزات خاصة، لا يستغني عنها القارئ المغربي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة، فالجواهر يمثل أفكار أمحمد السنّة ولا سيما المذهب السائد في هذه الرقعة من العالم الإسلامي تجسده بعض المسائل الواردة في القرآن الكريم منها ما أشرنا اليها، ومنها وجهة نظر هذه المدرسة من التصوف. (3) كما أنه يعتبر معتبرا لتفسير ابن عطية مع ما يتضمن من آراء منسرين وعلماء الى الأمور التي لا يدخلون بها في أفكاره فهو من هذه الناحية يمثل وجهة نظر المفسر العقائدية والفقهية السائدة في تلك الحقبة التاريخية، بالإضافة الى بعض المعلومات التي استغنينا عن الإشارة

(1) الجواهر / 1 / 288 ، 289 .

(2) ن . م . 597 / 1 .

(3) يرى عمار طالبي أن وجهة نظر المفسر من هذه القضية، لا تختلف عن وجهة نظر السنّة فلا يذهب مذهب الحلول أو الخوض أو مذهب وحدة الوجود للمزيد من التوضيح، أرجح الى الجواهر المقدمة بقلم عمار طالبي 1 / 1 أ . م .

التي لا تختلف كثيراً عما ورد في كتب التفسير، ومما يمتاز به هذا التفسير تحقيق النصوص ونقدها، والحرص على ذكر السند والمصدر، فلا يبذل الباحث جهداً كبيراً لمعرفة مصادر المعلومات التي أوردها في تفسيره وهذه الميزة لا نجدُها في كتاب (التيسير) الذي يمثل بدوره وبهمة نظر مدرسة إسلامية الحقاً ودبابةً ألوها هي المدرسة الأباضية، بالأضافة إلى اعتباره دراسة شبيهة بمقارنة لآرائها وآراء مدارس إسلامية أخرى، وبإل وجهات نظر بعض الفرق، فهذا التفسير يمتاز بدوره عن الأول بنوع من الشمولية وفسالة المعلومات سواء كان ذلك في المسائل الدينية أو اللغوية أو العلمية أو غيرها.

أما فيما عدا ذلك فلا نلاحظ اختلافاً يذكر بين التفسيرين، لا من حيث المنهجية التي طبقت عليهما الناحية التاريخية، ولا من حيث بعض المضامين، وما يشهد انتباه الدارسين لتفسيرين نزعتهما المشاربية التي تظهري اعتماد مصادر علماء هذه المنطقة وتربيع آرائهم في كثير من المسائل، أو على الأقل إثبات وجود هذه المصادر في تفسيريهما، وقد ذكر القحطبي آراء ابن العربي، وعبد الحق الخراساني أو البجاوي (2)، كما ذكره أمجد أذفيش، وود بن معكم الحوايي، وابن العربي، والبهانجي وغيرهم ممن أشرنا إليهم في البحث.

وأخيراً ما يمكن ملاحظته، تيسام عمار طالبي بتحقيق (الجواهر) وتخرجه في طبعة مشوقة تيسر على القارئ دراسته وترفه في ذلك، وبقاء كتاب (التيسير) على حالة طبعته الحبرية المليئة بالأخطأء، وإن كانت وزارة التراث القومي والثقافة بسلاطة عمان قامت بمبادرة طبعه، لكن دون تحقيقه وإعادة ترتيبه.



## المقارنة بين التيسير والمنسار:

من المعلوم أنّ محمد أطفيش قد عاصر الحركة الإصلاحية ، التي تزعمها جمال الدين الأفندي ومحمد عبده من بعده ، وهذه المناصرة تقتضي من المفسر أن يتأدب بها ، ويؤثر فيها بولا سيما وهو يمثل أحد الدعاة إلى معاداة الحركة الاستعمارية وتوحيد كلمة المسلمين كما بينا ذلك في المبحث الخامس بتعريفه ، وأن كنا لا ننفي هذا التأثير نفياً كلياً ، فأننا لا ندعي بأنه بلغ درجة التي بلغها أولئك الدعاة المصلحين وهذا في نظارنا يعود إلى سببين رئيسيين :

- (1) ثقافة المفسر التي تتلّف من ثقافة تظهير محمد عبده ورشيد رضا ، هذه الأخيرة تحمل سمات النهضة الثقافية العربية ، وبداية عصر الأبحاث ، بينما ثقافة محمد أطفيش هي ثقافة سلفية محافظة .
  - (2) اطلاع محمد عبده وتلميذه رشيد رضا على الثقافة الأوروبية ونصرتها ، وما يشتمل لبوادر الحركة التحريرية في العالم ، بينما أم محمد أطفيش عاش في بيئة عرفت حركة استعمارية شرسة ، ولم يكن آطلاعاً على النهضة الأوروبية الحديثة وما يشتمل لأحداث حركتها التحريرية كالفيتا ، وما ، ويتحرر من الثقافة السلفية القديمة ، ويما ضد حركة الإصلاح غير أنه قد أشاد بمواقف هذه الحركة مستكراً غيرها التي لا تدعو إلى الانتماء من الاستعمار (1) كما تفسر بعض اعترافاته إلى أنه كان على اتصال بمحمد عبده عن طريق المراسلة .
- ولهذه الأسباب ، فإن تفسيره يختلف عن تفسير (المنار) الذي ألفه رشيد رضا ، مدوناً فيه أقوال أستاذه محمد عبده ، ونظراً للطريقة التي تتّم بها تدوين هذه الأقوال ، وانتماء كل منهما إلى مدرسة الإصلاح ومحاولة رشيد رضا محاكاة منهجية أستاذه مع تخيير بسيط (2) ، فأننا نرى مقارنته هذا التفسير من حيث كونه يمثل وجهة نظر المدرسة الإصلاحية بالتيسير لبيان أوجه الاختلاف والتشابه بينهما .

(1) التيسير 791/2 .

(2) التيسير والمفسرون 248/3 .

## 1) الشورى على التقليد :

أول ما يلفت انتباه الدارس لتفسير (المنار) شورة مؤلفيه على التقليد الأعمى ، واعتماد مبدأ حرية التفكير منهجاً في تفسير القرآن ، وهذا ما دعاهما الى محاولة فهم الآية أولاً وادراك أبعادها ومعانيها قبل الرجوع الى كتب التفسير غشبية التأثر بغيرها (1) . وهذه المنهجية أملاً ما عليهما الهدف الأساسي الذي حدداه من فرض نزول القرآن الكريم ويتمثل فيما يلي : " والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، وأن هذا هو المقصد الأعلى منه ، وما وراء هذا من انباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله " (2) .  
ولذلك فهم ببيان أن : " أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه من هذه المقاصد الحالية والهداية السامية " (3) .

فالدارس من خلال ما تقدم يتصور منهجية جديدة ككل الجدة في تفسير (المنار) تختلف عن منهجية سابقيهما ، وتتخذ عن الأفسر في مباحث تحجب القارئ عن مقاصد القرآن الأساسية ، غير أنه يفاجأ عند مطالعته للمعار التباين الواضح بين ما أقره في المقامة وبين المنهجية المتبعة في هذا التفسير ، التي أدت بهما الى ما عذرا منه واستكسراه لاسيما ما كان من تأليف رشيد رضا ، ولكن هذا الأخير يملل ذلك في المقدمة بقوله :  
" وهذا انني لما استطلعت بالمعمل بعد وفاته (4) خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها ، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية أو المسائل الخلافية بين العلماء ، وفي الأبحاث من شواهد الآيات في السور المختلفة ، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتتت حاجة المسلمين الى تحقيقها ، بما يشتملهم به كما يقدرهم في هذا العصر ، أو يقوي حججهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو يحل بعض المشكلات التي أعالجها (5) بما يطعن به القلب وتسكن اليه النفس " لكنه ينصح القارئ بقراءة الفصول الأستكرا دية الأولية مستقلة عن التفسير (6) .

(1) ن.م. 24/3 ص 244 .

(2) المنار 17/1 مقدمة التفسير .

(3) ن.م. 07/1 مقدمة رشيد رضا .

(4) وفاة أستاذه محمد عبده .

(5) فصل الصحيح (أعمالها) .

(6) المنار 16/1 مقدمة رشيد رضا .

ومحمد عبده لا ينكر هو الآخر استتماته ببعض علوم البلاغة واللغة وتوا عدها وقواعد الأصول (بقدر ما يحتمله المعنى) (1).

ومن هنا نستنتج أن (المدار) لم ينجح - كثيره - من بعض المسائل التي تجعل التفسير يتحدد عن مقاصده ، وتخصصه في علاقات لغوية ونحوية ، وكلامية وفقمية الخ . . هي من اختصاص مؤلفات هذه الفلاس والمفكرين ، كما تجعل من التفسير التزام الموضوعية والتحرر من الدفاع عن وجهة نظر معينة في المسائل المذكورة آنفاً ، والتي لا تخلو من التأثيرات الموروثة والمكتسبة من انتماء المفسر ، وتربيته ودراسته ، وكتاب (المدار) لا يذلل عن (التيسير) في هذا الجانب ، فقد تعرض مؤلفاه لهذه المسائل كما لاحظنا ذلك في (التيسير) ، وإذا كان الأمر كذلك فأين تظاهر دورته على التقليل ؟ .

تظهر هذه الدورة في بعض المفاهيم منها :

اعتبار القرآن مصدر هداية الناس وإرشادهم لما فيه خير دنياهم وآخرتهم ، وينبغي لذلك أن يكون : " أصلاً يحمل عليه المذاهب والآراء في الدين ، لا أن تكون المذاهب أصلاً والقرآن هو الذي يحمل عليها ، ويوجع بالتأويل والتعريف اليها . " (2)

ومن الملاحظ أن الفكرة الأخيرة بحاجة إلى النظر ، إذ كل مذهب يرى أنه استمد أفكاره ومعتقداته من القرآن والسنة ، فهي مطالبته لما جاء فيهما ، وإذا لجأ إلى تأويل آية كان ذلك في نظره . . . تأويلًا يقتضيه معنى هذه الآية و من باب حمل المشابه على المحكم ولذلك فإن هذا المفهوم يحتاج إلى أدلة تثبت صحة ترجمة تفسير معين إلى مذهب خاص إلا ما هو معروف من الفرق الضالة التي أجمع المسلمون على زيغها وانحرافها عن الأصول الثابتة ، ويلحق بهذا المفهوم الاعتقاد بمذهب السلف الذي تمسك محمد عبده ، ورشيد رضا الأول في قوله بفساده : " . . . وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وعالم الغيب " والثاني في قوله : " (أقول) أنا مؤلف هذا التفسير أنتي والله الحمد على طريقة السلف وهدى بهم أحياء وعليها أموات إن شاء الله

(1) ن . م . 12/1 مقدمة التفسير .

(2) ن . م . 70/1 ، 71 .

تعالى: " وكان المذاهب الأخرى تنكر آراء السلف مع أنها تستدل بها في صحة عقائدها ، ومن المخالطة — اذن — اعتقاد بأن هناك مذاهباً سلفية محضاً ، ولكن رغم تمسكها بمذهب السلف الذي يتجنب التأويل — على حد تعبيرهما — فأنهما يجهلان بين طريقتي السلف والخلف في بحثهما للمسائل وييسر محمد عبده ذلك بقوله: " وأتينا نسير في فهم الآيات على

كلا الطريقتين لأنه لا بد للمسلم من فائدة يحصل عليها ، لأن الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى " ويضيف رشيد رضا فرغاً آخر الألام وتخطوه الأراء المخالفة لمذهب السلف وتثنيدها ، والجمع بين النقل والحقل (1) ، ولكن محمد عبده كان أكثر تحسراً من تلميذه ، ويظهر ذلك من دعوته الى توحيد المسلمين وتجاوز الخلافات المذهبية مهما كانت في الأصول أو الفروع باعتبار هذه المذاهب: " معضدة بكتاب وسنة واجماع وما يشبه ذلك والنصوص فيما متعارضة من الأجزاء " ويحاول إيجاد عدة احتمالات لتفسير حديث (استشرق أمتي) ، أيضاً دال الفرق الإسلامية عن الشريعة الهالكسة ، ويقول في آخر بحثه لهذا الموضوع: " وما يسرني ما جاء في حديث آخر أن المالك منهم واحدة " (2) وذلك في تفسير قوله تعالى: " ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا . . . " 159 / الأنعام .

ويرى رشيد رضا أن هذا الحكم قد صدر منه: " أيام اشتغاله بعلم الكلام في الأزهر متازاً باستقلال الفكر وعدم التقليد والبراءة من التعصب والحرص على جمع كلمة المسلمين ، ولكنه كان يلغيه سعة الأطلاع على كتب الحديث " وبعد دراسته لهذا مذهب المتكلمين والفلاسفة والصوفية ، هداه الله الى مذهب السلف. (3)

فهذه النظرة الوحدوية للمسلمين بتجاوز الخلافات المذهبية دعوة نادية بها — كما رأينا — محمد أدلبي في تفسير قوله تعالى: " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " 46 / الأنفال (4) ، غير أن التخبر من النزعة المذهبية يتجلى في (المسار) أكثر من (التيسير) من حيث طريقة مناقشة آراء المذاهب الأخرى التي تعتمد الأقسام والدليل منهجياً ، ومن حيث مخالفة المذهب في بعض المعتقدات من مصادقوية الوعيد في أكل الربوا مما جاء

(1) ن . م . 252 / 1 ، 253

(2) ن . م . 221 / 3 ، 222

(3) ن . م . 222 / 3

(4) التيسير 79 1 / 2

فيما : " . . وما الوعيد بالخلود هنا إلا كالوعيد بالخلود في آية قتل الحمراء ، وليس  
 هناك شبهة في اللفظ على ارادة الاستحلال ، ومن الصحيح أن يجعل الرازي الآية هناك  
 حجة على القائلين بخلود مرتكب الكبيرة في النار ، انصارا لأصحاب الأشاعرة ، وغير  
 من هذا التلويح تأويل بعضهم للخلود بطول المكث . . " (1) وجاء فيه : أيضا استنكار  
 المؤلف لموقف أهل السنة من أئمة الجور ، فبعد الأشادة بحاربيهم واعتبارهم فدائيين  
 يقول : " وجمهور أهل السنة يرجعون في هذه المسألة الى قاعدة تعارض درء المفسد  
 وجلب المصلح ، وقاعدة ارتكاب أخف الضررين في مقاومة الظلم وأهله لثلا يفضي الى  
 فتنة التفرق والشقاق ، ولكنهم أيسدوا الظالمين وأطاعوهم بشيعة هذه القواعد حتى  
 ضاع الاسلام وشرعه وتضعف كل ملك لأهله ، لأنهم لم يحكموا تحكيمها وتطبيقها " (2)

ونذرة أم محمد أذفيش الى المسألتين السابقتين مستوحاة من آتمة المذهبي ، نجد  
 يوم من بخلود الفاسق في النار اذا لم يتب (3) ويتجلى موقفه من أئمة الجور في قضية  
 التحكيم وقتل الفئسة الباقية (4) ودعوة الى قول الأمام الفاسق إيه . أصرو على  
 فسقه . (5)

فاذا كان هناك تقارب بين وجهات نظر التفسيرين من مسألتين الخلود في النار  
 ومجارية أئمة الجور ، فإن رؤية صاحبي (المسار) مستوحاة من موقفهما تجاه حالة  
 المسلمين واستفراءهما لخصوص القرآن بينهما وجهة نظر (التيسير) مستمدة أصلا من مبادئ  
 المذهب الأبا فني وان كلن هذا لا يصح اتفاق وجهات نظرهما تصام الاتفاق .  
 ومن انصار دورتهما على التقليد نقد الآثار الموضوعية من الأحاديث والروايات  
 الأسرانيية وهذا النقد يهود الى نظرتهما لهذه الآثار ، والتي ترى أن الصحيح مسح  
 مما قليل : " وأكبر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقة اليمود والفرس ومسلمة  
 أهل الكتاب كما قال الخافظ بن كثير : " وقد مسّت هذه الروايات تصحح الرسل وأتوالهم

- 
- (1) المنار 3/29، 99 .
  - (2) ن . م . 224/3 ، 225 .
  - (3) التيسير 3/34 .
  - (4) ن . م . 474/5 ، 475 — 791/2 ، 792 .
  - (5) ن . م . 415/5 .

وأمرنا لثيب (1) ، ويرى محمد عبده أن هؤلاء المفسرين أخذوا — ما سمحوا — من أهل الكتاب: " من غير تفريق بين عث وسمين ، ولا تنقيح لما يخالف الشرع ولا يطابق الحقل " (2) كما يعود الى مفهوما لمقاصد القرآن ، والاعتصام على نصوصه في الفهم ، وأعتبره المصدر الأول في التشريع ، فلا عجب — اذن — اذا ناقش محمد عبده أحاديث واردة في الصحيحين البخاري ومسلم ، وأنكر منها ما يخالف فرض القرآن أو نصه ، وهذا ما دعا محمد حسين الذهبي الى القول: " فمولا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له ويقول: " فلما نسخ عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري " الى أن يقول رداً عليه: " وهذا في نظارنا عدم للجانب الأكبر من السنة للكتاب في منزلة المبين من المبين " (3) ، ويبدو أن في هذا الحكم شيئاً من القساوة على محمد عبده الذي لم ينكر السنة الصحيحة ولم يستثن عنهما ، إنما كان يحمل بعض الأحاديث على معان توافق أمراً في القرآن من ذلك مثلاً ما جاء في تفسير (المدار) رداً على أولئك الذين يرون أن حواء خلقت من ضلع آدم: " . . . وحديث أبي هريرة في الصحيحين " فان المرأة خلقت من ضلع " على حد " خلق الأسمان من عجل " (4) بدليل قوله: " فان ذهب تقويمه كسرتة ، وان تركته لم يزل أعرج فاستوصوا بالنساء " أي لا تحارلوا تقويم النساء بالشدة . " وذلك في تفسير قوله تعالى: " ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة . . . " 19 / الأعراف . (5)

وقد تفرز صاحب (التيسير) — أيضاً — لتقد بعض الأحاديث بالتشكيك في صحتها يقول: " اذا صحّ الحديث " أو بتقد سنده كتوله: " وفي سنده أبو هديّة وقد جرب عليه الكذب " (6) أو بقوله: " والاندرى أصحّ الحديث لم ام يفسح وعلى صحته فهو تمثيل لما سيكون " (7) والأحاديث التي تمارس وجهة نظر مذهبه يحاول حملها على معان مواجفة لما إن احتمل صحتها أو يردّها مثل قوله في رفع الأيدي في الصلاة والقبض: " لأحاديث وضعها أو ظلم أو غيرهم ، وهب أنما صححت عنه صلى الله عليه وسلم لكن فصل ذلك لداع مشمل أن يفسح سبيلاً من تأويله للشعر " (8) .

(1) المنار 1/ 57 ، 58 .

(2) ن . م . 13 / 1 مقدمة التفسير .

(3) التيسير والمفسرون 241 / 3 المجلد 2 .

(4) 37 / الأنبياء .

(5) المدار 2 / 346 .

(6) التيسير 4 / 457 ، 458 المجلد 1 .

(7) ن . م . 4 / 286 المجلد 1 .

(8) ن . م . 6 / 214 ، 215 .

فقد اعتبر بعض الدارسين ذلك النقد و تحميم الحديث ورد ما يخالف صريح القرآن من باب انكار السنة كما ذهب الى ذلك محمد حسين الذهبي ، وهذا الاتجاه في تحقيق الحديث ، وعلى الأقل من السنة ناتج - في نظرنا - من التشبث المفرط بالسنة صحيحها و ضعيفها ، حتى أصبحت لدى بعض الفقهاء والمفسرين مقدمة على القرآن ، ومقاصده ولا سيما ما ورد في الصحيحين ، وأن كان هناك تعارض واضح بين القرآن والسنة أو بين السنة والواقع والمنطق ، فاذا حاول بعض المحققين التوفيق بينهما مع تقديم النص القرآني على السنة ، ذابت دأرتهم وأتمموا بانكار السنة أو تفسيرها على «والمعنى» ، وتصرف هو لاء المحققين - في نظرنا - يعتبر دعوة منهم الى اعادة النظر في تعميم السنة ، وانتقاص الصحيح منها ، واعادة تفسيرها مع ما تقتضيه معاني القرآن وأغراضه ، ولا يعني هذا أن رد حديث أو أحاديث تعارض رأياً ما أو مذهباً في مسألة من باب التحقيق الذي أشرنا اليه ، لضرر الرد وإنما يكون ذلك بأدلة صحيحة بأعتماد المنهجية التي سطرها دارسو السنة مع الاستعانة بالمنهج الحديثة في دراسة النصوص ، فيتساوى في ذلك جميع كتب الحديث ، لتخلص الى باقية من السنة الصحيحة تكون مصدر فهم القرآن ، وتطبيق تعاليمه .

ومما تقدم يمكن استخلاص أن ثورة ( المنار ) على التقليد أدت الى ظهور مفاهيم جديدة في تفسير القرآن على ضوء الواقع ، ودعوة الى تجديد منهجية التفسير ، لكن رغم ذلك لم يتخلص من الأفسار في بعض المسائل التي عالجتها التفاسير السابقة ، والتي كانت من أبرز أوجه التشابه بينه وبين ( التيسير ) الآتية قد تناولها بداريقه أكثر تحجراً منه ، ولو تتيقن مفسرنا بالأنظمة والمنهجية التي رسمها في المقدمة ، لخرج تفسيرهما من المألوف ، وكان أكثر تحقيقاً للهدف الذي حددناه والمتمثل في كون القرآن كتاب هداية وارشاد .

وعلى التفسير أن يكون في خدمة الخرش لا كتاباً جامعاً مبعداً عن الله وعن كتابه وهو ما يقصد به حل الألفاظ وأعمال الجمل وبيان ما ترمي اليه تلك العبارات والارشادات عن التكدس القبيحة ، وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيراً ، وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون كاللحمو والمعاني وغيرهما . . . (1) .

وإذا قارنا بين التفسيرين في الروايات السرائيلية وجدنا فرقا واضحا بينهما يظهر في اعتماد (التيسير) على هذا المصدر في شرح بعض المسائل في القصص والنبيات وبيانها ، بينما يتجنب (المسار) الخوض في هذه المسائل باعتبار أن قصص القرآن تهدف إلى العبرة لا إلى الجانب التاريخي الذي هو ليس من مهمة الدين (1) ويحذر محمد عبده من هذه القصص قائلا : " وقد قلت لكم غير مرة أنه يجب الاحتراز في قصص بني إسرائيل وغيرهم من الأنبياء ، وعدم الثقة بما زاد عن القرآن من أقوال المؤمنين والمفسرين . . " إلى أن يقول : " فنحن نعذر المفسرين الذين حشدوا كتب التفسير بالقصص لتي لا يوثق بها لحسن قصدهم ، لكننا لا نقول على ذلك بل ننهي عنه ونقف عند نصوص القرآن لا نتعداها ، واتمنا توضيحها بما يوافقها إذا صححت روايتها " (2) ، لكن مع كل هذا الحذر والتحذير نجد رشيد رضا يساق وراء بعض الروايات التي ينقلها من التفسير السابقة ، أو من التوراة والأناجيل محاولا التعليل على بعضها . (3) ولذلك فانه رغم دعوة المفسرين إلى الاستفادة من عبر قصص القرآن ، والاكتفاء بما ورد فيها ، فإن تفسيرهما لم يخل من الروايات السرائيلية .  
الدعوة إلى اصلاح المجتمع في التفسيرين :

إن أبرز ما يميز تفسير (المسار) هو دعوته الصريحة إلى اصلاح حال المسلمين بالقضاء على البدع والشعوذة والتدجيل في العقيدة ، والعبادات والسلوك والمعاملات والتحذير من مبادئ الاستدمار والأخذ بأسباب الحضارة فهذه الدعوة كانت إحدى المبادئ الأساسية للحركة الأصلاحية نجد أثرها واضحا في تفسير (المسار) انطلاقا من دورته على التقليد والمقلدين سواهم في فهم القرآن وتفسيره ، أو في اتباع الأئمة دون استغناء العقل الرجوع إلى القرآن والسنة لاستلزام التشريع بالهداية ، ويظهر ذلك مما جاء فيه : " أن المسائل الدينية المحظية وهي الحقايد والعبادات تؤخذ من نصوص القرآن وبيان السنة لها ، بالقول والعمل ، على الوجه الذي كان عليه المدرس الأول من الصحابة ، فما أجمعوا عليه فلا عذر لأحد في مخالفته ، وما اختلفوا فيه يظهر في دلائله ويرجع بعضهم على بعض . . " ويضيف قائلا : " ولا يلتفت إلى الشذوذ ولا يجوز بحال من الأحوال احداث عبادة جديدة أو الأتيان بعبادة مأثورة على غير الوجه الذي كان

(1) ن . م . 279/1 .

(2) ن . م . 347/1 .

(3) أنظر مثلا في ن . م . 343 ، 347/1 ، وقصة المائدة في ن . م . 256/07 ، 257 .



عليه النبي (س) وجمهور أصحابه (رض) لا بقياس، ولا بدعي اجماع لمن بعدهم، ولا لمصلحة، ولا بخير ذلك من الملل والنظريات وذلك في تفسير قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبدلكم .." (101/المائدة (1)).

وفي تفسير قوله تعالى: "وقالت اليمسود عزيز بن الله ... ولو كره المشركون" 30 — 33 / التوبة يستلزم على مقلدي شيوخ المذاهب، والاعراض في عن الكتاب والسنة ولا سيما أولئك الذين يتبعون "مشايخ الخرق في بدعهم وقلوبهم" ويستتارد قائلا: "ويوجد فيهم في هذا الزمان من هم مثل من ذكر الرازي ومن هم شرهم" (2). وهذه الحملة التي شنها على التثديد والمقلدين هي مميزة هذا التفسير، وتبين لنا مدى تحمس محمد عبده ورشيد رضا إلى التجديد، والقضاء على أسباب تخلف المسلمين والأقتداء بالسلف الصالح من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، كما يشيدان بالحضارة العربية الإسلامية في عهد آزد مارها .

والتقليد في نظرهم قسمان تقليد الآباء والمشايخ المشعوذين، وتقليد أوروبا في قوا بينها المخالفة للشريعة الإسلامية ويفهم هذا من قوله: "فهمنا ضالان في ضلالة التقليد والخصبية لآباء والأجداد، والاتزال تكأة أكثر الخالين في أصمبل الدين وفي فهمه وفي الامتداد به في ضلالة الخلو في الحرية الشخصية التي لم تكن منتتها في زمن ما أشهد وأعم في هذا الفن، بما <sup>لنرى</sup> بث الأفرج انفاتون المفتونون لدوتما في كل الأمم .." وقد قال من قبل: "ومن عجيب أمر حكومتنا المصرية أنها تقلد الأفرج في نظام التعليم وفي اطلاق الحرية الشخصية" (3).

وقد كانت مباحثه تدور حول هاتين المسألتين في معظم ما تناوله في اصلاح المجتمع والحكم، وما هو السبيل إلى تحقيق ذلك في نظره ؟

لا يسترجع المجتمع الإسلامي مجده إلا بالرجوع إلى ما كان عليه السلف الأولين الذين كانوا يهتدون بالقرآن والسنة المبينة له، والاستفادة من حضارة أوروبا مثلما استفادوا هم

(1) ن . م . 193/7 .

(2) ن . م . 368/10 .

(3) ن . م . 530/8 و 531 .

من الحضارة الإسلامية ، وبل مباراتهم في العلوم والفسون . (1)  
 فيهاجم بشدة دعاة التقليد والمقلدين ، وما ينشرونه من دعايات توهم الجامعة  
 أنّ دعوة التجديد إلى الاستقلال في فهم الكتاب والسنة والأهدى ، بما هي الخروج  
 من الأسس الإسلامية .

كما دعا إلى التحرر من الاستعمار بكل الوسائل المتاحة للمسلمين تحت راية  
 الجامعة الإسلامية ، ويرى التقا عمن عن ذلك خيانة ، وقد وجه في هذا الخوض دعاة  
 بعد أن استعرض مبادئ الغرب وعزوه للمبلدان الإسلامية ومحاولة انشائها \* التفرقة  
 بين المسلمين ومساعدة تصمم لليهود على قيام دولتهم في فلسطين وجاء ذلك في تفسير  
 قوله تعالى : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . . " 29 / التوبة (2) .

وان قارئنا ذلك بوجهة نظر أمحمد أطفيش ، لا نجد في تفسيره سوى بعض اللّمحات  
 التي تدعو إلى وحدة المسلمين ، وتقال النصارى ، وتجنب البدع (3) ، وقد أشرنا إلى بعضها  
 في الفصل الثاني من هذا الباب ، وقد كان يتباحث باهتمام - فيما يبدو - بحروب المسلمين  
 مع أوروبا ، ولذلك كان يدعو للخلافة العثمانية بالنصر . (4)

وهذا الاختلاف في رأينا ، يعود إلى الأسباب التي ذكرناها في مدخل هذا المبحث  
 وإلى هدف كل واحد من تفسيره ، فقد ألف أمحمد أطفيش تفسيره لمسلم \* الفراخ الذي  
 عرفه المذهب الأباضي في هذا العلم ومساعدة طلبته على دراسته ، بينما كان يهدف محمد  
 عبده ورشيد رضا من تأليفه إلى معالجة القضايا المحاصرة لهما ، ابتغاء تحقيق الأهداف  
 السالفة الذكر ، وإن كان هذا لا يمنع أن يكون غرضهما - أيضا - هو التعليم ويبدو  
 ذلك من المباحث التي أضافها رشيد رضا في تفسيره ، فهو بذلك يجمع بين الغرضي الإصلاح  
 والتعليم .

(3) توظيف العلوم الحديثة :

إن توظيف العلوم في التفسير ذا أهمية تعود إلى عصر ظهور التفسير على شكله  
 المعروف ، والاعتبار حين نقول بأن عصر الصحابة والتابعين قد عرف هذه الظاهرة وتدل  
 على ذلك ما ورد في الآثار من آرائهم في بعض الآواهم الكونية ، إلا أن التفسير لم يعرف

(1) ن . م . 253 / 11 ، 254 ( دحض شبهة في إقامة حجة ) .

(2) ن . م . 306 / 10 - 321 ، 226 / 8 - 232 .

(3) التفسير 370 / 5 .

(4) ن . م . 592 / 4 المجلد 02 .

التوليف بمعناه الحقيقي الألفي الصور المتأخرة ، ويحزو صاحب ( المنار ) ذلك الى تفسير الفخر الرازي . (1)

غير أن ما ورد في هذه التفسير من حملها كتاب ( التيسير ) لا يبدو أن يكون علوما عامة ، بحاجة الى التعميق ، ولم تغضج — أغلبها — للتحقيق العلمي والتجربة وهو من تراث الأسم السابقة منها العرب معرفتهم مزوج بما أضافه علماءهم بأستثناء بعضها ، بينما نجد بصمات العلوم الحديثة والأختراعات واضحة في ( المنار ) وقد وثقنا لخراب أمثلة لتوضيح بعض المفاهيم الخاطئة ، مثل ضربه لمثل تطوّر الحاتف لتدقيق احتمال وصول العلماء الى اختراع جسام ينقل الصورة والصوت عملا بقياس ما يكون على ما كان بعد العلم بوحدة الوسائل ، وهذا المثال ضربه للتصديق بالخيب وقدرة الخالق وذلك في تفسير قوله تعالى : " واذا قال ربك للملائكة . . . " 50 / البقرة (2) ، أو يوظف هذه العلوم لتوضيح الآيات ، وإفساد القارئ بمعلومات جديدة لها علاقة بها على غرار من سبقه لكن بأستعمال العلوم الحديثة ، مثل تخريجه للخازات الموجودة في الهواء ، وتخرجه بتركيباتها ، وفوائدها ومضارها ومعلومات أخرى حول الرياح الخ . . . وذلك في تفسير قوله تعالى : " وهو الذي يرسل الرياح نورا . . . " 56 ، 57 / الأعراف (3) .

ويحذر القارئ لهذه المعلومات في ( المنار ) بأدلاء صاحبه على بعض العلوم التي عرف كيف يستعملها في تفسيره ، وان كان قد وصل به الأطلاب — أحيانا — الى الخروج عن مقاصد القرآن ، وهو ما عاب عليه المفسرين الذين سبقوه .

وإذا استثنينا المسائل التي ذكرناها والتي تبين أوجه الأختلاف والتشابه بين التفسيرين في مجال التجديد والتقليد ، لا نلاحظ في المسائل الأخرى فرقا كبيرا بين التفسيرين ، إلا من حيث توليف أحمد أليف الأوسح لعلوم قواعد اللغة والبلاغة والآثار الأدبية بالمقارنة بتفسيره .

وخلاصة القول أن ( المنار ) يختلف عن ( التيسير ) من حيث ممالجته لمسائل الحصر وكانت خطوة رائدة عطلها مؤلفها نحو التجديد ، والدعوة على التقليد ، وجعل القرآن كتاب هداية ، وتشريح ، وإصلاح وان كان لم يتخلها تمام التخلص — إلا سيما رشيد رضا — من انتقادات كالمذهبية والحقائدية .

(1) المنار 1/70 مقدمة رشيد رضا .

(2) ن . م . 256/1 .

(3) ن . م . 432 / 08 — 439 .

ومن المنهجية التي سلكها من سبقهما ، والتي كانت موضوع نقدهما ، فلواختار في تأليفه منهجية تتلاءم والهدف الذي حددناه ، لكان لتفسيرهما تأثير أكبر على المجتمع الإسلامي ، ولحل من الأسباب التي جعلت هذا التفسير يحد عن الخدلة التي رسمها له محمد عبده على وجه الخصوص ، تأثر رشيد رضا ببعض المصلحين السابقين ، الذين عاشوا في ظروف تختلف كل الاختلاف عن ظروفه مثل ابن القيم وابن تيمية (1) والشوكاني وغيرهم ، على الرغم من محاولة تجنّب لمطالعة كتب التفسير السابقة خوفاً من التأثر بها إلا بعد أن يحدد فهمه الآتية .

ومع ذلك فإن هذا التفسير قد سجل تقدماً واضحاً بالمقارنة بتفسير (التيسير) الذي تقيد فيه صاحبه بمنهجية من سبقه من المنسرين متأثراً بهم ومقتضياً آثارهم ، مع وجود بعض أفكار التجديد فيه ، وكان يوضح بين النقل والحقل في معالجة بعض المسائل الحداثدية والخيئية ، التي وان عالجها تأثيره بنفس الطريقة ، لكن ما كان يلجأ مؤلفه الى حسم النزاع باللجوء الى الحسل الغمض وهو ما كان عليه السلف في حدّ تصبيره المتمثل في " الأيمان بظواهرها (2) . مع تنزيه الله تعالى عما يوهّمه ذلك الظاهر ، وتفويض الأمر فيه الى الله تعالى " (3) ، وكان مع ايمانه بمذهب السلف ، يلجأ الى التأثيرات التي يريد منها دفع حجج المتكلمين والفلاسفة معتمداً خصوصاً على مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ، فهذه المنهجية - في رأينا - تتناسق مع طبيعة الإسلام والمقيدة التي تستدعي استخدام العقل بجانب النقل للوصول الى الأقتناع ، وتجنب التقليد الأعمى ، والما استطاع أن يمارع التيارات الفلسفية والفكرية المختلفة ، والقرآن نفسه يدعو الى استخدام العقل ، وقرع العجبة بالحجة والتأويل لا يتناقض مع تفويض الأمر الى الله بعد البحث والأقتناع وهذا - في نظرنا - من شيمه المحقق البصير والتنزيه .

(1) ومن اعترافاته بهذا التأثير قوله : " انني لم يدامن قلبي بمذهب المؤلف تفصيلاً إلا بممارسة هذه الكتب " مشيراً الى مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ، المنار 1/253 .

(2) الحناء تصود على صفات الله .

(3) المناسار 3/196 .

# التخاطبة

ما يمكن استنتاجه من هذا البحث ، اعتباراً محمد بن يوسف أظفريش مقدّساً كما هو مفسّر في مدرسة السلف ، التي استغلّت المصادر المحروفة لديها لتفسير القرآن الكريم واستجلاء ما فيه ، ولذلك جاءت هذه التفسيرات تحمل مميزات مشتركة كثيرة حتى لا يكاد يفرق الدارس بينهما ، وقد لاحظنا هذا التشابه بين تفسير محمد بن يوسف أظفريش وتفسير أخى الناتج عن التأخير ، وهذه سمة مشتركة بين معظم تفسيرات هذه المدرسة ، التي هي تكديراً لما سبقه من تأليفين لها ، أو جمع لآراء السابقين ، والتفسير الذي درسناه تطوّر عليه الميزة الأخيرة ، فمن الصعب تحديد اتجاه المفسر لوجهه لشتى المعارف من فقه ، وحديث ، وعلم كلام ، وأدب ، وقواعد ، وتاريخ ، ونحوها .

فإذا كنا قد صنفنا تفسيره في اتجاه معين وإتجاهه بملحوظية محددة ، فذلك من باب مراعاة هدف المفسر من تأليفه من جهة ومن باب اعتبار الميزة الغالبة عليه من جهة أخرى ، ولهذا صنفنا تفسيره " التيسير " في صنف " التفسير التلخيصي " الذي خاض فيه المفسر فسي مسائل مختلفة مستمدداً من ذلك إفادة دارس هذا العلم ، غير أن الطابع المميّز لهذا التفسير هو تصويره لوجهة نظر الإباضية في مسائل مختلفة ، ولا سيما العقائدية فهو بذلك يعدّ تفسير إحدى المدارس الإسلامية ، وقد تمخّذ المفسر فيه الدفاع عن هذه المدرسة وإبراز فضلها وحججها وأدلتها لإثبات صحّة آرائها ، كما حاول تفنيد أدلة مخالفيهم ، مستعملاً أحياناً بعض عبارات الحنف ، عزوا ذلك إلى عاملين :

- (1) إيمان المفسر بصحة هذه الآراء ، وهذه عادة كل مدافع عن فكرة مؤمن بها ، إلا سيما في المسائل العقائدية والدينية التي تتطلب الإيمان الراسخ واليقين الصادق .
- (2) تعرّض هذه المدرسة إلى اتهامات ، ومهجمات استهدف منها تهميها وإبعادها عن الخط الإسلامي والجماعة المسلمة ورميها بالزيغ والخلال وما إلى ذلك من نصوص . ومقابل ذلك رأيناه يدعو صراحة إلى توحيد كلمة المسلمين ، وتجاوز الخلافات ، كما دعا إلى عملها إلى ذلك بحد من آراء المدارس الأخرى مع بيان أدلتها ، والاستفادة منها . ولا يغلو تفسيره من بعض آرائه الخاصة في بعض المسائل الدينية أو العلمية أو الاجتماعية ، التي تبرز من خلالها شخصيته ، غير أن ذلك قليل بالمقارنة بتفسير المدرسة الإصلاحية المتأخرة ، أو التي عرفت فيما بعد تطوّراً واضحاً في المذموم والمهجّس .

.../...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذا ما يمكن استنتاجه وملاحظته من خلال دراسة مضامين تفسيره ، فأما من حيث المنهجية التي سلكها فيه ، فقد لاحظنا بوضوح طغيان منهجية التفسير بالدراسة ، وتتجلى خاصة في تأويله للآيات التي يفهم منها التشبيه ، واستعمال أسلوب الاستدلال والتعليل والقياس غير أنه كان يعتمد من حين لآخر منهجية التفسير بالمأثور ، وما لاحظناه - أيضا - عدم اعتناقه كثيرا بذكر المضدر والسدد ، وإغراقه - أحيانا - في سرد بعض الروايات الضعيفة أو غير الموثوق في صحتها مقصديا - تارة - لنتدها ، وتاركا الحكم عليها لتقارن تارة أخرى . وهذا يعود الى ثقافة المفسر ورفته في جمع المعلومات واختراجه من تكذيب الروايات التي قد تكون صادقة .

ورغم المآخذ الملحوظة في تفسيره شأنه شأن معظم مفسري مدرسة التفسير بالرأي السلفية ، فإن تفسيره يعتبر دائرة مصارف لآراء أشهر المفسرين السابقين ، الذي جمع فيه وجهات نظر معظم المدارس الإسلامية وكذا بعض الفرق ، مع إبراز وجهة نظر الإباضية . من هذا تظاهر أهميته بين كتب التفسير في العالم الإسلامي ، وتعتبر - أيضا - بالنسبة للمدرسة الإباضية مرجعا لا يستغنى عنه باحث ودارس لهذه المدرسة ، وقد غطى فراغا واضحا عرفته مكتبة هذه المدرسة للأسباب التي ورد ذكرها في هذا البحث ، ولعل أهمية مدرسة هذا المرجع يستمد منها من هذا الناحية ، ولولاه لآخذنا المفسر على التمسك بطريقة السلف في التفسير ، وابتعاده عن معالجة واقعه ، وخوضه في مسائل لا تندم مقاصد القرآن الكريم لكنه يعتبر من جهة ثالثة في أحياء التراث ودراسته يغطي صورة ولو متأخرة عن وجهة نظر الإباضية في العصور السابقة ، غير أن المفسر لو غصص أحد تفاسيره ، لا سيما الأخير لاصلاح الفرد والمجتمع تحقيقا لما جاء في قوله تعالى : " وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْرَبُ " الآية 59 / الاسراء ، لكادت مساهمته أكثر فائدة في هذا المجال ، وان كان تحقيق هذا الخوض ليس أمرا سهلا ، إذا أخذنا بعين الاعتبار التأديرات المختلفة في المنهجية ، وخوفه من التقول على الله ، وصعوبة التعامل من المعتقدات وهذا ما رأيناه في تفسيره " المنهجية " الذي حاول فيه صاحبه إيهام التحجّر من ذلك ولكنهما لم يفلحا ، مما جعلهما ، لا سيما رشيد رضا يتخلجان عن المنهجية التي سطرهما في المقدّم .

.../...

ومن هنا نخلص الى القول بأن تغيير منهجية التفسير أصبح ضرورة ملحة ،  
 بهدف تحقيق أهداف القرآن الكريم في هداية البشرية وتجسيد تعاليمه في  
 الحياة عملاً بقوله تعالى : " اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء"  
 الآية 33 / الأعراف .

وحتى لا تبقى التفاسير مجرد معارف لها صلة بالتراث أكثر من صلتها بحياة  
 الانسان ومساعدته على الاستتمارة بالقرآن الكريم في كل زمان ومكان مصداقاً  
 لقوله تعالى : " هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون " الآية 20 / الجاثية .



لفهارس

القرآن الكريم

الأحاديث النبوية

الأعلام

البلدان والأماكن

المذاهب والفرق والأهم

المصادر والمراجع

الموضوعات

الصفحة	رقم الآيات	الآية	السورة
100	03 ، 02	• مدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب	البقرة (2)
180 ، 179	20 ، 19	• أو كصيب من السماء . . . . . قد ير	
92	21	• يا أيها الناس اعبدوا ربكم . . . . .	
178	22	• فلا تجعلوا لله أندادا . . . . .	
117	25	• وبشر الذين آمنوا وعملوا . . . . .	
279 ، 161	38 ، 30	• وإن قال ربك للملائكة . . . . .	
207	48	• ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ . . . . .	
206	55	• حتى نرى الله جهرة . . . . .	
219	56	• ثم بعثناكم من بعد موتكم . . . . .	
179	61	• وباءوا بغضب من الله . . . . .	
196	66	• فجعلناهم نكالا . . . . .	
164	114	• ومن أظلم ممن منع مساجد الله	
35	124	• وأبلى إبراهيم ربه بكلمات	
202	125	• فأتمن قال اني جاعلك . . . . .	
164	128	• واتخذوا من مقدم إبراهيم مصلى . . . . .	
222	158	• وأرنا مناسكنا . . . . .	
149	190	• فمن حج البيت أو اعتمر . . . . .	
149	191	• وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم	
223	194	• واقتلوهم حيث ثقفتوهم . . . . .	
223 ، 132	196	• فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه	
178	213	• فيما استيسر من الهدي	
209	217	• فممن لم يجد فصيام ثلاثة أيام . . . . .	
148	219	• ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . . . . .	
150	221	• قل قتال فيه كبير . . . . .	
128	233	• يسألونك عن الخمر والميسر . . . . .	
258	248	• ولا تتكفروا بالمشركات . . . . .	
		• وعلى الوارث مثل ذلك . . . . .	
		• إن آية ملكه . . . . .	

الصفحة	رقم الآيات	الآية	السورة
132	249	• ومن لم يطعمه فإنه مني . . .	
205	280	• وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة	
141	282	• يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم . .	
229	284	• يحاسبكم به الله . . .	
155	03	• وانزل التوراة والانجيل . . . .	آل عمران (3)
206، 206	07	• هو الذي أنزل عليك الكتاب منه . .	
126	08	• انك أنت الوهاب	
153	14	• من السماء والبنين والقناطير المقنطرة	
196	39	• فنادته الملائكة وهو قائم	
196	40	• وامراتي عاقراً	
196	42	• ان الله اصطفىك وطهرتك . .	
196	47	• أتني يكون لي ولد . . .	
246	78	• ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون	
192	93	• من قبل أن تنزل التوراة	
252، 219، 206	105	• ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدهما جاءتهم . . .	
139	110	• ولو آمن أهل الكتاب . . .	
165	134	• الذين ينفقون في السراء والضراء .	
154	03	• فانكحوا ما طاب لكم من النساء . . .	النساء (4)
156	04	• وآتوا النساء صدقاتهن . . .	
155	06	• وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح	
226	07	• وللنساء نصيب مما ترك الوالدان . .	
152	12	• وله أخ أو أخت . . .	
235	17	• ثم يتوبون من قريب . . .	
148	43	• يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى	
234	48	• ان الله لا يغفر ان يشرك به . . .	

الصفحة	رقم الآيات	الآيات	السورة
183 و 182	82	• ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه • وإذا ضربتم في الأرض ...	
214 و 211	101	• فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة	
130	116	• ويفرما دون ذلك لمن يشاء	
210	130	• وإن يفرقا يفن الله كلا ...	
210	141	• ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين	
149	145	• أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار	
206	153	• فأخذتم الصاعقة بظلمهم ..	
177	154	• وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ..	
228 و 222 و 212	165	• لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل	
246	171	• وروح منه ...	
02	46	• ومن لم يحكم بما أنزل الله ..	المائدة (5)
145	01	• إلا ما يتلى عليكم ..	
217 و 149 و 84	30	• يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر ..	
145	03	• حرمت عليكم الميتة والدم ..	
150	05	• والمحصنات من الذين آوتوا الكتاب	
110	09	• ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا	
240	12	• وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ..	
234	33	• والسارق والسارقة ...	
254	44	• ومن لم يحكم بما أنزل الله	
202	54	• فسوفياتي لله بقم يحبهم ويحبونه	
225	55	• إنما وليكم الله ورسوله ..	
248	82	• ولتجدن أقربهم مودة ..	
148	90	• يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر	
277	101	• يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم ..	
257	115	• لا أعذب به أحدا من العالمين ..	

الصفحة	رقم الآيات	الآيات	السورة
153	118	• ان تعد بهم فانهم عبادك ..	
145	61	• حتى اذا جاء أحدكم الموت ثوفته	الأنعام (6)
209	90	• فبهذا هم اقتده	
183	103	• لا تدركم الا ابصار	
120	107	• ولو شاء الله لهدى هؤلاء...	
139	125	• فمن يرد الله أن يهدى به يشرح صدره	
		• للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره	
143	133	• ضيقا حرجا . • ويستخلف من بعدكم ما يشاء ..	
178	151	• ذلكم وصاكم به لعلكم تمقلون ..	
178	152	• ولا تقرّبوا مال اليتيم ..	
150	154	• ثم اتينا موسى الكتاب تماما	
207	158	• لا يفتح نفسا ايمانها لم تكن امنت من	
272, 225, 117, 116	159	• قبل أو كسبت في ايمانها خيرا • ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا	
213	09	• ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا	الأعراف (7)
151	10	• وجعلنا لكم فيها معايش	
232, 228	12	• قال ما منعك الا تسجد اذا امرتك قال	
		• أنا خير منه ..	
274	19	• ويحك اذ لم اسكن أنت ..	
162	20	• وقال ما نهاكممكمما ربكما عن هذه الشجرة	
240	22	• ونادى بهما ربكما ألم انهكما	
257	24	• قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو	
255	43	• وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله	
279	58, 57	• وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين	
		• يدي ... لقوم يشكرون ..	
240	64	• فأنجيناه والذين معه في الفلك	
241	85	• والى مد بين أخاهم شعيبا	

الصفحة	رقم الآيات	الآيات	السورة؟
264 243 130 283	143 159 180 03	• قال لن تراني ... • ومن قوم موسى أمة يهدون بالحقو به يعدلون ... • ولله الأسماء الحسنى • اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم	
200 121 147 120 272, 247, 217, 215 119 118 123	10 31 32 43 46 47 53 64	• وما النصر الا من عند الله ... • واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا • فامطر علينا حجارة من السماء • ان يريكهم الله في منامك قليلا ... • ولا تازعوا فتفشلوا وتدب ريحكم • ورجال النساء ... • حتى يغيروا ما بأنفسهم ... • يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين	الانفصال (8)
149 149 و 118 278 277 و 150 118 132 118 118 132	05 28 29 33 و 30 36 40 56 67 100	• فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم • يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا • قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ... • وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم - ولو كره المشركون ... • ان عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا • الا تصروه فقد نصره الله ... • وما هم منكم ... • المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف - والذين اتبعوهم باحسان ...	التوبة (9)

الصفحة	رقم الآيات	الآيات	السورة
250 129 02 المائتين 04	117 122 46	• الذين اتبعوه في ساعة العسرة . . • وما كان المؤمنون لينفروا كافة . • ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة	
183 220 177 85 85 197 227	02 03 27 32 35 94 99	• ان هذا لسحرمبين . . . • ثم استوى على العرش . . . • ما لهم من الله من عاصم . • فماذا بعد الحق الا الضلال . • أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع • فان كنت في شك مما أنزلنا اليك • ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا	يونس (10)
147	32	• فاتتسا بما تعدنا . . .	هود (11)
260 120 163 ، 161	04 18 111	• اني رأيت أحد عشر كوكبا . . . • وجاءوا على قميصه بدم كذب . . . • لقد كان في قصصهم عبرة . . . يومنون	يوسف (12)
207	02	• الله الذي رفع السموات بغير عمد	الرعد (13)
165 232 232 183	02 40 ، 39 41 92	• ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين • لا يؤمن لهم في الأرض . . . منهم مخلصين • قال هذا صراط علي مستقيم . • فوريك لئن سألتهم لجمعين . . .	الحجر (15)
259 88 193	07 66 78	• وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغية الا يثق الأنفس . . . • من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا • وجعل لكم السمع والابصار والافئدة	النحل (16)
282 140 142	09 30 39	• ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم • ان ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر • ولا تجعل مع الله اخر فتلقى في	الاسراء (17)

الصفحة	رقم الآيات	الآية	السورة
154	111	• وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا جهنم ملوماً مدحوراً	
167 173 157 153 173 174 مقدمة أ	09 10 18 24 77 90 01	• أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم . . . • وهي لنا من أمرنا رشداً • ولما لبثت منهم رعباً . . . • إلا أن يشاء الله . . . . . • حتى إذا أتيا أهل القرية استطعما أهلها • حتى إذا بلغ مطلع الشمس • الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب	الكهف (18)
124	65	• هل تعلم له سمياً . . .	مریم (19)
163 148 146 183 163 36 168 162	09 10 18 20 61 67, 68 85 120	• وهل أتيتك حديث موسى . . . • لعلي أتيتكم . . . • قال هي عصا موسى وأمرها • بها على غمي ، ولي فيها ما رب أخرى . . . • فإذا هي حية تسعى . . . • قال لهم موسى ويلكم لا تغفروا على الله كذبا • فأوجس في نفسه . . . أنت الأعلى • وأظلم السامري . . . • هل أدلك على شجرة الخلد . . .	طه (20)
147 147 208 274 241 159 160	08 09 28 37 83 98 101	• وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام • وأهلكنا المسرفين . . . • ولا يشفعون إلا لمن ارتضى • خلق الإنسان من عجل . . . • أني مسني الضر . . . • انكم وما تعبدون من دون الله الحصب جهنم • ان للذين سبقت لهم منا الحسنی . . .	الانبياء (21)



الصفحة	رقم الآيات	الآية	السورة
137 147	01 24	• ان زلزلة الساعة شيء عظيم . . . • وهدوا الى الطيب من القول . . .	الحج ( 22 )
228 ، 36 167 246 ، 221	14 41 53	• ثم انشأه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين . . . • فآخذتهم الصيحة بالحق . . . • كل حزب بما لديهم فرحون . . .	المؤمنون ( 23 )
149 ، 36 159 264 213 ، 169 170 224 265	02 06 09 31 35 55 63	• الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . . . • والذين يرمون أزواجهم . . . الصدقين • والخامسة ان غضب الله عليهما ان كان من الصادقين . . . • وليضربن بخمورهن على جيوبهن . . . • ليعلم ما يخفين من زينتهن . . . • مثل نوره كمشكاة . . . • كما استخلف الذين من قبلهم . . . • فسليحذر الذين يخالفون عن أمره . . .	النور ( 24 )
147 266 147	07 25 75	• ما لهذا الرسول يأكل الطعام و • ويمشي في الأسواق . . . • ونزل الملائكة تنزيلا . . . • أولئك يجزون الغرفة . . .	الفرقان ( 25 )
183 236 236 147 148 174 175	32 80 82 204 212 224 226	• فاذا هي شعبان مبين . . . • واذا مرضت فهو يشفين . . . • والذي أطعن يفر لي خطيئتي يوم الدين • أفبعذابنا يستعجلون . . . • انهم عن السمع لمضولون . . . • والشعراء يتبعهم الغاؤون . . . • وانهم يقولون ما لا يفعلون . . .	الشعراء ( 26 )
148 148 255 ، 247 ، 197	05 07 82	• وهم في الآخرة هم الآخسرون . . . • أو اتيكم بشهاب قبيس • واذ وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من	الفصل ( 27 )

الصفحة	رقم الآيات	الآيات	السورة
152 156 153	87 88 92	الأرض... الأمم شاء الله صنع الله الذي أتقن كل شيء .. وأن اتلوا القرآن .....	
183	31	كأنهما جان...	القصر (28)
147 153 171	24 30 37	ومن آيته يريكم ... فطرت الله التي فطر الناس عليها . أولم يروا أن الله يبسط الرزق .. لقوم يؤمنون ...	الروم (30)
143 171 190 144 144	12 15 27 33 34	ومن كفر فإن الله غني حميد وصاحبهما في الدنيا معروفا .. والبحر يمده من بعده سبعة أبحر . يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا ... ولا يضرنكم بالله الخرور . إن الله عنده علم الساعة .....	لقمان (31)
145 181	11 20	قل يتوفاكم ملك الموت .. فمأواهم النار ..	السجدة (32)
125 226، 210 141، 140	04 06 71، 70	وما جعل أديعياكم أبناءكم ... وأزواجه أمهاتهم ... يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم ...	الأحزاب (33)
173 248، 130 141 147	13 14 33 37	اعملوا آل داوود شكرا .. فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون المغيب ما لبثوا في العذاب المهين . وقال الذين استضعفوا .. وهم في الغرفات آمنون ..	سبا (34)

الصفحة	رقم الآيات	الآية	السورة
225 147 146	32 34 40	• الذين اصطفينا من عبادنا .. • الحمد لله الذي اذنبنا الحزن • اروني ماذا خلقوا من الارض	فاطر ( 35 )
138 191 ، 190 260 181	07 38 40 69	• لقد حق القول على اكثرهم ... • والشمس تجري لمستقر لها • وكل في فلك يسبحون .. • وما علمناه الشعر وما ينبغي له ..	يس ( 36 )
240 146 138	77 102 182 ، 180	• وجعلنا ذريته هم الباقين ... • فلما بلغ معه السعي ... • سبحان ربك رب العزة عما .. والحمد لله رب العالمين .	الصافات ( 37 )
170 250	03 30	• ولات حين مناص .. • انه اواب ..	ص ( 38 )
145 146	42 65	• الله يتوفى الانفس حين موتها .. • لمن اشركت ليحيطن عملك ..	الزمر ( 39 )
180 147 180 169	21 43 50 77	• اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان • عقبة الذين كانوا من قبلهم ... • وان المسرفين هم اصحاب النار • قالوا فسادوا .. • فاما نرينك بعض الذي ..	غافر ( 40 )
184	43 ، 42	• لا ياتيه الباطل من بين يديه .. و • ذوعقاب الميم ..	فصلت ( 41 )
205 ، 203 253 ، 221	11 25	• ليس كمثلهم شي .. • ويغفوا عن السيئات و يعلم ما يفعلون	الشورى ( 42 )
168 160 ، 159	39 57	• انكم في العذاب مشتركون .. • ولما ضرب بن مريم مثلا اذا قومك منه	الزخرف ( 43 )

الصفحة	رقم الآيات	الآية	السورة
168	68	يصدون . . . . .	
168	71	يا عبادي لا خوف عليكم . .	
245	81	وأنتم فيها خالدون . . . .	
		قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين	
158	07	ويل لكل أفاك أثيم . .	الجمانية (45)
246	13	وسخر لكم ما في السماوات وما في	
283	20	الأرض جميعا منه . . . . .	
		هذا بصائر للناس وهدى ورحمة .	
143	12	و بشرى للمحسنين . . . . .	الأحقاف (46)
143	13	ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا	
222	31	و يجركم من عذاب اليم . . . . .	
177	32	ومن لم يجب داعي الله . . . . .	
172	03	ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل	محمد (47)
202	38	وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا	
		يكونوا أمثالكم . . . . .	
215	10	فمن نكث فانما ينكث على نفسه . .	الفتح (48)
218	01	يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي	الحجرات (49)
166	09	الله ورسوله . . . . .	
155	12	وان طائفتين من المؤمنين اقتتلوا فاصحوا	
		يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن	
142	03	رجع بعين . . . . .	ق (50)
170	24	القيافي جهنم كل كفار عنيد . .	
249	55	وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين . .	الذاريات (51)
220	18	لقد رأى من آياته ربه الكبرى . .	النجم (53)
171	44	وانه هو أمات وأحييا . . . . .	
237	47 و 49	ان المجرمين في ضلل وسعير يم	القمر (54)
		يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس	
		سقرنا كل شيء خلقنا بقدره	

الصفحة	رقم الآيات	الآية	السورة
191	05	• الشمس والقمر بحسبان . . . . .	الرحمن ( 55 )
155	07	• ووضع الميزان . . . . .	
139	09,08	• الا تطفوا في الميزان . . . . .	
155	10	• والارض وضعها للانام . . . . .	
155	12	• والحب ذو العصف والريحان . . . . .	
153	13	• فبأي آلاء ربكما تكذبان . . . . .	
193	17	• رب المشرقين ورب المغربين . . . . .	
99	27	• ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . . . . .	
194	29	• يسأله من في السماوات والارض كل يوم . . . . .	
183	39	• فيومئذ لا يسأل عن ذنبه . . . . .	
242	44	• يطوفون بينها وبين حميم - ان . . . . .	
184	48	• ذواتا أفنان . . . . .	
195	56	• فيهمن قاصرات الطرف . . . . .	
195	10	• والسابقون السابقون . . . . .	الواقعة ( 56 )
121	44	• لا بارد ولا كريم . . . . .	
197	45	• انهم كلوا قهيل ذلك مترفين . . . . .	
124	63	• أنفرايم ما تحرثون . . . . .	
124	64	• أم نحن الزارعون . . . . .	
145	83	• فلولا اذا بلغت الحلقم . . . . .	
138	96	• فسيح باسم ربك العظيم . . . . .	
235	03	• هو الاول والاخر والظاهر والباطن . . . . .	الحديد ( 57 )
141	01	• قد سمع الله قول التي تجادلك . . . . .	المجادلة ( 58 )
143	04	• وللكافرين عذاب أليم . . . . .	
143	05	• ان الذين يحادون الله ورسوله . . . . .	
142	08	• الم ترالى الذين نهوا عن النجوى . . . . .	
84	02	• فاعتبروا يا أولي الابصار . . . . .	الحشر ( 59 )
234	10	• والذين جاءوا من بعدهم يقولون . . . . .	
146	12	• ولئن نصرهم ليولين الاديبار . . . . .	

الصفحة	رقم الآيات	الآية	السورة
143 243 , 133 146 146	03 06 11 13	كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ومبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله . . . نصر من الله وفتح قريب ومبشر المؤمنين	الصف (61)
256 , 146 159	09 11	يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسموا إلى ذكر الله وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوا . . .	الجمعة (62)
260 258 , 203	05 16	ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح . . . امتنم من في السماء أن يخسف . . .	الملك (67)
242	01	إن والقلم وما يسطرون	القلم (68)
266	16	وانشقت السماء فهي يومئذ واهية	الحاقة (69)
150	02 , 01	سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس	المعارج (70)
248	28	رب اغفر لي ولوالدي . . .	نوح (71)
248 148	06 09 , 08	وإنه كان رجال من الإنس يؤذون آدم وولده وإنهم لفي شقاق وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا . . . رصدا	الجن (72)
151	20	ونصفه وثلثه . . .	المزمل (73)
165 250 137	10 - 08 35 56	فإننا نقر في الناقور ذلك . . . غير يسير إنما لأحدى الكبر . . . وما تذكرون إلا أن يشاء الله	المدثر (74)
235 265 , 204 , 183	09 , 08 23 , 22	وخسف القمر وجمع الشمس والقمر وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة	القيامة (75)

الصفحة	رقم الآيات	الآية	السورة
236، 22، 121	01	هل أتولى الإنسان حين من الدهر	الإنسان (76)
192	02	من نطفة أمشاج . . .	
236	21	عاليهم ثياب سندس . . .	
175 ، 133	17	قتل الإنسان ما أكره . . .	عبس (80)
195	22	وما صاحبكم بمجنون . . .	التكوير (81)
266	01	إذا السماء انفطرت . . .	الانفطار (82)
174	08	ما شاء رك . . .	
143	13	إننا نتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين . . .	المطففين (83)
266	01	إذا السماء انشقت . . .	الانشقاق (84)
177	13	إنه كان في أهله مبهورا . . .	
266	01	والسما ذات البروج . . .	البروج (85)
213	07	وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود	
124	01	اسم ربك الأعلى . . .	الأعلى (87)
139	07 - 04	تصلى نارا حامية . لا يسمن ولا يخبى من جوع . . .	الغاشية (88)
163	07، 06	الم تركيف فعل ربك بعاد أم ذات الحيض . . .	الفجر (89)
139	10-05	فأما من طفى . . . فسئسره لليسرى	الليل (92)
266	08	ووجدك عائلا . . .	الضحى (93)
150	01	لم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين . . .	البينة (98)
179	09	فسي عمد مددة . . .	الهمزة (104)
165	01	الم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل	الفيل (105)
160	01	قل هو الله أحد . . .	الإخلاص (112)

المفحمة	مصنوعه	مطلبه الحديث أو موضوعه
15	الجامع الصغير 04/1 جامع الشمل 128/1	أية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
156	أخرجه الطبراني والحاكم	يقولوا لله تعالى فان الله تعالى فاتح لكم صالح
155	الألباني سلسلة الأحاديث الضعيفة 145/1 (مواضع) قال لا أصل له الشوكاني الفوائد المجموعة / 251 .	يقولوا مواضع التمسيم .
249	جامع الشمل 166/2 شرح السنة 115/10 مسلم 12 / 13 المجلد 6	جسر المجتهد
155	نيل الأوطار 149/5 رواه البيهقي عن الحسن .	ذا استكمل المرئود خمس عشرة سنة . . .
189 ، 156	بخاري 139/10 ترمذي 136 ، 135/8 حديث حسن صحيح المستدرك 402/4 صحيح على شرط مسلم .	أسقسه عسقلانا .
226	رواه أسفاة بنت عيسى	اشرق تبيرا اشرق تبيرا اللهم اني اسألك مما سألك . . . أصبح من عبادي مومن وكافر . . .
127 الحامش / 05	بخاري 522/2 الربيع الجامع / 17 ، 13 مسلم 2 / 59 - 60	أدلبوا الحليم ولو بصيبن . . .
155	الربيع الجامع 01/09 . الألباني سلسلة الأحاديث الضعيفة 413 قال : ( حديث باطل ) الآلبي 1 / 139	أعلم أبا مسعود فان الله أقدر عليك . . .
126	الربيع - الجامع - 65/2 مسلم 11 / 130 المجلد 11	افتقرت اليه سود . . .
127 ، 116	الجامع الصغير / 48 سلسلة الأحاديث الصحيحة 1 / رقم الحديث 203 . ابن ماجه 2 / 1522 .	



الصفحة	مصدره	مطلوع الحديث أو موضوعه
117	انفرد به أبو يعقوب	افتقرت المجرسون ...
226	اعتراف عائشة يوم الجمل بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم لطلحها عليه وسلم لطلحها على أمه . أخرجه الطبراني اللائي 1 / 360 .	أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عليا بتطبيق من شاء من زوجاته بعد موته .
154	شرح السنة 39/9 الموطأ / 173 المستدرک 192/2 ، 193	أمسك أربصا وفارق سائرهن ..
203	بخاري 209/8 ، 210 ابن حجر عسقلاني البخاري حديثا في هذا المعنى .	املوا بمتشابهه
156	بخاري 323/5 ، الجامع الصغير 1/87 . النسائي 93/6 ابن ماجه 623/1 . وفاء الضمانه 3/109 .	إن أحق الشروط أن يوفى ما استحللتم به الفروج
226	مسلم 174/15 ترمذي 175 / 13 بخاري 71 / 07 ابن ماجه 45 / 1 .	أنت مني بمنزلة هرون من موسى ..
128 ، 127	الربيع الجامع 71/2 . شرح السنة 14 / 322 ، 122 / 15 بخاري 3 / 551 ، 552 مسلم 13 / 91 ، 92 .	إن كل ابن آدم يفنى إلا عجم الذرْب ...
238	رواه في هذا المعنى البخاري شرح السنة 1 / 447 ترمذي 1 / 77 ، 78	إن لكل صلاة طمارة ..
192	ترمذي 12 / 183 حديث غريب	ب - بين كل أرض وأخس خمسة عا م .
159	بخاري 2 / 422 أحمد 5 / 85 أبوداود 34	بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قائما إذ قدمت غير المدينة ...

الصفحة	مصدره	مطلع الحديث أو موضوعه
152	وفاء الضمانة 78/3 منهاج الصالحين 712.	فسير قوله تعالى: "إلا من شاء الله"
153	بخاري 512/08.	فسير قوله تعالى: "فطرت الله..."
153	المستدرك 178/2 حديث صحيح على شرط الشيخين ابن ماجه 2 / رقم الحديث . 1207	فسير قوله تعالى: "القطار..."
153	شرح السنة 26 / 4 المستدرك 241 / 1	فسير الرسول صلى الله عليه وسلم في صلاته قوله تعالى: "إن تعذبهم..."
01	الربيع الجامع 12/1 مسلم 169 / 7 - 174 المجلد 4 . شرح السنة 226 / 10 سنن أبي داود 284/9 ابن ماجه 59/1 نيل الأوطار 11 / 157 .	القدية (المروق من الدين)
214 ، 126	الربيع الجامع 09/4	وزالفرسخين من المدينة الى ذي الحليفة..
154	شرح السنة 4 / 475 . المستدرك 240/1 صحيح على شرط مسلم ترمذي 27 / 11 .	جهدهما أدخلك الجنة.
04	بخاري 290 / 12 شرح السنة 225 / 10 .	ذو الخويص...

Center of Theses Depository  
 Library of University of Jordan  
 All Rights Reserved

الصفحة	مصدره	مادة الحديث أو موضوعه
265، 220، 205	الريبع الجامع 1 / 17، 18 بخاري 13 / 419، 420 مسلم 3 / 25 - 29 شرح السنة 2 / 224 المجلد 2 ابن ماجة 1 / 63 - 73	رواية البخاري .
219	بخاري 1 / 213، 219، 224 شرح السنة 3 / 20، 21، 26، 29، 30، 33	رفع الايدي والقبح في الصلاة . .
187	أحمد 3 / 310	الزلسال
160	الريبع الجامع 3 / 14 المستدرک 2 / 540 صحيح الاسطاد	سبب نزول سورة الاخلاص .
142	نسب هذاه الرواية الالوسي الى ابن عباس روح المعاني 23 / 25 .	سبب نزول قوله تعالى : " ألم توالى الذين نهوا عن النجوى .
160، 159	رواه ابن مردويه والواحد عن ابن عباس روح المعاني 17 / 95 .	سبب نزول قوله تعالى : " إن الذين سبقتم لهم ما الحسنى .
159	المستدرک 2 / 202 صحيح على شرط البخاري الريبع الجامع 2 / 42 بخاري 08 / 443، 449 مسلم 10 / 119، 134 المجلد 5 وفاء الضمانة 2 / 177 ابن ماجة 1 / 669 سنن أبي داود 1 / 351 .	سبب نزول آية اللعان .

الصفحة	مصدره	مطلبه الحديث أو موضعه
126	بخاري 556 / 2	سجود الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: "واذا قرأ عليهم القرآن لا يسجدون سجود الشمس تحت العرش"
189	بخاري 297 / 6 وفاء الضمالة 364 / 3 شرح السنة 15 / 14 مسلم 2 / 195 ، 196	
149	مسلم شرح النووي 11 / 191 المجلد 06 بخاري ابن حجر 12 / 143 المستدرک 2 / 415 صحيح الاسناد ابن ماجه 2 / 853	ش - الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة بدا من الله ...
137	شرح السنة 3 / 455 ترمذي 2 / 210 ابن ماجه 1 / 363	ص - صلاته بسورتي (الكاغرون) و (الاخلاص) في سنة الفجر .
238	بخاري 315 / 1 مسلم 3 / 177 المجلد 2 شرح السنة 1 / 443 ترمذي 1 / 80 ، 79 ابن ماجه 1 / 170	صلاته بوضوء واحد
126	الربيع الجامع 4 / 09 بخاري 2 / 569 407 / 3 مسلم 5 / 191 ، 192 المجلد 3	صلى الخليل بالمدية .
237	ترمذي 316 / 03 حديث غريب حسن صحيح ابن ماجه 1 / 24	صلفان من أمتي ليس لهما في الاسلام نصيب .
138	ابن ماجه أدب 56 الترمذي دعوات 57 ، 65 الدرامي صلاة 90	ف - فضل تلاوة سبحان رب العزة ...

الرقم	مصدره	مطالع الحديث أو موضوعه
124	شرح السنة 104/3 المستدرک 521/2 حديث صحيح على شرط الشيخين .	قرأ اسم ربك الاطى فقال سبحان ربى الاطى .
237		القدرية خصمها الرحمن .
227	الربيع الجامع 10/3 شرح السنة 152 / 1 سنن أبي داود 270/2 ابن ماجة 35 / 1 الجامع الصغير 03/1 .	القدرية مجوس الأممية .
		ك كل ابن آدم ( انظر ان كل ابن ... )
126	أخرجه الطبراني في معجمه الكبير .	ل لا أخاف على أمتي الاولات خلال ...
248	بخاري 495 / 6 300 / 13 مسلم 219/16 ، 200 المجلد 08 شرح السنة 392 / 14 ابن ماجة 2 / رقم الحديث 1322	للتبصن سنن من قبلك ...
242	بخاري 291/5 أحمد 136 / 4 شرح السنة 268 / 1 سنن أبي داود 124 / 2	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ..
202	مسلم 101 ، 100/16 المجلد 08 شرح السنة 200 / 14	لو تعلق الدين بالثريا لنا له رجال من أبناء فارس .
124	أخرجه البزار ، وابن جرير ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، والهقي وابن حبان	لا يقولن أحدكم زعمت ولكن ليقل حرثت ..

الصفحة	مصدره	مذاهب الحديث أو موضوعه
	روح المعاني 148 / 27	
125	بخاري 517/08 . طبقات بن سعد 29 / 3	ما كنا ندعوه الازيد بن محمد
154	وفاء الضميمة 163 / 1 رواه أسن.	ما الكوثر؟ ... قال هذا لمر ...
153	ترمذي 177/22 رواه بهذا المعنى في المستدرک 473 / 2	مالي أسمع الجن أحسن ...
156	رواه الطبراني محتاج الصالحين / 335	من أصدق امرأة صداقا وهو صحيح ...
137	الجامع الصغير 178/2 الالباني سلسلة الأحاديث الضعيفة 304/1 ضعفه .	من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه . .
153	جامع الشمل 163 / 1 ترمذي 25 / 11 الالباني ، سلسلة الأحاديث الضعيفة 314 / 1 .	من قرأها مائتي مرة محيية عنه ذنوب خمسین سنة الا ...
127	الربيع الجامع 15 / 4 الجامع الصغير / 131 الالباني سلسلة الأحاديث الضعيفة 14/1 باطل	من لم تتحبه صلواته ...
154 ، 153	ترمذي 25/11 حديث قريب .	من نام على يمينه وقرأ مائة ...
155	شرح السنة 315/3 نيل الاوطار 338 / 5 سنن أبي داود 270 / 1 ابن ماجه 337/2	من وجد لقطعة ..
154	مسلم 210 ، 209/09 المجلد 5 ، ترمذي 305/4 المستدرک 165/2 نيل الاوطار 109/6 ، 110	الظلمة الى الخطيئة ..

الصفحة	مصدره	مطلب الحديث أو موضعه
136	ابن ماجة 1/599 ، 600	نعى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعليم سورة يوسف للعسا .
138	ترودي 2/247 ، 248 سنن النسائي 3/244 ، 246	و ترا الرسول صلى الله عليه وسلم بسورة الاعلى
222	المستدرک 2/520 صحیح على شرط الشيخين سنن أبي داود 1/225 ابن ماجة 1/370 ، 371 بخاري 3/497 ، 498 مسلم 09/20 — 23 المبلىد 05 بيل الاوطار 5/50 ابن ماجة 2/994 ، 995 .	وجوب السعي . .

— فهارس الأعلام —

— أ —

— آدم —

- 122، 127، 128، 161،  
162، 171، 192، 240  
257، 274  
162، 202، 236  
70  
73  
101، 108، 109، 111،  
56، 57  
1310 هـ  
1893م) عالم أباضي، له معرفة بالكيمياء، أخو  
المفسر، معجم أعلام الجزائر/ 19.  
160  
257  
238  
31، 37، 107، 108  
245  
124، 154، 192، 220  
221، 222  
170  
146  
02  
.../...
- ابراهيم النبي عليه السلام  
— ابراهيم بن بكير حفسار  
— ابراهيم وحقى (بن دروش عثمان الأيضي  
(1195 هـ / 1781م)  
— ابراهيم محمد طلابي  
— ابراهيم بن يوسف بن عيسى أطفيش (نحو 1310 هـ  
1893م) عالم أباضي، له معرفة بالكيمياء، أخو  
المفسر، معجم أعلام الجزائر/ 19.  
— أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية  
من بني النجار.  
— الأجهوري = طلي بن محمد بن عبد الرحمن بن  
طلي أبو الارشاد نور الدين الأجهوري (967 هـ  
1066م) (1560، 1656م).  
— أحمد أمين (1886م — 1974م)  
— أحمد بن حمد الخليلي مفتي سلطنة عمان حالياً،  
وعالم أباضي.  
— أحمد بن قاسم الاندلسي الحجري.  
— أحمد بن محمدين جنبل، أبو عبد الله الشيباني  
الوادلي (164 — 240 هـ) (780 — 855م)  
— أحنف بن قيس زعيم بني تميم البصرة في العصر  
الأُموي وكان يشتهر بحلمه، الفن ومذاقه في الشعر  
الحربي/ 222.  
— الأُخفش — سعيد بن مسعدة أبو الحسن الملقب  
بالأُخفش (211 أو 215).  
— ابن الأُردق — نافع بن الأُردق امام فرقة الأزارقة  
من الخوارج.



- 165 = الادفئش ملك قستالة (الفلس السادس  
06، 10، 11، 13، 70، 71،  
79، 88، 89، 93، 94، 99، 101،  
111، 112، 230 .
- 226 — أسماء بنت عميس
- 129 — اسماعيل الجيظالي = اسماعيل بن موسى الجيظالي  
الفوسى (750هـ) أبو ظاهر عالم اباضي من تأليفه ،  
القواعد ، القناطره شرح النونية ، قواعد الاسلام 1/  
هـ - ز .
- 205 — الأشعري — علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم ،  
أبو الحسن الأشعري ( 260 — 324هـ ) ( 874 —  
36م ) .
- 151 — الأعرج = عبد الرحمن بن هرمز أبو داود المدني  
مولى محمد بن ربيعة ( 117هـ )
- 23 و 24 . — أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أبو  
سعيد ثالث الأئمة الرستميين من الاباضية في مدينة  
تيمهرت ( 240هـ — 254م ) معجم أعلام الجوائز / 147 .
- 116، 119، 121، 124،  
131، 137، 138، 189،  
251، 252، 253، 254،  
255، 256، 257، 258،  
259، 260، 261 .
- 133، 175 . — الألوسي = محمد بن عبد الله بن محمود بن  
ديوش الحسني الألوسي ، شهاب الدين أبو الدنا  
( 1217 — 1270هـ ) ( 1302 — 1854م ) .
- 167 — امرؤ القيس ( 500 — 540م )
- 126، 153 — أمية بن أبي الصلت اللخمي ( 624م ) .
- 241 — أسس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد النجاشي  
الخنزيري  
الانصاري ( أبو دمامة أو أبو حمزة ) ( 10ق هـ — 93هـ )  
( 612 — 710م ) .
- أيوب النبي عليه السلام .

170 | - اياس بن معاوية قاضي البصرة هو كان يشتغل بذكائه  
الفن ومذاهبه في الشعر العربي/222 .

- ب -

70

- با بكمر بن الحاج مسعود .

79 ، 74 ، 71 ، 24 ، 20 | - الباروني = سليمان بن عبد الله الباروني ( 1287

1359هـ ) ( 1870 - 1940م ) للعالم المجاهد

الليبي من مؤلفاته : الأزمات الرياضية في تاريخ

الروستميين كتاب سليمان الباروني باشا في أطوار

حياته / أبو اليقظان ابراهيم

159 ، 156 ، 127 ، 125

- البخاري = محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن

274 ، 160

المخيرة ( 194 - 259هـ ) ( 810 - 870م ) .

28 ، 27 ، 23 ، 22 ، 20 ، 08

- البرادي = أبو القاسم بن ابراهيم البرادي ( من أهل

35 ، 34

القرن التاسع المجدي ) من مؤلفاته " الجواهر

المنتقاة في اتمام ما أخل به كتاب الطبقات " آراء الخوارج

232 ، 281/2 .

91 ، 90

- برفش بن سعيد سلطان زنجبار في عهد المفسر .

153

- البزاز = أبو بكر أحمد بن عمر البزاز البصري

( 291 أو 292هـ / 904م ) .

229

- البخدادي = أبو منصور عبد القاهر بن الطاهر

( 429هـ / 1038م ) .

124

- البخوي = حسن بن مسعود بن محمد الملقب بابن

الفراء ويلقب بمحي السنة ( 516هـ / 1222م ) .

225 ، 159 ، 117 ، 12 ، 05

- أبو بكر الصديق الصحابي

226

70

- بكير بن الحاج قاسم .

116 ، 115 ، 102 ، 95 ، 72

- البيضاوي = عبد الله بن عمر بن محمد بن علي

119 ، 118

البيضاوي الشيرازي ، أبو سعيد ( 685هـ / 1286م )

127 ، 126 ، 124

- البيهقي = مسعود بن علي بن أحمد بن

الحباس الصواني البيهقي أبو المحاسن ( 544هـ /

1149م ) .

.../...

- 116، 102، 70، 37، 30 . -- بيوض = ابراهيم بن عمر بن بابه بن ابراهيم بن حمو  
الطبقبيوض (1316 - 1400هـ) (1800-1980م)  
عالم اباضي، مفسر، مجاهد، مصحح المفسرين 1/17، 13.
- ت -
- 159، 156، 126، 125 . -- الترمذي = أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن  
موسى بن الضحاك السالمي الترمذي (200هـ -  
279هـ).
- 170 . -- أبو تمام = حبيب بن أوس الطائي أبو تمام (130 -  
223هـ) (796 - 343م).
- 280، 134، 16 . -- ابن تيمية = أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام  
بن عبد الله بن أبي القاسم الخضري بن محمد النعمري  
(661 - 728هـ) (1263 - 1328م).
- ث -
- 01 . -- ابن التديئة = رجل خارجي اختلف في اسمه  
وجاء وصفه في حديث رواه البخاري: "آيتهم  
رجل احدى يديه أو قال - تدييه مثل تدي المرأة  
أو قال مثل البضمة" للمزيد من التفاصيل ارجع الى  
فتح الباري 12/290 - 297. باب من ترك قتال  
الخوارج بأراء الخوارج 1/35 - 46. نشأة الخوارج
- ج -
- 241 . -- أبو جاد = من أسماء العرب العاربة نزلوا بعد نوان  
القمريست / 57.
- 05، 03، 15، 16، 17، 33 . -- جابر بن زيد الأزدي البصري، أبو الشعثاء  
34، 35، 68، 35، 128، 165 .  
210، 221 .  
153، 159 . -- جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي  
الصحابي (73هـ).
- 27، 18 . -- الجاحظ = عمرو . بن بحر بن محبوب  
الكناني بالولاء الليثي (أبو عثمان) (163 - 255هـ)  
.../... (780 - 362م)

- 267، 244، 243 | - جالوت (المذكور في القرآن الكريم)
- 195، 160 | - جبريل عليه السلام
- 242، 194 | - ابن جريج = عبد الملك بن عبد العزيز بن  
جرج الاموي بالولاء ( 30 - 150هـ )  
( 692 - 767م )
- 127، 125، 124، 123، 121، 16 | - ابن جبر الطبري = محمد بن جبر بن  
يزيد الطبري ( 224 - 310هـ ) ( 839 -  
23م )
- 24 | - الجزري = ابراهيم بن أحمد بن محمد  
الأصمري الخزرجي الجزري أبو اسحاق  
( 709 هـ / 1309م ) .
- 151 | - أبو جعفر = يزيد بن القفطاع توفي بالمدينة  
سنة 128 هـ وقيل 132 هـ .
- 269، 50، 43 | - جمال الدين الأفغاني
- 131 | - جنون بن يمران ( أبو صالح ) الطبقة السابعة  
( 300هـ - 350هـ طبقات المشائخ 341/2  
345 .
- 259، 235 | - الجنيد = بن محمد بن الجنيد الخزار أبو  
القاسم البغدادي ( 297هـ / 10م )
- 153 | - أبو جحل - عمرو بن هشام ( أبو الحكم )
- 132 | - الجوهري ( 1005هـ ) أبو نصر اسماعيل  
الجوهري مؤلف معجم الصحاح .
- - -
- 156، 153 | - الحاكم = محمد بن عبد الله بن محمد بن  
البيع الحاكم النيسابوري ( 321 - 404هـ ) .
- 16 | - ابن حبان = محمد بن حبان بن أحمد بن  
حبان بن محاد بن معبد التميمي الحنظلي  
أبو حاتم السبتي ( 270 - 354هـ )  
( 384 - 65م ) .

- .46، 40 الحبيب الجبالي
- 17 الحجاج بن يوسف ( 661 - 714م )
- 17 ابن حجر الحسقلاني = أحمد بن علي بن محمد  
الكلابي الحسقلاني أبو الفضل شهاب الدين بن حجر  
( 773 - 352هـ ) ( 1372 - 1442م )
- 172 -- حسان بن ثابت ( 54هـ / 674م ) .
- ، 157، 151، 120، 35، 08 الحسبن البصري = الحسن بن يمار البصري أبو  
سعيد ( 21 - 110هـ ) ( 642 - 723م ) .
- 150 .
- 23 -- حسن حسلي عبد الوهاب .
- 226 -- الحسن بن علي ( 33هـ - 49هـ ) شذرات الذهب  
. 56، 55، 10/1
- 34 -- حسين أحمد النجدي ( القرن الثامن الهجري ) التفسير  
والمفسرون 103/3 ذكروا حبه في تفسيرين /1  
324 عبد الله بن محمد بن أبي القاسم النجدي  
( 325 - 377هـ ) ( 1422 - 1473م )
- 225 -- الحسين بن علي ( 5هـ - 61هـ ) شذرات الذهب /1  
. 66، 10
- . 225، 117 -- الحسين بن علي بن الحسين بن علي
- 241 -- حطي من أسماء العرب العاربة نزلوا بعد ثمان  
القموصت / 57،
- . 202 -- حصود بن محمد بن سعيد سلطان زنجبار .
- . 116 -- حمزة
- ، 223، 222، 221، 211، 123 -- أبو حنيفة = النعمان بن ثابت بن زوطي ( 150هـ  
. 256، 224 .
- . 274، 240، 162 -- حسواء عليها السلام
- . 34، 23، 22، 21 -- أبو الحواري = محمد بن الحواري العماني
- ، 261، 151، 123، 121، 16 -- أبو حيان = محمد بن يوسف بن علي بن يوسف  
ابن حيان الخرناطي الجبالي ( 554 - 745هـ )  
( 1256 - 1344م ) .
- .../...

110، 120، 121 . الخازن = علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر  
ابن خليل الشيعي ، علاء الدين المصروف بالخازن  
( 673 - 741 هـ ) ( 1280 - 1341 م ) .

19 أبو الخطاب = عبد الأعلى بن السمع المعافري  
اليماني ، فقيه اباضي فأحد حملة العلم السني  
الغريب بويج بالامامة في طرابلس سنة 140 هـ  
ودامت امامته حوالي أربعين سنة فسقط شهيد  
المحرقة ، قواعد الاسلام 64/1 الحامش (2) .

91 خليفة بن سعيد

13 ابن خلدون ( 732 - 808 هـ )

160 الخنساء = اماض بنت عمرو بن الشريسي  
( أم عمرو ) ( 575 - 664 م ) .

2 46 دانيال = نبي من أنبياء بني اسرائيل يروي  
ابن الاثير في كامله أن المسلمين وجدوا جثته  
في تاهوت من رخام وأمر عمر بن الخطاب برفس  
بدفته فأرأه الخوارج 40/1 الحامش للمسيحيين  
سفر يدعي باسمه من أسفار العهد القديم .

177، 243، 244، 267 . داود ( النبي عليه السلام )

17 داود بن أبي هند دينار القشيري بالولاء  
البصري ، أبو بكر ( 139 هـ / 756 م ) .

124، 125، 126 . أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق  
ابن بشر الأزدي السجستاني ، أبو داود  
( 202 - 275 هـ ) ( 317 - 339 م ) .

153 الدراقتي = أبو الحسن علي بن عمر الدراقتي  
الشافعي ( 306 - 385 هـ ) ( 910 - 995 م ) .

15، 26 الدرجيني = أحمد بن سعيد ( أبو الحباس )  
( 670 هـ ) اباضي صاحب كتاب دابقات المشايخ

بالمغرب .

- ذ -

04 - ذى الخويصرة = عبدالله بن ذى الخويصرة  
التميمي هكذا جاء تصريفه في الحديث الذي  
رواه البخاري عن أبي سعيد وهو الأعرابي الذي  
اعترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التقسيم  
وقال له أعدل يا رسول الله الخ...  
- فتح الباري 12: 290 رقم الحديث 6983.  
260 - أبو ذر = جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري  
(ص32).

- ر -

34 - الرازي = أحمد بن علي الرازي أبو بكر الجصاص  
(305 - 370 هـ) (918 - 31 م).  
• 279، 277، 273، 123، 110  
- الرازي = محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن  
ابن علي التميمي البكري (أبو عبدالله) فخر الدين  
الرازي (544 - 606 هـ) (1156 - 1210 م).  
93 - راشد بن عزيز العماني  
• 127، 126، 125، 35، 34، 33، 17  
- الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهدي  
البصري (أبو عمرو) الأباضي (170 هـ/786 م)  
- رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
• 276، 272، 271، 270، 269، 251  
- رشيد رضا = محمد رشيد بن علي رضا بن محمد  
شمس الدين ابن المعتلا على خليفة القلموني  
البيгдаدي الأصل الحسيني النسب (1232 -  
1354 هـ) (1365 - 1935 م).

11 - ابن رشد = محمد بن أحمد بن محمد بن رشد أبو  
الوليد (520 - 595 هـ) (1126 - 1198 م).

- ز -

• 26، 13 - أبو زكريا يحيى بن أبي بكر (الطبيقة العاشرة)  
(450 هـ - 500) صاحب كتاب سيرة الأئمة،  
طبقات المشايخ 442، 443/2.

72 - أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجناوي النفوسي  
من علماء النصف الأول من القرن الخامس للهـ  
كتاب (الوضح) الذي نسبه بعضهم إلى أبي زكريا  
يحيى بن إبراهيم، الوضح 4/ 64.

• 119، 118، 116، 115، 95، 72، 25  
- الزمخشري = محمود بن عمر بن محمد بن أحمد  
الخوارزمي الزمخشري جار الله (467 - 533 هـ)  
(1075 - 1144 م).

123 - ابن زيد، يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ  
زَيْدِ بْنِ أَسْلَمِ الْحَدَوِيِّ (132 هـ - 793 م)،  
ويؤيد هذا الاحتمال رواية ابن جرير الطبري في  
نفس الموضوع (ابن وهيب عن ابن زيد).

- و. المعروف أن عبد الله بن وهب روي عن عبد الرحمن  
جامع البيان 26/10 المجلد 6 :
- 140 - زيد بن حارثة
- 131 - زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب  
(79 - 122هـ) (693 - 740م).
- 122 - زبيد = يحمّل أن يكون هو زيد بن مهمل بن  
يزيد (حوالي 650م) المدعو زيد الخيل، ويؤيد ذلك  
هذا الاحتمال استشهاد الأوسي في تشيير نفس  
الآية بهيبت من قصيدته وفي نفس الموضوع، سماه  
الرسول صلى الله عليه وسلم بعد إسلامه (زيد الخير)
- 140 - زبيد بنت جحش (20هـ)
- س -
- 21 - سالم بن حمسود
- 163 - الصامري = الرجل الصائغ الذي صنع لقوم  
موسى عجلا جسدا له خوار فسجد له بعضهم بعد  
ذهاب موسى عليه السلام إلى الجبل لمساواة  
ربه عز وجل، لها بالتأويل 131/2.
- 132، 122 - سيديويه = عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني  
الهارث بن كعب (179هـ).
- 132، 122 - السيوافي = الحسن بن عبد الله المرزبان، أبو  
سعيد (270 - 363هـ).
- 37 - أبو ستة = محمد بن عمر القصبني الحزبي من طيء  
القرن الحادي عشر المعروف عند اباضية المخرب  
بالمحشي لكثرة حواشيه، وكتاب "الذهب الخالص"  
للمفسر وهو مختصر كتابي القواعد وحاشية أبي  
ستة - القواعد 1 / ج 1.
- 33، 121، 153، 195 - سعيد بن جبير بن هشام الأودي (45هـ -  
25هـ) (665 - 714م)
- 139، 156 - أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك بن سنان  
(10 ق هـ - 74هـ) (613 - 693).
- \*  
43، 44 - سعد الله (أبو التاسم) (ولد 1930م).
- 152 - سعد بن مالك بن أبي وقاص بن أمييب ويقال  
وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب  
القرشي (23ق هـ - 55هـ) (603م - 675م).
- 241 - سفسح من أسماء الحرب العاربة الفهرست /  
57.
- 12 - سلمة بن سعد (سعيد) أول داعية إلى المذهب  
الاباضي في المخرب في أواخر القرن الأول الهجري  
وأوائل القرن الثاني الهجري، استطاع تكوين  
مذهب قطنية مالا باضية في الجزائر 17/1.



- 202 سلمان الفارسي ( 36هـ )  
 23، 16 سليمان داود بن يوسف بحاثة جزائري في التاريخ  
 من قرية المطف اباضي من مؤلفاته "الخوارج انصار  
 علي"  
 173 سليمان بن عبد الملك أبو أيوب ( 54هـ - 92هـ )  
 20 سليمان بن مزار النفوسي التقي به أبو محمد اللواتي  
 من القرن الخامس الهجري ، ولذلك يكون من نفس الطبقة .  
 الاباضية في الجزائر 1 / 129 - 201 . و صنفه الدرجيني  
 في الطبقة الحادية عشر ( 500هـ - 550هـ ) .  
 250 السميلسي = عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد  
 ابن أبي القاسم الخدصي السميلسي ( 508هـ -  
 581هـ ) ( 1114 - 1185م )  
 122، 123، 220، 256 المهووطي = عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن  
 سابق الدين بن عثمان الخصيري السيوطي جلال  
 الدين ( 849 - 911هـ ) ( 1445 - 1505م ) .  
 - ش -  
 137 الشاطبي = ابراهيم بن موسى بن محمد الخمي  
 الفرياطي ( أبو اسحاق ) ( 790هـ - 1383م ) .  
 123، 211، 221، 222، 223 الشافعي = محمد بن ادريس بن الحباس بن عثمان  
 ابن عثمان شافع الماشي القرشي المطلبي ( 150هـ -  
 204 ) ( 767 - 820م ) .  
 10، 33، 33، 110 ابن الشيخ بلحاج محمد بن بابة أستاذ بمعهد  
 الحياة بالقرارة ، اباضي .  
 23 شخت = مستشرق  
 12، 15، 16، 18، 22، 23، 24 شريقي بلحاج أستاذ بالمعهد الحالي لاصول  
 الدين بجامعة الجزائر ، اباضي .  
 23، 30، 33، 34، 103، 113 الشماعي = أبو سنان عامر بن علي بن عامر  
 ابن سيف وأحد اعلام الاباضية في جبل نفوسسة  
 بلبيبا و مرجع الفتوى في عصره ، كتاب الايضاح 1 /  
 ترجمة المؤلف ص 20 .  
 241 شعيب ( النبي عليه السلام ) .  
 280 الشوكاسي = محمد بن علي بن محمد بن عبد الله  
 ابن الحسن بن محمد ( 1173 - 1250هـ ) ( 1760 -  
 1884م ) .  
 176 شوقي ضيف ، كاتب محاضر .  
 - ص -  
 203 صابر طميمسة  
 194 أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد الجملي المصري  
 ( 137 - 223هـ ) ( 754 - 833م ) .

- 79، 71 - صالح بن يحيى ( 1367 هـ / 1943 م ) عالم اباضي  
من مؤسسي حزب الد ستور التونسي القديم والحضد  
الأيمن لرئيسه عبدالعزيز الثمالي، مجمع أعلام  
الجزائر/ 194 .
- 164 - صلاح الدين الأيوبي ( 1138 - 1191 م )  
21 - الحلبي بن مالك الخروصي تولى الامامة بعمان من  
سنة ( 237 - 272 هـ ) ، تحفة الأعيان 133/1 -  
180 قواعد الاسلام 30/1 المامش رقم 1 .
- 156 - صديب بن سنان الرومي ( حوالي 23 ق هـ - 38 هـ )  
- فن -
- 157 - الضحاك بن مزاحم الملا لي البلخي الخراساني،  
أبو القاسم ( 105 هـ - 723 م ) .  
- ط -
- 258 - طالموت ( المذكور في القرآن )  
153 - طاروس بن كيسان الخولاني بالولاء أبو عبدالرحمن  
الكنداني  
( 33 - 106 هـ ) ( 653 - 724 م ) .
- 190، 150، 256، 127، 126 - الطبراني = سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير  
اللخمي الشامي الطبراني، أبو القاسم ( 260 - 350 هـ )  
( 273 - 71 م ) .  
- ع -
- 226، 211، 210، 172 - عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين ( 2 ق هـ - 53 هـ )  
( 613 - 670 م ) .
- 107 - عادل نويهمضي
- 26 - عاصم السدراتي من القرن 2 هـ أحد حملة العلم  
الغسقا لي المشرب الاياضية في موكب التاريخ 124/1،  
123 .
- 159 - عاصم بن عدي سيد بني الحجلان ( 45 هـ )
- 123 - عاصم بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي  
الحميري ( 12 - 103 هـ ) ( 640 - 721 م ) .

117، 155، 159، 196، 197،

- عيسى (النبي عليه السلام).

243، 245، 257.

129

- أبو العبدان = أحمد بن محمد بن بكر ( 504هـ).

فقيه اباضي صاحب كتابي (أبي مسألة) و(تبيين أفعال

العباد) آراء الخوارج 2/221.

268

- عبدالحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين

الازدي الاشبيلي أبو محمد المصروف بأبن الخراط

( 510 - 581هـ ) ( 1116 - 1135م ).

66

- عبد الحميد ، سلطان الدولة العثمانية ( 1342م

1913م )

21

- عبد الرحمن بالكلي فقيه اياضي عضو في الحركة

الاصلاحية المتطرفة بالجزائر .

103، 108، 250، 251، 262، 263، 265.

- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الشاذلي ( 786

267، 268.

375هـ )

13، 19، 20.

- عبد الرحمن بن رستم بن بحرام ( 171هـ / 787م )

21، 23، 35، 202.

فقيه اياضي ، مؤسس الدولة الرستمية ، معجم

المفسرين 1/265 .

71

- عبد العزيز الشاذلي ( 1374 - 1944م )

49، 56، 57، 72.

- عبد العزيز بن ابراهيم الثميني ضياء الدين

( 1130 - 1223هـ ) فقيه اياضي من أهم مؤلفاته :

( 1713 - 1803م )

النيل وشفاء الحليل ، معجم أعلام الجزائر / 22 و

23 .

176

- عبد العزيز عتيق

78

- عبد القادر بن محمد المجاوي ( 1264 - 1332هـ )

( 1343 - 1913م ).

44

- عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى ( الأُمير )

( 1222 - 1300هـ ) ( 1807 - 1883م ) ، مجاهد

أديبه صوفي ، معجم أعلام الجزائر / 103، 104 .

.... / ....

213. - عبدالمؤمن من = يحتفل أن يكون هو عبدالمؤمن من  
ابن علي بن مخلوف بن يحيى بن مروان (437هـ -  
553هـ) (1095م - 1163م) مؤسس الدولة  
الموحدية في المغرب العربي والأندلس، معجم  
أعلام الجزائر/ 213، 219.
- 03، 02 - عبد الملك بن مروان (36هـ)  
03، 05، 08، 17. - عبدالله بن أباؤ المرعي التميمي (الطبقة  
الذاتية) (50 - 100هـ) طبقات 2 / 214.
- 62 - عبدالله بن حميد السالمي، عالم عماني، أباؤ  
عاش في عصر المفسر وكانت بينهما مراسلات.
- 243، 242، 209 - عبدالله بن سلام الأسرائيلي الأندلسي من سبط  
يوسف بن يعقوب (43هـ).
- 160، 159 - عبدالله بن الزبير  
122، 60، 36، 34، 33، 21، 20، 16 - عبدالله بن عباس بن عبد المطلب القرشي  
120، 104، 153، 157، 127، 124 - الهاشمي (103ق هـ - 63هـ) (610 - 637م)
- 237، 234، 224، 209، 203، 124 - عبدالله بن عمر بن الخطاب (10ق هـ - 73هـ)  
153 (613 - 622م).
- 25 - أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد  
المرعي بن أبي زمنين (324 - 370هـ) (936 -  
1000م).
- 120 - عبدالله بن مسعود بن عاقل بن حبيب المذلي  
(32هـ / 653م).
- 76 - عبدالله بن يحيى الباروني والد سليمان الباروني  
شاعر ليبي متاخر مدح المفسر بقصيدة نظمها  
لحسابه على طلب العلم منمضة الجزائر  
356/1.
- 202، 26 - عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (120هـ /  
306م) ثاني الأئمة الرستميين من الأباؤ في  
تيموت معجم أعلام الجزائر / 143.

- 262 - عبد الوهاب قايد
- .179,170,18 أبو عبيدة معمر بن المدين التيمي بالولاء البصري (110 - 209 هـ) (728 - 324 م).
- .35,26,21,19,17,03,05 - أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (حوالي 150 هـ) التيمي المشهور بالأعور والثقاف امام أباضي ، فقيه ، تخرج من مدرسته علماء أباضيون فطاحل ، قواعد الاسلام 33/1 الحامش 1.
- .226,215,166,05,04,03 - عثمان بن عفان الخليفة الثالثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (47 ق هـ - 35 هـ) (577 - 656 م). 269
- .263,259,236,216,207 - ابن العربي = محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأندلسي الأشبيلي أبو بكر (463 - 543 هـ) (1075 - 1143 م).
- .235,123 - ابن عربي = محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائفي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي (560 - 633 هـ) (1165 - 1240 م)
- 17 - عيزرة
- 117 - عزيزيتر عليه السلام
- 226 - ابن عساکر = أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي (571 هـ).
- 153 - عطية
- .265,264,263,262,123 - ابن عطية = عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية الحارثي الخرناطي (431 - 542 هـ) (1033 - 1148 م). 267
- 170 - ابن عثمان
- 73,67 - الحقييني
- 156 - عقبة بن عامر الجملي (53 هـ)
- 151 - ابن عقييل = عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن محمد القرشي الحاشمي (694 هـ - 769 هـ) (1294 - 1367 م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- 19، 20، 21، 190، 207 .  
عكرمة بن عبدالله البربري مولى عبدالله بن عباس  
(25 - 105هـ) (645 - 723م)
- 133، 165 .  
أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي (356هـ / 967م)  
من علماء اللغة ومن مؤلفاته (الأمالي) ويختبره شوقي  
ضيف من الكتب التي فيها انتحال كثير  
الحصر الجاملي 181/1 .
- 01، 03، 117، 166، 205، 215 .  
علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، أبو الحسن  
(28ق هـ - 40هـ) (500م - 661م) .
- 249، 255 .  
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بزين  
العابد بن (36 - 94هـ) .
- 246 .  
علي بن الحسين الواقدي
- 133 .  
أبو علي الشلوبين .
- 05، 11، 12، 20، 27، 28 .  
علي يحيى محمدر الليثي (1919 - 1980م) عالم  
إياضي، الإياضية / 16 - 33 .
- 01، 06، 07، 08، 10، 263 .  
عمار طالبي
- 130 .  
أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي  
(الطبقة الدانية) (550 - 600هـ) عالم إياضي، عاصراً  
يعقوب بيوسف بن إبراهيم الوردجاني، من مؤلفاته  
(الموجز) طبقات 2 / 435 - 491 .
- 92 .  
عمر بن الحاج إبراهيم بن محمد الصفاوي من  
تلاميذ المفسر .
- 05، 117، 159، 167، 175 .  
عمر بن الخطاب الخليفة الدانية لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم (40ق هـ - 23هـ) (584 - 644م) .
- 03 .  
عمرو خليفة الناصبي
- 174 .  
عمرو بن أبي ربيعة من بني مخزوم (23 هـ - 93هـ)  
(644 - 711م) .
- 165، 215 .  
عمرو بن عبد العزيز بن مروان الأموي (61 - 101هـ)

- 166 — عمرو بن الحارث بن وائل بن ملهم بن سعيد القرشي  
(43 م).
- 170 — عمرو بن محمد بكر بن الفارس
- 70، 31 — عمرو بن يحيى (1339 م/1921 م) رجل من رجال  
الإصلاح بالجنوبه أعلام الإصلاح 190/2.
- 243 — علي بن عباد
- 240 — عوج أو طاج بن عنق أو عناق و ماك باشان الجبار  
المذكور في الثورة باسم (عج) في أساطير الحرب تصور  
جنته لما قتل بقدر جسرة على الليل.
- 159 — عويمر بن نصر العجلاني  
— غ —
- 154 — غيلان بن سلمة الثقفي
- 257، 205، 134 — الخزالي = محمد بن محمد بن أحمد الخزالي  
الطوسي (أبو حامد) (450 — 505 م) (1058 —  
1111 م)
- ف —
- 122، 179، 195، 196 — الفراء = أبو زكرياء يحيى بن زياد مولى بني منقر  
(144 — 207 م) (761 — 322 م).
- 174 — الفرزدق = أبو فراس فمام بن غالب بن صعصعة  
(20 — 44 م) (641 — 732 م).
- 241، 163، 163 — فرعون المذكور في القرآن الكريم.
- ق —
- 256 — أبو القاسم
- 125، 123 — قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف البيهقي القرطبي  
أبو محمد (247 — 340 م) (362 — 50 م).
- 247 — قاسم بن سعيد
- 256 — القا شامي
- 250 — القا ضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى  
السبتي أبو الفضل (476 — 544 م) (1033 — 1149 م).

122 قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب  
السدوسي البصري ( 61 - 118 هـ ) ( 630 - 736 م ) ،

241 قرشست

.110، 71 القرطبي = محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري  
الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي ( 671 هـ )  
1273 م .

250 القسطلاني = محمد بن أحمد بن علي بن محمد القيسي  
الشاطبي أبو بكر ( 614 - 686 هـ ) ( 1218 - 1287 م )

18 قطموني بن الفجاعة التميمي ( حوالي 78 ، 79 هـ ) .

.200، 184 ابن قيم الجوزية = محمد بن أبي بكر بن أيوب  
ابن سعد الزبي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين  
( 691 - 751 هـ ) ( 1292 - 1350 م ) .

- ك -

195 ابن كيسان = عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم  
المحزلي ( نحو 225 هـ / 840 م ) .

.274، 123 ابن كثير = اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن دوع  
القرشي البصري الدمشقي أبو الفداء عماد الدين  
( 701 - 774 هـ ) ( 1302 - 1373 م ) .

41 الكندي = خالد بن أحمد بن يحيى الكندي

.122، 116 الكسائي = علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان  
الأصدي بالولاء الكوفي أبو الحسن الكسائي ،  
( 189 هـ / 805 م ) .

.242، 191 كعب الأحمري ( حوالي 32 ، 35 هـ )

36 الكلبى = محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن  
الحارث الكلبى أبو النصر ( 146 هـ / 763 م ) .

181 كمنون أبو محمد

.241 كلمس



— ل —

246 — لسوقا = قديس ورثيق بولس في أسفاره  
(نحو 70م) كتب أنجيل لوقا .

— م —

126، 125 — ابن ماجة = أبو عبدالله محمد بن يزيد بن عبد  
الله بن ماجة (209 هـ — 273 هـ) .

120 — المازني = بكر بن محمد بن بلي مازن بن شيان

ابن ذهل بن ثعلبة كانت وفاته بين (230 ، 247)

26 — ما سكرابي أميل مستشرق قام بطبع كتاب سنو الأئمة  
وأخبارهم لأبي زكريا مترجما إلى اللغة الفرنسية  
سنة 1873 .

126 — أبو مالك الأشعري

132، 31 — ابن مالك = محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي  
(672 هـ / 1273 م) .

177، 168، 163، 150، 140 — موسى (النبى عليه السلام)

244، 205

211، 32 — موسى بن عامر بن علي بن عامر بن سيقا والشماخي

تخرج على أبيه له كتاب (ترتيب اللفظ) شرحه المفسر  
وسماه (تثقيف الخامر بترتيب لفظ بن عامر) .

23، 22، 21 — أبو المؤثر = الصلت بن خميس الخروصي، وفاته

كانت في أواخر القرن الثالث الهجري، أحد أعلام

الإسلام في عسّان وكان أحد رجال الشورى

الذين بايعوا الإمام الصلت بن مالك، ومعاصرا

لمحمد بن محبوب، واعد الإسلام 1/30 الحامش 1 .

170 — المأمون = عبدالله بن مارون بن العمدي بن

المنصور بن محمد بن علي (170 — 213 هـ)

(736 — 833 م) .

122 — الميسمر = محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن

عمير بن حسان الشمالي الأزدي، أبو الحسن

(213 — 236 هـ) (325 — 392 م) .

- 246 — متسى = من تلاميذ المسيح عليه السلام الاثنى عشر له أنجيل متسى .
- 153، 196، 207، 264 .
- مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولى السائب بن أبي السائب (21 هـ - 104 هـ) (642 - 722 م) .
- 131 — أبو مرداس مهاجر السدراتي من علماء القرن الثاني ، عالم اباضي صاحباً لأمام عبد الوهاب الرستمي سبح سنين مدة اقامته بليبيا وكان يحاسبه حساب الموتى من الحريرين على دماء المسلمين وأموالهم قواعد الاسلام 1/105 الماش / 04 .
- 226 — ابن مردويه = أبو بكر بن مردويه الأصفهاني (416 هـ) .
- 117، 196، 243 .
- مريم عطيما السلام
- 256 — المزني = أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى الغزني (175 - 264 هـ) (794 - 873 م) .
- 202 — محمد بن أفلح أبو اليقظان (281 هـ / 894 م) خامس الأئمة الرستميين من الأباضية في تيجرتة تاريخ المغرب الكبير 3/534، 535 ، معجم أعلام الجزائر 146 ، 149 .
- 45، 52 .
- محمد البهسي
- 92 .
- محمد (الحاج) بن الحاج صالح بن عيسى
- محمد حسين الذمبي
- 107، 106، 105، 37، 112، 109، 110، 112، 116، 125، 263 .
- 274، 275 .
- 09 — محمد الشيخ بلحاج
- 57 — محمد بن عيسى أزيساوا القرن 14 المجري ، القرن 20 الميلادي خطيب من كبار علماء وادي ميزاب له (بيان الشرع) في سبعين جزءاً ، معجم أعلام الجزائر / 12 .
- .... / ....

54

— محمد بن عبد العزيز

— محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

1 / مقدمة 01، 04، 09، 33، 35، 50

61، 76، 77، 85، 106، 124، 126

127، 133، 136، 137، 138، 140

141، 142، 145، 146، 152، 153

154، 155، 156، 157

159، 160، 162، 163، 172

181، 189، 190، 191، 193، 195

197، 203، 209، 210، 211، 214

215، 224، 225، 226، 237، 242

264، 277

20

— أبو محمد عبد الله بن محمد الحاصبي اللواتي من

( الطبقة الحادية عشر 500هـ - 550هـ ) طبقات

2 / 470 - 431 .

50، 73، 247، 262، 271، 272

274، 276، 277، 278، 280

17، 19، 43، 55، 74، 94، 112

— محمد عبده بن حسين خير الله من آل التركماني

( 1266 - 1323هـ ) ( 1049 - 1205م ) .

— محمد علي ديسوز

13

— محمد فؤاد نزك كيسي

59

— محمد بن أبي القاسم بن رجيح بن محمد ابن عبد

الرحيم أبو عبد الله الحاملي ( 1239 - 1315هـ )

( 1323 - 1397م ) ، فقيه ، مؤسس زاوية

الحامل ، مخيم أعلام الجزائر / 335 .

21

— محمد بن محبوب ( 260هـ ) عالم اباضي ، مجتهد

وأحد أئمة المصنف في المشرق في عصره له كتاب

( الجامع ) في سبعين جزءاً . قواعد الاسلام 1/ 51

الحامشي 02 .

— محمد بن يوسف أظفيمش

مقدمة / ب 29، 30، 31، 35، 36

50، 54، 71، 73، 90، 93، 95

- 116, 109, 106, 104, 103  
256, 254, 253, 252, 113  
263, 261, 259, 258, 257  
268, 267, 266, 265, 264  
231, 279, 273, 272, 269  
278  
35, 26 — محمد بن يانس أبو المنيب (الطبقة الخامسة 200 م  
250 م) من علماء نفوسة طبقات 296/2 —  
299  
24 — محكم الصواري (من علماء القرن الثالث  
الحجري).  
126 — أبو مسعود الأتصاري  
190, 151, 137, 131, 127 — ابن مسعود = عبدالله بن مسعود بن فافل  
ابن حبيب المذلي (32 م/653 م).  
159, 156, 127, 126, 125 — مسلم — أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري  
274 — النيسابوري (204 م — 261 م)  
— المسيوح (أنظر عيسى عليه السلام)  
215 — الفسودي = أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي  
(845 م أو 346 م / 56 م).  
247 — مصطفى بن اسماعيل  
121 — المطعم بن عدي  
153 — معاذ بن جبل (17 م)  
154 — معاذ الجملي  
249, 215, 166, 157 — معاوية بن أبي سفيان (18 ق م — 60 م)  
40 — المقراني = الحاج محمد (استشهد سنة 1071 م)  
جزائري بطل فافوذ الاستعمار الفرنسي في جبال  
القبائل الصغرى.  
131 — منساع القطمان

- 122، 190 . — ابن المنذر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري  
أبو بكر ( 242 — 319هـ ) ( 856 — 31م ) .
- 182 — المنيسمار
- 174 — المصنوع = عدي بن ربيعة التغلبي ( 531م )  
خال امرئ القيس بن سمان شجره التكرار الذي هو  
صديق للفرات الحارثي أكثر شجره في رداً أخيه  
كليب .
- ن —
- 151 — نافع أبو ربيع نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم  
اللهمي أصله من أصفهان ( 169هـ ) .
- 155، 172، 240 . — نعيم عليه السلام  
هو النبي ( أنظر محمد عليه الصلاة والسلام )
- 49 — نجلاد عز الدين
- 125، 126 . — النسائي = أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن طي  
ابن يحيى بن سليمان بن دينار النسائي ( 215 — 303هـ ) .
- 180 — أبو نصر = فاتح بن نوح الملوثاني الفوسني من  
علماء القرن السابع الهجري ما باضي بأخذ العلم  
عن خاله أبي زكرياء بن ابراهيم بن نذلمه القصيدة  
النونية في أصول الدين شرحها اسماعيل بن موسى  
وله القصيدة الرائية في الصلاة . قواعد الاسلام 1/ 89  
— 20 الحاشي / 1 .
- 133 — النظام = ابراهيم بن سيار النظام البصري أبو اسحاق  
توفي في خلافة المعتصم سنة بضع و عشرين وما ثنتين
- 245 — نصيبان
- 174 — أبو نوايس = الحسن بن ماني ( 145 — 190هـ )  
( 762 — 313م ) .

- ه -

- 244، 226 هارون عليه السلام
- 123، 104، 95، 36، 25، 24، 23 / 250 هـ مسعود بن محكم الحواري الاوراسي (250 هـ)
- 260 (364 م)
- 274 أبو حذيفة
- 274، 153، 125، 124 أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر الدوسي  
الملكب بأبي هريرة (21 ق هـ - 59 هـ)  
(602 - 689 م)
- 53 ابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد  
الله بن يوسف أبو محمد جمال الدين  
(708 - 761 هـ) (1309 - 1360 م)
- 159 ملال بن أمية
- 241 مسور

- و -

- 174 وائل بن ربيعة أخو الشاعر عدي بن ربيعة لقبه  
كليبا
- 242 وهب بن منبه = أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني  
الاصطاني (34 - 110 هـ أو 114 هـ)

- ي -

- 246 يوحنا بن جسي
- 246، 136، 120 يوسف عليه السلام
- 102، 70 يوسف بن بكير تلميذ المفسر
- 165 يوسف بن تاشفين المغربي العرابلي (1107 م)
- 44 يحيى بكوش
- 90 يحيى بن خاقان بن أبي بهمان الخروصي
- 25، 24 يحيى بن سلام بن أبي دليلة التيمي بالولاء  
من تيم ربيعة البصري الاثري (124 - 200 هـ)  
(742 - 815 م) ، مفسر ، فقيه ، حافظ ،  
محدث ، لشؤون من آداره ( تفسير القرآن )  
مخلوط ، غير كامل ، معجم المفسرين 730/2 ،  
731

.../...

- 58 يحيى بن صالح الأفضلي ، أبو زكريا (1160-1223هـ) مصحف أخبار الجزار / 22 .
- 74، 70 يحيى بن صالح باعامة تلميذ المقرئ مارس القضاء .
- 246 يسوع ( هو المسيح عيسى عليه السلام )
- 121 و 120 يسقوب عليه السلام .
- 117، 35، 34، 23، 27، 13 أبو يعقوب = يوسف بن ابراهيم بن مهدي الصدراتي
- 130 و 127 الورجلاني ( 500 - 570هـ ) ( 1106 - 1175م )  
فقيه اباضي ، مفسر ، مصحف أخبار الجزار / 341
- 342
- 79، 74، 71، 70، 27 أبو اليقظان = ابراهيم بن عيسى بن يحيى ( 1306- )
- 13 93 ( 1300 - 1373م ) عالم اباضي ، شارك في  
الحركة الإصلاحية مجاهد بقلمه ، رائد الصحافة  
الجزائرية . مصحف أخبار الجزار / 356 .

- فهرس البلدان والأماكن -

- أ -

51 ، 49 ، 46 ، 45 ، 44 ، 42 ، 41 ، 28  
• 278 ، 277 ، 79 ،  
28  
272  
155  
83 ، 27  
28  
67  
• 207 ، 165 ، 133 ، 132

- أوروبا ( الأوروبية )

- أريخ

- الأزهر

- الإسكندرية

- أفريقيا

- ألمانيا

- إنجلترا

- أندلس ( أندلسي )

- ب -

164  
• 204 ، 135 ، 121 ، 119  
78 ، 75 ، 59  
26 ، 20 ، 19 ، 16 ، 14 ، 08  
256  
77 ، 62  
93 ، 77 ، 70 ، 55

- بيت المقدس

- بيدر

- بريان ( مدينة من مدن ميزابغرداية )

- البصرة

- بغداد

- بنورة ( مدينة من مدن ميزابغرداية )

- بني يزقين ( مدينة من مدن ميزابغرداية )

- ت -

246 ، 202 ، 78 ، 73 ، 68 ، 31 ، 24  
13  
193

- تونس

- تيمرت ( عاصمة الرستميين )

- تغلاست

- ج -

52 ، 50 ، 49 ، 48 ، 46 ، 45 ، 44 ، 43  
• 193 ، 92 ، 74 ، 71 ، 70 ، 68 ، 67 ،  
193  
41  
26 ، 13  
• 78 ، 09 ، 08  
78 ، 58

- الجزائر

- جزائر بني مزغنة

- الجزيرة العربية

- جبل نفوسة

- ح -

- الحجاز

- العم الشريف

- د -



193	دوسية
	ذ -
126	ذوالحليفة
	ذر -
28	ريسا
	ز -
202 ، 90 ، 78 ، 73 ، 43	زنجيسار ( واقعة بتانزانيا )
	س -
193	سسوس
	ع -
162	عدن
218	المدوة
19 ، 09 ، 08 ، 07	العراق
63 ، 62 ، 57 ، 56 ، 43 ، 31 ، 21 ، 17	عمان
190 ، 92 ، 91 ، 84 ، 81 ، 80 ، 78 ، 74 ،	
268 ، 235 ، 213 ،	
	ع -
70 ، 56	غرداية ( عاصمة ميزاب مقر الولاية معظم سكانها اباضيون . )
	ف -
224 ، 202 ، 162	فارس
193	فناس
202 ، 19	الفرس
193	فرنسا
278 ، 162	فلسطين
	ق -
مقدمة / د ، 70	القاهرة
20 ، 19	القيروان
78 ، 75 ، 59	القرارة ( مدينة من مدن ميزاب غرداية )
27	قرطبة
70	قسنطينة ( عاصمة الشرق الجزائري )
78	قسنطينة
20	قلعة حماد ( بسني )

	- ك -
162	- كرمان
164	- الكعبة
	- ل -
28	- لبيح
43	- لبيبا
	- م -
241	- مدين
159 ، 66	- المدينة ( المنورة )
193	- مراكش
164	- المسجد الحرام
• 256 ، 246 ، 93 ، 78 ، 73 ، 56	- مصر
	- مضاب ( أنظر وادي ميزاب )
78 ، 59	- معهد الحليل
• 83 ، 79 ، 78 ، 70 ، 49 ، 41 ، 23 ، 21	- المغرب ( الأقصى - العربي )
• 218 ، 193	
• 224 ، 202 ، 125	- مكة
74 ، 70	- ملكة ( مدينة من مدن ميزاب السبعة غرداية )
	- و -
• 125 ، 96 ، 77 ، 70 ، 68 ، 55 ، 44 ، 43 ، 28	- وادي ميزاب ( مضاب )
• 246 ، 199 ، 190 ، 174	
• 249 ، 78 ، 75 ، 67 ، 59 ، 27	- ورجلان ( ورقلة )

- 1 -

45
167
255,226,225
القدمة/ ب, 02,03,04,05,09,10,11,12,13
29,27,26,24,21,20,19,18,17,15,14
83,79,78,67,43,39,36,35,34,33,32,31
102,101,100,99,97,96,95,92,86,85,84
134,130,129,126,116,114,108,105,104
207,206,204,203,202,166,162,155
219,216,215,213,212,210,209,208
232,230,229,227,224,223,222,221
257,254,252,237,235,234,233,232
• 282,281,268,265
45
235,234,233,80,18
/
47
244,243,242,240,239,110,107,106,29
276,273,267,257
276,273,267,191
224,222,221,218,212,125,99,25,01
273,264,231,228
213
213
165,164
167,157
178,163
277,193,164
231,227,226

- الآريون

- آل بومسك

- آل البيت ( الأهل )

- الأباضية

- أتراك

- أزارقة

- استعمار ( أنظر المستعمر )

- استقرائية

- الاسرائليات

- الاسرائليون

- الأشاعرة

- أصحاب الأخدود

- أصحاب الأعراف

- أصحاب الفيل

- أصحاب الكهف

- الأحناف

- الأفرنج

- الامامية

17,06	- الأثيون
276,246,245,215,155,133	- الانجيل
246	- انجليزي
27	- الاندلسيون
96,91	- أهل الاستقامة
267,265,264,254,253,106,105,01	- أهل السنة
274,273,243,242,239,163	- أهل الكتاب
215	- أهل الصمران
	- ب -
46	- البرجوازية
46	- البزير
250,249	- البربرية
	- ت -
276,246,243,215,155,133	- التوراة
/	- التبشير ( انظر حركة التصير )
273,234,01	- التحكيم
267,259,258,236,235,45	- التصوف
	- ث -
163	- ثمسود
	- ج -
267	- الجزائري
18	- جماعي ( من أهل الجماعة )
	- ح -
250	- حيشبي
277	- الحكومة المصرية
74,60,58,49,45,44,38,37,31,30 / المقدمة	- الحركة الاصلاحية
276,269,250,247,244,218,200,101,79	
248,246,244,281	
248,246,244	- حركة التصير ( التبشير )
137,109,102,101 52,51,50,49,42	- الحركة السلفية ( كمنه )
49	- الحركة الرومانية

226	الحففة
	خ
18	خارجي
. 278, 247, 73, 63, 51, 41	الخلافة العثمانية (الدولة بالسلطانين)
. 10, 07, 06, 04, 03, 02, 01	الخسارح
. 166, 154, 86, 19, 13, 12, 11	
. 34, 238, 235, 229, 204, 203	
. 254, 233	
	د
	الدولة الرسمية (أندلس الرسميين)
	الدولة العثمانية (أندلس الخلافة)
	ر
229, 35	الرافضية
. 102, 24, 81, 19, 13	رسميون (الدولة الرسمية)
	ز
10	الزيدية
	س
241	السحرة
49	السنوسية
	ش
. 213, 155, 150	الشافعية
. 224, 117, 10, 07, 06, 01	الشيخية
. 235, 233, 231, 226, 225	
	ص
. 259, 250, 237, 236, 235	الصوفية
. 272, 260	
. 4, 235, 234, 233, 20, 13	الانصورية
. 64, 77, 67, 52, 51, 44, 41	الانصورية
	ظ
233	الظاهري
	ع
. 70, 46, 41, 33, 14, 11	العرب
. 134, 167, 166, 155, 120	
. 279, 181	
. 55, 79, 76, 43, 46, 20	العربيهية
. 250, 175	
. 93, 30	العثماني

- غ -

35

- الغالبية

- ف -

66  
349  
68,48

الفتنة الكبرى ( وقعة صفين )  
القدر  
الفرنسي

- ق -

237,18

القدر

237,227,46

- القدرية

216,160

- قريش

21

- القرامطة

- م -

265,264,248,207

- المالكية

248,202

- الميزابيون ( بني مضاب )

259,237

- المتصوفون

117

- المجوس

220

- المجبرة

99

- المجسمة

المقدمة / س 01,04,05,06,07,08,09,12,17,

- المذهب الاباضي ( الاباضي )

102,101,96,95,91,87,85,83,80,49,44,19

204,202,201,166,130,129,128,113,107

223,222,221,219,217,216,214,208,207

278,273,265,257,254,233,224

233,107

- مذهب الاعتزال

238

- المرجئة

244,172,159,117,116,101,75,61,45,41

- المسيحية ( النصارى )

278,247,246,245

68,67,66,85,64,61,59,58,52,51,50,45

- المستعمر ( الاستعمار )

278,269,77,76,73,71,70,69

- بنو مضاب ( أنظر المزابيين ) /  
- المعتزلة  
227، 212، 207، 204، 140، 10، 08، 07، 01  
255، 253، 233، 232، 231، 229، 228  
268 عز المفارسة  
267 - المفريسي
- ن -  
- النجدية 234، 233  
- النصارى ( أنظر المسيحية ) /  
- نفوسيون ( سكان جبل نفوسة 80  
أيا معظمهم إباضيون )  
- النكار : فرقة انشقت عن الاباضية 35  
مؤسسها شعيب ابن المعروف هي حركة سياسية  
بالدرجة الأولى الاباضية / 79 .
- ه -  
- بني هاشم 216
- و -  
الواصلية 35  
- الوهابية 49
- ي -  
- يوم الجمل 226  
- اليهودية ( اليهود ) 278، 273، 245، 142، 139، 117، 116، 18

المصادر والمراجع

أ. الكتب:

- إبراهيم أنيس (الدكتور) —  
— عبد الحليم منتصر (الدكتور) —  
— عطيمسة الطولسي —  
— محمد خلف اللسه أحمد —  
• معجم الوسيط  
الإشراف على الطبعة  
— حسن طهي عطيمة —  
.. محمد شوقسي أمين  
دار المعارف ط 3 مصر 1393 هـ / 1972 م •  
— إبراهيم يكيو بحار —  
• الدولة الوستمية ( 160 — 296 م ) ( 777 — 209 م )  
مطبعة لافوميك ط 1 الجزائر 1985  
— إبراهيم بن عمر بيوض —  
— ابواهيم بن سعد الصبري —  
• أجوبة وقتاري  
مشورات دار الدعوة نالوت ط 1 ليبيا 1390 م / 1971 م  
— إبراهيم بن محمد أطفيش (أبو اسحاق) —  
• العقد الجليل للكتب الجليل  
( المطبعة غير مذكورة ) 1342 / 1924  
— أحمد أميسن —  
• فجر الإسلام  
دار الكتاب العربي ط 10 بيروت لبنان 1969 م  
— أحمد توفيق المديني —  
• كتاب الجزائر  
الموهبة سنة الوطنية للكتاب  
الجزائر 1984  
المطبعة العربية



— أحمد بن محمد الخليلي

• جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل

مكتبة الاستقامة ط 1 روي سلطنة عمان 1404 هـ / 1984 م.

— أحمد بن سعيد الدر جيني (أبو العباس)

• طبقات المشايخ بالمغرب

تحقيق إبراهيم طحلاي

مطبعة البحث قسنطينة الجزائر 1394 هـ / 1974 م

— أحمد بن شبيب بن علي بن يحيى النسائي (أبو عبد الرحمن)

• سلسل النسائي

شرح: جلال الدين السيوطي وحاشية الأمام السندي

دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

— أحمد شلبي

• المجتمع الإسلامي

مكتبة النهضة المصرية ط 1 القاهرة 1958

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

— أحمد بن علي بن حجر المسقلاني (أبو الفضل)

• فتح الباري شرح صحيح البخاري

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

• تمهيد التمهيد

مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ط 1 الدكن الممدد 1325 هـ

— أد وارمونتيس

• تفصيل آيات القرآن الكريم

نقله إلى العربية

— محمد فؤاد عبد الباقي

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط 2 بيروت 1374 هـ / 1955 م

— اسماعيل حقي البروسوي

• تفسير روح البيان المجلد 1

دار الفكر

— الحسين بن مسعود الشراء البغوي (أبو محمد)

• شرح السنمة

تحقيق: زمير الشاويش — شعيب الأرنؤوط

المكتب الاسلامي ط 1408 هـ / 1988 م

— الربيع بن حبيب

• الجامع الصحيح

على ترتيب يوسف بن إبراهيم الوردجاني (أبو يعقوب)

المطبعة السلفية ط 2 انتاصرة 1349 هـ

— سالم بن حمود

• أدنى المناهج في تمييز الأياضية من الخوارج

(المطبعة غير مذكورة) أول رجب 1385 مطوح عسان

— محمد اللطيف أبو القاسم

• تاريخ الجزائر الثقا في القرن 10 — 14 هـ

16 — 20 م

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981

مطبعة محمد زبيح

• الحركة الوطنية الجزائرية ج 2

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط 3 الجزائر 1983

• محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط 3 الجزائر 1982

— سليمان أبو الربيع الباروني

• مختصر تاريخ الأياضية

المطبعة غير مذكورة ( سنة 1986

— سليمان بن عبد الله الباروني

• كتاب الأزمارة الرياضية في أئمة وملوك الأياضية

مطبعة الأزمارة البارونية

- اسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي

. قنطرة الخيرات ج 3

المطبعة البارونية طيلون مصر 1307 هـ.

. قواعد الأسلام ج 1

قام بتصحيحه والتعليق عليه

- عبد الرحمن بن عمر بكلي

المطبعة العربية ط 1 فرداية الجزائر 1976 .

- أسود الجندبي

. الفكر والثقافة المحاصرة في شمال افريقيا

الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1385 هـ / 1965 م

- أ. بي وسنسك

. مقتضا ح كنوز السنة

نقله الى العربية : - محمد فؤاد عبد الباقي

دار احياء التراث العربي بيروت 1402 هـ / 1983 م

- وله - وي ب منسج

. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي

عن الكتب الستة وعن مسند الدرامي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل

اتباع نشره : ي . بروخمان

دار الدعوة دار سحنون

استنبول 1987 م تونس 1987 م .

- جابر بن زياد

. فقه الأمام جابر بن زياد

تقديم وجمع وتخريج : يحي محمد بك - وش

المطبعة العربية ط 2 فرداية 1403 هـ / 1983 م .

- الحاكم النيسابوري (أبو عبد الله)

. المستدرک علی الصحیحین وبذیلہ الشخصی للحافظ الذہبی

دار الكتاب العربي بيروت .

4 - شوقي ضيف  
تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)

دار المعارف ط 3 مصر  
تاريخ الأدب العربي (العصر الأموي)

دار المعارف ط 8 مصر  
الفن ومذاهبه في الشعر العربي  
دار المعارف ط 8 مصر

صابر طه  
الاباضية عقيدة ومذهب  
دار الجيمل بيروت 1406 هـ / 1986 م

صبري المتولي  
منهج ابن تيمية في تفسير القرآن  
عالم الكتب 1401 هـ / 1981 م

عادل سويح  
معجم أعلام الجزائر  
مؤسسة نويحى الثقافية للتأليف والترجمة والنشر 2  
بيروت لبنان 1400 هـ / 1980 م

معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر  
مؤسسة نويحى الثقافية... ط 1 1403 هـ / 1983 م  
عاصم بن علي الشماخي  
الإيضاح ج 1

مطبعة الوطن بيروت 1391 هـ / 1971 م  
الناشر: دار الدعوة بالقوت  
عبد الحميد زو نو

نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1230 - 1900 م)  
المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984  
المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الطباعة المتعددة  
ورشمة أحمد زيمانة

— عبد الحسي بن العماد الحنطلي (أبو الفلاح)

• شذرات الذهب في أخبار من ذهب

دار أحياء التراث العربي بيروت

— عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (بجلال الدين)

• الجامع الصغير في الأحاديث البشير الغدير

دار الكتب العلمية ط 4

• اللائي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة

دار المعرفة للطباعة والنشر ط 3 بيروت 1401 هـ / 1981 م

— عبد الرحمن الثعالبي

• الجواهر الحسان

تحقيق: عصار طائبي

المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985.

— عبد الرحمن بن محمد الجبلائي

• تاريخ الجزائر العام ج 8

دار الثقافة بيروت لبنان 1400 هـ / 1980 م.

— عبد العزيز الدميري (فيها: الدين)

• كتاب النيل وشماة الملل

صححه وعلق عليه: عبد الرحمن بن عمر بكلي

المطبعة العربية أدار الفكر الاسلامي ط 2 الجزائر

1387 هـ / 1967 م

— عبد الله بن حميد المالبي (أبو محمد)

• شرح الجامع الصحيح مسند الأمام الربيع بن حبيب بن

مرو الفراهيدي الأزدي

صححه وعلق عليه: عز الدين التوخي

المطبعة الموسوية دمشق 1383 هـ / 1963 م

— عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله (ابن عقيل)

• شرح ابن عقيل على الفية بن مالك

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط 16.

— عبد الله بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي

. أنوار التنزيل وأسرار التأويل

المطبعة العثمانية سنة 1305 هـ

— عبد الوهاب بن عبد الوهاب قايس

. مدح ابن عطية في تفسير القرآن الكريم

مشورات المكتبة المصرية صيدا بيروت 1898 هـ / 1973 م

— علي بن محمد بن إبراهيم البخداوي الخازن (علاء الدين)

. لباب التأويل في معاني التنزيل

المطبعة المصرية 1318 هـ

— علي موسمي ، مخلص الريمس

. علم الفلك مقاميه وأسس

دار دمشق للطباعة والنشر بيروت لبنان

— علي يحيى محمدي

. الاباضية بين الفرق الاسلامية

الناشر: مكتبة ودية القاهرة

مطابع : سجل العرب ط 1 1396 هـ / 1976 م

. الاباضية (دراسة مركزية في أصولهم وتاريخهم)

المطبعة العربية فرداية الجزائر 1985

. الاباضية في موكب التاريخ (الاباضية في الجزائر)

صححه : أحمد عمر اوبكدة

المطبعة العربية فرداية الجزائر 1985

— عمرو بن جميع (أبو حفص)

. مقدمة التوحيد

شرحها : أحمد بن سعيد الشماخي (أبو الصغار)

داود بن إبراهيم التلاتي (أبو سليمان)

صححها وعلق عليها : إبراهيم أطفيش أبو اسحاق.

(المطبعة غير مذكورة) القاهرة 1353 .

.../...

- عمار دالبي

. آراء الخوارج الكلامية

الموجز : لأبي عمار عبد الكافي

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 90 28 90 م / 1973 م  
مطابع الشروق بيروت

- كارل بنوكلمسان

. تاريخ الأدب العربي ج 3

نقله إلى العربية د / عبد الحلیم النجار .  
دار المعارف ط 3 القاهرة مصر .

- مالك بن أنس الأصمعي (أبو عبد الله)

. موطأ الأمام مالك

رواية محمد بن الحسن الشيباني

تأليف وتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف

دار القلم بيروت لبنان

- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي شمس الدين (أبو عبد الله)

. معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار

المحققون : بشار عوا \* معروف

شعيب الأرنؤوط

صالح مهدي عمارين

مؤسسة الرسالة ط 1 1404 هـ / 1984 م

- محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (أبو الوليد)

. في تفسير المقال

تقديم : أبو عمران الشيخ ،

جلول البدوي

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1982

- محمد بن إسحاق النديم

. الفهرست

المحقق : د / مصطفى الشويبي

الدار التونسية للنشر تونس

المؤسسة الوطنية للكتاب ط 1 الجزائر

مطبعة أوميكس للنشر 1406 هـ / 1985 م

— محمد البهي

• الفكر الاسلامي الحديث وملكته بالاستعمار الغربي

الناشر: مكتبة ودية مطبعة مديسو

— محمد بن جرير الطبري (أبو جعفر)

• جامع البيان في تفسير القرآن

دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان 1403 هـ / 1983 م

— محمد بن عواد مغنيم

• معالم الفلسفة الاسلامية

دار العلم للملايين ط 1 بيروت لبنان 1960

— محمد بن عبد الله بن عبد البر

• التفسير والمفسرون ج 1

دار الكتب الجديدة ومطبعة السعادة ط 1 1381 هـ / 1961 م

• التفسير والمفسرون ج 2

مطبعة دار الكتاب العربي القاهرة مصر 1381 هـ / 1962 م

— محمد بن الحارث (أبو الحارث)

• الدراية وكنز الحنيفة في منتهى الناية

ويؤيد الكفاية في تفسير عمارة آية

دار البقعة السورية دمشق 1974

— محمد بن رشيد رضا

• تفسير القرآن

دار المعرفة ط 2 بيروت

— محمد بن عبد الله بن عبد البر

• القرآن الكريم تفسيره ومفسروه

الطبعة العربية غرداية 1984 م

• الدراسة رواية ورواها لهما عند الأئمة

الطبعة العربية غرداية 1984 م



— محمد طسي ديسوز

• أعلام الأصلاح في الجزائر

مطبعة البحث ط 1 قسطنطينة 1396 هـ / 1974 م

• تاريخ المغرب الكبير

دار احياء الكتب العربية ط 1 1388 هـ / 1968 م

• نهضة الجزائر الحديدية ودوراتها المباركة ج 3

المطبعة التعاونية ط 1 1385 هـ / 1965 م.

— محمد طسي الشوكساني

• الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة

تحقيق: محمد الرحمن بن يحيى المحلى اليمني

مطبعة السنة الحموية

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

• بيل الا وطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

— محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي

( أبو عيسى )

• الجامع الصحيح للترمذي

بشرح ابن العربي المالكي

دار الكتاب العربي بيروت

— محمد محمد كامسبل

• قائمة مطبوعات الوزارة 1986 / 1987

وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان

— محمد محمد أبو زهمو

• الحديث والمحدثون أو رعاية الأمة الإسلامية بالنسبة النبوية

دار الكتاب العربي بيروت 1404 هـ / 1984 م

.../...

محمد ناصر الألباني

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة

المكتبة الإسلامية ط 5 1405 هـ / 1985 م

محمد بن مكرم بن مدظور جمال الدين (أبو الفضل)

لسان العرب

دار صادر للطباعة والنشر  
دار بيروت للطباعة والنشر  
ط 1 بيروت 1388 هـ / 1968 م

محمد بن يوسف أظفيس

ازمات الباطل بالعلم الواطل

طبعة حجرية 1317 هـ

ان لم تحرف الأباضية يا عبيدي

مطبوع بحواشي وتعليقات : عبد الله بن عميد السالمي

المطبعة العلمية ط 2 تونس 1321

تتقيمه الخامس بترتيب لفظ ابن عامر

طبعة حجرية 1319 هـ

تيسير التيسير

طبعة حجرية ط 1 الجزائر 1325، 1326 هـ / 1905 م

جامع الشميل في حديث خاتم الرسل

دراسة وتحقيق : محمد عبدالقادر عطا

دار الكتب العلمية ط 1 بيروت 1407 هـ / 1987 م

حكم الدخمان والمصموط

طبعة حجرية 1326 هـ

داعي العمل ليوم الأمل

مخطوط مكتبة الشيخ أظفيس بني يسقن

الذهب الخالص المنموه بالحلم القالين

تطبيق : أبو اسحاق إبراهيم أظفيس

دار البحث للطباعة والنشر ط 2 قسنطينة الجزائر 1400 هـ / 1980 م

.../...

• الرد على الصغرية والأ زارقة

طبعة حجرية 1314 هـ

• رسالة الشافعية

طبعة حجرية 1326 هـ

• رسالة موجهة إلى أهل عمان

مخطوطة

• رسالة موجهة إلى السلطان عهد الحميد

مخطوطة

• رسالة في الرد على الإنجليز المنكر للقرآن

شاه: "قضى العين على أهل الصين"

مخطوطة

• شامل الأصول والفرع

تصحيح وتعليق: أبو اسحاق إبراهيم أطفيش

الطبعة السلفية القاهرة 1346 هـ

• شرح الدعا في علم لابن النظم الحفاني

طبعة حجرية 1326 هـ

• شرح النيسابور وشفاء العليمين

مكتبة الإرشاد ج.س.س.د

دار الفتح ط 2 بيروت 1398 هـ / 1978 م

• القدوان الدائرية في مسألة الديوان الحاتية

طبعة حجرية 1314 هـ

• كشف الكسرب

وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان

1405 هـ / 1985 م

• مجموع القصائد

طبعة حجرية 1314 هـ

• هميمان الزاد الى دارالمصاحف

المطبعة السلطانية زنجبار 1305 هـ - 1314 هـ

• محمود بن عبد الله بن محمد بن دريوش الحسيني الاكوسي

• روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

دار الفكر بيروت 1403 هـ / 1983 م

• محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري

• الكشاف عن حقائق التنزيل وعلومه والآثار التي فيها

تحقيق وتعليق : محمد مرسى عامر

دار المصنف ، شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد القاصرة

1397 هـ / 1977 م

• مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري

• صحیح مسلم

شرح النووي

دار احياء التراث العربي بيروت

• مصرين العبدى التيمسي (أبو عبيدة)

• مجاز القرآن

تحقيق وتعليق : محمد فؤاد مزيين

مؤسسة الرسالة ط 2 بيروت 1401 هـ / 1981 م

• مجمع القائلين

• مباحث في علوم القرآن

• منشورات المصير الحديث 1391 هـ / 1971 م

• لجملته عز الدين

• العالم العربي

اشترك في ترجمته مجموعة من الأساتذة

دار احياء الكتب العربية بالاشتراك مع

مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاصرة - نيويورك

الطبعة الأولى 1957

الطبعة الثانية 1962

— هـود بن محكم الصواري  
تفسير القرآن ج 8

مخاوط مكتبة الشيخ أطفيش بني يسقن رقم 14/4 .

— يحي بن أبي بكر (أبو زكريا)

سير الأئمة وأخبارهم .

تحقيق وتعليق : اسماعيل العربي

المكتبة الوطنية الجزائر 1399 هـ / 1979 م

مدابع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

مطبعة أحمد زمامة الجزائر

— يحي بن أبي الخير الجناوني (أبو زكريا)

الوضع : مختصر في الأصول والفقه .

تحقيق : أبو اسحاق إبراهيم أطفيش

مطبعة الفجالة الجديدة ط 1

— يوسف بن إبراهيم الوجيهاني (أبو يعقوب)

الدليل والبرهان

المطبعة البارونية طالون مصر 1206 هـ

— يوسف خلفون النمزي (أبو يعقوب)

أجوبة ابن خلفون

تحقيق وتعليق : د / عمر و خليفة الناصي

دار الفتح للطباعة والنشر ط 1 بيروت 1394 هـ / 1974 م

ب ه محاضرات :

— إبراهيم محمد طسلاي

تفسير محمد بن يوسف أطفيش للقرآن الكريم

محاضرة : ألقيت في مهرجان القطب (المفسر) 1401 هـ / 1981 م

— بكير حلمي

مواقف القاطب ضد السلطنة الاستعمارية ومحاينة الأحداث في

الأقطار الأسلامية .

محاضرة : ألقيت في نفس الممران .

د. بلتاج سعدون شريفي

التفسير ومناهجه عند علماء الأباضية

محاضرة أُنقِيت في ملتقى الخامس عشر للفتوى والإسلام في الجزائر

2-1-1981 و القعدة 1401 هـ

وزارة الشؤون الدينية مديرية البحوث الإسلامية والملتقيات.

د. سليمان داود بن يوسف

التفسير ومناهجه عند علماء الأباضية

محاضرة : أُنقِيت في نفس الملتقى

د. عبد الرحمن بكلمسي

محاضرة ( بلا عنوان ) أُنقِيت في مهرجان القطب 1401 هـ /

1981 م.

د. محمد أيوب صدقي

ردود ومواقف

محاضرة : أُنقِيت في نفس المهرجان

د. محمد الشيخ بلحاج

الاجتهاد في المذهب الإباضي

محاضرة : أُنقِيت في ملتقى الشايع مشرف لفتوى الإسلام في قسنطينة

1403 هـ / 1983 م.

د. يحيى محمد بكوش

شرح النبل دائرة محارفات في الشريعة الإسلامية

محاضرة : أُنقِيت في مهرجان القطب 1401 هـ / 1981 م

المطبعة الحربية فردا بسمية.

.../...

ج. الدوريات :

— مجلة الأمانة

مطبعة البحث قسنطينة الجزائر  
تصدرها وزارة الشؤون الدينية .

— الحبيب الجحالي

• حركة التشيرو والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي

في القرن 19 .

عدد : 16 السنة الثالثة شعبان ، رمضان 1398 هـ

سبتمبر ، أكتوبر 1978 م

— سليمان داود بن يوسف

• مجملات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتوحيدها

عدد 49 و 50 السنة السادسة رمضان ، شوال 1397 هـ

سبتمبر أكتوبر 1977 م

— جريدة الشعب ( يومية ، وطنية ، أخبارية )

العنوان : سمة الوطنية للصحافة الجزائرية .

— محمد الله أبو القاسم

• شيخ الإسلام عبد الكريم قاسم

عدد 69 و 66 السنة 24 الأربعاء 1 رجب 1406 هـ الموافق

12 مارس 1986 .

— مجلة المدحاج : ( مجلة علمية سياسية اجتماعية نصف شهرية )

مطبعة الشباب — مصر —

صاحبها : أبو اسحاق إبراهيم أطفيش عدد 3 و 4 السنة 7

1344 هـ / 1950 م .

— أبو اسحاق إبراهيم أطفيش

• داعي الحمل ليوم الأصيل

• مسألة الأذان بين أهل فريجة

والجالية المدحية والمرثوية .

الصفحة	الموضوع
أ هـ	المقدمة
39 — 01	التمهيد
01	1. نشأة المذهب الإباضي
07	2. التفكير الإباضي
09	3. التفسير بالرأي عند الإباضية
12	4. أسباب قلعة التفسير عند الإباضية
15	5. مفسرو الإباضية
15	أ. طبقات القدماء
15	• جابر بن زييد
18	• أبو عبيدة محمود بن المنذر التميمي
19	• عبد الرحمن بن رستم
21	• أبو الحوارى محمد بن الحوارى
23	• مسعود بن محكم الحوارى
26	• محمد بن يونس
27	• أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوجيه الجليلي
29	ب. طبقة المعاصرين
29	• محمد بن يوسف أظفيش
30	• إبراهيم بن عمر بيموش
31	• أحمد بن حمد الخليلي
32	6. ملامح التفسير عند الإباضية
34	أ. التفسير الفقهي
34	ب. التفسير الحقا ئدي
36	ج. التفسير التعليمي
37	د. التفسير الاجتماعي الأدلحي



الصفحة	الموضوع
41 - 89	<b>الباب الأول</b>
	<b>الفصل الأول :</b>
	(عصره)
41	1. الحياة السياسية
44	2. الحالة الاجتماعية
	<b>الفصل الثاني :</b>
	(حياته)
54	1. عوامل نهوضه
60	2. موقفه من التيار المحافظ
64	3. موقفه من الاستثمار وعملائه
	<b>الفصل الثالث :</b>
	(آثاره)
70	1. آثاره في ميدان التعليم
76	2. آثاره في إصلاح المجتمع
79	3. آثاره في ميدان التأليف
90 - 184	<b>الباب الثاني</b>
	<b>الفصل الأول :</b>
90	1. التعريف بتناسيره
95	2. أسباب تناسيره للقرآن الكريم
98	3. المقارنة بين تناسيره
102	- أسباب عدم انتشار هذه التناسير
	<b>الفصل الثاني :</b>
104	- رأي الباحثين في تناسيره
	<b>الفصل الثالث :</b>
115	- مصادر تناسيره
115	أ. مصادرهما من كتب التفسير
124	ب. مصادرهما من كتب الحديث
128	ج. مصادرهما من كتب الفقه
130	د. مصادرهما من كتب مختطفة

— الباب الثالث —

الفصل الأول :

- 135 طريقة تسميه في التفسير
- 145 1. تفسير القرآن بالقرآن
- 152 2. تفسير القرآن بالسنة
- 157 3. التفسير بأراء الصحابة
- 158 4. أسباب النزول
- 161 5. المصادر التاريخية
- 164 أ. قصص الأنبياء
- 164 ب. الأحداث التاريخية
- 167 6. الشعر العربي
- 176 7. علوم اللغة والملازمة
- 186 8. علوم مختلفة
- 194 9. أسلوبه في التفسير

الفصل الثاني : ٤٠٣٠٤٠

( موقفه من بعض المسائل )

- 201 1. موقفه من المذهب الإباضي
- 218 2. موقفه من الأشاعرة
- 224 3. موقفه من الشيعة
- 227 4. موقفه من المعتزلة
- 233 5. موقفه من الخوارج
- 235 6. موقفه من التصوف
- 237 7. موقفه من بعض الفرق الأخرى
- 239 8. موقفه من الأسرانيات
- 244 9. بوادر الحركة الأصولية في تفسيره

.../...

الفصل الثالث :

(مكاملة تفسيره بين بعض التفاسير)

251	ب. مدخل
252	ب. المقارنة بين منهجية (التيسير) ومنهجية (روح المعاني)
252	أ. موقفا من المخالفين
257	ب. وجهة نظرها من الاسرائيليات
258	ج. وجهة نظرها من التفسير الاشاري والتصوف
260	د. المسائل العلمية والشموية
262	ب. المقارنة بين (التيسير) و (جواهر الحسان)
262	أ. طريقة الاستشادة من المصادر
265	ب. أسلوب الاختصار
269	ب. المقارنة بين (التيسير) والتمار
270	أ. الثورة على التقليد
276	ب. الدعوة الى اصلاح المجتمع في التفسيرين
278	ج. توظيف العلوم الحديثة
281	الخاتمة
284	فهرس القرآن الكريم
298	فهرس الاحاديث النبوية
307	فهرس الامم
331	فهرس البلدان والامساكن
334	فهرس المذاهب والفرق والامم
339	فهرس المصادر والمراجع
355	فهرس الموضوعات